د. حسن كريم ماجد الربيعي

الأسس المنهجية في نقد الأصول الرجالية

حتى نهاية القرن الخامس الهجري



العارف للمطبوعات

الأسس المنهجية
في نقد الأصول الرجالية

حتى نهاية القرن الخامس الهجري

بسم الله الرحمن الرحیم

الأسس المنهجية
في نقد الأصول الرجالية

حتى نهاية القرن الخامس الهجري

د. حسن كريم ماجد الربيعي

العارف للمطبوعات

الأسس المنهجية في نقد الأصول الرجالية

حتى نهاية القرن الخامس الهجري

د. حسن كريم ماجد الربيعي

الطبعة الأولى

أيلول/سبتمبر 2012

القياس: 17 x 24

ISBN 978-9953-574-71-4

نشر وتوزيع

شركة العارف للأعمال ش.م.م.

بيروت – لبنان
00961 1452077
العراق – النجف الأشرف
00964 7801327828
Trl: www.alaref.net

الإهداء

إلى من ينتهي إليه الإسناد

إلى صاحب النص المفسِّر ومنتهى غاية الرواة

إلى من رسم معالم حمل النص من العدول الذين ينفون تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين .

رسولنا الأعظم الصادق المصدق حامل دعوة الأنبياء وخاتم مسيرتهم الأخلاقية في دنيا الوجود إلى عالم البقاء والخلود صلّى الله عليه وآله وسلم

أضع بين يديه الشريفتين

هذا الجهد المتواضع راجياً قبوله

حسن...

شـكر وعـرفان

لا تتم الأعمال بالجهد الفردي مهما أوتي الفرد مـن قـوة إلاّ بـالنظر في أعمـال الآخـرين والاستفادة مـن كـل الجهـود في موضـوع مـا سـواء المتقـدمين مـنهم أو المتأخرين أو المعاصرين ، وعند تقليب الآراء ينقدح الفكـر بمـا وهبـه الله سـبحانه وتعالى من أسرار خلقه ، فان التكامل في المعرفة تتم بمشاركة العقـول وبهـا يـتم الاعتصام .

فقـد شـاركتني تلـك العقـول في خـوض هـذه التجربـة ولـولاهم لم تـتم هـذه الاطروحة فقد حاورتهم وناقشتهم في أمورها لأصل إلى مضـامين المقاربـة والتوافـق فكانت إسهاماتهم اغناء لها وقوة ، وكنت دائماً أبحث عن المنهج المعرفي الخـالص فهو طريق العلم ومسلك العارفين لكشف التضليل والزيف والاغراء فقد كنـت أثـر تلك المحاورات أوافق البعض واختلف مع البعض الآخر وهو اخـتلاف المعرفـة لا غير .

شكري وتقديري لمن حاورتهم وسألتهم وشـاركوني همـومي المعرفيـة واخـص بالذكر أستاذي المشرف الذي واكب الإشراف على نتاجي المتواضع منـذ الدراسـات الأولية حتى هذه الاطروحة فقد نالني شرف قبول الإشـراف عليهـا هـو الأسـتاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم أتمنى له الموفقية والعمر المديـد ، كمـا أقـدم شـكري المتواصـل مـع السـيد الأسـتاذ العلاّمـة المحقـق الـذي راجـع بعـض فصـول هـذه الأطروحة السيد عبد الستار الحسني دام عزه ، وشكري وتقديري الخالص للسـيد

العلامة المحقق محمد رضا الجلالي دام عزه الذي اتحفني ببعض المصادر المهمة ، وشكري وتقديري للأخ الدكتور علي المظفر إذ أرسل لي كتاب (الشافي في شرح أصول الكافي) لحظة صدوره لوالده العلامة المحقق الشيخ عبد الحسين المظفر رحمه الله وهي دورة من تسعة أجزاء ، كما أقدم شكري وتقديري إلى أخي العلامة الشيخ غالب الناصر دام عزه إذ كنت اقلّب معه الأفكار وتطورها وكثيراً ما أصل إلى نتائج مهمة في المسيرة العلمية ، كما أقدم شكري وتقديري إلى الأخ الشيخ ليث العتابي دام عزه بما أتحفني به من البحوث المهمة في مجال الأطروحة .

وفي الختام اشكر الجميع ممن لم أذكر أسمائهم وكانت لهم المساهمة في القول والفعل مع شديد اعتذاري لهم ولكني ارفع يدي للدعاء وأتمنى لهم السداد والموفقية من الباري سبحانه وتعالى أنه نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

منهجية دراسة علم الرجال

الاستاذ الدكتور حسن الحكيم

تخصص الباحث الشيخ حسن كريم الربيعي في دراسته الحوزوية والجامعية بعلمي الحديث و الرجال ، وان كتبه فيهما قد سّد فراغاً في هذين العلمين الاصيلين ، ولم نجد في الساحة العلمية - إلاّ قلة من الباحثين - قد توغل في علمي الحديث والرجال ، و لذا اراد الشيخ حسن الربيعي في اطروحته الجامعية لنيل شهادة الدكتوراة (الاسس المنهجية في نقد الاصول الرجالية حتى القرن الخامس الهجري) الخوض في هذا الموضوع ، واستخلاص جوانب الاصالة والابداع من جانب ، والتقليد والجمود من جانب آخر ، وذلك لوقوفه على نتاجات الاوائل من العلماء الذين تناولوا علم الرجال لاستكشاف مناهجهم بروح علمية موضوعية ، ووفق منهج نقدي محايد ، بعيداً عن المجاملة والمحاباة ، وهذه المنهجية يجدها القارئ في اطروحة الشيخ الربيعي ، الذي اعتمد فيها اسس نقد الرواية و رواتها من خلال دراسته للاصول الرجالية المعتمدة عند المسلمين ، وهذا يتطلب الاحاطة التامة بعلم الحديث ، وما يتفرع منه من علوم تتصل بعلمي الرجال والتاريخ الاسلامي متلمساً مواضع الاتفاق والافتراق بين اصحاب الاصول الرجالية من القرن الاول الهجري وحتى نهاية القرن الخامس الهجري ، الذي يعد نهاية القمة في علم الرجال ومنه جاء النقد العلمي للرواة وفق مصطلحات علم الجرح والتعديل ، ووفق المعايير العلمية ، والوقوف بوجه المتعصبين من ذوي

العقول الضيقة الذين لايهمهم تجريح الموثق ، وتقوية المجروح ، وقد وقف الباحث الدكتور الشيخ حسن الربيعي منها موقف الناقد الموضوعي المحايد ، مبتعداً عن الانتماء المذهبي والعقائدي وهذه المنهجية املنا ان يساير الحوزويين والجامعيين وجميع الباحثين من اجل الوصول الى الحقيقة ، بعد استيعاب شامل للموروث الرجالي عند المسلمين ، وما يتبعه من موروث في علوم التراجم والسير والتاريخ والحديث والادب والفلسفة والعلوم المتقاربة الأخرى ، وهذه المنهجية قد تقودنا الى اعادة النظر في الموروث الاسلامي بأجمعه ، لأن الكم الهائل من هذا الموروث قد خضع بعضه لانحيازات معينة ، ولعبت السياسة فيه دوراً بارزاً ، ولكن الموضوعية العلمية تضع النقاط على الحروف ، وتزيل المبهمات و الغموض وترفع المتناقضات ، وعند ذلك تصل الدراسات الى مقترب من التكامل وتؤدي إلى تطوير الفكر الاسلامي ، وصموده أمام التحديات الفكرية ، واستطاع الباحث الشيخ الربيعي دراسة الاصول الرجالية عند المسلمين ، دون الوقوف على مذهبية صاحب الاصل ، واستخدام اسلوب النقد الموضوعي ، علما ان بين اصحاب الأصول الرجالية اختلافات في الرؤية والاجتهاد ، فقد يوجه احدهم للآخر نقداً لاذعاً في اسانيد الروايات ومتونها ، وهذه ظاهرة جيدة اذا كانت نابعة من روحٍ علمية محايدة من قبل الرعيل الاول من المفكرين المسلمين ، فحري بنا اليوم سلوك الخط المعرفي الهادف ، وفق المعايير العلمية ، والاستفادة من علم الجرح والتعديل الذي غطى مساحة من تراثنا ، وقد تدرج الشيخ الربيعي في دراسته زمنيا ، واستخلص دور الائمة عليهم السلام في رعاية العلم و الفكر ، ودور الصحابة الأُول وما تبعهم من علماء الحديث ، وقد ادت جهودهم الى تثبيت أواصر الفكر الاسلامي ،

ووجدت الدكتور الشيخ الربيعي صائباً في تقسيم الرجال الى متشددين ومتساهلين ومعتدلين ، وما يقاربهم في الجمع بين هذا وذاك ، ثم توغل في الاسس النقدية وآثرها العلمية مستخدماً المصادر الأساسية ، ولم تفته المراجع الحديثة وآراء اصحابها في محاولة لاستكمال بحثه الجامعي ، وهو بذلك قد كشف في ثنايا بحثه عن جهد كبير لكي يستكمل متطلبات درجة الدكتوراه ، واتمنى له الموفقية في انجاز دراساته الاخرى في علمي الحديث والرجال ، ومنه تعالى نستمد العون والتوفيق .

النجف الاشرف

الاستاذ الدكتور حسن الحكيم

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

المختصرات والرموز

ت : توفي ، المتوفى .

ج : الجزء .

ص : الصفحة .

م : المجلد أو إشارة إلى السنة الميلادية .

هـ : إشارة إلى السنة الهجرية .

ق : القرن .

تحـ : تحقيق .

تـر : ترجمة .

تصـ : تصحيح .

۞ : إشارة إلى هامش مختلف أو متداخل .

بـلا : لا وجود لتاريخ هجري أو ميلادي أو انعدام معلومات عن الطباعة من مكانها أو اسم المطبعة أو الناشر أو تاريخ ذلك .

ت بعد : توفي بعد هذا التاريخ .

المقدمة

هذه الأطروحة بعنوان : (الأسس المنهجيـة في نقد الأصول الرجاليـة حتـى نهاية القرن الخامس الهجري)، تدور حول استكشاف الأسس في ممارسة النقد في الحضارة الإسلامية ومدى تأثير ذلك في ثقافة المسلم قديماً وحديثاً وتقتصر علـى دراسة ذلك خلال القرون الخمسة من الهجرة ولا تتجاوزهـا إلاّ عنـد الضـرورة ، ويمكـن القـول أن هـذه الأطروحـة تـدرس الأسـس المنهجيـة عنـد المتقـدمين مـن المحدثين النقاد كما اصطلح علـيهم وإن اختلـف في نهايـة عصـرهم وبدايـة عصـر المتأخرين ، أن مشكلة البحث تدور حول استكشاف هذه الأسس ومناهجهـا ومـن ثم نقدها أو معرفة مدى مطابقتها للاتجاهات العلميـة المعرفيـة والموضـوعية وفـق المناهج المعاصرة ، وعملية النقد تحتاج إلى جرأة في تخطي حالة الركـود والجمـود إلى حالة التجديد والابداع لدراسة هذا التراث دراسة واعية وكلية والابتعـاد عـن القراءات المتجزءة التي تؤدي إلى نتائج غير متكاملة وناقصة معرفياً ، فإن البحث عن هذه الأسس في نقد الرواة والتي تجمعت في أصولٍ رجالية معتبرة عند المسلمين لهو الطريق الأسلم للتقارب وكشف العناصر المشتركة في هذه المنظومة المتكاملة من المعلومات الهائلة وعن دقائق الأشياء التي تخص الرواة الذين نقلوا وتحملـوا هـذه المتون التي بنيت عليها الأفكار وتجذرت في الثقافة الإسـلامية كمسـلمات في هـذا التراث ، الأطروحة تدرس الأسس المنهجية لهذه التقويمات النقدية التي جـاءت

في الأصول الرجالية المعتبرة وغيرها في خلال القرون الخمسة من الهجرة وتبحث بالحفر المعرفي أو التنقير عن المشترك أو الأقرب إلى المنهج العلمي وإزاحة منهج النقد غير الموضوعي المتأثر بمؤثرات واتجاهات مختلفة ثم الخروج برؤية تقربنا من مصدر هذه الروايات لا أن تبعدنا عن وحدة المصدر المتفق عليه عند جميع المسلمين ، مع سلامة الطريق إلى ينبوع السنة الشريفة .

إن علوم الشريعة الإسلامية يمكن حصرها بعلمين : علم النص النازل وهو النص القرآني أو نصوص القرآن ، والقرآن هو المدونة الوحيدة في العالم اليوم المتبقية من النصوص النازلة التي دونت لحظة نزولها واستمرت من غير تدخل فيها بزيادة أو نقيصة وإن جرت محاولات للتدخل في هذا النص ولكنها باءت بالفشل لانه محفوظ بالعناية الآلهية والتدوين والحفظ المتوارث من الحفاظ في كل عصر من العصور ، والعلم الآخر هو علم النص الشارح وفيه يقع الكلام فهو يشمل مجموعة المدونات الفكرية والعلمية الشارحة والمبينة للنص النازل من ناحية التفسير والتأويل في البناء العقائدي والفقهي والفلسفي وما إلى ذلك من متبنيات رسمها الحديث الشريف، ومن هنا جاءت أهمية دراسة علم النص الشارح وسميت بمناهج المحدثين في نقل هذا النص مع الاحتفاظ بضبطه من ناحية الشكل والمضمون والمحتوى هذا من جهة ومن جهة أخرى دراسة حملة ونقلة هذا النص بشكل دقيق لأنه منقول عن طريق هؤلاء الرجال ولابد من إعطاء صورة تقويمية لهؤلاء الحملة من الرواة ، وقد فتحت الشريعة باب النقد البناء في الأحكام وإجازته في الرواة فكما جاز نقد الشهود والقدح في عدالتهم ، كان نقد الرواة من

باب أولى لأنهم حملة الآثار وعليها القضاء في الفقه الإسلامي بل البناء الحضاري لأمة الإسلام لذا جاء نقد الرواة وجرحهم وتعديلهم حفاظا وأمانة لإيصال حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأجيال في مستقبل الأيام ، وكان نقاد هذا العلم على درجات متفاوته إذ تخلل عمل بعضهم التأثر بعدة اتجاهات فكرية تنبه لها النقاد وأشاروا إليها من أنها من التقويمات غير الموضوعية في نقد بعض الرواة .

وتأتي أهمية هذا الموضوع في استكشاف الأسباب النقدية للرواة في كتب الأصول وغيرها مع بيان كيفية تلك المناهج النقدية وأسس الاعتماد عندهم ومنه يتضح منهج المتقدمين في النقد عن غيرهم من المتأخرين ، أن الموضوع يبحث عن الأسس المعرفية لا مجرد التقويمات وأخذها مسلمة ، ومنه أن هذه الأطروحة تعتمد نقد النقد في اكتشاف المنهج المعرفي غير المؤدلج والمتأثر باحدى الاتجاهات المختلفة التي سنتطرق إليها بالتفصيل في مطاوي البحث والدراسة في هذه الاطروحة .

كانت هناك دراسات في هذا الموضوع إلاّ أن اغلبها من البحوث التجزئية أو أنها غارقة في الجزئية ومتجزءة أو هي مقتطعة من هذا التراث اقتطاعاً ومبنية أكثرها على منهج المتأخرين وغافلة عن منهج المتقدمين الذي هو أكثر انصافاً وأقرب إلى الاستقامة كما صرح بذلك السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) عند استعراضه لأسماء النقاد من المتقدمين والمتأخرين ، أن دراسة هذا التراث بالنظرة الكلية من غير إقصاء أو تهميش يوفر للبحث العلمي مادة علمية متكاملة يستطيع من خلالها اكتشاف الخط المعرفي وإزاحة الخطوط الأخرى الظرفية والآنية المتأثرة

بمؤثرات متعددة .

ومن أهم ما نريد إيضاحه هذه الدراسة هو الانموذج المتقارب المتفق عليه في النقد بين الأطراف الإسلامية باعتماد منهج نقد النقد في معرفة المنهج العلمي ولا نقصد بمنهج نقد النقد كما اصطلح عليه في الفكر الغربي الهدم ثم البناء بل نقصد البناء ثم التقويم والترميم في ضوء التجديد والابتكار مع الاحتفاظ بالأصالة ورأس المال العلمي وهو الثابت ، لأن الثابت يحفظ الأسس وإلاّ لأضطرب البناء وأصبحت الأشياء العلمية متغيرات فلابد من التمييز بين عالم الأشياء وعالم الأفكار كما يقول علماء الفكر المعاصر وبدونه فوضى الأفكار .

إننا بحاجة إلى قراءة استيعابية لمجمل التراث الرجالي عند المسلمين من دون استثناء لطرف على حساب طرف اخر لفهم المفردات الرجالية كمنظومة متكاملة لا نظير لها في الواقع الحضاري العالمي من معلومات غاية في الدقة لأغلب الرواة من الاسم والكنية واللقب والقبيلة والمدينة والاتجاه والتحول والتغير الاجتماعي والحالة النفسية والاقتصادية وغيرهما من المعلومات الدقيقة ، وبهذه المفردات تتكون صورة واضحة للراوي من خلال النظر في كتب الأصول الرجالية وتطورها وكتب التراجم والسير والتاريخ العام والخاص وكتب الحديث وما إلى ذلك من متعلقات الرؤية المتكاملة في البحث عن شخصية راوٍ واحد وإلاّ لا يمكن الحكم على الراوي بنقل ما قالوه للتضارب والتناقض في بعض الحالات أو للنقد السلبي لكبار الأئمة من المحدثين ممن اشتهروا شهرة واسعة كالإمام الصادق (ت١٤٨هـ/٧٦٥م) والامام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م) والإمام الشافعي

(ت٢٠٤هـ/٨١٩م) وغيرهم ، فلابد إذاً من معرفة الدوافع من ذلك النقد في الجرح أو التعديل ، إن إعادة قراءة ذلك يؤكد مدى استيعاب منهج النقد عند المحدثين بل تأصيل ذلك عندهم وأكثر من ذلك تأصيل منهج نقد النقد إذ لا يكتفون بنقد ناقد واحد من النقاد بل اشتهر عندهم مقولة : (قمش ثم فتش) التي نقلت تارة عن يحيى بن معين وأخرى عن أبي حاتم الرازي ، أي اجمع المادة ثم اختار والاختيار والانتخاب أما بنفس الراوي أو ممن يختار له ، هذه المناهج مهمة في الكشف عن هذا الكم التراثي بقراءة جديدة وواعية لعصرنا الحاضر فالفكر الإسلامي بحاجة لمثل هذه القراءات التكاملية ورفض القراءات التجزيئية مع أننا لا نرفض الجزئية لأنها هوية بل نرفض تعميم الجزئية على أنها الكلية التامة بالإقصاء والتهميش والتضليل ، أن المشترك هو الجامع بين الجزئيات والمجمع عليه لا ريب فيه كما نقل عن الامام الصادق عليه السلام وكان من أهم أسباب كتابة هذه الأطروحة هو هذا المعنى في دراسة التراث الفكري والعلمي للوصول لهذه المقاربة مع الاحتفاظ والاعتزاز بالجزئيات لأنها هويات ثابتة ومختارة ، أن هذه النظرة تغيّر من واقعنا أمام المدّ الفكري المتمثل بمقولات الحداثة ومناهجها مع الاتفاق والافتراق في مقولاتها أمام رؤية القراءة الواعية المتواصلة مع هذا التراث النقدي الثر ، وهذه القراءة ترفع السبات والتحجر نحو النهضة والتجديد والإصلاح وتهيئ لثورة فكرية عارمة في مختلف المجالات .

ويمكن تطوير هذا المشروع إلى بيان أثر النقد ونقد النقد في تطور الفكر الإسلامي كما انتهجه النقاد من المحدثين وبعمل موسوعة النقاد للرواة من

المتقدمين والمتأخرين تأخذ على عاتقها استكشاف مناهج النقاد لحملة الآثار النبوية ومدى تطبيق ما حملوه وفق مرحلة سلامة الطريق وقبول المتن مع ابراز الاتجاه العلمي والمعرفي عندهم .

قسمت هذه الأطروحة إلى تمهيد وأربعة فصول ، تناولنا في التمهيد بيان مفردات العنوان بالتفكيك التام بين المفاهيم الواردة فيه من الناحية اللغوية والاصطلاحية مع بيان المحددات المرادة من هذه المصطلحات المستعملة في خطة البحث وبالخصوص في المنهج والنقد وقلنا في الأول أنه يمكن اعتماد دراسة الظاهرة والعناصر القريبة منها والبعيدة عنها ومنها ظاهرة الجرح والتعديل في الأصول الرجالية المعتبرة وغيرها مع بيان المنهج العلمي الموضوعي وأهميته في المعرفة ، أما الآخر فهو علم توثيقي لرفع الشك الذي يحوم حول الراوي لذا جاءت هذه الظاهرة من التقويم بعلم توثيقي مهم لحملة الآثار النبوية وقد بينا في مصطلح النقد ذلك ، والتمهيد يبين الأصول الرجالية التي تم اختيارها على أساس أهميتها من الناحية العلمية وعدم الاستغناء عنها من قبل الباحثين والعلماء ممن يهتم بهذا التراث الرجالي النقدي ، وهي ثمانية : (كتاب التاريخ الكبير) للامام البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، و (كتاب الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م) ، و (كتاب الثقات) لابن حبان (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) ، و (كتاب الكامل في ضعفاء الرجال) لابن عدي (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م) ، وكتاب (رجال الكشي) لأبي عمرو (ت أواخر ق ٤هـ/بداية القرن الحادي عشر الميلادي) الذي اختصره الشيخ الطوسي ، و (كتاب رجال النجاشي) للنجاشي

(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، وكتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) ، وكتاب (الرجال) للشيخ الطوسي أيضاً .

وقد بيّن الفصل الأول تاريخ الفكر النقدي وتطوره عند المحدثين مستعرضاً بالتنقير المعرفي أسس النقد وأدلته من القرآن والسنة النبوية وأقوال الصحابة والأئمة ، ثم استعرضنا أسماء النقاد حسب القرون منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الخامس الهجري واخترنا أهل الشهرة والاختصاص بعلم نقد الرجال ومن له اسهامات نقدية معروفة وانه ممن يرجع إليه في هذا المجال وابرزنا دور الأئمة عليهم السلام عند الشيعة الامامية في عملية نقد الرواة ومنه جاءت كتب الطبقات للراوين عنهم غير كتب الطبقات عند جمهور المسلمين مع التداخل والاشتراك في بعض المفردات ، لذلك قسم علماء الطبقات عند الشيعة الامامية الرواة إلى ممن روى عنهم وممن لم يرو عنهم وهذه إشارة جديرة بالاهتمام في فرز ممن جاء توثيقهم بنصهم ممن جاء تجريحهم به بعد اثبات النص الروائي والقطع بصحته ، وذلك لاهتمامهم البالغ بالرواة مع تحذيرهم الشديد من الكذابين والوضاعين والغلاة ، وهو ينعكس تماماً على التصنيف في ضوء طبقات الجمهور في فرز النقاد وممن مارسوا عملية النقد الأولي وأساسه المعرفي وذلك لفرز الاتجاهات الفكرية المختلفة التي وظفت العملية النقدية لصالحها واستكشاف الاتجاه العلمي من أصل هذه الممارسة النقدية .

أما الفصل الثاني : فقد تناول الأصول الرجالية والمناهج النقدية كالمنهج النصي والمنهج الروائي وبيان درجات هذه المناهج بين المتشدد والمتساهل والمعتدل مع

الشدة أو مع بعض التساهل ، ويظهر هذا الفصل التفاوت النقدي بين النقاد لذا اشرنا فيه إلى أن البحث العلمي في هذه المناهج النقدية المتعددة الأشكال يوحي للباحث أنه أمام ظاهرة مضطربة اجتهادية خاضعة لعوامل عدة في نفس الناقد ولكنه بالبحث يظهر أنه هناك عوامل مشتركة تحكم هذه المناهج يمكن الوصول إليها والحكم على أساسها .

وفي الفصل الثالث : تم مناقشة الأسس النقدية وأثر الاتجاهات في التقويمات الرجالية إذ كان من أخطرها الاتجاهات المذهبية والسياسية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية مع بيان الخط المعرفي من خلال استعراض خطورة التقويمات غير الموضوعية من هذه الاتجاهات في البناء الفكري ببيان الاتجاه العلمي في النقد من خلال اختلاط المناهج النقدية ولكنه يمكن استخراج هذا الاتجاه بقراءة واعية ومنصفة للآراء النقدية عند بعض النقاد الذين حافظوا على الأمانة العلمية والمسؤولية الأخلاقية في إصدار الحكم النقدي على اقرب الناس إليهم ، ومع هذا الحكم الصادر على اقرب الناس إلى الناقد أيضاً يوضع موضع الشك حتى يتأكد خلوه من الاتجاهات المختلفة التي استعرضناها ولا يمكن القبول بذلك لأول وهلة .

وفي الفصل الرابع والأخير بيّنا أسس هدفنا وغايتنا من هذه الدراسة فكانت مقاربات في نظرية نقد النقد عند المحدثين ، بعد اثبات أصالة هذا المنهج ليس في النقد بل في نقد النقد وهي إشارة بنظري مهمة لترسيخ مفهوم نقد النقد في الحضارة الإسلامية بكشف هذا المنهج عند النقاد الذين كانوا لا يكتفون بنقد

الناقد مهما كان إلاّ إذا وثقوا به كل الثقة فكانت هناك حركة علمية نقدية في كل مدارس الأمصار الإسلامية واستمرت عبر تلك القرون ، بل أن في الرحلة في طلب الحديث ومن مختلف الاتجاهات توحي انهم كانوا يسمعون تلك الآراء النقدية ثم يختارون ما يختارون منها بحرية تامة في المنهج المعرفي الموضوعي .

إن التأكيد على المشترك النقدي كان مبرزا وواضحاً في هذا الفصل ، واستدل عليه بنقل الآراء النقدية المختلفة لانموذجين مقبولين عند اغلب النقاد ان لم نقل جلهم هما : ابان بن تغلب (ت١٤١هـ/٧٥٨م) وحفص بن غياث (ت١٩٤هـ/٨٠٩م) ، كمثالين للبحث عن المشترك في هذا الفكر ويمكن القياس على ذلك في بقية الأمثلة فإن نتائج مثل هذه البحوث الوصول إلى الرؤية العلمية والمعرفية المشتركة في ضوء منهج المتقدمين الباحث عن الثقة في الرواية وهو منهج أشار إليه أئمة الشيعة الامامية عليهم السلام في أكثر من مورد وطبق في أكثر من مكان برفض الاتجاه العقائدي في نقد الرواة واعتماد منهج الراوي الثقة المتحمل نقل الرواية ولا يمكن نقده لمجرد عقيدته المختلفة إذا صح ما نقله ، أن المنهج الموضوعي في النقد ونقد النقد إخراج الغلاة من الفكر الشيعي ، فقد جاءت أكثر الاتهامات والشكوك من فكر الغلاة ولا زال النقد الموجه إليهم أساسه من الغلاة مع انقراض أغلب فرقهم .

إن منهج النقد عند علماء الجرح والتعديل يكاد يكون من أرقى المناهج في الفكر الإنساني ، بل هو كذلك لولا المدخولات المصلحية والنفعية المادية والمعنوية عند بعض المدلسين والكذابين والوضاعين لحاجات آنية قد انتهى أمدها ، واليوم

أمامنا هذا التراث الذي يحتاج إلى التقميش ثم التفتيش ولا يمكن الفصل بين هـذا التراث الرجالي في ضوء النظرات الضيقة على نحـو التجزئـة وذلـك للتـداخل في الرواة والمرويات وما هو موجود من آراء نقدية أو مرويات في كتب الرجال أو كتب الحديث شاهدة على ما قلنا فقد حصل التداخل لوحدة المصدر بين المسلمين في نقـل السنة النبوية .

كانت خاتمة هذا الفصل دعوة إلى اعتماد الظاهرة العلميـة في تراثنـا الإسـلامي بالبحث عن الاتجاه العلمي فيه واعتمـاد المشـتركات لأن تركـز ثقافـة الجزئيـات فينا سببت انتكاسة في الفكر والحوار والتلمذة فقد كانت هذه المفاهيم متبادلة بـلا غضاضة بين المعرفيين لذا لابد من إحياء ثقافة وحدة المصـدر والنظـر في المجمـع عليه فإنـه لا ريب فيه .

إن أهم الصعوبات في هذه الأطروحة هي سعة المـادة المتنـاثرة في بطـون الكتـب الرجالية وسعة المادة المدروسة مـن حيـث الحقبـة الزمنيـة وغناهـا المعـرفي ومـن حيث كثرة المصنفات في هذا الحقل على الرغم من اقتصارنا على المهم منها بل على الأهم منها فكانت ثمانية مصنفات تعد هي الأصول في التراث الرجـالي النقـدي ، فإن هذا التراث ذو مادة علمية واسعة جداً لا تحويهـا اطروحـة ، بـل أن دراسـة ذلك على نحو الجزئية لا يعطينا صورة واضحة عن التراث النقدي عند المحـدثين وذلك لاتساع ذلك التراث فلابد من دراسته كمشروع متكامل ظهر وتنامى وتكامـل حتى أصبح من الأسس والمناهج المعتمدة والمعتبرة عند المتـأخرين إلى يومنـا هـذا ، ولأجلـه تطلـب الجـد والاجتهـاد في تصـفح ذلـك الـتراث وقراءتـه ، ومنـه جـاء

اختيارنا للأصول الرجالية الثمانية عند المسلمين ، ومع هذا فهذه الأصول موسوعات رجالية احتوت الآلاف من الرواة احتاجت إلى الجهد والوقت في النظر فيها واستخراج ما تحتاجه هذه الأطروحة منها ولا يمكن ادعاء الاستيعاب الكامل لتلك الموسوعات فإن الكمال لله سبحانه وتعالى وحده .

اعتمدت هذه الأطروحة على جملة كبيرة من المصادر والمراجع وردت أسماؤها في قائمة المصادر والمراجع ورتبت على حسب الحروف الهجائية ، وكانت الأصول الرجالية الثمانية التي ذكرناها محور هذه الأطروحة وعمدتها وذكرت فيها ما نقلوه من آراء نقدية سبقتهم في أصولهم هذه أو كتبهم المؤلفة في غير هذا الأصل مع آرائهم النقدية الخاصة، ولم يغفل البحث عن مراجعة أقوالهم غير المدونة في أصولهم بالبحث عنها في أصول رجالية أخرى سواء عند المعاصرين لهم أو المتأخرين عنهم ، ومراجعة البحوث والدراسات المعاصرة حول مناهجهم وآرائهم النقدية ككتاب (دراسات في منهج النقد عند المحدثين) لمحمد علي قاسم العمري وهو من الدراسات المهمة في النقد استفدت منه كثيراً ، وكذلك كتابا (الشيخ الطوسي) و (الشيخ النجاشي) لأستاذنا الدكتور حسن عيسى الحكيم فقد استفدت منهما كثيراً في تحديد مناهج النقد عندهما ، وقد كانت المقدمات التحقيقية للمصادر الأولية مفيدة جداً في تحديد مميزات هذه الكتب عن غيرها سواء كانت متخصصة في ثقات الرواة أو الضعفاء منهم أو التاريخ الرجالي العام أو الكتب المتخصصة في المجروحين والمتروكين مع تتبع الراوي في كتب تواريخ المدن ففيها مادة علمية غنية كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) مع

كتبه الأخرى المهمة في هذا الموضوع فهـو مـن النقـاد الـذين اسـتوعبوا أعمـال مـن سبقوه بالنقد والتحليل فله استدراكات كثيرة علـى مـن سـبقوه كالإمـام البخـاري فقد استدرك عليه في كتابه (موضح أوهام الجمع والتفريق) أو مـا جـاء في كتابـه المهم للغاية (الكفاية في علم الرواية) ، وللخطيب البغـدادي موقـع مهـم في هـذه الأطروحة لكثرة مدوناته في الرجال والحديث ، ومن تواريخ المدن (تاريخ دمشـق) لابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) مع مراجعة كتب المصطلح من المتقدمين والمتأخرين ، ككتب الحـاكم النيسـابوري (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) مثـل كتـاب (المـدخل في أصـول الحديث) و (معرفة علوم الحديث) ، والمتأخرين مثـل (مقدمـة ابـن الصـلاح) لابـن الصـلاح الشـهرزوري (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) و (فـتح المغيـث بشـرح ألفيـة الحديث) للعراقي (ت٨٠٦هـ/١٤٠٣م) ، و (العتـب الجميـل علـى أهـل الجـرح والتعـديل) للعلـوي محمـد بـن عقيـل (ت١٣٥٠هـ/١٩٣١م) و (معجـم رجـال الحديث) للسيد أبـي القاسـم الموسـوي الخـوئي (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، وغيرهـا الكـثير مـن المصـادر والمراجـع مـن الدراسـات والبحـوث الـتي أغنـت الأطروحـة بالمناقشة والعرض وكـان للدراسـات المعاصـرة مـن الكتـب المترجمـة ورؤيـا الفكـر الغربي بهذه المناهج النقدية بعض النصيب لنواكب قراءة تراثنا قراءة معاصرة من نظرة خارجية إذ ساهم الفكر الغربي في النقد والتحليـل بـأدوات التطور الفكـري والمناهج الحديثة التي تسهل الحصول على المعلومات بمنهجية المقارنة والتحليـل والاستنتاج والترتيب مع احتفاظنا علـى كـثير مـن مفـاهيم وتفسـيرات بعضـهم ، واهتمت الدراسة في مسألة المنهج بما كتبه ديكارت (١٠٦١هـ/١٦٥٠م) في كتابـه (مقال عن المنهج) ، وناقشت هذه الأطروحة جملة من المفكرين المعاصرين كحسن

حنفي وجورج طرابيشي وابن قرناس في كتبهم وآرائهـم النقديـة للـتراث وللفكـر الإسلامي بصورة عامة .

فقد جمعت هذه الأطروحة في مصادرها بين القدامة والحداثة برؤيـة إسـلامية معرفية موضوعية هادفة تعتمد الأصالة والمواصلة مع التراث لإعلاء شأن المقاربات وإبراز روح المشتركات في الفكر الإسلامي .

هذا ما وسعني جمعه وما وصلت إليه من تتبع الأفكار وتطورها وتاريخهـا ولا أدعي الكمال في ذلـك فـإن مـا سـجلته هنـا القليـل القليـل ومـا بقـي أعظـم وأكثـر للباحثين نشره واكتشافه بروح المعرفة وحدها ، فـإن الكمـال لله سـبحانه وتعـالى والنقص من العبد ، فما كان صواباً هو قصدي وما كان خطـأ فمـن نقـص مـني والله الهادي إلى سواء السبيل...

الباحث

التمهيد

مفردات الاطروحة بيانها ، ومحدداتها

الأسس :

وردت لفظة أسَس وأسّس في النصوص القرآنية ، فقد جاء في قوله تعالى : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾[١] ، وقوله تعالى أيضاً : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[٢] ، ويبدو أن المعنى الظاهر منه أساس البناء الحسي للمسجد القائم به أو أنه قاعدة أو قواعد البناء وهي مهمة في متانته الحسية ولكن يمكن أن يكون من الجهة المعنوية بدليل لفظ التقوى ويبدو أن النص القرآني يشير إلى الأساس المادي والمعنوي .

المعنى اللغوي :ـ

ذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) أن الأس يدل على الأصل ويقال للمفرد أساس وللجمع أُسُس[٣] وفرق أبو هلال العسكري (ت ق٤هـ/ق١٠م) بين الاس والأصل فقال : ((أن الاس لا يكون إلاّ أصلاً وليس كل أصل أساً ...))[٤] في حين ذكر الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م) أن أسّ :

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٩ .

(٣) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، وضع حواشيه : ابراهيم شمس الدين ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٩هـ) ، م١ ، ص١٥ .

(٤) أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله ، معجم الفروق الفردية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءاً من كتاب السيد نور الدين الجزائري ، تحق : مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٢٦هـ) ، ص٥١ .

أسس بنيانه جعل ، له أسا وهو قاعدته التي يبتنى عليها[١] وقد فصل الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) بين أسس على وجه الحقيقة وأسس على وجه المجاز فالأولى بنى بيته على أساسه الأول وقلعه من أسه والأخرى فلان أساس أمره الكذب ومن لم يؤسس ملكه بالعدل فقد هدمه[٢] .

والأُسّ بالضم أصل البناء وجمع الأس أساس وجمع الأساس أسس[٣] والأصل : ((أصل الشيء : قاعدته))[٤] ، قال تعالى : ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٥] .

هذه المعاني اللغوية إشارة واضحة إلى أصل البناء وقيامه ويمكن أن تشير إلى أصل وأسس البناء العلمي إذا راجعنا تاريخ الأفكار فنجد أسس المفاهيم والمصطلحات لنشأة هذه الأفكار وعلى المعنيين يكون لكل بناء أسس تحدده وتعد نقطة انطلاقه ، وإن تعددت الفروع وربما منه التأصيل بايجاد الأسس والقواعد المعرفية للعلوم والمفاهيم .

قال الامام علي عليه السلام يصف آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلم : ((هم أساس الدين))[٦] ، وقال في موضع آخر يصف إبليس فعبر عنه بأنه

---

(١) الراغب الاصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، ضبط : هيثم طعيمي ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٣هـ) ، ص٢١ .

(٢) الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٢هـ) ، ص١٧ .

(٣) الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، (دمشق : مطبعة الملاح ، بلا) ، ص١٢ .

(٤) الراغب ، المفردات ، ص٢٣ .

(٥) سورة إبراهيم : الآية ٢٤ .

(٦) الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ، نهج البلاغة ، ضبط نصه : صبحي الصالح ، (طهران : دار الأسوة للطباعة والنشر ، ١٤٢٥هـ) ، ص٢٥ .

أساس العصبية[١] ووصف أهل الكبرياء بأنهم قواعد أساس العصبية[٢] وقال يصف فضل الإسلام وديمومته بأنه لا انهدام لأساسه[٣] .

إن قراءة هذه النصوص ترشد إلى الأساس والأسس على نحوين : الأساس النافع والأساس الضار، ومنه يمكن التمييز بينهما كما يمكن التمييز بين البناء المادي والبناء الفكري من استعراض تاريخ الأفكار ومتابعة تطورها ونضوجها ومركز انطلاقها .

نبحث هنا عن البناء الفكري من حيث الأسس المعتمدة في تبني الافكار والبناء في ضوء تلك الأسس في نقد النقد لتلك الأصول في علم الرجال .

تبين أن المعاني اللغوية تارة دالة على الأصل وأخرى على القاعدة ، ويبدو أن الأصل والقاعدة واحد ولا يبعد القول باستعمال مفهوم الأسس والأساس بدلاً من الأصول والقواعد وهما أكثر استعمالاً عند القدماء فلم نجد استعمالاً لمفهوم الأسس عندهم فقد قالوا: أصول العلوم ، أصول علم الفقه ، أصول علم الحديث ، أصول علم الرجال ... الخ .

وقد يفهم منه المرتكزات العلمية في نقد نقد الأصول المعتمدة لتقويم الرجال في تاريخ الفكر الإسلامي وهو المراد هنا .

المعنى الاصطلاحي :-

لم يذكر القدماء من علماء علم الحديث والرجال لفظ الأسس ولكنهم استعملوا لفظ الأصول والقواعد أي مجموعة المسائل والقواعد الداخلة في

---

(١) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ص٣٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٩٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٢٦ .

هذه العلوم وهناك خلط واضح بين لفظة الأسس والقواعد فقد عبروا في تعريفاتهم لعدة من العلوم النظرية بأنها عملية اكتشاف الأسس والقواعد والواو هنا تقتضي المغايرة بينهما فإذا كانت الأسس هي القواعد فلابد من استعمال أحد اللفظين على هذا المبنى وإذا كانت الأسس تعني الأصول كما هو دأب العلماء في تسمية كتبهم العلمية فإن الأصول والقواعد هي مفاهيم ترادفية لمفهوم الأسس ، إذ كتب العديد من العلماء عنوانات لمؤلفاتهم باسم الأسس وعنوا بذلك اكتشاف القواعد التي بنيت عليها هذه العلوم ، وهذا البحث يدور حول اكتشاف القواعد النقدية للرجال عند علماء الجرح والتعديل ومحاولة ابعاد القواعد غير المنضبطة والعمل على الأسس المنهجية العقلية في كشف الجامع المشترك في النظرية السندية المعتمدة عند المسلمين ومن ثم نقد تلك النقود وايضاح أسسها ومنهجها المشترك .

ويبدو لنا من تتبع المعاني اللغوية وما فرقه أبو هلال العسكري بين الأس والأصل من إن الأسس هي الأصول التي يبتني عليها البناء العلمي ففي مبحث الأصول الرجالية يعني أنها الأسس الفكرية في هذا العلم ، والبحث ينقد هذه الأسس ويحاول دراستها دراسة معمقة جامعة للمشتركات للخروج بجامع مشترك في الفكر الإسلامي المعاصر .

لكل شيء أساس في هذا الوجود سواء كان مادياً أو معنوياً يمكن الرجوع إليه واثبات الدعوى المادية والمعنوية وهذه الأسس ترتبط بها قوى الدمار ففي أساس كل شيء في عالمنا مما له شكل وبناء ترتبط به قوى الدمار ، والإنسان قد اكتشف المفتاح الذي يفتح قوى الأساس ، لقد اخضع أساس الحياة والفكر والإرادة لارادته وهو بفكره وعمله قد فتح الأسس ووحدها[1] .

---

(١) تيليش ، بول ، زعزعة الأساسات ، تر : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ) ، ص١٨ .

ويبدو أن الأسس تعني النظرية أو النظريات ، والأصول تعني القواعد لهذه النظرية أو النظريات ، وبالنظرية يفهم النص والنصوص المعتمدة ، وفي هذا البحث يمكن كشف الأسس والقواعد المعتمدة في نظرية الجرح والتعديل في الفكر الإسلامي وهل هي تعتمد الأسس ذات المنهجية العلمية أم لا ؟

يهتم هذا البحث بالأسس العلمية في نقد الأصول والأسس المعتمدة عند علماء الحديث وآليات التوثيق والتعديل ثم آليات التضعيف والتجريح من بداية بروز الظاهرة حتى تكاملها بالأصول الرجالية ثم أن هذه الظاهرة العلمية هل تعتمد المعرفة أم طغت عليها الجوانب الايديولوجية فغيرت مساراتها المعرفية لمصالح متعددة ؟، وهل يمكن الكشف عن أساسات مشتركة تقوم عليها هذه العملية المعرفية بعد إخراج الفكر الايديولوجي منها ؟ .

وهنا لابد من التعرض إلى مفاهيم بينت معنى الأساس هما : إما الأصل أو القاعدة ، فالأصول والقواعد أحدهما يفسر الآخر في اللغة : فأصل الشيء قاعدته[١] ، والقواعد فروع النظرية وقد اختلف علماء الجرح والتعديل في وضع القواعد فكان الخلاف واضحاً فرب ضعيف عند بعض المحدثين صحيح عند غيرهم وكذا بالعكس[٢] ، والنظرية مجموعة الأسس ذات القضايا المتعددة في حين القاعدة ذات قضية واحدة تجمع الفروع والجزئيات لمن اثبت الفرق بينهما ومنهم من نفى الفرق بين القاعدة والنظرية[٣] .

---

(١) الراغب ، المفردات ، ص٢٣ .

(٢) الكيرانوي ، حبيب أحمد ، قواعد في علم الحديث على ضوء ما أفاده اشرف علي التهانوي ، (بيروت : دار الفكر العربي ، ١٩٩٠م) ، ص٧ .

(٣) الرحماني ، محمد ، (لمحة عن القواعد الفقهية) ، مجلة فقه أهل البيت فصلية فقهية متخصصة ، تصدر عن مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت ، العدد ٥٥ ، السنة الرابعة عشرة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، ص٢٦٠م .

فما هي المدارك المعتمدة عند أصحاب الأصول الرجالية ؟ وما هي نظريتهم في هذا التقويم الذي أخذ مداه في الفكر الإسلامي منذ نشأته حتى الآن وقد تغيرت في ضوءه المفاهيم والرؤى والأفكار ؟ .

إن إيجاد الأسس هو موضوع بحثنا هذا من خلال التعرف على أسس نقدية لنظرية الإسناد بكل جزئياتها ، ان نظر المؤرخ إلى الماضي نظرة سكونية باطلاع واستكشاف باطلالة كما وقع[1] ، هل هي القراءة المبحوث عنها في هذه الدراسة؟ ، لا فليس هذا العمل مما ينظر للماضي والحاضر بل بالعكس ينطلق من الحاضر لسبر اغوار الماضي وتجاوز سلبياته وفق أسس ومفاهيم ومناهج ما توصل إليه الجهد الإنساني وتطور آلياته المعاصرة لرسم ثقافة وفكر موحد تتعدد فيه القراءات من لحاظات لمفهوم واحد ، ولأن المجمع عليه لا ريب فيه وهي القاعدة العقلية والنقلية التي يمكن أن ترفع جملة من الاشكالات التاريخية للانطلاق بوعي يتجاوز المراحل الآنية وبمستويات لا تسبب الاشكالات الاقصائية بل تبعث عن التعدد الذاتي للفكر الإنساني وأن الجهد العلمي والفكري مهما كان نوعه يجل ويحترم لأنه يعبر عن الآخر حتى يمكن تجاوز الأنا الصغير والأنا الكبير[2] .

وفرق بعض الباحثين بين قراءة المؤرخ وقراءة الفيلسوف وعد الأولى ساكنة والأخرى متحركة[3] .

هذا صحيح إذا كان المؤرخ يسجل الأحداث ويعتني بالأرقام بدون فحص

---

(١) السافي ، نور الدين : نقد العقل في فلسفة الغزالي منزلة العقل النظري والعقل العملي ، (بيروت : دار التنوير ، ٢٠٠٩م) ، ص٢٩ .

(٢) نعني بالصغير الأنا الذاتي للفرد ، والأنا الكبير الأنا الجمعي لطائفة أو فرقة أو مذهب أو قومية أو أمة .

(٣) السافي : نقد العقل ، ص٢٩ .

واستنتاج وتحليل فلا معنى لذلك سوى الإطلاع والتعرية لوضعه الحواجز بين الزمن الماضي والزمن الحاضر[١] ، وربما يرد هذا الكلام بأن الفيلسوف في التاريخ يبحث من خلال الماضي الاتصال مع الحاضر بل أن المؤرخ يضع أما ناظريه الماضي والحاضر وينطلق من الحاضر لايجاد الأسس الصحيحة في فهم الماضي بالفحص والغور أو بما يعرف اليوم بالحفريات المعرفية او تاريخ الافكار للتوصل إلى النظريات التي حكمت الماضي وأورثتنا ذلك الموروث الفكري مثل نظرية الاسناد وعلم الجرح والتعديل لرسم معالم المصدر الثاني من مصادر التشريع وسيأتي الكلام بالتفصيل عن مباني هذه النظرية ومجالات تطبيقها في الفكر الحديثي ، بل أنها شغلت هذا الفكر كله ، وهذا هو موضوع بحثنا في هذا العنوان ولكنه يبتني على نظرية نقد النقد بايجاد أسس معتبرة ومقبولة لدى الاغلبية إن لم نقل يحصل الإجماع عليها للخروج من أزمة التحيز والعصبية والنظرات الضيقة ، والتخندق نحو الكلية الشاملة والعمومات القرآنية ببحث المشتركات التي تجمع الأمة ولا تفرقها فالمجمع عليه لا ريب فيه .

إن أسس البحث عن نظرية في الاسناد تعد شاملة ومقبولة لا تحدث بدون النظر في المصدر الأول للتشريع وهو القرآن الكريم للعلاقة المتلازمة بين النص القرآني والنص الحديثي الصحيح بعد بذل الجهد والوسع في الاسناد والمتون بالمقارنات والمقاربات .

إن محاولات بعض الباحثين في الاكتفاء بالقرآن وحده عملية غير كاملة لأن كثيراً من الأعمال الحركية الفعلية والتقريرية فضلاً عن القولية كانت صادرة منه صلّى الله عليه وآله وسلم وإذا قلنا بالاكتفاء انتفت الصفة التعليمية والعملية الفعلية التفسيرية للنص لصاحب الرسالة والتي تتجسد بالفعل والحركة والتطبيق لتلك النصوص الواردة على أرض الواقع أو انتفت الصفة

---

(١) السافي : نقد العقل في فلسفة الغزالي ، ص٢٩ .

التطبيقية لأصل النظرية لذلك كانت العلاقة بين النص والواقع علاقة النظرية بالتطبيق ومنه يمكن اكتشاف الأسس المنهجية في الاعتماد وعدمه ، ومنه كانت أهمية الاسرة والمعلم والمربي وما وجد من أحاديث روتها الرجال تسيء للأسرة والمعلم والمربي فالعيب في رجالها لا فيه[١] ، فلابد من البحث عن أسس التقويم العلمي والمنهجي بايجاد المشتركات والبناء في ضوئها .

المنهجية :

المنهج في اللغة :

قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢] ، إن المنهج والمنهاج هو الطريق الواضح ثم فرقوا بين الشرعة والمنهاج بأن الشرعة ما ورد به القرآن والمنهاج ما وردت به السنة[٣] ، ونهج الطريق ابانه وأوضحه ونهجه سلكه[٤] وانتهجته : استبنته[٥] والجمع المناهج فهنا مفردات النهج والمنهج والمنهاج[٦] .

هذه التعبيرات عن مفهوم المنهج وعلى نحو اطلاقه ، أراد منه أهل اللغة بيان معنى اللفظة في النظر والعمل وقد صاغها بعد ذلك علماء الاصطلاح وربما اختلفوا في تعاريفها وسنذكر ذلك في المعاني الاصطلاحية .

---

(١) للمزيد ينظر : منصور ، أحمد صبحي، القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي ، (بيروت : الانتشار الإسلامي ، ٢٠٠٥م) ، ص٤١ وما بعدها .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٣) أبو هلال العسكري ، معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءاً من كتاب السيد نور الدين الجزائري ، (قم : جماعة المدرسين ،١٤٢٦هـ) ، ص٢٩٨ .

(٤) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٥٨٦ .

(٥) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص٧٨٠ .

(٦) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، م٢ ، ص٥٢٨ .

ويبدو أن مفهوم المنهج أكثر استعمالاً من غيره وله وقع في الدراسات والبحوث لأنه يعبر عن الطريقة الفنية والعلمية في منهجة العلوم ومنه منهج البحث في علوم الحديث إذ كان للمحدثين مناهج متعددة في التعامل مع الحديث من ناحية الرواية والدراية والرجال وفقه الحديث ، وللمحدثين منهج وطريق واضح في النقد وهو يظهر جلياً عند علماء الجرح والتعديل لرواة هذه الأحاديث بمصطلحات منهجية وإن كانت مضطربة في بعض الاحيان ، لكن يمكن قراءة نصوصهم قراءة عصرية وبمنهج علمي موضوعي لنتعرف على مدى موضوعية مناهجهم في الجرح والتعديل .

المنهج في الإصطلاح :

للمنهج معنيان :-

١. المعنى العام ، وهو : ((الوسيلة التي توصلنا إلى هدف محدد))[1] .

٢. المعنى الخاص ، وهو : ((طريقة الباحث في تحصيل المعرفة كما أنه المعيار لها من حيث حقيقة مطابقتها للقوانين الموضوعية التي تحكم الواقع عامة))[2] .

والثاني هو المراد في هذا البحث ولكن بعد تحديد المعرفة المبحوث عنها فالمنهجية : ((هي الخطة التي يعتمدها علم ما في تحقيق أهدافه))[3] ، وهذه الخطة لابد من بيانها وأنها عند ديكارت (ت١٦٥٠م) : ((جملة قواعد مؤكدة

---

(١) الشاذلي ، عبد السلام ، الأسس النظرية الحديثة في مناهج تاريخ الأدب العربي بمصر (١٨٧٠ – ١٩٤٨م) ، (القاهرة : الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩م) ، ص١٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص١٢ ؛ لجنة من العلماء والاكاديميين السوفياتيين ، الموسوعة الفلسفية ، باشراف : روزنتال ويودين ، تر : سمير كرم ، (بيروت : دار الطليعة ، ٢٠٠٦م) ، ص٥٠٢ .

(٣) ادرهم ، فوزي كمال ،(نحو منهج جديد للدراسات الإسلامية) ، مجلة المنهاج ، السنة السابعة ، العدد ٢٧ الصادرة عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ص٧٢ .

تعصم مراعاتها ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ ، وتمكنه من بلوغ اليقين في جميع ما يستطيع معرفته دون أن يستنفد قواه في جهود ضائعة))[١] . وهذه القواعد المنهجية عند ديكارت هي[٢] :-

١- قاعدة البداهة (لا يكون فيها مجال للشك) (قاعدة اليقين) .

٢- قاعدة التحليل والتقسيم (تجزئة المشكلة) .

٣- قاعدة الترتيب (من السهل المعرفي ثم التدرج إلى أصل المعرفة) .

٤- قاعدة الاحصاء (الاحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة) .

هذه القواعد وإن اعتاد عليها أصحاب الهندسة في براهينهم لكن يمكن للمعرفة الإنسانية متابعة ذلك[٣] .

يرى ديكارت أن الفوضى الفكرية والاضطراب العلمي والصراع الديني والتخبط في متاهات الصدف والحظوظ دون خطة موضوعة ومنهج محدد هو من أسباب وقوع غالبية الناس في الخطأ[٤] .

وفي نقده للفلسفات السابقة من أنها تفتقر إلى المنهج الدقيق الذي يصل إلى مواقف لها نصيب من الدقة والموضوعية[٥] باستخدام العقل ، فإن اختلاف الآراء لا ينشأ من أن بعضنا اعقل من البعض الآخر ، وإنما ينشأ من أننا نوجه

---

(١) عباس ، راوية عبد المنعم ، ديكارت والفلسفة العقلية ، (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٩٦م) ، ص٧٧ .

(٢) ديكارت ، رينيه ، مقال عن المنهج لأحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم ، تر : محمود محمد الخضيري ، مراجعة : محمد مصطفى حلمي ، (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م) ، ص١٣٠ .

(٣) ديكارت ، مقال ، ص١٣٢ .

(٤) عباس ، ديكارت ، ص٩٥ .

(٥) عباس ، المرجع نفسه ، ص٩٥ .

أفكارنا بطرق مختلفة ، فلا يكفي أن يكون للمرء عقل بل المهم أن يحسن استخدامه فإن أكبر النفوس لمستعدة لأكبر الرذائل مثل استعدادها لأكبر الفضائل[١] ، وأن موافقة الكثرة ليست دليلاً ذا شأن على الحقائق التي يتعسر كشفها ، فإنه اقرب إلى الاحتمال أن يجدها رجل واحد من أن تجدها أمة بأسرها[٢] ، لقد ركزت النصوص القرآنية على الاستعمالات العقلية ومدى ثمار ذلك في عملية التأمل والنظر وهو ما يعني وضع التوجيه موضعه باستخدام العقل وتحديد الطريقة للوصول إلى الغايات والأهداف والنتائج .

إن التطور في علم المناهج يعني ذلك تقنين الأسس النظرية للمعرفة العلمية ، ولكي يتكامل المنهج العلمي يمكن الاستعانة بنتائج العلوم الإنسانية التاريخية والاجتماعية والنفسية[٣] ، وكانت هناك عدة مناهج مصنفة حسب موضوعاتها منها[٤] :-

١- المنهج الاستنباطي .

٢- المنهج التجريبي (عند ديكارت) .

٣- المنهج الفلسفي (عند بيكون)[٥] .

٤- المنهج الاستقرائي .

٥- المنهج التاريخي الاستردادي .

---

(١) ديكارت ، مقال عن المنهج ، ص١١٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص١٢٦ .

(٣) الشاذلي ، الأسس النظرية ، ص١٢ .

(٤) امزيان ، محمد محمد : منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية ، (فرجينا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤٢٩هـ) ، ص٢٦٧ .

(٥) هو : روجر بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٢) مفكر انجليزي من مفكري العصور الوسطى ورائد للعلم التجريبي الحديث ، لجنة من العلماء ، الموسوعة الفلسفية ، ص٩٩ .

٦- المنهج النقلي .

لقد تأرجحت العلوم الإنسانية بين دقة المنهج الرياضي وصدق المنهج التجريبي إلى إيجاد منهج خاص نظراً لتفرد الظاهرة الإنسانية فكان المنهج الظاهرياتي الذي يتضمن مناهج جانبية مثل الاستبطان وتحليل الخطاب ورصد الواقع ووصف التجارب الحية[1] ، ولكل منهج قواعده الخاصة به وهي جوانب أساسية في عملية المناهج فبوبر[2] يرى أن البحث العلمي لا نهاية له والنظريات العلمية ذات قابلية للتكذيب والثقة غير مؤكدة في النتائج[3] ، يبدو من هذه القواعد نفي الأشياء الثابتة والحكم بالتغير والمتغيرات على الدوام .

والخامس والسادس أكثر المناهج اعتماداً في الدراسات التاريخية بالرغم من تداخل بعض العلوم الاجتماعية والنفسية في مثل هذه الدراسات ، وتقييد التاريخي بالاستردادي يعني : أن المنهج يقوم على أساس استرداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار ووثائق هي بمثابة شهادات كالنقل المتواتر الدالة على الحقائق كحقيقة النبوة مثلاً ، أما المنهج النقلي الذي تميزت به الحضارة الإسلامية وأصله علماء الحديث الذين حدّدوا ضوابطه في الرواية والنقل والتوثيق والاسناد ، هذا المنهج لا يكتفي بضبط المواصفات العقلية وهي التي تضمن صحة ضبط الراوي ووعيه للرواية أو تعقله لمجال بحثه ، بل يضع ضوابط أخرى لا تقل أهمية عن المواصفات العقلية إذ يركز على الجوانب السلوكية

---

(١) حنفي ، حسن وآخرون : هل النقد وقف على الحضارة الغربية ؟ فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي ، اعمال الندوة الخامسة عشرة التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥م) ، ص١٦ .

(٢) هو : كارل بوبر (١٩٠٢ - ١٩٩٤) أستاذ المنطق ومناهج العلوم بجامعة لندن ويعد واحداً من أعظم فلاسفة العلم المعاصرين . الجالي ، منهج البحث ، ص١٨٣ .

(٣) الجالي ، زكريا منشاوي وآخرون ، فلسفة النقد بحث بعنوان (منهج البحث النقدي عند كارل بوبر) ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥م) ، ص١٩٨ .

والأخلاقية في الباحث وهو الذي عرف عند علماء الحديث بعلم الجرح والتعديل[١] وتهتم هذه الدراسة بوضع هذا العلم منذ نشأته وظهوره من حيث الأسس المعتمدة في الجرح والتعديل ونقد الأصول الرجالية في الموروث الإسلامي ومحاولة كشف الحقائق وفق المنهج العلمي المعرفي وايجاد المقاربات بين الآراء المتعددة والبحث عن الأصول والقواعد المنهجية ومدى الاستعمالات المعرفية غير المؤدلجة واعتماد منهج الموضوعية في التقويم أو منهج الاقربية في معرفة الحقيقة .

ذكروا أن الجرح مقدم على التعديل وجعلوها قاعدة أساسية في منهج التقويم وعلى أثر هذه القاعدة صرح بعض الباحثين أن الشك مقدم على اليقين[٢] ، وهذا تعليل فيه مسامحة وإلاّ فان اليقين لا يتقدمه الشك أبداً فالشك يبدأ أولاً كمرحلة أولية غير مسبوقة باليقين لأن اليقين لا ينقضه الشك .

هذا المنهج لابد أن يرافقه المنهج العقلي لأن النقل قد ترك مساحة للعقل في التفكير والتأمل والنظر ، فلابد من إيجاد موازنة معرفية بين المنقولات والمعقولات سمح بها الفكر الإسلامي عند بعض المدارس وأكد عليها النص القرآني باستخدام العقل في الادراكات ، ولكن العقل يستعين بالنقل باعتباره ارشاديا في كثير من الأحيان كما ورد ذلك في اشارات النص القرآني .

إن الجمع بين علوم متداخلة أساسية وقريبة يتوسل بها للخروج بنتائج أكثر قرباً للحقيقة وباعتماد مناهج أخرى مثل المنهج الوصفي لبيان شكل وصورة ومحتوى ومضامين تلك المصادر الأولية المراد نقدها أو إيجاد الأسس المنهجية المتبعة في التقويم ثم عرض تلك الأسس المنهجية على المناهج المتطورة لمعرفة أسسها العلمية فإن البحث ينقد أسس النقد في الأصول الرجالية في الفكر

---

(١) امزيان، منهج البحث الاجتماعي ، ص٢٦٩ .

(٢) امزيان، المرجع نفسه ، ص٢٦٩ .

الإسلامي وايجاد مقاربة موضوعية اقربية ترفع شأن الفكر الإسلامي من النزاعات والصراعات أثر تلك التقويمات المتأثرة بواقعها وموروثها فالتراث الإسلامي يبحث بمنهج التجديد والقراءة المعاصرة مع الاحتفاظ بالأصالة الراسخة والفريدة في علوم الإسلام ومنها علم الجرح والتعديل ، وهو عبارة عن منهج توثيقي عرفه التراث الإسلامي قبل غيره ، وهذا المنهج لا يخلو من مؤثرات سلبية فقدته بعض الموضوعية في التقويم ، ولذلك صنفت العديد من الأصول الرجالية متأثرة ببعض المؤثرات السلبية يمكن ازاحتها والعمل بالمشتركات والنظرة الشمولية للتراث المراد بعثه من جديد لتحقيق نهضة متواصلة مع تراثنا الفكري والعلمي.

ولتحقيق ذلك لابد من منهج يتبع لذلك عُد المنهج في الدراسات كافة : هو الوسيط الضروري الذي لا يستغنى عنه في إنجاز اغراض العلم أو النظرية بغية الوصول إلى نتائج مقبولة وغايته اضفاء العلمية والموضوعية على الحكم الذي يتوصل إليه[١] .

يتوصل بعض الباحثين إلى نتيجة حول الفكر النقدي عند المعتزلة يقول فيها : ((كان من الممكن لو تواصل الفكر النقدي الاعتزالي أن يؤدي إلى بروز نظرية أو منهج نقدي للأخبار يتخطى المنهجية التقليدية المعروفة بالجرح والتعديل))[٢] ، ولبروز مثل هذا المنهج لابد من جمع مناهج متعددة مع منهج النقد الرجالي وآليات جديدة في الكشف عن نقد النقد واتباع الأسس المنهجية العلمية والموضوعية مع التوسل لمنهج الاقربية في التقويم ونقصد منه

---

(١) عودة ، ناظم ، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر ، (بيروت : دار الكتاب الجديد ، ٢٠٠٩م) ، ص١٧ .

(٢) ذويب ، حمادي ، السنة بين الأصول والتاريخ ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م) ، ص٢١٤ .

منهج يعتمد في كشف القرب والبعد من المعرفة وعدم التأثر أو النزوع لنصرة رأي دون آخر أي بيان مدى القرب والبعد عن الظاهرة أو الفكرة المعروضة ومنها آلية الجرح والتعديل للرواة على مختلف طبقاتهم وكيفية حصول درجة الثقة والصدق والضبط للرواة في التراث الإسلامي وأي منهج اعتمد في هذا التقويم حتى تكون متون هذه الروايات صحيحة قابلة معمول بها .

لقد عُدّ علم الجرح والتعديل ثمرة علم الحديث والمرقاة الكبيرة كما ذكر ذلك الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠٥٨م) وقال : ((وهما في الأصل نوعان كل نوع منهما علم برأسه))[١] ، ثم ذكر منهج هذين العلمين في أصح الأسانيد وأوهى الأسانيد وغيرها من ألفاظ الجرح وألفاظ التعديل وهي مناهج قد تأسست في أصلها لمعرفة صدق وعدالة وضبط الراوي كمقدمة لتصحيح الطريق إلى المتون وإن اختلف في هذه القاعدة ولكن منهج السند كان أكثر اهتماماً من المتن وعليه المعول والتقسيم في صحة الحديث وضعفه يؤكد هذه الحقيقة .

ومع هذا الاهتمام ظل بذلك عملاً فيه ثغرات في المنهج وتطبيقه[٢] ، وكانت العناية بنقد الاسناد أكثر من نقد المتن لاعتبارات سوف يتم عرضها في هذه الدراسة مع بيان المنهج العلمي المقارباتي للخروج بنظرية الجامع المشترك في هذا العلم[٣] .

إن الكم الهائل من الأحاديث المدونة التي وصلتنا والتي لم تصل ، لابد من التعامل معها بمنهج علمي رصين ، فهي تنقسم إلى قريب وبعيد وأقرب

---

(١) الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، معرفة علوم الحديث ، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه : معظم حسين ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٧هـ) ، ص٥٢ .

(٢) بنعضرا ، عبد الواحد ، العقل المستقيل نقد الإسلام السياسي ومرجعيته ، (الدار البيضاء : افريقيا الشرق ، ٢٠٠٥م) ، ص١٢ .

(٣) للمزيد ينظر : المرجع نفسه ، ص١٢ - ٧٦ .

وأبعد وهنا لابد من شطرها إلى شطرين : القريبة من المنهج الإسلامي وتعبر عنه باعتبارها المصدر الثاني للشريعة الإسلامية وبعيدة موضوعة مرهونة بظروفها التاريخية لابد من ازاحتها من التراث الإسلامي ومن غير الانصاف ازاحة التراث بأجمعه بحجة الوضع ومن غير الانصاف قبوله كله ، فلابد من إيجاد منهج جديد في الكشف غير المنهج الذي اعتمده علماء الجرح والتعديل بعد تجزئة الحديث إلى مقولتين مقولة السند ومقولة المتن واهتموا بالأولى على حساب الأخرى وهو واضح من تقسيماتهم وأحكامهم على الأحاديث النبوية الشريفة .

إن منهج الثقة المجرد عن أي انتماء أو تعصب من النقاد يفتح الآفاق عن مقاربات في التراث الإسلامي يرجع به إلى أصوله الحقيقية ، وهو المنبع الأساس المتفق عليه بين المسلمين على أن جميع هذه الأحاديث مصدرها النهائي هو الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم .

ومع كل هذا فإن منهج علماء الإسلام كان منهجاً متكاملاً في ضبط الحديث بل هو منهج قائم على الشك جدير أن يتخذ مكانه بين مناهج العلوم[1] ، هذا الرأي يعبر عن أصل النظرية في وضع علم الجرح والتعديل ولكن هذا العلم الاصيل قد شابه عدة ثغرات منهجية استغلت من عدة جهات أدى إلى ابتعاده عن الموضوعية واتجاهه نحو التحيز فبرزت ظاهرة الوضع في التراث الحديثي بشكل واضح ، وهذا يعني أهمية الحديث ودوره في كيان وثقافة الأمة ثم خطورته في توجيه الفكر والافكار نحو منهج الزيف والانحراف والتضليل واظهارها على أنها الحقيقة ودون ذلك هو الباطل ، فلابد إذن من منهج نقدي صحيح لتهذيب الافكار وتنوير العقول ثم التمييز والمناقشة من

---

(١) صبحي ، أحمد محمود وصفاء عبد السلام ، في فلسفة الحضارة (اليونانية - الإسلامية - الغربية) ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٩٩م) ، ص٧٢ .

أجل التقويم[١] .

النقد :

في اللغة :ـ

يدل على إبراز شيء وبروزه ، ونقد الدرهم وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك ، وتقول العرب : ما زال فلان ينقد الشيء إذا لم يزل ينظر إليه[٢] ، ويديم باختلاس حتى لا يفطن له ، وما زال بصره ينقد إلى ذلك نقوداً : شبه بنظر الناقد إلى ما ينقدُه[٣] ، وناقده : ناقشه في الأمر[٤] .

يبدو من هذه التعاريف أن النقد : هو عبارة عن إظهار وكشف للشيء بعد النظر والفحص والمناقشة مع التأمل الطويل لا الحكم السريع ، وهو يشمل مختلف الأمور العامة في الحياة ، وقد ينطبق على الإنسان بعمومه أنه ناقد للأشياء الحياتية المتداولة إذ أن مفهوم النقد بأقسامه المتعددة يمارس يومياً بمستويات متفاوتة ، وكلامنا بمستوى النقد الحكمي الذي له تأثير في قبول الراوي أو رده .

ويخيل إلي أن نقد علم الجرح والتعديل لابد أن يخرج من إطاره التقليدي نحو البناء والتشييد كما صرح بعض الباحثين في هذا المجال[٥] ، وهي عملية

---

(١) للمزيد ينظر : الجالي وآخرون ، زكريا منشاوي ، منهج البحث النقدي عند كارل بوبر ، ص١٨٥ .

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٥٧٧ .

(٣) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص٧٧٢ .

(٤) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٥٨٠ .

(٥) بشار عواد معروف ، المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة ومؤلفات اصحابها الأخرى وموطأ مالك ومسانيد الحميدي واحمد بن حنبل وعبد بن حميد وسنن الدارمي وصحيح ابن خزيمة ، (بغداد : مطبعة الاوقاف والشؤون الدينية ، ١٤٠٦هـ) ، م١ ، ص١٦ .

تحتاج إلى جرأة في تخطي التقليد نحو التجديد والابتكار ، وهو مطلب حقيقي للنهوض بتراث الأمة نحو المجد العلمي الرصين الخالي من التهميش والاقصاء ، فإن النقد هو أساس التقدم العلمي والتقني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي[١] .

في الاصطلاح :ـ

النقد في عرف علماء الحديث هو : ((علم يبحث في تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة ، وبيان عللها والحكم على رواتها جرحاً وتعديلاً بألفاظ مخصوصة ذات دلائل معلومة عند أهل الفن))[٢] .

يبدو أن هذا التعريف قد جمع بين نقد الحديث بعنصريه السند والمتن ، والتحقيق أن منهج نقد السند يختلف عن منهج نقد المتن ، فالحكم على الرواة هو المقصود بيانه من هذا المصطلح من خلال علم الجرح والتعديل في منهج النقد السندي ولأجله وضعت الأصول الرجالية في التراث الإسلامي ، ويبدو أنه علم نقدي مورس على الرواة لغرض التمييز بينهم ومن ثم تطبيقه على سلسلة الرواة لهذه الاحاديث لغرض البناء المعرفي في فهم النص الديني .

فهذا العلم دقيق ولا يحسنه إلاّ النقاد الذين يقبل قولهم في رواة الأخبار وصفاتهم[٣] ، وهو أعلى مراحل التوثيق باعتبار عدم التصديق بأي راو إلاّ بعد الوثوق به ونقل حديثه وهو ينطبق تمام الانطباق على سلسلة الرواة قلوا أم كثروا ،

---

(١) للمزيد ينظر : الجالي وآخرون ، ص١٨٥ .

(٢) العمري ، محمد علي قاسم ، دراسات في منهج النقد عند المحدثين ، (العبدلي : دار النفائس ، ١٤٢٠هـ) ، ص١١ ؛ الدايني ، عزيز رشيد محمد ، تاريخ النقد الحديثي وضوابطه ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٨هـ) ، ص٩ .

(٣) ابن عدي ، أبو أحمد عبد الله ، الكامل في ضعفاء الرجال (المقدمة) ، تحق : صبحي البدري السامرائي ، (بغداد : مطبعة سلمان الاعظمي ، بلا) ، ص١٨ .

وهذا النقد له القابلية على التمييز بين الرواة من حيث الشروط الموضوعة للقبول ومدى اقربية ذلك من المعرفة الموضوعية وبعده عن الوضع بكل أشكاله .

لقد اهتموا بمعرفة نقد الرواة فكان الراوي يجتهد في معرفة جرح من يروي عنه وتعديله[١] ، ونعني بالنقد إعادة البناء وليس الهدم ولكن عملية الإعادة تعني الهدم والبناء في الوقت نفسه[٢] ، ولكن يمكن القول البناء والترميم هي العملية النقدية في الفكر الإسلامي كاشكال ومستويات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فان أهم اغراضه البناء الفكري للناقد والمنقود أو انه من الاساليب النقدية الصالحة .

وقد كفانا السلف مؤونة الجرح والتعديل غالباً[٣] ولكن لا يعني ذلك التسليم بما قالوه بل لابد من النظر والفحص واعمال النقد بما حكموا به وذلك لعدة أسباب[٤] :-

١- النظر بما أهملوه .

٢- النظر بما أغفلوه .

وهو يقع في تعارض الأخبار في الجرح والتعديل فقد وقع لكثير من أكابر الرواة[٥] ، واختلفوا في هذا النقد إلى آراء متعددة في قبول الجرح مطلقاً أو

---

(١) الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، خرج أحاديثه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ) ، ص٣٢ .

(٢) حنفي ، هل النقد وقف على الحضارة الغربية ؟ ، ص٢١ .

(٣) الشهيد الثاني ، زين الدين بن علي العاملي ، شرح البداية في علم الدراية ، ضبط نصه : محمد رضا الحسيني الجلالي ، (قم : النهضة ، ١٤١٤هـ) ، ص٦٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٦٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٦٦ .

مقيداً بالتفسير وقبول العدالة بالتعدد أو بالواحد[١] ، وكان النقد الجزئي معناه كل راوٍ على حده ، والنقد الكلي على مجموع الاسناد والأسانيد لذلك ذكروا نقدهم لأسانيد كل طبقة ومدى صحتها ، وأوهى الاسانيد وأضعفها[٢] ، وهذا النقد أسس لمنهج علمي يمكن خلاله توثيق وتصحيح وتعديل أو تجريح وابعاد الرواة ممن يشكلون البناء الفكري للتراث الإسلامي ، ومنه يتضح أهمية معرفة هذا النقد وآلياته المعرفية ، وهذه الدراسة تبحث عن النقد العلمي على النقد أو هو نقد هذا النقد بالبحث عن عناصره المشتركة أو الجامع المشترك العلمي فيه للنهوض بهذا التراث ببعثه من جديد من خلال إعادة دراسة الموروث دراسة علمية موضوعية وواعية بالغوص في حفريات معرفية تكشف لنا الواقع العلمي وإزالة المؤثرات السلطوية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية بل جميع المؤثرات التي تغيّر الحقيقة المعرفية ، هذه الدراسة تنقد مباني هذا النقد أي النقد الرجالي في هذا التراث الضخم لدى المسلمين ، فقد كانت الغاية التي يسعى إليها الناقد هي مهمة دينية بحتة يدفع إليها الشعور بالمسؤولية تجاه هذه الأمانة[٣] ، وكان لهذا النقد عدة عوامل أدت إلى ظهوره سيأتي بيانها في الابحاث الآتية مع بيان تطور المراحل النقدية أي نقد النقد في مراحله التاريخية المتطورة وما زال هذا العلم يتطور متى ظهر لنا من المخطوطات المفقودة أو ظهور مناهج علمية

---

(١) للمزيد ينظر : ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، علق عليه وشرح ألفاظه وخرج أحاديثه : أبو عبد الرحمن صلاح ابن محمد باعويضة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ) ، ص١٦٠ - ١٧٦ .

(٢) للمزيد ينظر : الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، كتاب معرفة علوم الحديث ، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه : معظم حسين ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٧هـ) ، ص٥٤ - ٥٨ .

(٣) الدايني ، تاريخ النقد الحديثي ، ص١٠ .

متطورة تكشف عن الحقيقة العلمية حتى تعتمد فإن هم الباحثين من العلماء والمفكرين إصابة الحق والحقيقة ، ويتحقق ذلك بالنقد الشامل لهذا العلم وبيان أسسه ومناهجه الأولية وذلك لاختلاف وجهات نظر المتقدمين من النقاد من جهة تشددهم أو تساهلهم في الحكم على الرواة جرحاً وتعديلاً[١] وكانوا على ثلاثة أقسام كالآتي[٢] :-

١- متعنت في التوثيق متثبت في التعديل .

٢- متسامح .

٣- معتدل .

وهذا القسم (الأخير) الذي ينقد الراوي بما هو أهله جرحاً وتعديلاً يمثل الغالبية العظمى من أهل النقد في الحديث[٣] .

وبين هذه المناهج النقدية تظهر الصعوبة في اختيار الاصوب للتناقض في الجرح والتعديل بين هذه الأقسام وبينهم في الألفاظ النقدية للرواة فقد اختلفوا أشد الاختلاف ولذا فإن المصطلح النقدي لم يتبلور عند المتقدمين بما يكفي ليتخذ دليلاً ويتبع من قبل من جاء من بعدهم من العلماء[٤] ، وقد نقل السخاوي هذا الاضطراب في النقد وتمييز الرواة فقال نقلاً عن النسائي (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) قوله : ((لا يترك الرجل عندي حتى يجتمع الجميع على

---

(١) العمري ، دراسات في منهج النقد ، ص٧٣ .

(٢) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، حققه وعلق عليه بالانجليزية : فرانز روزنتال ، تر: التعليقات والمقدمة واشرف على النص : صالح أحمد العلي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، بلا) ، ص٣٥٣ .

(٣) العمري ، دراسات ، ص٢٠ .

(٤) الدايني ، تاريخ النقد ، ص١٦٥ .

تركه ...))[١] ، لهذا لم يكن النقد على وتيرة واحدة وبمصطلح متفق عليه بين النقاد ، فإن كل طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد ومتوسط بل حتى بين المتشددين ما هو أشد وهكذا[٢] ، ويبدو أن تضخم الأحاديث من حيث الكثرة أدى إلى تطور علم الجرح والتعديل وزيادة الدقة فيه والاشتغال النقدي لرواة هذه الأحاديث للتأكد من مصداقيتها فقد تبلورت على التدريج معايير صحة الأسانيد لتصبح مشغل مركزي من مشاغل المحدثين هو علم الجرح والتعديل وإن كانت الغاية المضمرة من الترتيب هي الانتصار في النهاية لما روي في نطاق الفرقة المذهبية[٣] ، وهو تطور خطير أدى بذلك إلى سرعة الجرح والتعديل لمجرد المخالفة أو الموافقة مما ينتج غياب المنهجية العلمية وادعاء الأحقية لجهة دون الأخرى مع أن الجميع يلتزم بمنهج الاسناد إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم .

إن ((النقد أداة التحول والانتقال من مرحلة تاريخية إلى أخرى ساهمت فيه كل الحضارات وأسسه الأنبياء والمفكرون والعلماء ، النقد شرط الابداع والابداع شرط التقدم والنهضة))[٤] ، ثم ان ((وظيفة النقد تصحيح العلاقة بالماضي دون الانقطاع معه أو التواصل فيه أو الانتقاء منه بل نقده تاريخياً بعد أن تكلس وأصبح مستقلاً عن التاريخ))[٥] ، يرى حسن حنفي أن أبعاد النقد ثلاثة[٦] :-

---

(١) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ، ص٣٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٥٤ .

(٣) الشرفي ، عبد المجيد ، الإسلام بين الرسالة والتاريخ ، (بيروت : دار الطليعة ، ٢٠٠٨م) ، ص١٧٩ .

(٤) حنفي ، هل النقد وقف على الحضارة الغربية ؟ ، ص٢٣ .

(٥) المرجع نفسه ، ص٢٣ .

(٦) المرجع نفسه ، ص٢٣ .

١- نقد الموروث القديم .

٢- نقد الوافد الجديد .

٣- نقد الواقع .

إن منهج النقد العلمي هو النظرة الشاملة لهذا التراث الضخم وغربلته بما يوافق المنهجية الأساسية التي وضعت لأجل حفظ هذا التراث الحديثي لهذه الأمة والنهوض بها نحو إصلاح شامل لهذه المنظومة الفريدة بل هي من خواص الحضارة الإسلامية وإن شابها بعض الثغرات غير الموضوعية أدت إلى تفرقة هذه الأمة نتيجة لاعتماد بعض المعايير غير العلمية في نقد الرواة قد تكون مبنية على الحسد والهوى والعصبية والمزاج الشخصي وهو ظاهر بيَن لمن اطلع على كتب الجرح والتعديل فستظهر له آليات في النقد بعيدة كل البعد عن العلمية والموضوعية وهذه الآليات لا يسلم منها طرف دون الآخر وكأنها دخلت المنظومة الفكرية متسربة بشعور وتعمد أو حالة لا شعورية قد تكون عاطفية مثل توثيق الناصبي غالباً وتوهين الشيعي مطلقاً ، وهو منهج نقدي أصبح من القواعد في هذا العلم ، وحاول بعض الباحثين حل هذا الإشكال بتفصيل بدعة التشيع إلى صغرى وكبرى والأولى قد كثرت عند التابعين واتباعهم وهم المشهورون بالصدق والورع والتدين فتقبل وترد الكبرى للغلو[1] ، وهو منهج يحتاج إلى إعادة نظر وبيان مواطن الضعف فيه وهذا هو منطق النقد المذهبي الضيق وقد صرح به بعض الباحثين وأكد هذا المنهج النقدي باختلاف العقيدة مع أن هذا النقد موجود في هذا التراث لا ينكر[2] .

من الخطأ الحكم تبعاً للنقل بلا فحص وتأمل ونظر فقد ذكر بعض الباحثين

---

(١) للمزيد ينظر : العمري ، دراسات في منهج النقد ، ص٣٦٩ - ٣٩٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٣٦٧ .

أن أكثر علماء الشيعة كانوا يعملون بمرويات أصحابهم من غير تفتيش أو تمييز بين الرجال ولم يكن لهم في تاريخ الرواة مؤلفات خاصة كما هو حال المحدّثين من أهل السنة إلى نهاية القرن الرابع الهجري[١] ، وهو كلام غير دقيق فإن علماء الشيعة الامامية قد ميزوا الرجال كما صرح الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) في كتابه (العدة في أصول الفقه) بقوله : ((إنا وجدنا الطائفة ميزت الرجال الناقلة لهذه الأخبار ، ووثقت الثقات منهم ، وضعفت الضعفاء ... وصنفوا في ذلك الكتب ... حتى أن واحداً منهم إذا انكر حديثاً نظر في اسناده وضعفه بروايته هذه عادتهم على قديم الوقت ... الخ))[٢] ، وعلى هذا القول فإن المنهج النقدي لا يختلف بين المسلمين وإن كان لهم رجال ونقلة غير ما عند غيرهم إلاّ أن وجود الجامع المشترك حاصل بسبب وحدة المصدر ، أما كتبهم في علم الرجال وتاريخ الرواة والطبقات متداولة وإن فقد منها مصادر متقدمة إلاّ أنه وصل منها ما هو متداول الآن وأهمها كتاب (الطبقات) لأحمد بن محمد البرقي (ت٢٧٤ أو ٢٨٠هـ/٨٨٧م او٨٩٣م) ، وكتاب (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) لمحمد بن عمر الكشي (ت أواخر ق ٤هـ/بداية القرن الحادي عشر الميلادي)[٣] ، وغيرها بعد

---

(١) العمري ، دراسات في منهج النقد ، ص٣٧٨ .

(٢) الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ، العدة في أصول الفقه ، تحق : محمد رضا الانصاري القمي ، (قم : ستارة ، ١٤١٧هـ) ، ج١ ، ص١٤١ .

(٣) العبد الله ، حسين الراضي ، تاريخ علم الرجال ، (بيروت : مؤسسة البلاغ ، ١٤٢١هـ) ، ص٣٥ و ص١٠١ ، استعرض هذا الكتاب تاريخ علم الرجال عند الامامية خلال خمسة قرون ؛ كتاب الطبقات ، للبرقي ، كتاب طبع عدة طبعات محققة كان أهمها تحق : ثامر كاظم الخفاجي ، (قم : ستارة ، ١٤٢٨هـ) ، ينظر : الصدر ، حسن ، الشيعة وفنون الإسلام ، (بيروت : دار المعرفة ، بلا) ، ص٤٠ - ٤٣ ؛ ينظر أيضاً : اغا بزرك ، محمد محسن الطهراني : مصفى المقال في مصنفي علم الرجال ، عني بتصحيحه ونشره ابن المؤلف ، (بيروت : دار العلوم للتحقيق والطباعة ، ١٤٠٨هـ) ، استعرض فيه مصنفات الامامية في علم الرجال من المتقدمين والمتأخرين حسب حروف المعجم .

القرن الرابع الهجري فقد زاد التصنيف والتأليف في علم الرجال ، إن المباني الرجالية مختلفة بين فرق المسلمين ومنها الشيعة على مختلف مناهجها النقدية ولهم أصول رجالية كما لمذاهب المسلمين أصول رجالية لكن المباني تختلف في أسس التوثيق والتضعيف ، وستعرض هذه الدراسة لنقد هذه الأصول جميعاً للوصول إلى منهج نقدي مشترك تحدده العناصر المشتركة والجامع المشترك باعتبار وحدة المصدر ومدى الاقربية منه .

إن النقد الموضوعي لايجاد الجامع المشترك بين هذا الكم الهائل من الأسانيد والألفاظ النقدية الموثقة والمضعفة لهذه الروايات في التراث الحديثي عند المسلمين لهي جديرة بالدراسة والبحث المعمق .

وأخيراً صرح بعض الباحثين المعاصرين حول تباين الالفاظ النقدية مع كثرتها واختلاف مداليلها من ناقد إلى آخر ومن عصر إلى آخر قال : ((يقتضي عملاً علمياً من أهل عصرنا لوضع ضوابط لألفاظ الجرح والتعديل ... ليتمكن الباحثون في السنة النبوية بعد ذلك إدخال هذه الالفاظ في الحاسوب تمهيداً لجمع السنة وغربلتها وتصنيفها))[١] ، واتمنى أن يكون العمل العلمي شاملاً لهذا الكم الهائل الموجود بين يدي المسلمين بلا اقصاء ولا انتقاء ليعم النفع العام للمسلمين اجمع ، لذا فإن النقد الحق يرتكز على سرد المحاسن والعيوب بلا جور ولا محاباة ، وقد يذهب بصاحبه إلى التوفيق بين الآراء المختلفة[٢] أو الخروج بجمع العناصر المشتركة أو الجامع المشترك العام .

وعلى العموم أن ثقافة النقد قد عرفته الحضارة الإسلامية في هذه العلوم (علوم الحديث) قبل أن يضع الغرب النقد التاريخي للكتب المقدسة وقد تأثر

---

(١) الدايني ، تاريخ النقد ، ص١٦٤ .

(٢) الجالي وآخرون ، منهج البحث النقدي ، ص١٨٥ .

رينان[١] بمناهج النقل الكتابي كالإجازة[٢] والمناولة[٣] ، فاعتمدت مصادر لديه في النقد التاريخي للكتب المقدسة[٤] .

الأصول الرجالية حتى نهاية القرن الخامس الهجري :

يقصد منه المصنفات التي نالت اهتماماً خاصاً في الرجوع إليها وبناء الأحكام على أساسها أو هي : تلكم الكتب المؤلفة في أسماء الرجال والمعتمدة كمصادر أساسية دون غيرها ، يستمد منها ترجمة الراوي وتقييمه[٥] ، أي ما قيل بحقه من قدح ومدح وتوثيق وتضعيف لتوقف صحة العمل بخبر الواحد على إحراز اعتبار رواته[٦] .

لقد مر التصنيف في علم الرجال بعدة أدوار ثم تكامل في القرن الرابع والخامس الهجريين وظهرت الأصول الرجالية جامعة وشاملة لمراحل سابقة ، فقد تكامل البناء النقدي بألفاظ متعددة في الجرح والتعديل[٧] ، والبحث

---

(١) مستشرق ومفكر فرنسي عني خصوصاً بتاريخ المسيحية وتاريخ شعب إسرائيل ولد ١٨٢٣م وتوفي ١٨٩٢م ؛ بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقون ، (عمان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٣م) ، ص٣١١ .

(٢) هي احدى الطرق المتعارف عليها في تحمل الحديث وطرق نقله وهي إذن وتوسيغ في الرواية من المجيز وعلى أنواع ، الشهيد الثاني ، شرح البداية ، ص٩٨ .

(٣) وهي أيضاً احدى طرق التحمل للرواية وهي على نوعين مقرونة بالاجازة ومجردة عنها وتتحقق باعطاء كتاب يرويه عنه ، الشهيد الثاني ، شرح البداية ، ص١٠٤ .

(٤) حنفي ، هل النقد ، ص١٣ .

(٥) الفضلي ، عبد الهادي ، أصول علم الرجال ، (بيروت : مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٣٠هـ) ، ص٩٩ .

(٦) الغريفي ، محي الدين الموسوي ، قواعد الحديث ، تحق : محمد رضا محيي الغريفي ، (قم : ثامن الحجج ، ١٤٢٩هـ) ، ج١ ، ص١٨٩ .

(٧) متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧م) ، ج١ ، ص٣٦٠ .

يقتصر على عنوانه فإن الأصول الرجالية هي موضوع البحث ونطاقه وأهميتها يرجع إلى أنها مصادر اصلية لا غنى عنها في معرفة الرجال ولابد من الرجوع إليها لتشخيص الراوي والحكم عليه .

كان لتطور النقد الرجالي منذ صدر الإسلام واستمراره حتى نهاية القرن الثالث الهجري الذي ما أن انتهى حتى انتهى آخر أساس من أسس علم النقد الحديثي ثم انتقل إلى طور آخر هو طور التنظيم والترتيب والشرح والاستدراك[١] ، ويبدو أن تقسيم المصنفات في ضوء الطبقات مما يدل على التخصص المبكر[٢] ، وقد اثمرت الجهود العلمية في تصنيف هذه الأصول التي اصبحت قاعدة وأساس في انطلاقة التصنيف في هذا العلم واغلبه استدراكات لما جاء في هذه الأصول وإن لم يتوقف البحث إلى الآن ولكن لابد من الرجوع إلى هذه الأصول ، فمن هذه الأصول موضوع الدراسة هي :-

١- التاريخ الكبير للبخاري (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) .

٢- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م) .

٣- كتاب الثقات لابن حبان (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) .

٤- الكامل في الضعفاء لابن عدي (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م) .

٥- اختيار معرفة الرجال للكشي (ت أواخر القرن الرابع الهجري/بداية القرن الحادي عشر الميلادي) .

٦- رجال النجاشي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .

٧- الفهرست للطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) .

---

(١) الدايني ، تاريخ النقد ، ص٨٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٩٠ .

٨- رجال الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) .

اخترنا هذه المصنفات وذلك لأهميتها كمصادر أساسية بل هي الاصول الرجالية كما يظهر للمتتبع في علم النقد الرجالي وعليها المدار في الحكم على الرجال ، وإن كانت هناك مصنفات ذات أهمية بالغة صنفت في القرن الثالث والرابع والخامس لكنها لا ترقى من حيث الأهمية إلى هذه المصادر الأولية ، وكان اختيارها في ضوء ذلك .

أولا : كتاب التاريخ الكبير للبخاري .

وتأتي أهمية كتاب التاريخ الكبير للبخاري باعتبار مصنفه ومركزه عند المحدثين بل في التراث الحديثي إلى الآن مع اعتبار صحيحه وأهميته بين المسلمين ، وفيما يبدو أن كتاب التاريخ كان أسبق من كتاب الصحيح ، فقد ألفه في سن مبكرة في حياته كما جاء في ترجمته وكل من تناول الحديث عنه ، فقد نقل عنه قوله : ((ولما طعنت في ثماني عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، قال وصنفت التاريخ الكبير إذ ذاك عند قبر النبي صلّى الله عليه (وآله) وسلم في الليالي المقمرة وقلّ اسم في التاريخ الا وله عندي قصة إلاّ أني كرهت تطويل الكتاب))[١] ، ويدل هذا على تمرسه في الرجال ونقدهم قبل وضع صحيحه وله باع في معرفة العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد[٢] وانتشرت كتبه في البلدان ومنها كتابه التاريخ وله عدة لقاءات مع الامام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) فكان يحثه على الإقامة في بغداد ويلومه على الإقامة بخراسان[٣] ، واخذ كتابه في التاريخ صدى في الأوساط

---

(١) القسطلاني ، أحمد بن محمد ، ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، (بولاق : المطبعة الميرية ، ١٣٠٤هـ) ج١ ، ص٣٢ .

(٢) القسطلاني ، ارشاد الساري ، ج١ ، ص٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٦ .

الاجتماعية حتى نقم عليه بعض الناس فأجابهم بقوله : ((إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند انفسنا))[١] ، ويرتفع الإشكال بنقد مثل هذه الروايات بالطريقة العلمية من النقد والتحقيق بعدما أحال البخاري ذلك إلى رواته بكل أمانة .

إن اعتباره والاهتمام به جعلنا نختاره لمعرفة محتواه ثم دراسته بالنقد والتمحيص والتأمل ، ومما يميزه انفراده ببعض الرجال واحاطته باحوال أولئك الذين أوردهم وله القدرة في التمييز بين من تشابهت اسماؤهم واسماء آبائهم فهو كتاب لا يستغنى عنه[٢] ، وهو يشمل تراجم للثقات والضعفاء وهو كتاب علل بل احسن كتب العلل على الاطلاق[٣] ، والعلة عند المحدثين ترد باستعمالين مرة بمعنى السبب أو الأسباب الظاهرة التي تؤدي إلى ضعف الحديث كفلان ضعيف وفلان مجهول وهو حديث مرسل فهذه ثلاث علل على سبيل المثال ، وأخرى أن العلل تعنى الأسباب الخفية غير الظاهرة وقد تكون في الاسناد أو المتن وهو من أجل أنواع علوم الحديث وأكثرها دقة فلا يمارسه إلاّ المدققون والمحققون[٤] من المحدثين .

وكان للبخاري مصطلحات خاصة كقوله : فيه نظر أو سكتوا عنه وابلغ ما يقول : منكر الحديث ، احتوى هذا التاريخ على (١٢٣١٥) ترجمة ، وللبخاري عدة مصنفات في التاريخ غير كتابه الكبير[٥] كالاوسط والصغير ، وعد الامام البخاري من طبقة النقاد المعتدلين كأمثال الامام أحمد بن حنبل

---

(١) القسطلاني ، ارشاد الساري ، ج١ ، ص٣٧ .

(٢) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، التاريخ الكبير ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، بلا) ، م١ ، ص٧ من مقدمة الناشر .

(٣) الدايني ، تاريخ النقد ، ص١٠٢ .

(٤) المرجع نفسه ، ص٩٩ .

(٥) العمري ، دراسات ، ص٩٢ ، وفي الطبعة التي اعتمدناها سجلت ١٣٩٨٣ترجمة .

وابن عدي وهو المقدم عليهم بل من أكابر النقاد ، وكتبه المتعددة في الجرح والتعديل تعد مصادر أصيلة اعتمدها كل من جاء بعده ممن تكلموا أو صنفوا في الرجال ، فهي من أول ما كتب في هذا الموضوع مع اعتماد المنهج المعتدل والوسط بين التعنت في الجرح أو التشدد في التوثيق لذلك قبلت أقواله من دون تردد ، ويظهر أثر ذلك عند ابن عدي في كتابه الكامل وكذا بقية الكتب الرجالية الاخرى ممن عاصروه او الذين جاءوا بعده ، واقواله في الانساب وسني الوفاة والتمييز بين الاسماء المشتبهة هي العمدة عند المصنفين في هذه المفردات[١] ونقل عن ابن عقدة الكوفي (ت٣٣٢هـ/٩٣٣م) قوله : ((لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ البخاري))[٢] .

ثانيا : كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .

أما كتاب الجرح والتعديل فهو من أهم الكتب المصنفة في هذا العلم أو في علمي الجرح والتعديل فقد رتب الالفاظ على مراتب ممن يحتج بحديثه وممن يكتب حديثه وينظر فيه وممن يكتب حديثه للاعتبار وممن لا يكتب حديثه وهو المتروك ، وهذا الكتاب قد شمل المتقدمين والمتأخرين في عهد عبد الرحمن بن أبي حاتم وأبيه وأبي زرعة[٣] فهو شامل للرواة مع درجتهم النقدية ومدى قبول رواياتهم حسب مراتبهم ومصطلح الفاظ الجرح والتعديل التي طبقها على الرواة ، وهي كما وردت في اصل الكتاب بالشكل الآتي :-

---

(١) العمري ، دراسات ، ص٩٨ .

(٢) يراجع مقدمة فتح الباري ، ص٤٨٦ .

(٣) ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن الرازي ، كتاب الجرح والتعديل ، (حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ١٣٧١هـ) ، ج١ ، ص٣٧ .

أولاً :

أ. ثقة : يحتج بحديثه .

ب. متقن : يحتج بحديثه .

ج. ثبت : يحتج بحديثه .

ثانياً :

أ. صدوق أو محله الصدق أو لا بأس به : يكتب حديثه وينظر فيه .

ب. شيخ : يكتب حديثه وينظر فيه إلاّ أنه دون (أ) .

ثالثاً :

أ. صالح الحديث : يكتب حديثه للاعتبار .

ب. لين الحديث : يكتب حديثه وينظر فيه اعتباراً .

ج. ليس بقوي : يكتب حديثه وينظر فيه اعتباراً لكنه دون .

د. ضعيف الحديث : لا يطرح حديثه بل يعتبر به .

هـ. متروك الحديث أو ذاهب الحديث أو كذاب : لا يكتب حديثه(١) .

ثم نقل ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن مهدي أن من كان الغالب على حديثه الصحة فهذا لا يترك حديثه ثم علل ذهاب حديث الناس لو ترك هذا النوع أما إذا غلبه الوهم فهذا لا يحتج بحديثه ويترك(٢) .

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٨ .

هذه الألفاظ النقدية كمصطلحات مرت بمراحل تطورية منذ التأسيس إلى أن وصلت إلى محاولة عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في كتابه (الجرح والتعديل) الذي يعد أصلاً من أصول هذا العلم[١] ، فقد نقل ألفاظه في الجرح والتعديل من جاء من بعده ، يقول المزي (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م) في مقدمة كتابه المشهور (تهذيب الكمال) : ((واعلم أن ما كان في هذا الكتاب من أقوال أئمة الجرح والتعديل ونحو ذلك فعامته منقول من كتاب (الجرح والتعديل) لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي الحافظ ابن الحافظ))[٢] .

كانت المصنفات الأولى في هذا الموضوع نواة للمؤلفات التي ظهرت فيما بعد وكان أجمع كتب المتقدمين هو كتاب (الجرح والتعديل) لعبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي ضم (١٨٠٥٠) ترجمة[٣] .

وقد نفى بعض الباحثين تهمة أن كتاب الجرح والتعديل مأخوذ من كتاب التاريخ الكبير للامام البخاري ، ويبدو أن هذه التهمة قضية مثارة قديماً وحديثاً ثم أن الباحث قد عقد موازنة معيارية بين الكتابين لبيان حقيقة هذه القضية وقد وصل إلى عدة فروق منها في الترتيب والاعداد في كلا الكتابين من تراجم الرواة والحكم عليهم وأيضاً يختلفان من حيث الموضوع ثم أن كتاب ابن أبي حاتم فيه نقد ليس بالقليل لكتاب الامام البخاري (التاريخ الكبير) بل أنه سمى احدى كتبه (كتاب بيان خطأ محمد بن إسماعيل البخاري) ، ثم أن الباحث لم ينف وجود أي تأثير لكتاب التاريخ الكبير على ابن أبي حاتم

---

(١) الدايني ، تاريخ النقد ، ص١٥٩ .

(٢) المزي ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : بشار عواد معروف ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١م) ، ج١ ، ص١٥٢ .

(٣) الخطيب ، محمد عجاج ، المختصر الوجيز في علوم الحديث ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ) ، ص١١٣ .

فإنه قد وجد عملاً منظماً فاستفاد منه[١] .

ثالثا : كتاب الثقات لابن حبان.

يعد التصنيف بمثل هذا النوع مرحلة تطورية من التخصص في الفكر الرجالي النقدي وفي وقت مبكر ، وهذه الرؤية الفكرية لتسهيل عملية الفرز بين الرواة أو التمييز بينهم[٢] ومن أشهر هذه الكتب كتاب (الثقات) لمحمد بن حبان البستي أبو حاتم التميمي ، جمع فيه أسماء أكثر المحدثين ، ومن الفقهاء من أهل الفضل والصالحين ومن سلك سبيلهم من (الماضين)[٣] ، وهو من الكتب المعتبرة ذكرته المصنفات الحديثية[٤] .

قال السخاوي: كتاب الثقات لأبي حاتم بن حبان : ((وهو احفلها وهي على الطبقات))[٥] ، وقد صرح ابن حبان في آخر الجزء الأول من كتابه أنه يذكر الاسماء ((طبقة طبقة ثقاتهم وعدولهم دون متروكهم))[٦] ثم قال : ((ولا اذكر في هذا الكتاب الأول إلاّ الثقات الذين يجوز الاحتجاج بخبرهم))[٧] وقد أعطى ابن حبان مفهوم الصدوق في كتابه وهو ممن يجوز عنده الاحتجاج بخبره مع توفر الشروط الأخرى لبقية السلسلة السندية ، وهذه

---

(١) للمزيد ينظر : عبد المطلب ، رفعت موزي ، ابن أبي حاتم الرازي وأثره في علوم الحديث ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٥هـ) ، ص١٨٥ - ١٩٧ .

(٢) الدايني ، تاريخ النقد ، ص٩٠ .

(٣) ابن حبان ، أبو حاتم محمد البستي ، تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار ، تحق : بوران الضناوي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ) ، ص١١ .

(٤) ينظر : الشهرزوري ، مقدمة ابن الصلاح ، ص٣٦٤ .

(٥) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ، ص٢٠٧ .

(٦) ابن حبان ، كتاب الثقات ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفى ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ) ، ج١ ، ص٤٨٢ .

(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١١ .

قاعدة كلية أشار إليها ابن حبان في مقدمته بقوله : ((فكل من اذكره في هذا الكتاب الأول فهو صدوق))[١] ، وهذا الكتاب الأول كما جاء في تعبيره لأنه قد فصل الضعفاء والمتروكين في كتابه الثاني .

رابعا : كتاب الكامل في الضعفاء لابن عدي .

ألّف العلماء في النقد الرجالي وميزوا بين الثقات والضعفاء وقد استوعب ابن عدي كتب المتقدمين عليه ويظهر ذلك فيما يبدو من تسميته الكامل فقد جمع فيه كل من تكلم فيه ولو من رجال الصحيحين ثم استدل على كلامه بذكر الأحاديث المنكرة والغريبة كمثال على ما حكم به من النقد لذلك يُعد كتاب الكامل في الضعفاء من اكمل كتب الجرح ولأهميته وضعت له ذيول ونقد لرجال بعد ابن عدي كمرحلة تكاملية استدراكية مما فات هذا الكتاب[٢] .

وقد أشاد العلماء بهذا المصنف وجاءت في تراجمه كلمات الثناء والمدح وقد جاءت أهميته باعتباره أصلاً من أصول هذا العلم قد اختص ببيان الضعفاء ونقدهم ، فقد صرح السخاوي بقوله : ((وابن عدي الجرجاني ومصنفه في الرجال إليه المنتهى في الجرح))[٣] .

لقد مارس ابن عدي عملية النقد لمن سبقه منذ نقلت الرواية عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وقال أنه : ((علم يدق ولا يحسنه إلاّ من فهمه الله ذلك))[٤] لقد عمل ابن عدي على احصاء الرواة ومواضع الضعف وممن

---

(١) ابن حبان ، كتاب الثقات ، ج١ ، ص١١ .

(٢) ابن عدي ، أبو أحمد عبد الله الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال ، ط١ ، تحق : سهيل زكار ، ط٣ قرأها ودققها على المخطوطات : يحيى مختار غزاوي ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٢٤هـ) ، ج١ ، ص ط من مقدمة التحقيق .

(٣) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ، ص٣٤٦ .

(٤) الكامل ، ج١ ، ص١ .

اختلف بتناقض الأقوال فيه وذكر موضوعية الترجيح المبنية على التقسيم من غير محاباة ، ثم أعطى في مقدمة كتابه ثمار هذا العمل الضخم بقوله : ((ولا يبقى من الرواة الذين لم أذكرهم إلاّ من هو ثقة أو صدوق وإن كان ينسب إلى هوى وهو فيه متأول))[1] ، بهذا العمل يمكن التمييز بين الضعفاء والثقات للتطور في عملية الفرز بينهم وهي مرحلة أكثر تخصصاً في علم النقد الرجالي ومراحل تطوره عند ابن عدي في كتابه الكامل .

ويمكن النظر والتأمل فيما عرضه من آلية النقد والحكم على هؤلاء الرجال الذين ذكرهم في كتابه وهل هناك منهجية علمية اعتمد عليها أم لا ؟

خامسا : اختيار معرفة الرجال لأبي عمرو الكشي .

رجال الكشي لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بالكشي ، والكشي نسبة إلى كشّ[2] بفتح الكاف أو ضمه وتشديد الشين ، كان من أعلام الغيبة الصغرى[3] ، وهو ثقة عين صحب العياشي[4] له كتاب الرجال كثير العلم[5] ، يمتاز باثبات التوثيق والتضعيف عن طريق الأحاديث عن

---

(١) الكامل ، ج١ ، ص٢ .

(٢) بلد معروف على اربع مراحل من سمرقند ، اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق ابن جعفر ابن وهب ابن واضح ، البلدان ، وضع حواشيه : محمد أمين ضنادي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ) ، ص١٢٤ .

(٣) المعلم ، محمد علي صالح ، أصول علم الرجل بين النظرية والتطبيق تقريراً لبحث سماحة الشيخ مسلم الداوري ، تصحيح : حسن العبودي ، (قم : سرور ، ١٤٢٦هـ) ، ج١ ، ص٤٠ .

(٤) هو محمد بن مسعود بن محمد بن عياش المعروف بالعياشي له مصنفات في مختلف العلوم جليل القدر واسع الأخبار بصير بالرواية ، السبزواري ، جعفر بن محمد الحسيني ، فرائد الفوائد في الرجال ، تحق : مهدي الرجائي ، (قم : ستارة ، ١٤٣١هـ) ، ص٢٨٢ .

(٥) النجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الاسدي الكوفي ، رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفي الشيعة ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين ، ١٤٢٤هـ) ، ص٣٧٢ .

الأئمة عليهم السلام أو عن المشايخ المشهورين وقل ما يذكر عن نفسه هذا ويعد كتابه من المصادر الأولية ، ولم يصل أصل الكتاب بل وصل مختصره والذي اختصره الشيخ الطوسي وسماه (اختيار الكشي) ، وقيل : أن الأصل كان موجوداً عند أحمد بن طاوس (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م) وهو أول من جمع كتب الأصول الرجالية بكتاب اسماه (حل الإشكال في معرفة الرجال) ولكنه لم يصل إلينا أيضاً[1] ، لقد اختلف في هذا الكتاب ليست من جهة نسبته للكشي فهي ثابتة بلا تردد ولكن الكلام في أصل الكتاب هل وصل إلينا كلّه أم مختصره ؟ ، يبدو من تتبع هذا الكتاب أنه وإن كان عند السيد أحمد بن طاووس وهذا يدل على أنه كان موجوداً حتى القرن السابع أو بعده إلاّ أنه فقد بعد ذلك فانصب الاهتمام بمختصر الشيخ الطوسي له وفيما يبدو أنه اختصره أو أنه وقع منه على نحو ما اختاره منه وهذا يدل على ضخامة هذا المصنف فيما يبدو لذلك قام الشيخ الطوسي باختصاره وقد أملاه على طلابه كما تذكر بعض المصادر وكان الاملاء عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م في المشهد الغروي الشريف مصرحاً بعملية الاختصار منه لكتاب الرجال لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز ثم صرح باختيار ما في هذه الأخبار[2] وقد سمي هذا الكتاب بعدة تسميات هي كالآتي :-

١- معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين[3] .

٢- كتاب الرجال .

---

(١) المعلم ، أصول علم الرجال ، ج١ ، ص٤١ .

(٢) ابن طاوس ، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر ، فرج المهموم في تاريخ علوم النجوم ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٦٨هـ) ، ص١٣٠ .

(٣) ابن شهراشوب ، محمد بن علي المازندراني ، معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً (تتمة كتاب الفهرست للشيخ أبي جعفر الطوسي) ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٠هـ) ، ص١٠١ .

٣- اختيار معرفة الرجال وهو الذي وصل إلينا عن طريق ما اختاره الشيخ الطوسي .

نفى بعض المحققين من أن للكتاب كان فيه اغلاط كثيرة كما أشار إليه النجاشي وتبعه العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)(١) في الخلاصة وأنه كان جامعاً للأخبار الواردة في مدح الرواة وذمهم من العامة والخاصة وصرح بذلك القهبائي(٢) والمامقاني(٣) وصاحب الذريعة اغا بزرك(٤) ، بل أنه كباقي كتب رجال الامامية وله فيه مسلك ايراد جميع من روى عن الأئمة عليهم السلام من دون النظر أن الراوي من الامامية أو من غيرها(٥) .

---

(١) هو الشيخ حسن بن يوسف بن علي بن مطهر أبي منصور الحلي المشتهر بالعلامة ولد عام ٦٤٨هـ وهو من كبار علماء الامامية له عدة مصنفات في الرجال منها : ايضاح الاشتباه في أسماء الرواة مطبوع وكشف المقال في معرفة الرجال مفقود وكتابه المشهور بالخلاصة مطبوع ، توفي عام ٧٢٦هـ ، أبو الهدى الكلباسي ، كمال الدين بن أبي المعالي محمد ، سماء المقال في علم الرجال ، تحق : محمد الحسيني القزويني ، (قم : أمير ، ١٤١٩هـ) ، ج١ ، ص٢١٧ .

(٢) هو زكي الدين عناية الله القهبائي (ت ما بعد ١٠١٦هـ/١٦٠٧م) من تلاميذ المقدس الارديلي له كتاب مجمع الرجال جمع فيه الأصول الرجالية الأولية مع كتاب الضعفاء للغضائري وكتابه مطبوع عدة أجزاء ، السبحاني ، جعفر : كليات في علم الرجال ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، ١٤١٥هـ) ، ص١٢٧ .

(٣) هو الشيخ عبد الله بن محمد حسن بن عبد الله المامقاني النجفي الغروي ، ولد عام ١٢٩٠هـ ، وهو من كبار الفقهاء والمحدثين والمهتمين بعلم الرجال وله كتاب (تنقيح المقال في علم الرجال) ، وهو موسوعة رجالية كبيرة جداً ، توفي عام ١٣٥١هـ ، المامقاني ، عبد الله ، مقباس الهداية في علم الدراية ، تحق : محمد رضا المامقاني ، (قم : منشورات دليل ما ، ١٤٢٨هـ) ، ج١ ، ص١٧ .

(٤) هو محسن الطهراني المعروف بآغا بزرك ، ولد عام ١٢٩٣هـ ، له موسوعة كبيرة اسمها (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) وآخرها في الطبقات توفي عام ١٣٨٩هـ ، أغا بزرك ، محسن الطهراني ، طبقات اعلام الشيعة القرن الرابع وهو نوابغ الرواة في رابعة المئات ، تحق : ولده علي نقي منزوي ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٠هـ) ، ص ي .

(٥) الطوسي ، أخبار معرفة الرجال المعروف بـ (رجال الكشي) ، تحق : جواد القيومي الاصفهاني ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين ، ١٤٢٧هـ) ، ص٥ من مقدمة المحقق .

وكتاب الرجال هذا من أقدم الأصول الرجالية عند الامامية وهو يعتني بالنقل الروائي المسند ثم يرد المدح أو الذم أو هو عبارة عن علم الجرح والتعديل بالنقل النقدي للرجال .

سادسا : رجال النجاشي للنجاشي .

يعد هذا الكتاب من أهم الأصول الرجالية عند الامامية على الاطلاق ، بل هو المقدم عندهم لعدة أسباب من أهمها اختصاصه بعلم الرجال ومعرفته بأحوالهم من الجرح والتعديل ومصنفاتهم وطبيعتها ، كوفي اعرف برجالها من غيره وقد ترجم لنفسه في كتابه المهم (رجال النجاشي) وذكر بعض كتبه في الدعاء والفضائل والآثار والأنساب والأيام والاشعار وكتابه (مختصر الأنوار ومواضع النجوم التي سمتها العرب)[١] .

عدد أجداده وانتهى بهم إلى عدنان ، فهو أسدي كوفي[٢] ، وكتابه وإن ألفه لذكر مصنفات الشيعة الامامية لكنه تضمن نقد هؤلاء وبيان حالهم من حيث الجرح والتعديل وعد لذلك أمام الجرح والتعديل عند الشيعة الامامية وهو مقدم على كتاب الشيخ الطوسي عند الأكثرية من العلماء .

استعمل النجاشي ألفاظ الجرح والتعديل بالمصطلحات المعروفة في هذا العلم وأشار إلى مصادره وطرقه إلى هذه الكتب التي ذكرها ، بلغت التراجم (١٢٦٩) ترجمة ، تناول الشيخ النجاشي آليات النقد والتقييم باعتباره خبيراً في هذا العلم فيوثق الرجال ويضعفهم على حسب معرفته بهم وبالأخص معرفته بأهل الكوفة وهي مدرسة نشط فيها الحديث بل أن أغلب الرواة منها أو ممن رحل إليها لطلب الحديث فشيوخ الحديث انطلقوا من مدرسة الكوفة إلى بقية

---

(١) النجاشي ، الرجال ، ص١٠١ .

(٢) للمزيد ينظر : النجاشي ، الرجال ، ص١٠١ .

الأمصار ، والنجاشي كوفي ومن وجوه أهلها ومن بيت معروف فيها[١] .

وهذا الأصل الرجالي آخر الأصول المعتمدة والمدونة إذ سبقتها رجال الكشي وكتابا الشيخ الطوسي الفهرست والرجال كما يظهر من تتبع هذه الكتب الرجالية ، لأن الشيخ الطوسي لم يترجم النجاشي وهو ترجم الشيخ الطوسي في رجاله برقم (١٠٦٨) ، وذكر كتابيه الرجال والفهرست[٢] عموماً تتجه منهجية النجاشي في الاهتمام بالكتب والمصنفات والطرق إليها ونقد الرجال من حيث الجرح والتعديل بل هو المقدم عند الشيعة الامامية في هذا المضمار فقد برزت شخصيته العلمية في إعطاء الرجال ما يناسبهم من مصطلحات الجرح والتعديل[٣] ، لذا يعد من الأصول الرجالية المعتمدة عند الامامية أو أنه عمدة هذه الأصول[٤] ، وقد امتد أثر الشيخ النجاشي إلى بعض الرجاليين من أهل السنة حيث استقى ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) نصوصاً كثيرة من الشيخ النجاشي فأودعها في كتابه (لسان الميزان)[٥] .

وصف هذا الكتاب بامتيازه عن معظم الكتب الرجالية التي سبقته مثل رجال الكشي أو التي عاصرته مثل رجال الطوسي أو التي تلته مثل رجال العلامة الحلي بايراد معلومات متقنة ومفصلة نسبياً عمن يترجم لهم[٦] .

---

(١) الايرواني ، محمد باقر ، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية ، (قم : القلم ، ١٤٢٨هـ) ، ص٣٣٠ ؛ المحسني ، محمد آصف : بحوث في علم الرجال ، (قم : سيد الشهداء ، ١٤٠٣هـ) ، ص١٢٣ .

(٢) النجاشي ، الرجال ، ص٤٠٣ .

(٣) الحكيم ، حسن ، الشيخ النجاشي أبو العباس أحمد بن علي بن العباس الاسدي ، النجف الأشرف ، ١٤٢٣هـ ، ص٢٤ .

(٤) الحكيم ، النجاشي ، ص١٢١ .

(٥) المرجع نفسه ، ص١٢٤ .

(٦) للمزيد ينظر : فياض ، عبد الله ، تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي ، (بغداد : مطبعة اسعد ، ١٣٩٢هـ) ، ص٢٧ .

اتضح أهمية الكتاب أثر ممارسة النجاشي لعملية النقد المعتبرة عند المدرسة الامامية ومدى أثر هذه الممارسة في التطبيقات من حيث الاقربية في الاعتماد على هذه الأسس .

ذكر بعض المحققين أن رجال النجاشي أول مكمل وذيل لكتاب الفهرست للشيخ الطوسي(١) وهي نظرة إلى أن ما قام به الشيخ الطوسي متقدم على ما قام به النجاشي من التكملة لذكر المصنفات والتوسعة في عملية الجرح والتعديل مع أنه لم يشر إلى أنه نظر إليه لكن من المقارنات واسلوب البيان وترتيب المطالب(٢) ، ولا ريب أن النجاشي قد اطلع عليه .

سابعا : الفهرست للطوسي .

بقي من الأصول الرجالية عند الشيعة الامامية كتابين للشيخ الطوسي الفهرست والرجال والأول اقدم تأليفاً من الآخر لأنه في كتابه الرجال يحيل في باب لم يرو عنهم عليهم السلام إلى موارد في الفهرست مثل ترجمة حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندي فقد ذكره في الرجال ثم أحال بقية ترجمته بخصوص كتبه فقال : ((وله كتب ذكرناها في الفهرست))(٣) ، وكذلك في ترجمة حميد بن زياد ، فقال : ((قد ذكرنا طرفاً من كتبه في الفهرست))(٤) ، وغيرها من الموارد التي يحيلها إلى هذا الكتاب فيدل على اسبقيته في التأليف والتصنيف لذلك قدمناه على الأصل الأخير من الأصول الرجالية ووضعناه

(١) الطوسي ، رجال الطوسي ، تحق : جواد الفيومي الاصفهاني ، (قم : جماعة المدرسين ، ١٤٢٨هـ) ، ص٧ من مقدمة المحقق .
(٢) الطوسي ، رجال الطوسي ، ص٧ من مقدمة المحقق .
(٣) المصدر نفسه ، ص٤٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٤٢١ .

بعد الفهرست[١] .

فيه (٩١٢) ترجمة حسب النسخة المحققة بتحقيق جواد القيومي وقد نبه المحقق على أن تأليف الفهرست والرجال عرضية لا طولية ثم ذكر أن الطوسي قد أشار إلى كتاب الرجال في الفهرست عندما ترجم لنفسه وعد كتبه ، قائلاً : ((وله كتاب الرجال الذين رووا عن النبي والأئمة الاثني عشر عليهم السلام ومن تأخر عنهم))[٢] ، وقال المحقق في تحقيقه للكتاب الرجال : ((والظاهر أن تأليف الفهرست كان قبل تأليف كتاب الرجال لأنه يحيل في كثير من موارد الرجال في قسم من لم يرو عنهم عليهم السلام))[٣] ، واطلق العبارة ولم يقل ما قاله في تحقيقه لكتاب الفهرست أن تأليفهما عرضية لا طولية فلا تقدم لأحدهما على الآخر ، ويخيّل الي أن تصنيف كتاب الفهرست كان متقدماً على تصنيف كتاب الرجال من قرائن الاحالات الكثيرة في كتاب الرجال إلى كتاب الفهرست وقد ذكرنا ذلك وأشرنا إلى ذلك في الهامش بتتبع مواضع الاحالات .

قال الشيخ في مقدمة الكتاب : ((فإذا ذكرت كل واحد من المصنفين وأصحاب الأصول فلابد من أن اشير إلى ما قيل فيه من التعديل والتجريح))[٤] .

إن هذا النص يشير وبوضوح إلى أن أصل التأليف والشروع فيه هو ذكر المصنفين واصحاب الأصول ومع هذا الزم نفسه بالإشارة إلى الجرح والتعديل

---

(١) للمزيد ينظر : الاحالات إلى كتاب الفهرست من كتاب الرجال ، ص٤٠٩ ، ص٤١٠ ، ص٤١١ ، ص٤١٤ ، ص٤١٥ ، ص٤١٧ ، ص٤١٨ ، ص٤٢١ ، ص٤٢٣ ، ص٤٢٥ ، ص٤٢٧ ، ص٤٣٢ ، ص٤٣٤ ، ص٤٣٨ ، ص٤٣٩ ، ص٤٤٠ ، ص٤٤٣ .

(٢) الطوسي ، الفهرست ، ص٢٤١ .

(٣) الطوسي ، الرجال ، ص٨ من مقدمة التحقيق .

(٤) الطوسي ، الفهرست ، ص٣٢ .

وهو البيان النقدي وعدم الاكتفاء بالتدوين النقلي المجرد ، ثم ذكر أنه يلتزم ببيان مدى الاعتماد على رواية هؤلاء مع ايضاح الاعتقاد لكل واحد منهم وهو موافق للامامية أو مخالف لهم ، وهو يعني القرب المنهجي والبعد ثم ذكر بموضوعية سبب بيان هذه التفصيلات بقوله : ((لأن كثيراً من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة ، وإن كانت كتبهم معتمدة))(١) ، وهذا النقد الموضوعي يدعم الباحث للحصول على المعرفة العلمية بعيداً عن التطرف وتقرباً من الحقيقة المعرفية .

أشكل على الشيخ الطوسي بأنه لم يف بما وعد إلاّ في حق قليل(٢) وربما اعتذر عنه لجهة وضوح الثقة مثل زرارة وغيره من الأجلاء ، ولكنه ورد توثيق(٣) من لا يحتاج إلى توثيق كالكليني وابن أبي عمير وأهمل من يحتاج إلى توثيق كعمار الساباطي ولكن الشيخ لا يحتاج لمن يعتذر عنه فإنه قد قدم ذلك في مقدمته قائلاً : ((ولم اضمن أني استوفي ذلك إلى آخره ، فإن تصانيف أصحابنا وأصولهم لا تكاد تضبط لانتشار أصحابنا في البلدان وأقاصي الأرض ، غير أن عليّ الجهد في ذلك ، والاستقصاء فيما اقدر عليه ويبلغه وسعي ووجدي))(٤) .

بهذا الاعتذار الذي قدمه فإن من الاشكالات الكبيرة على الكتاب قلة التوثيق أو بيان حال الرجال ، ومع هذا عُدّ الكتاب من الأصول الرجالية المعتمدة عند الشيعة الامامية ولا تعني القلة ما تقرب من العدم مثله مثل كتابه الرجال الذي سنتكلم عنه وبيان حاجة الباحث إليه .

كان للشيخ الطوسي منزلة كبيرة عند علماء الشيعة الامامية بل انعقد

---

(١) الطوسي ، الفهرست ، ص٣٢ .

(٢) الايرواني ، دروس تمهيدية ، ص٣٢٧ .

(٣) المرجع نفسه ، ص٣٢٨ .

(٤) الطوسي ، الفهرست ، ص٣٣ .

الإجماع على ثقته وفضله وجلالته إذ بلغ عدد تلامذته أكثر من ثلثمائة من مختلف المذاهب الإسلامية[١] ، ونفى الأستاذ حسن الحكيم تلمذة الشيخ الطوسي على الشيخ النجاشي واثبت أنه كان شريكاً له في القراءة على بعض الاعلام كالشيخ المفيد والحسين الغضائري ثم أن الشيخ الطوسي لم يورد للشيخ النجاشي ترجمة ولا ذكراً في كتابيه الفهرست والرجال مع العلم أن النجاشي أورد للشيخ الطوسي ترجمة في كتابه الرجال[٢] .

ثامنا : الرجال للطوسي .

يعد الشيخ الطوسي أكثر نتاجاً من غيره في مجال الدراسات الرجالية بل الأصول الرجالية عند الشيعة الامامية قد تنتهي إليه لما بذله من جهد كبير في مجال علم الرجال فقد اختصر كتاب الكشي فذهب الأصل وبقي المختصر متداولاً بين العلماء وألف كتابيه الفهرست والرجال والأخير كان آخر النتاجات العلمية في الفكر الرجالي عند الامامية ، وكان يرمي إلى بيان أهمية التأليف على الطبقات وقد تنبه المسلمون إلى ذلك فكثر التصنيف بمثل هذا النوع فكانت طبقات ابن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) وطبقات البرقي ثم منهج الشيخ الطوسي الذي اعتمده في كتابه (الرجال) على ترتيب الطبقات فقد رتبه على أساس الرواية عن كل من النبي صلّى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام وعدم الرواية عنهم[٣] .

---

(١) الحكيم ، النجاشي ، ص١٠٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص١٠٣ ، وردت ترجمته في رجال النجاشي برقم ١٠٦٨ وصرح بأنه من تلامذة الشيخ المفيد وصرح : ((من تلامذة شيخنا ...)) ص٤٠٣ .

(٣) للمزيد ينظر : الربيعي ، حسن كريم ماجد ، (الطبقات وأثرها في الحديث الشريف) بحث منشور ، مجلة علوم الحديث مجلة نصف سنوية تعنى بعلوم الحديث تصدر عن كلية علوم الحديث ، طهران ، العدد ٢٣ لسنة ١٤٢٩هـ ، ص٢٧ .

ذكر الشيخ في مقدمة كتابه هذا منهجه وغايته من تأليفه فقد أشار إلى أهم مورد من موارده هو كتاب ابن عقدة أحمد بن محمد بن سعيد (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م) وقد ترجمه في كتابه الفهرست وذكر له كتاب التاريخ الجامع للرواة وكتاب الرجال وهو كتاب من روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام(١) .

وهذا الكتاب أقل أهمية من بقية الكتب وذلك أنه مجموع على نحو الطبقات وفيه ذكر الاسماء بل أنه مصنف لغرض ذكر الاسماء الذين رووا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وعن الأئمة عليهم السلام من بعده إلى زمن القائم عليه السلام ثم من تأخر زمانه عن زمان الرواة أو من عاصرهم ولم يرو عنهم(٢) .

إن أهمية الكتاب العلمية هو معرفة الطبقة التي يعيشها الراوي أو الذي لم يرو والكتاب يخلو من الجرح والتعديل إلاّ في مواضع قليلة واستعمل لفظي الثقة ولا ضعيف في أصحاب الامام الباقر عليه السلام ومن بعده من الأئمة عليهم السلام ولكنه لم يفد فائدة تامة لعلم الرجال(٣) ، فإن الشيخ لم يمارس النقد الرجالي وانشغل بذكر الاسماء وترتيب الطبقات إلاّ في حالات تعد قليلة جداً لمثل هذه الدراسات في علم الجرح والتعديل وإن كان بعض الاسماء لا تحتاج إلى ذكر التوثيق أو التضعيف لشهرتها ، ومع كل هذا اهتم العلماء بهذا الكتاب وعد من الأصول الرجالية والمصادر الأساسية في علم الرجال .

بعد هذا البيان الموجز أهمية هذه المصادر الأساسية وأنها تدخل بشكل أساس في نظرية النقد الرجالي بل أن معينها من هذه الأصول الرجالية إذ ابتنى

---

(١) الطوسي ، الفهرست ، ص٧٣ .

(٢) الطوسي ، الرجال ، ص١٧ مقدمة الشيخ .

(٣) المحسني ، بحوث ، ص١١٩ .

الفكر الإسلامي تصوراته وتقييماته على ما جاء في هذه الأصول الرئيسة وكانت الجهود العلمية لا تتعداها بل هي مجرد ذيول لها أو ترتيب وتبويب وجمع ، فلا تكاد تخلو دراسة من هذه المصنفات وإن خلت فلا اعتبار لها في عالم البحث والنقد .

الاطروحة تدرس أسس هذه التقييمات وتبحث بالحفر المعرفي للتوصل إلى منهج نقدي يكاد يتفق عليه أو أنه يجمع المشتركات العلمية من خلال العناصر المشتركة أو الاقربية إلى المنهج العلمي وازاحة منهج النقد غير الموضوعي المتأثر بمؤثرات خارجية وداخلية ثم الخروج برؤية تقربنا من مصدر هذه الروايات لا أن تبعدنا عن المصدر الوحيد المتفق عليه عند جميع المسلمين أن مصدر هذه المقدمات السندية واعتماد رجالها للوصول للاتجاه المعرفي والحرص على ذلك لضمان هذا الطريق الذي هو ينبوع السنة الشريفة .

الفصـــل الأول

تاريخ الفكر النقدي وتطوره عند المحدثين

أسس النقد ومصادره في الإسلام .

نقصد بالنقد هنا البناء الصحيح على أساس الاقربية من مفاهيم اتفق عليها عند الجميع وإن اختلفوا في تفسيرها تظهر بعد النقد أنها قريبة مما اتفق عليه أم هي بعيدة ، فإن مصدرية القرآن الكريم لا خلاف فيه ، بل عُد هو الأصل الأصيل وهو النص النازل ثم السنة النبوية الشريفة هي النص الشارح ، وإن شابها الوضع والتدليس وأمور أخرى جعلت قبولها ضمن ضوابط دقيقة ومتينة بل برع المسلمون بمنهج فريد في التاريخ والنتاج الحضاري وسجلت لهذه الحضارة من دون الحضارات هذا المنهج الذي هو عبارة عن توثيق الكلام الصادر وتحميل ناقله مسؤولية النقل كاملة ويقول استاذنا الحكيم : ((التوثيقات هي معالجة علمية ومنهج معتبر))[1] ، وهذه إشارة إلى نظرية الاسناد في الفكر الإسلامي وقبل الخوض في هذه النظرية لابد من الخوض في أسس هذه النظرية ومشروعتها ومن مصادرها الأصلية والمعتبرة .

الأساس الأول (القرآن الكريم) :

ورد في النص القرآني أسس تقويمية واقعية تعد الأساس في هذه العملية النقدية ، فالنصوص القرآنية قامت بعملية تأصيلية في تقويم الذوات العامة من الذكور والنساء من حيث الصفات من العدالة والخلق الرفيع مع بيان الاقربية والابعدية من الاستقامة فالمؤمن غير المنافق والعادل غير الكاذب ولابد من الفصل والتمييز في التصديق والتكذيب وهذا يستدعي إيجاد منهج معتمد عن طريقه يتم معرفة أسس الفرز بين القسمين ، قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ

---

(١) الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم المشرف على هذه الاطروحة قال هذا الكلام في تعليقه على الخطة الموضوعة قبل المباشرة بكتابة الاطروحة وقد دوّن هذه الملاحظة على ورقة الخطة الأولية .

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[١] ، والنص يؤسس منهج الفحص العلمي ولا يكفي حسن القول الظاهري غير المقرون بالعمل وهو مبحث العدالة عند المحدثين ، وقال تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾[٢] ، وعلى اطلاقها تفيد التمييز بين المؤمن والفاسق فالأول مزكى ويسمع قوله بل يقدم ، في حين أن الثاني لا يسمع قوله للصفة التي منعت سماع قوله وعدم تساويه بالمؤمن من جهات عدة ومنها الجرح له والتعديل للمؤمن .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٣] ، وفي هذا النص لا تقبل شهادة وقول الفاسق ولا روايته وهي وإن استدل بها على حجية خبر الواحد ولكنها تضع القاعدة في التقويم لأن نتيجة قبول روايته الندم ولا عذر لمن أخذ بقول الفاسق والآية هي العمدة في الاستدلال على التمييز أو وضع أسس النقد وأصوله للفرز بين الأخبار وممن ينقلها حتى يمكن ترتب الأثر على قبولها أو منعها من ناقليها .

قال تعالى : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى . . .﴾[٤] ، والمقصود بالمرضي من الشهداء من ترضون دينه وأمانته وليس نقل الحديث وروايته بأقل من الشهادة في الأموال وغيرها لهذا لا يقبل الحديث إلاّ من الثقات[٥] ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٤ .

(٢) سورة السجدة : الآية ١٨ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ٦ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

(٥) الخطيب ، المختصر الوجيز ، ص١٠٤ .

والنص وان استدل به في الأحكام القضائية الا انه يصلح ان يستدل به في باب نقد الرواة وتفحص حالهم .

قال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(١) ، وفي هذا النص حذر الله سبحانه وتعالى من المنافقين الذين لا يقبل دعواهم في التقويم لأنهم على هذه الصفة التي يلازمها الكذب باعتبار عدم الإيمان ، وهم يصرفون الناس عن الحق كما فسرت أنى يؤفكون عند بعض المفسرين(٢) ، أو هو للتعجب من فعلهم هذا أو هو توبيخ وتقريع وليس باستفهام(٣) .

هذا التقويم الذي ذكره الله سبحانه وتعالى أولى أن يتبع ويؤخذ به عند الرجوع إلى معرفة الرواة ومن ينقدهم جرحاً وتعديلاً والنص يشير إلى الحذر من الاستماع إلى المنافقين فلا يقبل قولهم فيما ينقلون وما يقيّمون من ممارسة النقد .

وربما هناك الكثير من النصوص القرآنية التي تؤسس أساس النقد وتعطي المشروعية لعملية النقد من الجرح والتعديل لنقلة الأخبار غير التي نقلناها هنا ، وعلى العموم فإن النص القرآني من أهم مصادر الفكر الإسلامي بل هو الأساس في العلوم الإسلامية .

ويبدو أن آية النبأ أوضح الأدلة على قبول الأخبار وعدمها بمعيارية تمييز الفاسق عن غيره وربما يقابله الثقة على اطلاقه وهو الذي لا يكذب في النقل ،

---

(١) سورة المنافقون : الآية ٤ .

(٢) الطوسي ، التبيان ، (قم : مكتب الاعلام الإسلامي ، ١٤٠٩هـ) ، ج١٠ ، ص١٢ .

(٣) الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، (قم : جماعة المدرسين ، ١٤٠٢هـ) ، ج١٩ ، ص٢٨١ .

ومفهوم الثقة يمكن ان يكون من المفاهيم المشتركة في المفردة الرجالية عند علماء الجرح والتعديل ، ولكن الثقة كما يقول بعض الباحثين تعليقاً على آية النبأ أنه خضع لمعايير التشطير المذهبي فلم يعد علم الرجال يحظى بتلك المكانة العلمية ما دام مفهوم الثقة أصبح شأناً مذهبياً وهذا التشطير أدى إلى تصدع في الكتابة التاريخية(١) بين المسلمين .

فيما يبدو يمكن توسيع مفهوم الثقة ليشمل البحث عن جميع الرواة في الموروث الإسلامي للحكم في ضوء انطباق هذا المفهوم أم لا ؟ .

يذكر بعض الباحثين أن تقسيم وترتيب الحديث له غاية مضمرة هي الانتصار في النهاية لما روي في نطاق الفرقة المذهبية(٢) ، ثم ذكر أن التوسيع من مفهوم الصحبة حتى يشمل الجميع لم يصاحبه التوسيع من حلقات الاسناد من الجرح والتعديل(٣) ، وهذه إشارة مهمة ودقيقة لتوسيع مفاهيم تشمل الجميع كمفهوم الثقة لكل الطبقات لنتحرى الرؤية العامة الشاملة ونبتعد في البحث العلمي عن النظرات الجزئية التي تؤدي في النهاية إلى عدم التكامل المعرفي .

الأساس الثاني (السنة النبوية) :

حذر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم من الكذب في نقل الأخبار أو عمن ينقل أو ينقل عنه فقد جاء متواتراً قوله : ((من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) نقله من الصحابة رضي الله عنهم الجم الغفير ،

---

(١) هاني ، ادريس ، محنة التراث الآخر النزعات العقلانية في الموروث الامامي ، (بيروت : الغدير للدراسات والنشر ، ١٤١٩هـ) ، ص٢٤ .

(٢) الشرفي ، الإسلام بين الرسالة والتاريخ ، ص١٨٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٨١ .

قيل : أربعون ، وقيل : نيف وستون[1] ، والكاذب يقابله الصادق والأخير هو الأساس في قبول قوله وروايته دون الكاذب الذي يرد قوله وروايته ، هذه الأسس تعتمد في منهج التثبت من صدق الراوي وكذبه فإن كان صادقاً يؤخذ قوله ويعتمد وإن كان كاذباً يترك ، هذا المنهج في التمييز كانت بذرته الأولى قد جاءت من الأساس الأول والثاني ، وكان التمييز واضحاً لوجود الصحابة وهم على مقربة من الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم فلا يحتاجون مزيد عناية في كشف الكذب في الأحاديث مع ذلك فقد تحددت رسوم هذا المنهج في الحديث المروي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم : ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين))[2] ، وقد ورد هذا الحديث بألفاظ أخرى عن الامام الصادق عليه السلام : ((فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ؟ فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين))[3] ، ودلالته واضحة في مشروعية التمييز بين العدول فيؤخذ منهم ويترك من لم يتصف بالعدالة والاستقامة والاقربية من هذا الدين وأسسه التي دعا إليها ، وذكر الامام مسلم (ت٢٦١هـ) في صحيحه أن : ((خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم كما أن شهادته مردودة عند جميعهم)) لدلالة الأثر المشهور عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : ((من حدث عني بحديث يُرى أنه

---

(١) الشهيد الثاني العاملي ، شرح البداية ، ص١٥ ، وقد روته امهات المصادر وهي كثيرة جداً .

(٢) العقيلي ، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى ، كتاب الضعفاء ، تحق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، (الرياض : دار الصميعي ، ١٤٢٠هـ) ، ج١ ، ص٢٦ ؛ ابن الصلاح ، المقدمة ، ص١٦١ .

(٣) الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب ، الأصول من الكافي ، صححه وعلق عليه : علي أكبر الغفاري ، (طهران : دار الكتب الإسلامية ، ١٣٨٨هـ) ، ج١ ، ص٣٢ .

كذب فهو أحد الكاذبين))[١] .

ومن جملة ما ذكرناه يظهر المنهجية التي انطبعت بل تركزت في الذهنية مدى خطورة عدم التمييز بين نقلة الأخبار وعلى نحو اطلاقها وتشتد أكثر في الأحاديث وذلك لأهميتها في الشريعة وأحكامها بل مجمل الفكر الإسلامي .

وعلى هذا الاجمال يكون الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم قد وضع القاعدة الأساسية في قبول رواياته وردها ، وعلى هذا الأصل يكون العمل في اعمال الممارسة النقدية لجميع رواة هذه الأخبار ، وروت الأخبار أن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم قد مارس عملية النقد ليعلم صحابته التقويم الصحيح ويتبعوا أثره ، فقد روى الامام مسلم في صحيحه قوله صلّى الله عليه وآله وسلم : ((بئس رجل العشيرة)) وروي بألفاظ أخرى[٢] ، وروي في كتاب الفضائل قوله صلّى الله عليه وآله وسلم : ((نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل))[٣] ، فذكر بعض الباحثين أن الأول في باب الجرح والثاني في باب التعديل ، وعلى هذا الرأي يكون النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أول من دعا الصحابة إلى هذه الطريقة من النقد[٤] ، وهو ليس بصحيح فإن أول من أرسى قواعد النقد هو الأساس الأول الذي ذكرناه فقد نقد الله سبحانه وتعالى المنافقين والمنحرفين عن خط الرسالات السماوية وبيّن للناس خطورة مسلكهم واثنى ومدح المؤمنين باعتبارهم على خط القرب الفكري من الرسالة الإسلامية بل فصّل القول في تاريخ الحضارات وما آل

---

(١) مسلم ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٢٦هـ) ، ص٨ .

(٢) مسلم ، الصحيح ، ص١٠٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٤٨ .

(٤) الدايني ، تاريخ النقد ، ص٤٢ .

إليهم مصائر المؤمنين والمنحرفين منهم ، قال تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾(٢) وذكر المؤمنون وأهل الصدق بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٣) وكثير من الآيات الواردة في مقام بيان نقد المجموع أو نقد الفرد(٤) .

وعلى أثر وضع القاعدة القرآنية في الجرح والتعديل توسع هذا العلم ليشمل الرواة ممن يروي السيرة والتاريخ وممن يشملهم رواة الأحاديث ولكن أكثر تشدداً من التدوين التاريخي بطريقة السند عند المؤرخين ، ولكن المؤرخين لم يهملوا ذلك بل جاءت روايتهم التاريخية مسندة وسببه لأن اغلب المؤرخين كانوا محدثين يهتمون كثيراً بالسند والرواة ويحاولون تقصي السند ورواته .

---

(١) سورة النمل : الآية ٦٩ .

(٢) سورة النمل : الآية ٤٨ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٧٤ .

(٤) للمزيد ينظر : الخفاجي ، محمود شاكر ، ملامح الفكر التاريخي في القرآن الكريم ، (قم : ثامن الحجج عليه السلام ، ١٤٢٩هـ) ، ص٦٩ - ١٤١ ؛ الكفيشي ، عامر ، حركة التاريخ في القرآن الكريم ، (بيروت : دار الهادي ، ١٤٢٤هـ) ، ص١٢١ - ١٣٨ ؛ الشبستري ، عبد الحسين ، اعلام القرآن ، (قم : بوستان كتاب ، ١٤٢٩هـ) ، فقد ذكر فيه الاسماء الواردة في القرآن الكريم من الأنبياء ومعانديهم والصفات الملحقة التي هي أولى أن تستعمل في قبول راوي الرواية وممن ترد روايته حتى يكون الاستعمال في الجرح والتعديل بمفاهيم قرآنية أو هي اقرب إليها .

تاريخ النقد الرجالي :

ذكر ابن عدي في كتابه الكامل والسخاوي في الاعلان بالتوبيخ مجموعة من الاسماء من عصر الصحابة رضي الله عنهم ابتدأ بهم ابن عدي وانتهى بهم إلى عصره ثم أكمل السخاوي أسماء المتكلمين في الرجال إلى عصره[1] .

وخلال تتبعي للاسماء المذكورة لم اجد من أرسى قواعد هذا العلم بشكل دقيق غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث طويل قسم الرجال الناقلين للحديث واختلافهم فيه إلى أربعة ، والحديث رواه الكليني (٣٢٩هـ) في كتابه (الكافي) وهو موجود أيضاً في كتاب (نهج البلاغة) ولكنه بتفاوت في العبارات بينهما ، فإن المروي في كتاب (الكافي) تضمن تقسيم التقويم إلى أربعة ليس في علم الرجال أو اسمائهم فحسب بل وضع اللبنة الأولى لنقد الراوي مستمدة من النص النازل وشروط قبول روايته ، بل هو تأصيل لعلم النقد الرجالي وكان تقسيمه كما جاء في نص الحديث نأخذ منه موضع الشاهد وإلاّ فالحديث طويل : ((وإنما اتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس : رجل منافق يظهر الإيمان متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم متعمداً ، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ورآه وسمع منه وأخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله وقد أخبره الله عن المنافقين بما اخبر ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ . . .﴾[2] ...

---

(١) للمزيد ينظر : ابن عدي ، الكامل ، ص٨٣ - ٢٢٧ ؛ السخاوي ، الاعلان ، ص٣٣٨ - ٣٥٣ ، مع التفاوت في بعض الاسماء التي نقلها السخاوي عن ابن عدي .

(٢) سورة المنافقون : الآية ٤ .

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه ، ولم يتعمد كذباً ... فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه ، ورجل ثالث سمع من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ... وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ... الخ))[1] .

فقد وردت في النص مفاهيم مهمة في تقسيم الرواة ومضامين النقل فلم يكن هو نقد حملة الروايات بل نقد مضامينها أيضاً وهي مرحلة مبكرة جداً في تاريخ الفكر النقدي فقد جاء في النص ما يأتي :-

١- راو يكذب متعمداً .

٢- راو لم يتعمد الكذب ، ولكنه واهم ولم يعلم أنه واهم .

٣- راو حفظ المنسوخ ولم يعلم الناسخ .

٤- راو صادق وعارف وعالم لم ينس .

والراوي الرابع هو الذي تنطبق عليه شروط قبول الرواية والراوي ، وهذا التقسيم الرباعي مستفاد من واقع الرواة ودراسة أحوالهم عن ملاحظة فاحصة وناقدة لشخصياتهم وسلوكهم ، فنقد الراوي المنافق والراوي الواهم والراوي غير الضابط فكانت نتيجة هذا التقسيم إن صح الراوي الثقة الضابط الحافظ[2] .

هذه الأسس الناقدة للراوي والمروي تعد منهجاً علمياً ينى عليه النقد

---

(١) الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٢ ؛ الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ص٤٤٠ .

(٢) الفضلي ، أصول علم الرجال ، ص٤٦ .

العلمي الموضوعي للوصول للقرب الفكري من هذه المنظومة المتكاملة .

هـذه الوثيقـة تعـبر عـن مرحلـة تاريخيـة مهمـة كانـت قائمـة في الوسـط الاجتماعي آنذاك وهي تعبير عن واقع معاش تتخلله تجاذبات وميولات أحس الامام عليه السلام بخطورتها فلابد من أن يبين للناس حقيقة المرويات وناقليها .

وقد تكون تجربة الامام علي عليه السلام وتجارب الصحابة رضوان الله عليهم في النقد نابعة من حرصهم على سنة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم أمام هؤلاء النقلة في التقسيم الرباعي الذي يصف مرحلة خطيرة جداً ، لأنه ذكر في صدر الحديث حيث يصف الواقع ، فقال : ((إن في ايدي الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، وقد كذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم على عهده ...))[1] هذا في عصر الصحابة رضوان الله عليهم فما حال القرون الآتية فلابد أن يكون التثبت أكثر كلما ابتعدنا عن عصر النبوة ، ويبدو أن السخاوي قد تنبه إلى ذلك فقال : ((الاقدمون اقرب إلى الاستقامة وأبعد من الملامة ممن تأخر وما خفي أكثر))[2] .

وللوقوف على نشأة لعملية النقد منذ بدايتها إلى أواخر القرن الخامس الهجري لابد من تقسيم هذه الدراسة إلى قرون كل قرن نذكر فيه تطور عملية النقد وممن تولاها إلى أن نضجت وتكاملت في القرن الثالث والرابع والخامس الهجري .

---

(١) الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٢ .

(٢) الاعلان ، ص٣٥٣ .

القرن الأول الهجري :-

كان أول من بذر بذرة النقد الفعلي الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام فقد دققوا في نقل الرواية بل ركزوا ثقافة النقد في عدم قبولهم لبعض الروايات الغريبة على أسماعهم ، ويبدو أن النقد يقع على متن الرواية بنقد ناقلها ولا تقبل إلاّ بعد التأكد منها ، أو اثبات ذلك بشاهد يؤيد الناقل لها أنه سمعها من الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم هذه الجرأة في النقد قد أوجدوها بلا مجاملة للتحرز من الكذب أو الوهم أو الغفلة ولزيادة الاطمئنان بطلب التأييد لما عرضه الصحابي في هذا القرن ، لقد كان التثبت من أهم وسائل هذا القرن مع ما نقلناه عن الامام علي في تعدد الناقلين وبالخصوص عند ظهور الفتن التي تؤدي إلى الانقسام والانشطار بين مؤيد لهذا ومؤيد لذاك ، فربما يقبل من مؤيده في الرأي ولم يقبل من الآخر المتهم عنده ، هذا النقد المتبادل قد ظهر في هذا القرن ولكن قد تقبل المتون إذا اتحدت مع اختلاف الطرق واختلاف الرواة في الآراء والرؤى ، لقد كان لفعل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم أثر بالغ في النقد أو قبول الذم أو اللوم أو المدح ، ففي فتح مكة سنة ٨هـ ذم الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أبي سرح بل اهدر دمه ولكن تشفع فيه يوم الفتح فشفع له[١] ، وأما الحكم بن أبي العاص فقد طرده الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم إلى منطقة بطن وج[٢] وذكر ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) في كتابه (المعارف) عن الحكم ابن أبي

---

(١) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، المعارف ، صححه : محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٣٩٠هـ) ، ص١٣٠ .

(٢) بطن وج وهي : مدينة الطائف وكانت مهرباً وملجأ لكل هارب ، ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ) ، ص٢٥ .

العاص ، وكيف مورس نحوه النقد الفعلي وابعاده من نقل النص الشارح[١] ، هذه الممارسات النقدية الفعلية عرفها صحابته فتبعوا سيرته في هذا ، وهم على مستويات متفاوتة في النقد لذا جعلهم ابن سعد خمس طبقات وغيره باثني عشرة طبقة وزاد بعضهم أكثر من ذلك[٢] ، وفي هذا التقسيم يتحقق النقد أي التمييز والفرز بين هذه الطبقة في القرب والأقرب والبعد والأبعد في قبول الرواية بتمامها وعدم قبولها .

فالطبقات تعني المراتب فالأولى اقرب من الثانية والثانية اقرب من الثالثة وهكذا والثالثة ابعد وهكذا يكون التسلسل في القرب والبعد ، هذا اللون من النقد كان البداية والجذر الذي اعتمد كأساس للبحث عن الحقيقة بل الهدف والغاية من النقد ليس هو الاقصاء والتهميش بل الوصول إلى الحق والحقيقة بالبحث والنقد المعرفي .

أشارت الوقائع التاريخية ممارسة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم عملية النقد للرجال فقد قال لوحشي عندما أسلم : ((غيب وجهك عني))[٣] ، وروى البخاري في صحيحه قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم لزيد بن ارقم : ((أن الله قد صدقك))[٤] ، وروى أيضاً في نقل كلامه صلّى الله عليه وآله وسلم وتبليغه إلى من لم يحضر كلامه من خطبته في حجة الوداع قوله : ((ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلاّلاً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليُبلغ الشاهد الغائب))[٥]، أن هذه النصوص دالة بشكل واضح وصريح

---

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٥٤ .

(٢) الخطيب ، المختصر ، ص٢٠٠ .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٤٤ .

(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، اعتنى به وأعده للنشر : محمد محمد تامر ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٢٤هـ) ، ج٢ ، ص١١٢٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٩٨٧ .

على التمييز بين الصادق في كلامه وهو المراد من الراوي بل هي الصفة المبحوث عنها في علم الجرح والتعديل فإذا وجد الصدق بقرائن مع التقويم يحكم بعدالته وتوثيقه وإلاّ فهو مجروح وأعلى مراحله الكذب ، ومن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم تعلم النقاد جرح الكاذب ، قال صلّى الله عليه وآله وسلم : ((صدق وبرّ وكذب وفجر)) ، وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : ((عليكم بالصدق .. وإياكم والكذب))[1] ومنه يفهم التقسيم الثنائي الصدق والكذب أي الصادقون والكاذبون وفي هذا الضوء يكون الجرح والتعديل على هاتين الصفتين ، وقد اقتدى الصحابة برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في قياسهم بواجب التثبت والفحص[2] ، أن هذه الطبقة هم نقلة الأحاديث وإليهم تنتهي الأسانيد وهم الأقرب زماناً ومكاناً إلى هذه النصوص التي بني عليها الفكر الإسلامي بكل مفاصله ، والانصاف يقتضي النظر المعرفي لهذه الطبقة وبشكل مميز عن غيرها من الطبقات وذلك لأنهم الأساس والمرتكز في معرفتنا وثقافتنا الحديثية مع بناء الأفكار والرؤى في ضوء ما جاء في متونها المنقولة عن طريق هذه الطبقة ، فكان نقاد هذه الطبقة على رأيين :-

الرأي الأول :- القول بعدالة جميع هذه الطبقة بدون استثناء وعليه فلا جرح متوجه إليهم بل النهي مطلقاً عن الخوض في هذا المجال ، بل نسب الكفر لمن تعرض لهذه الطبقة وما جرى بينهم ، قال الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) : ((يجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي ... لأن

---

(١) الامام مالك ، ابن أنس ، الموطأ ، تحق : نواف الجراح ، (بيروت : دار صادر ، ١٤٢٥هـ) ، ص٤٤٤، الحديثان من الموطأ ؛ البخاري ، الصحيح ، ج٣ ، ص١٣٧٢ ؛ مسلم ، الصحيح ، ص١٠٩٣ .

(٢) الدايني ، تاريخ النقد ، ص٤٣ .

عدالة الصحابة ثابتة معلومة ...))[١] ، ثم استدل بمجموعة من الآيات الدالة على العدالة بتعديل هذه النصوص القرآنية لمجتمع الصحابة بأكمله ، مع أن اللفظ عام في بعض الآيات إلاّ أن المراد هو الخاص بنظر أصحاب هذا الرأي[٢] ، ومع الاستدلال بالآيات الكثيرة أيضاً استدل بالروايات الدالة على هذا الرأي والتي تطابق النص القرآني باقتضاء طهارتهم والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، وعلى هذا لا يحتاج أحد منهم الى تعديل مع تعديل الله تعالى لهم ثم يصرح الخطيب البغدادي أن هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء ، وتكلم النقاد من المحدثين أن من يريد الانتقاص منهم فهو زنديق لأنها مخالفة لنصوص القرآن وأحاديث الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم بحقهم وأن الجرح بهم هو ابطال للكتاب والسنة[٣] ، ومع ما قاله الخطيب البغدادي من العدالة المطلقة أردف كلامه بأن الأصل منهم العدالة إذا لم يثبت ما يزيل ذلك عنهم[٤] ، وهو خرم للقاعدة التي وضعها من عدم الخوض في جرحهم أو البحث عن أحوالهم ولكن كيف يتسنى معرفة ما يزيل عدالتهم حتى يحكم بسقوط العدالة عن بعضهم .

قال ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) في مقدمته : ((للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الاطلاق معدلين))[٥] ، ومع استدلاله بالنصوص القرآنية ونصوص السنة قال بالإجماع على التعديل ممن لابس الفتن أيضاً ، ومن

---

(١) للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، كتاب الكفاية في علم الرواية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ) ، ص٤٦ .

(٢) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٩ .

(٥) ابن الصلاح ، المقدمة ، ص٣٠٢ .

الغريب بعد أن قطع بالعدالة وأنه من الأمور المفروغ منها علل ذلك كله باحسان الظن بهم وأن الله عز وجل أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة[١] ، وهو كما ترى يفيد الظن لا القطع الذي ذكره اولا .

وذكر السخاوي : أن أكثر الصحابة عدول وأن هذا القرن أي الأول الهجري قد انقرض في الصحابة وكبار التابعين فالصحابة عدول والتابعين ثقات ولا يكاد يوجد ضعيف[٢] .

وعلى هذا الرأي السيوطي (ت٩١١هـ)[٣] ، ومن جملة هذه الأدلة ومن سار على هذا الرأي أسقط النقد بالكلية عنهم ، فلا كلام نقدي سوى جانب واحد هو التعديل وارتفاع النقد السلبي لهم بل لا يجوز البحث عن هذا الموضوع اطلاقا ولا طائل منه.

ومع بروز هذه النظرية إلاّ أن النقد بينهم حاصل من غير نكير بينهم في جملة من الروايات الحديثية[٤] ، والتاريخية[٥] ، بل هم مدرسة نقدية تعلم من جاء بعدهم ممارسة النقد تبعاً لهم[٦] ، ولكن البحث العلمي في هذه الممارسة النقدية فيما بينهم أوجدت النكير والاختلاف والتكتل بل أدت إلى ظهور المدارس ثم المذاهب بعد ذلك وهذا من الأمور الواضحة لمن تتبع تاريخ تطور

---

(١) ابن الصلاح ، المقدمة ، ص٣٠٣ .

(٢) السخاوي ، الإعلان ، ص٣٣٨ .

(٣) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، شرح ألفاظه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٣هـ) ، ج٢ ، ص١٢٤ .

(٤) الدايني ، تاريخ ، ص٤٣ .

(٥) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٠م) ، ج٣ ، ص٢٢٠ .

(٦) الدايني ، تاريخ ، ص٥٠ .

الفكر بشكله العام .

ربما عللت حالة النقد في أحوالهم أنها تؤدي لانحصار الشريعة على عصر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم[١] ، مع أنهم حملة ونقلة الشريعة ، ولكن صرح بعضهم بأنه لا ملازمة بين القول بعدالتهم جميعاً وذهاب الشريعة أو انحصارها ، فإن النقد الذي كان أساسه النص القرآني ونصوص السنة الصحيحة يستدعي البحث عن الخبر وممن رواه غير محدد بطبقة دون أخرى وهو على اطلاقه في آية النبأ وبالمفهوم الشرطي يجب البحث والفحص عن أحوال الراوي بأعمال الممارسة النقدية فلا تخرج طبقة دون أخرى إلاّ ما يخرجه من الجرح في الاعتماد عليه .

القول بعدالة الصحابة كلهم يؤول ما حدث بينهم بحسن نية واجتهاد يخطئ ويصيب مع العذر والأجر[٢] ، ولكن صرح بعضهم أن عمل الصحابة أو صحابي بخلاف الحديث يوجب الطعن فيه إذا كان ظاهراً لا يحتمل الخفاء فإذا احتمل الخفاء فلا يوجب جرحه ثم ذكر أن جهالة الصحابي لا تضر بصحة الحديث معللاً ذلك بقاعدة العدالة[٣] ، ولأجل هذه القاعدة ذكر ابن تيمية (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) أنه يكفر ويفسق من يقول عنهم : ((ظلموا ، وفسقوا .. وأخذوا الأمر بغير حق ... كان فيهم قلة علم ، وقلة معرفة بالسياسة والشجاعة . وكان فيهم شح ومحبة للدنيا ونحو ذلك))[٤] ، وفي هذا الكلام

(١) السيوطي ، تدريب ، ج٢ ، ص١٢٥ .

(٢) حنفي ، من النقل إلى العقل علوم الحديث من نقد السند إلى نقد المتن ، (بيروت : دار الأمير للثقافة والعلوم، ١٤٣٠هـ) ، ج٢ ، ص٣٣٤ .

(٣) الكيرانوي ، قواعد في علم الحديث ، ص٩٥ .

(٤) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي ، الصارم المسلول على شاتم الرسول ، اعتنى به وعلق عليه : محمد بن رياض الاحمد ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٧هـ) ، ص٤٢٢ .

صحة إذا كان التصريح بالجمع أي القدح بالجميع واستعمال العموم أما إذا قلنا بعضهم فقد يتغير الحكم للتفاوت المنطقي بين مؤهلاتهم وهو أمر طبيعي يتفاوت به الناس جميعاً والصحابة كذلك ليسوا على درجة واحدة من القرب الروحي للإسلام فقد اختلفوا كثيراً في التطبيقات بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وهذا يوجب بيان منازلهم وفضائلهم ومدى اقربية أعمالهم من أصل نظرية الإسلام .

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة وقد وقع المدح لهم في القرآن والسنة في جميع أخلاقهم وافعالهم ، ثم علل ما وقع بينهم من حوادث كان الاختلاف على أشده أنه من غير قصد كيوم الجمل أو أنه وقع عن طريق الاجتهاد كيوم صفين وفيه الخطأ والصواب والمخطئ معذور ومأجور أما المصيب فله أجران وكان علي وأصحابه اقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه[١] .

وبهذه النظرية يمكن الاعتذار عن الخطأ الصادر من الصحابي وغيره لأن نظرية التصويب كان لها السعة أن شملت الصحابة وجميع المجتهدين وعلى كل حال هو مصيب ومأجور، ولكن العدالة وعدم البحث عنها متوقف على ثبوت الصحبة وما عداهم يشملهم النقد من الجرح والتعديل كالتابعين واتباع التابعين إن هذه الرأي قد تبنته مدرسة واسعة وكبيرة لم تسمح لمفكريها وعلمائها الخوض في تفاصيل مجريات الأحداث لطبقة الصحابة وما جرى بينهم بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم لتحديد من هو أقرب للمنهج الرسالي للوقوف على سيرته ومنهجه ومدى صحة أقواله بالنقد العلمي المعرفي واعتماد منهج المحدثين في النقد وإخضاع الروايات التاريخية للنقد والتحقيق ، ويخيل إلي أن منهج المحدثين ومنهج المؤرخين يمكنه الكشف

---

(١) احمد شاكر ، الباعث الحثيث شرح مختصر علوم الحديث ، بلا معلومات طبع ، ص١٢٠ .

عن حقائق يبتغيها الباحث المعرفي والابتعاد عن المتبنيات العقائدية في الحكم على الرجال والنظر إلى القواعد الكلية لمنظومة الفكر الإسلامي على نحو الجامع المشترك بين هذه القواعد .

إن اعتماد هذا الرأي يتطلب حصر اعدادهم لمعرفة انطباق مفهوم الصحبة عليهم إذ تلازم هذا المفهوم العدالة كما هو واضح من هذا الرأي وبما ذكرناه لذلك ذكر بعض الباحثين أن عملية احصاءهم عملية متعذرة وذلك لكثرتهم ومن حدهم فذلك من باب التقريب[١] ، وعدم تحديدهم يسبب اشكالية في انطباق مفهوم الصحبة عما اختلف فيه ، ومع هذه الكثرة غير المحصورة كانت هناك آراء أخرى تخالف هذه المدرسة في مبناها الرجالي من ناحية اسقاط النقد عن هذه الطبقة والحكم بتعديلها فقط واتهم من قال بجرحهم اشد الاتهام لذا ذكر بعض الباحثين تصريحاً : ((الواجب علينا أن نكف عن ذكرهم إلاّ بخير))[٢] لعدالتهم المجمع عليها من قبل الأمة[٣] ، ومع هذا هناك آراء أخرى تخالف هذه النظرية تماماً في البحث عن عدالتهم في الشهادة والرواية .

الرأي الثاني :- وجوب البحث عن عدالتهم وخضوعهم للنقد كغيرهم ، قال الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (ت٩٦٥هـ/١٥٥٧م) وهو من الامامية ان حكم الصحابة في العدالة حكم غيرهم ، وإن اشترك الجميع في شرف الصحبة[٤] ، وتبع هذا القول بعض المحققين فإنهم لم يأخذوا بالعدالة المطلقة إنما قالوا بالأغلبية في عدالتهم وانهم بشر ويجري النقد عليهم بالنفاق

---

(١) الخطيب ، ابن عجاج ، المختصر ، ص٢١١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٠٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص٢٠٩ .

(٤) الشهيد الثاني ، شرح البداية ، ص١٢٤ .

والكذب والارتداد(١) ، ومن أيّد هذا الرأي ما نقله السيوطي في كتابه (تدريب الراوي) في معرض أقواله في عدالة الصحابة ذكر : ((وقيل : يجب البحث عن عدالتهم مطلقاً))(٢) ، ولزوم البحث عن عدالتهم في الرواية(٣) ، ونقل عن المعتزلة أن الصحابة عدول إلاّ من قاتل علياً(٤) عالماً فهو فاسق مردود الرواية والشهادة لخروجهم على الامام الحق(٥)، وعليه يحكم بجرح من خرج على الامام الحق .

وهناك آراء لا قيمة لها برد عدالتهم مطلقاً وقبول روايتهم وشهادتهم وغيرها(٦) وعلى هذا الرأي يخضع الصحابة للنقد من الجرح والتعديل في قبول روايتهم أو ردها ولا يعتمدون على تأويلات الفتن الواقعة بينهم وأعلاها القتال والحرب وغيرها من الممارسات في الحكم والسياسة وهي لا تعبر عن أصل النظرية الإسلامية والتطبيقات المتفق عليها في سيرة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم في الإدارة والحكم وغيرها وهم رأوا ذلك ، ومن الغريب قول بعض الباحثين أن أجود الكتب التي عالجت الأحداث بين الصحابة هو (العواصم من القواصم) لأبي بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)(٧) ، وأحال إليه آخر وذكر أن الكتاب يفند بعض الاقوال والطعون في الصحابة ويوضح ما قيل فيهم ويثبت براءتهم(٨) ، ولو تفحص الباحث هذا الكتاب يجد

---

(١) أبو ريه ، محمود ، أضواء على السنة المحمدية ، (مصر : مطبعة دار التأليف ، ١٩٦٠م) ، ص٢٩٧ .

(٢) ج٢ ، ص١٢٥ .

(٣) الخطيب ، المختصر ، ص٢٠٣ .

(٤) السيوطي ، تدريب ، ج٢ ، ص١٢٥ .

(٥) الخطيب ، المختصر ، ص٢٠٣ .

(٦) للمزيد ينظر : الخطيب ، المختصر ، ص٢٠٣ .

(٧) العمري ، دراسات ، ص٤٣ .

(٨) الخطيب ، المختصر ، ص٢٠٩ .

كثيراً من النفي بلا دليل وتأويل غير منطقي لبعض الأحداث أو نكران بعض الأحداث ونسبتها إلى تقول المؤرخين ثم يطبق مفهوم الصحبة على زياد مع ما روى عنه من قدح ثم يقول ابن العربي : ((كل ما ذكرتم لا ننفيه ولا نثبته ... والذي ندريه حقاً ونقطع عليه علماً أن زياداً من الصحابة بالمولد والرؤية))[١] واعجب ما جاء فيه تناوله مسألة الامام الحسين بن علي (ت٦١هـ/٦٨٠م) ومعالجته الغريبة لشهادته بقوله : ((وما خرج إليه أحد إلاّ بتأويل ، ولا قاتلوه إلاّ بما سمعوا من جده)) ، وذكر حديث فاضربوه بالسيف كائناً من كان[٢] ثم ذكر أنه لم يقبل نصيحة من اعلم أهل زمانه ابن عباس ولا نصيحة شيخ الصحابة ابن عمر[٣] ، وهناك العديد من التفاسير غير الموضوعية لهذه الأحداث الخطيرة في الإسلام بل أنها سببت انعطافة كبيرة في الفكر والانقسام والتجزئة وهذه الرؤى نتيجة للتمسك بنظرية العدالة المطلقة والاتجاه التعصبي لتفسير وتصحيح فعل الحاكم والغريب من المعاصرين من ينسج على المنوال نفسه بلا أدنى تأمل في المفردات والمفاهيم وينشر مثل هذه الثقافة بدون تعليم ثقافة النقد وإعادة تهذيب التراث بما يخدم وحدة المسلمين ونهضتهم وإصلاح شأنهم بالفكر الحر الموضوعي والمعرفي ، وإزاحة التراكمات التقليدية لهذا الكم الهائل من التراث وتخليصه مما علق به من تأويلات وتفسيرات بعيدة عن المنطق وقريبة من التصورات القبلية الجاهزة ، ويبدو لي أن قراءة هذا التراث النقدي قراءة موضوعية معرفية ليس فيها توجيه أو أحكام مسبقة تمليها المسائل الكلامية أو النظرات الضيقة بشتى أنواعها ، يمكن اجلاء الخط المعرفي لأصل

---

(١) أبو بكر ، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ، حققه وعلق حواشيه : محب الدين الخطيب ، (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٧٥هـ) ، ص٢٣٨ .

(٢) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ص٢٣٢ .

(٣) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ص٢٣١ .

النظرية الإسلامية والوصول إلى الجامع المشترك في الفكر الإسلامي واحياء ثقافة الاعتصام بالنص القرآني .

أما رأي الخوارج فقد نقدوا الصحابة وميزوا بينهم ، وهم على اختلاف فرقهم يقولون بعدالة الصحابة جميعاً قبل الفتنة ثم كفروا علياً وعثمان وأصحاب الجمل وجمهور الصحابة بعد التحكيم[١] ، وهو من الآراء التي اعتمدت الرؤية الكلامية في النقد أن وجود مثل هذه الأحكام بين الطبقة الأولى يستدعي البحث عن دوافع هذا النقد وأسباب هذه الحوادث ومعرفة المنهج الذي سلكوه ومدى اقربيته من أصول الإسلام بمصدرية القرآن والسنة ، فقد نقد الامام علي أهل الشام بقوله : ((ليسوا بقراء للقرآن ولا فقهاء في الدين ولا علماء في التأويل))[٢] ، كما نقد أهل العراق بقوله : ((ولقد بلغني أنكم تقولون : علي يكذب ... فعلى من أكذب ؟ أعلى الله ؟ فأنا أول من آمن به أم على نبيه ؟ فأنا أول من صدقه))[٣] ، هذه الموضوعية في النقد تؤسس لمنهج الاعتدال في التعرض لتقويم الأحداث والشخصيات مع الواقعية في العرض ولايمكن ان نفهم من كلامه في الشام او العراق التعميم لانه خلاف الانصاف ، ذكر بعض الباحثين أن عدالة كل الصحابة جاء بموجب قرار سياسي ، ففي القرن الخامس ومنذ ذلك التاريخ لا يجرأ أحد على أن يقدح في عدالة الصحابة[٤] ، وربما قيل قبل ذلك التاريخ فإن مسألة عدالة الصحابة صيغت مباحثها بصفة نهائية خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث الهجري

---

(١) البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، الفَرق بين الفِرق ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩م) ، ص٥٠ .

(٢) الطبري ، التاريخ ، ج٥ ، ص٧٨ .

(٣) نهج البلاغة ، ج١ ، ص١٢٥ .

(٤) الشرفي ، عبد المجيد ، تحديث الفكر الإسلامي ، (بيروت : دار المدار الإسلامي ، ٢٠٠٩م) ، ص١١٨ .

والعقود الأولى من القرن الرابع الهجري[١] ، وعلى هذا يكون النقد قبل هذا التاريخ من الأشياء التي يمارسها العلماء ليميزا الرجال بالتوثيق والتضعيف ، فقد نجد الخطاب القرآني وهو أعظم دليل في الفكر الإسلامي قد مارس عملية النقد وأشار إلى وجود فئة من المنافقين لابد من الابتعاد عنها لأنها تركز ثقافة العداء لمفاهيم الإسلام ، ويبدو أن النقد الرجالي قد وصلنا بهذا الشكل ثم تم التنظير لمفهوم العدالة المطلقة لأن تتبع تاريخ النقد يؤيد هذا الكلام بل ان النقد قد حصل للطبقة الأولى من الرواة وهم الصحابة[٢] ، ومما يؤيد هذا الكلام شقة الخلاف بينهم في النقد وفي مختلف المباني ، وأن وجود مثل الخطاب القرآني لفئة من المنافقين قضية لا تنكر ولا يمكن لأي شخص تأويلها مما يقلل من آيات وسورة كاملة بهذا المفهوم إذ أن الخطاب القرآني يخاطب المجتمع آنذاك ، وإن كان لا يخصهم وحدهم لأنه خطاب يشملهم ويشمل ما بعدهم ممن هو بصفات وعلامات جزئيات الخطاب ومحاولة تقليل أعدادهم وأثرهم محاولة غير واقعية ولا تدفع أخطارهم في ذلك العصر وما بعده ولم يكونوا أشخاصاً لا يعبأ بهم بل أن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم قد حذر منهم وعلّم بهم بل سماهم لصاحب سره ومؤتمنه حذيفة بن اليمان (ت٣٦هـ/٦٥٦م)[٣] ، وهو يدل على أن أصحابه فيهم من هو أبعد عن نهجه بل يكيد له ولأصحابه الغوائل لذا فرق ابن الطيب (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) بين

---

(١) ذويب ، السنة بين الأصول والتاريخ ، ص١٨٦ .

(٢) للمزيد ينظر : الكعبي ، عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي ، قبول الأخبار ومعرفة الرجال ، تحق : أبي عمرو الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ ، باب في طعنهم بالجهل على جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين في الجزء الأول من الكتاب .

(٣) الجويني ، أمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، البرهان في أصول الفقه ، علق عليه وخرج أحاديثه : صلاح بن محمد بن عويضة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ) ، ج١ ، ص٢٤٠ .

الصحابة(١) في اطالة المكث أو الوفود عليه ، وهذا ما فصله الأصوليون في كتبهم لمفهوم الصحبة مع الاتفاق على عدالتهم جميعاً في الرأي الأول في حين أن الرأي الثاني يحدد مفهوم الصحبة أولاً ويبحث عن عدالتهم ثانياً ثم يكون مبناه في الجرح والتعديل بعد ذلك ، أن اعتبار الجميع بنصوص الآيات القرآنية التي تميز بين تاريخ عصر النبوة من أوله إلى آخره لا شك يختلف الصحابة في ترتيبهم التاريخي وفي مدى اقربيتهم الروحية للرسالة وبين من صحبه ساعة أو لقيه مرة أو يكفي اطلاق الاسم على الصحبة من حيث الوضع مع اختلاف العرف لمفهوم الصحبة ولو ساعة(٢) .

إن ما ذكره الشاطبي (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) في الأدلة عن العدالة المطلقة من الآيات والروايات ، لم يحدد العدد ولم يذكر الآيات والروايات الدالة على وجود ظاهرة النفاق وسهم المؤلفة قلوبهم وهي قضية مالية تؤخذ من الزكاة ، مع التفاوت والاختلاف في العلم والفضل وعدم وجود الإجماع على اثبات هذه العدالة لاختلاف المسلمين إلى عدة آراء في ذلك ولكنهم بلا شك يجمعهم عصر النبوة مما لا شك فيه ، ولكن بعد ذلك وقوع الفتن والانشطار وذم الآخر(٣) ، مع الاختلاف حول تعريف الصحابي حتى تثبت له خاصية العدالة(٤) ، ويبدو أن هناك بعض المناهج التوافقية أو إعطاء صورة التوافق

---

(١) للمزيد ينظر : ابن الطيب ، أبو الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي ، المعتمد في اصول الفقه ، قدم له : خليل الميس ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، بلا) ، ج٢ ، ص١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) للمزيد ينظر : الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفى من علم الأصول ، تحق : حمزة بن زهير حافظ ، (جدة : شركة المدينة المنورة ، بلا) ، ج٢ ، ص٢٥٧ - ٢٦١ .

(٣) للمزيد ينظر : الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، الموافقات في أصول الشريعة ، شرحه وخرج أحاديثه : عبد الله دراز ، وضع تراجمه : محمد عبد الله دراز ، خرج آياته وفهرس موضوعاته : عبد السلام عبد الشافي محمد ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ) ، ج٤ ، ص٥٤ - ٥٩ .

(٤) حنفي ، من النقل إلى العقل ، ج٢ ، ص٣٣٥ .

الظاهري أو اشعار الاتفاق الظاهري ولكن الواقع يخالفه وكل بناء في ضوء هذا التصور ليس له أسس علمية معرفية بل اصبحت المسألة في نظر بعض الباحثين أنها من أكثر المسائل التي اثارت الجدل بين المذاهب والفرق الإسلامية وبين العلماء الذين انشغلوا بنقد الرجال[1] ، والمسألة مفصلة عند الاصوليين من أهل التحقيق فقد ذكر فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) في كتابه (المحصول في علم الأصول) نقد الصحابة بعضهم البعض وقد نقل ذلك بالاجمال ثم التفصيل[2] ، أن النظر لمثل هذه الروايات الحديثية مع مراجعة كتب السيرة والتاريخ يتضح وجه الخصومة بين الطبقة الأولى والاختلاف الشديد ، ويخلص بعض الباحثين المعاصرين إلى أن تأسيس عدالة الصحابة كانت بالأساس عملاً دفاعياً لمواجهة المواقف الطاعنة في الصحابة[3] ، ووقف ائمة اهل البيت موقفا يحفظ ويصون مكانة هذه الطبقة ، فقد جاء عن الامام زين العابدين (ت٩٥هـ/٧١٣م) في دعائه للصحابة مميزا لها فقد ورد في هذا الدعاء عدة مضامين مهمة تحدد فكر الامامية حول هذه الطبقة نقلة الشريعة منها بعد قوله : ((اللهم وأصحاب محمد خاصة)) بقيد أحسنوا وأبلوا وأسرعوا وسابقوا واستجابوا وفارقوا وقاتلوا ثم الذين هجرتهم العشائر وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في ظل القرب والأقربية من الرسول ثم دعا إليهم بقوله : ((فلا تنس لهم الله ما تركوا لك وفيك ، وارضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك ، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى

---

(١) ذويب ، السنة ، ص١٨٦ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين ، علق عليه ووضع حواشيه : محمد عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠هـ) ، ج٢ ، ص١٣٨ - ١٥٢ .

(٣) ذويب ، السنة ، ص١٩٩ .

ضيقه ومن كثّرت في اعزاز دينك من مظلومهم))[١] ، وهنا الامام يعطى صفات تقيِّد معنى الصحبة ولا توسعه لأي أحد خارج عن هذه الصفات وربما يشير الامام إلى عدالة هؤلاء ولا يخضعون للجرح والتعديل لشهرتهم فيما أحسنوا وأبلوا بل أن منهج الاقربية إلى روح الرسالة حاصل عندهم وهم نقلة الشريعة وحاملوها .

كان أكثر الصحابة رواية أبا هريرة وهو أول من اتهم لكثرة هذه الروايات وكما نقده الصحابة انفسهم اذ أكثر من نقده المتقدمين والمعاصرين من امثال محمد رشيد رضا وأحمد أمين وعبد الحسين شرف الدين العاملي ومحمود أبو رية فقد نال منهم نقدا شديدا ودافع عنه بشدة كل من مصطفى السباعي وأبي زهو ومحمد أبو شهبة ومحمد عجاج الخطيب وغيرهم[٢] .

وفي ضوء تضييق مفهوم الصحبة ليصح اطلاقه للجيل الأول في صدر الرسالة الإسلامية لابد أن يشمل نوعية متميزة انفعلت بالواقع التغييري آنذاك وساهمت بشكل فعال كانت الأقرب لحمل فكر الرسالة بل هم النخبة المؤمنة حتى تستحق ثمار جهودها لذا وصفهم الله عز وجل بصفة الرحمة والالفة والمودة فقال : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾[٣] ، هذا النص مع نصوص أخرى يعطي صفة أو صفات الصحابة ومن أهمها الشدة على الكفار الرحمة بينهم وهم الأقرب إلى الرحمة والأبعد عن الشدة بينهم أين ذلك فيما جرى بينهم فقد تحقق الابتعاد عن هذه الصفات في

---

(١) الصحيفة السجادية ، تقديم : السيد محمد باقر الصدر ، ص٤٤ .

(٢) حمزة ، محمد ، الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م) ، ص٩٧ ؛ ومن الدراسات المعاصرة دراسة مصطفى بو هندي في كتابه (أكثر أبو هريرة دراسة تحليلية نقدية) عن دار الغدير ، قم ١٤٢٤هـ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

بعضهم فاقتضى التميز بين من تمسك بهذه الصفات ممن تخلى عنها ، والرحمة كما وصفها القرآن الكريم صفة ملازمة لأصحاب محمد صلّى الله عليه وآله وسلم إلاّ من خرج منها فلا تشمله بعد ذلك ، وعلى هذا لابد من تعيين المعنى المراد من الصحابة ذوي المنهج الاقربي المعنوي والفكري للرسالة وماتوا على ذلك قال محمد الحسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) : ((وصحابة النبي الكرام اسمى من أن تحلق إلى أوج مقامهم بغاث الأوهام))[١] ، ولكن صحابته تدرجوا من القلة إلى الكثرة مع قصر الزمن فهي لا تتجاوز عقدين مع القلة في بدايات الطريق ولا تتجاوز عقداً واحداً إلى الكثرة الكاثرة من الانصار ولا تتجاوز ثلاث سنوات أو اربع إلى الاعداد الهائلة بعد ذلك[٢] ، وفي ضوء هذه التطورات السريعة في حساب التاريخ يجعل أن الصحابة مفهوم يحتاج إلى تحديد فلا يمكن أن يتساوى الجميع مع ظهور حالات الكيد والكذب والاضطراب في المدينة المنورة من قبل المنافقين وتحذير النص القرآني منهم وتحذير السنة الشريفة من وضع الحديث ومحاولة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم رفع الاضطراب في المعارك التي خاضها المسلمون مع هذا الواقع كان لابد من تمييز هذه الاعداد ووضع الأمور في نصابها .

إن انتصار الإسلام وانتشاره كان بالاستعانة بجهود الصحابة وجهادهم ((بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة ، كانوا أفضل وأوسع بذرة لنشوء أمة رسالية ، حتى أن تاريخ الإنسان لم يشهد جيلاً عقائدياً أروع وأطهر وأنبل من الجيل الذي انشأه الرسول القائد))[٣] .

لابد في البحث العلمي المعرفي تجاوز العنوانات الفضفاضة ومفهوم

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ، (القاهرة : المطبعة العربية ، ١٣٧٧هـ) ، ص١١٣ .

(٢) الصدر ، محمد باقر الصدر ، بحث حول الولاية ، (بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٤٢٤هـ) ، ص٤٢ .

(٣) الصدر ، بحث حول الولاية ، ص٦٠ .

الصحابي[1] في ضوء الرأي الأول لابد من تحديده بمحددات حتى لا يدخل فيه من ليس من الجيل العقائدي النخبوي الذي يحمل القرب والأقربية للرسالة الإسلامية ، ذكر بعض الباحثين أن تصوير غير الواقع إساءة بل تضليل فإن الاختلاف وقع في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم واختلفوا فعلاً بعده في أمور خطيرة[2] .

وقد ذكر ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) في نقله عن عقيدة الامامية من أن القدح في إمامة الشيخين يأتي من غلاتهم ((فهو مردود عندنا وعندهم))[3] ، فرأي الامامية في الصحابة قد بني على التمييز وعدم اعتماد التطرف من الغلاة ومن يتبعهم فإن الصحابة الأوائل هم الطليعة التي كانت تعمل بروح القوة والإيمان بحيث لا تستطيع أي قوة داخلية أن تزحزحها عن مكانها أو تفسد دعوة الإسلام في جانبها الاجتماعي[4] ، وعلى هذا رأي كبار علماء الامامية مع اخراجهم من العدالة أعداء أهل البيت عليهم السلام[5] من النواصب وممن لم يلازم وينصر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد موته كما ذكر المازري (ت٥٣٦هـ)[6] فهو لم يعّم جميع الصحابة بل

---

(١) بنعضرا ، الفعل المستقيل ، ص١٧ .

(٢) للمزيد ينظر : العلواني ، طه جابر ، أدب الاختلاف في الإسلام ، (بيروت : الدار العربية للعلوم ، ١٤٢٦هـ) ، ص٣٣ - ٧٠ .

(٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، تحق : علي عبد الواحد وافي ، (القاهرة : نهضة مصر ، ٢٠٠٦م) ، ج٢ ، ص٥٧٣ .

(٤) صالح ، أحمد عباس ، اليمين واليسار في الإسلام ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣م) ، ص٥٥ .

(٥) شرف الدين العاملي ، عبد الحسين الموسوي ، الفصول المهمة في تأليف الأمة ، (صيدا : مطبعة العرفان ، ١٣٣٠هـ) ، ٢٢٢ .

(٦) وهو ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي كان بصيرا بعلم الحديث مات سنة ٥٣٦ه ، الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء ، تحق : شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ) ، ج ٢٠ ، ص١٠٤ .

فصل القول فيمن رآه اتفاقاً أو زاره لماماً أو جاءه لحاجة ثم انصرف منه إنما الكلام عن الصحابة المراد عدالتهم هم الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه ، وقد رد هذا الكلام الحافظ العلائي (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)[١] واعتبر هذا القول غريب يخرج كثيراً من المشهورين بالصحبة والرواية لعدم الحكم لهم بالعدالة أصلاً ، فالقول بالتعميم هو الذي عليه الجمهور وتبعه على هذا من جاء من بعده كالحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) والسخاوي والسيوطي والمناوي (ت١٠٣١هـ/١٦٢١م)[٢] وقد دافع الحافظ العلائي عن أبي هريرة وسماه حافظ الصحابة ورد على الحنفية الذين طعنوا فيه في كتبهم ومناظراتهم وذكر أن هذا الطعن يفضي إلى خلل عظيم في الإسلام فإن التهمة جاءته لكثرة ما روى فأنكر عليه جماعة من الصحابة[٣] ، بل يظهر للمتتبع كثرة الانكار في ما بين هذه الطبقة ، فقد ردت عدة روايات من الصحابة انفسهم ولم تقبل إلاّ بقرينة تشهد على صدقها وأنها فعلاً صدرت من الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ، أو يحلف الراوي ، وبهذه الطريقة النقدية التي تعارف عليها الصحابة لمعرفة حقيقة الحال فقد يروى الحديث من الصحابي فيقع الاشتباه أو الغفلة أو السهو أو الحضور المتأخر وسماع طرف الحديث من أوله فقط أو وسطه لعارض أو الحضور في آخره ، فينقل ما سمعه هكذا وهو يخالف من سمع الحديث بتمامه وهذا لا يطعن فيه فيعذر ، وعلى هذا فعملية النقد واقعة في المتون أكثر[٤] في عصرهم ، ولكن مع المناقشة في المتون فهناك تركيز على ثقافة التمييز

---

(١) الحافظ العلائي ، هو خليل بن كليدي صلاح الدين أبو سعيد الدمشقي ، اخذ الحديث عن المزي وغيره ، للمزيد ينظر : مقدمة كتاب تهذيب الكمال للمزي ، ج١ ، ص ٢٨ .

(٢) البدخشي ، عبد الباري بن عبد الحميد ، الحافظ العلائي وجهوده في الحديث وعلومه ، (الرياض : مكتبة دار المنهاج ، ١٤٢٨هـ) ، ص٤٦٠ .

(٣) البدخشي ، الحافظ العلائي وجهوده في الحديث وعلومه ، ص٣٦١ .

(٤) للمزيد ينظر : الطوسي ، العدة ، ص٩٦ - ١١٨ .

والفصل بين من يعرف كذبه ومن هو صادق في كلامه مع كل ذلك هناك جوانب احتاط بها الصحابة(١) ، بل هناك جملة من الأحاديث بمستويات معينة تبين الصادق ومنزلته واقربيته من الإيمان وأخرى تبين مضار الكذب والتدليس وبعده عن الإيمان والجنة(٢) .

إن حصول النقد ما بين هذه الطبقة يرفع الرأي الأول الذي يبين العدالة المطلقة لهم ويعطي الرأي الثاني أهمية علمية وواقعية ، ومراجعة لكتب الطبقات والمصنفات التي تهتم بترجمة الصحابة وهي كثيرة يتضح التفاوت الكبير في درجات هذه الطبقة مع النقد المتبادل وبمستويات مختلفة من الجرح والتعديل ، لقد وقف العلماء مواقف متعددة فعلى هذا الرأي أي التمييز بين الصحابة والبحث عن النقد الموضوعي لهم عليه الكثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين(٣) ، ذكر الكعبي (ت٣١٩هـ/٩٣١م) في كتابه (قبول الأخبار ومعرفة الرجال) عدة مستويات من النقد بين الصحابة انفسهم والتابعين أيضاً(٤) .

أسماء النقاد :ـ

عرف جيل الصحابة النقد من القرآن الكريم ومن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ، وكثر في هذه الطبقة نقد النص وليس نقد الناقل فقد حصل بينهم الاختلاف في تفسير بعض المفاهيم ومجالات تطبيق بعض النصوص كمسألة

---

(١) لقد ردت مجموعة من الأحاديث في عهد الصحابة إلاّ بشاهد عليها أو الحلف ، ينظر : الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص٨٢ .

(٢) للمزيد ينظر : ابن عدي ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحق : صبحي البدري ، ص١٧ - ٨٢ .

(٣) الدوخي ، يحيى بن الحسن ، عدالة الصحابة بين القداسة والواقع حوار تقريبي هادئ ، (قم : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ١٤٣٠هـ) ، ص١١٦ - ١٢١ .

(٤) للمزيد ينظر : ج١ ، ص١٧٢ - ٤١٠ .

الارث لرسول الله[١] صلى الله عليه وآله وسلم ، ونقد الاشعث بن قيس بقول : ((أنه لا يرى شيئاً من الشر إلاّ أعان عليه))[٢] ، وفي الحالتين كان الغالب التأكد من النص المنقول في رده أو قبوله ، وكان الاختلاف حول نص الحديث الذي يسمع وينقل من الصحابي ويراد العمل به[٣] ، وهذا الحديث أي حديث الإرث محل جدال بين الصحابة[٤] ، ويبدو أن الحديث في حالة رد وقبول بين المسلمين على مدى العصور الإسلامية ، بل الفت فيه المصنفات من المتقدمين والمتأخرين[٥] .

ومسألة ارث الجدة[٦] وكل ذلك حول المتن ومدى صحته والتحري عنه واعتباره شهادة لابد من اثنين يشهدون على سماعهم من الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ، ومع هذا تعد هذه العملية من قبيل التعديل والتجريح لأن المشهور عند بعض الصحابة قبول خبر الواحد[٧] ، أن ممارسة النقد عند الصحابة تعبر عن كثير من الحالات في مجال التطبيق والممارسة ، وقد اهتموا

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ) ، ج٢ ، ص٨٦ .

(٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص٩٤ .

(٣) الحكيم ، حسن عيسى ، فاطمة الزهراء عليها السلام شهاب النبوة الثاقب ، (قم : شريعة ، ١٤٣٠هـ) ، ص٢١٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ص٢١٦ .

(٥) للمزيد ينظر : الحكيم ، فاطمة الزهراء ، ص٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٦) النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، السنن الكبرى ، تحق : عبد الغفار البغدادي وسيد كسروي حسن ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ) ، ج٤ ، ص٧٤ ، الدايني ، تاريخ النقد ، ص٤٤ .

(٧) أبو الوليد الباجي ، الحافظ سليمان بن خلف بن سعد المالكي ، التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح ، تحق : أحمد لبزار ، بدون معلومات طبع ، ج١ ، ص٣٩ ، من مقدمة المحقق .

كثيرا بالقرآن ، وتخوفوا من جمع الأحاديث[١] ، وهذا يفهم منه التثبت والحيطة وعدم التساهل[٢] ، لذلك طلبوا الشهود وحلفوا الناقل للأحاديث في حالة الشك والاستنكار، وهي حالة طبيعية بينهم للتأكد من صدورها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم لا .

فقد وجه النقد لأبي موسى الاشعري في مسألة الاذن والاستئذان ولما أتى بأبي سعيد الخدري صدقه وقال له : ((أني لا اتهمك ولكن الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم شديد))[٣] ومثله حصل في رواية المغيرة بن شعبة وشهادة محمد بن مسلمة معه التي رواها مسلم (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) في صحيحه في باب دية الجنين[٤] ، وقد نقد الصحابة أبا هريرة بشدة على الحديث بل منع بالذات حتى صرح بأنه كان ((يخشى))[٥]منهم أو قوله : ((أني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشج رأسي))[٦] وحذره الخليفة عمر بن الخطاب (رض) من كثرة التحديث وإذا لم يمتنع سيلحقه بأرض دوس[٧] لأنه أكثر في الحديث فهدده بالنفي[٨] ، ومثل

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، تصح : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (مكة المعظمة : مكتبة الحرم المكي ، ١٣٧٤هـ) ، ج١ ، ص٥ .

(٢) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ج١ ، ص٣٨ ، من مقدمة المحقق .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٩ .

(٤) ص٧٢٣ .

(٥) الكعبي ، قبول الأخبار ، ج١ ، ص١٧٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٨٢ .

(٧) أرض دوس : روضة حجرة دوس ، دوس قبيلة من الأزد منها أبو هريرة ولهم موضع يقال له حجرة دوس ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ١٣٩٢هـ) ، ج٣ ، ص٨٨ .

(٨) ابن حجر ، الحافظ أحمد بن علي ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحق : عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ) ، ج١ ، ص٦٩ .

هذا التهديد والنقد قد تلقاه كعب بالنفي إلى أرض القردة[١] ، وذكر الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) أنه زجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث وهو مذهبه ومذهب غيره[٢] ، وقد خشي الصحابة التحديث في عصره لشدته وصرامته مع من يتحدث عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ولكن يبدو أن الشدة كانت مع أبي هريرة أكثر من غيره[٣] .

وقد نقل عن محمد رشيد رضا صاحب المنار قوله : لو طال عُمرُ عمر (رض) حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة التي منها ٤٤٩ في صحيح البخاري وحده[٤] كان يدعو إلى الاقلال من الرواية عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ويسمع كلامه الصحابة في مواضع متعددة وربما منع بعض الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وأبي ذر مغادرة المدينة المنورة وهدد غيرهم بالنفي[٥] .

وكل هذا ممارسة فعلية للنقد بينهم وكلها اشارات لتأسيس هذه الممارسة الفعلية والقولية بين مجتمع الصحابة وغيرهم للوصول إلى الحقائق فإذا كانت هذه سيرتهم فمن باب أولى وجودها في الاجيال بعدهم .

١ـ الامام علي بن أبي طالب (ت٤٠هـ/٦٦٠م) .

كان للتقسيم الرباعي للرواة أهمية بالغة جداً في معرفة أقسام النقلة ومدى

---

(١) الكعبي ، قبول الأخبار ، ج١ ، ص١٧٧ ، المتن والهامش واسناده صحيح ، لم أعثر عن أرض القردة .

(٢) سير اعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٦٠١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٠٣ .

(٤) أبو رية ، شيخ المضيرة أبو هريرة ، (مصر : دار المعارف ، بلا) ، ص١٢٦ .

(٥) للمزيد ينظر : البكري ، عبد الرحمن أحمد ، من حياة الخليفة عمر بن الخطاب ، (بيروت : الارشاد ، بلا) ، ص١٧٢ - ١٧٦ .

ارتبـاطهم وقـربهم مـن المعرفـة الحديثيـة فهـم ينقلـون مـا يعرفـون لـذلك شـدّد الصـحابة علـى هـؤلاء النقلـة والتمسـوا الموافقـة لغيرهـم واحتـاطوا في قبـول مروياتهم وتثبتوا في قبولها وذلك لخطورة البناء الفكري والعقائدي على شيء موهوم غير واقعي ليس له مصدر سوى الوهم لـذلك شـدد الامام علي على الراوي أكثر من غيره من الصحابة ، وقد مر هـذا التقسيم في بحث تـاريخ النقد الرجالي، ويمكن أن يقال أن نقده لأصناف النقلة يعد الأساس لتمييز الرواة من بعـده بعـد اعتمـاد الـراوي الصـادق الـواعي والمستوعب لظـروف الروايـة وملابسـاتها الزمانيـة والمكانيـة ، وعلـى هـذا التقـويم يمكـن بنـاء الفكـر النقـدي الرجالي، وهو تأصيل لفكرة النقد عند المحدثين ومنه أُخذ النقد لتمييز الـرواة ثـم تطور بعد أن ظهر الاسناد إلى التقسيمات الثنائية والثلاثية والرباعية في الفكر الحديثي ، وقد كان لشدة توقيه يستحلف من يحدثه بالحديث[1] ، فقد نقـل عنه إذا سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : ((نفعني الله به بما شاء أن ينفعني منه وإذا حدثني غيره استحلفته فإذا حلف لـي صـدقته))[2] ، وفيه عدة دلالات منها أن الحديث ظاهر أنه في عصر الرسالة فكيف يحلّف الامام من يحدثه ؟ ، ومنه يبدو الحذر من الكذابة أو نقل الحديث على غير وجهه الـذي قيل فيه ، وهـذه الحيطة تعبر عن أعلى درجات التقويم للنقلة وأنهـم لابـد أن يكونوا من الصادقين وإلاّ لماذا يحلفهم الامام ؟.

وأرجع أبو الوليد الباجي (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م) علم الجرح والتعديل إليه فقد نقل عنه خطبة في مسجد الكوفة قال فيها : ((انظروا عمن تأخذون هـذا العلـم فإنما هـو الـدين))[3] ثـم قـال ونسـب هـذا القـول إلى غـيره مـن أئمـة

---

(١) الدايني ، تاريخ النقد ، ص٤٥ .

(٢) ابن حنبل ، أحمد بن محمد ، مسند أحمد ، (بيروت : دار صادر ، بلا) ، ج١ ، ص١٠ .

(٣) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ج١ ، ص٤٠ ، من مقدمة المحقق .

الحديث وبألفاظ مختلفة في عدة مصنفات ، فقد نقل عن جملة منهم كابن عباس وابراهيم النخعي والحسن البصري وزيد بن أسلم وأبي هريرة والضحاك بن مزاحم وأنس بن سيرين ومالك ابن أنس واشتهر به محمد بن سيرين ثم تناقلوه غير هؤلاء ، ثم شرح أبو الوليد قوله : انظروا عمن تأخذونه ، فقال : أي ابحثوا هل الراوي عدل ضابط أو هو غير ذلك ، إنما هو الدين : قصر وتأكيد بليغ لا يتم إلاّ بالبحث في أحوال الرجال ولا مناص منه لتسلم السنة من الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم(١) ، وهذا الكلام الذي ذكره الامام رواه جملة من الأعلام(٢) ، ثم تتابع رواته بنفس العبارة حيناً وحيناً آخر بعبارة متفاوتة في التقديم والتأخير ولكن المعنى واحد وكان العبارة تعاد في كل عصر ولكن أقدم نص ورد بهذه الصيغة عن الامام علي بن أبي طالب وعليه يعد الامام واضع أسس النقد في التعامل مع النصوص الدينية بل أوجب المعرفة بناقل تلك النصوص ليسلم الدين من الكذابين والواضعين وهو عين علم الجرح والتعديل ، فلا مجاملة مع النقلة لهذا الدين فلابد من النظر والموضوعية في القبول أو الرد ، ومن هذا المنطلق الأساس تفرعت وتطورت عملية النقد كلما طال الاسناد ولا يقتصر على عصر دون آخر والنص قد صدر في عهد الصحابة في القرن الأول الهجري مع وجود أكابر الصحابة وأجلاهم ، وفيه دلالة واضحة أنه لا عيب ولا ملامة في التثبت والتحري لا بهدف الانتقاص من الصحابي بل بهدف الحيطة في الدين . والعمل بعد الفحص والتأمل والنظر في أحوال الرواة ونقدهم بعده .

---

(١) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ج١ ، ص٤١ ، من مقدمة المحقق .

(٢) ابن عدي ، الكامل ، ج١ ، ص١٤٩ ؛ الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٤٩ .

٢ـ الامام الحسن بن علي (ت٥٠هـ/٦٧٠م) .

تشير بعض المصادر إلى وجود ديوان فيه أسماء ممن يتبعونه من أصحابه الثقات ذكر ذلك في جملة من الروايات عنده وعند غيره[١] ، وربما أرجع بعضهم هذا الديوان إلى الامام علي وعده من كتبه في أسماء أصحابه وممن على نهجه وهو عمل مبكر في تصنيف مقامات الرجال إذ حرص العديد ممن عاصر الحسن ابن علي وغيره في النظر في هذا الديوان للتأكد من وجود أسمه فيه ، وقد مدح الحسن بن علي أصحابه من امثال قيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرياحي وعدي بن حاتم وغيرهم بقوله : ((ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء بالقول والمودة الصحيحة))[٢] ، وسئل الحسن من قبل عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رأي أبيه فأخرج له صحيفة فيها رأيه[٣] ، ويتضح منها البحث عن الآراء لوجود اختلاف واضح بين نقلة الروايات وهي عملية نقدية غير مباشرة تظهر من التصرفات الفعلية ممن يبحث عن الآراء المحمولة عند الصحابة ، وهذا النص يشير بكل وضوح إلى اختلاف بين الصحابة لذلك طلب ابن أبي ليلى بيان رأي الامام علي من

---

(١) للمزيد ينظر : الصفار ، محمد بن الحسن بن فروخ ، بصائر الدرجات الكبرى ، تحق : محسن كوجة باغي ، (طهران : مطبعة الأحمدي ، ١٤٠٤هـ) ، ص١٩١ ؛ ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب ، تحق : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٧٦هـ) ، ج٢ ، ص٢٨٥ ؛ الحلي ، حسن بن سليمان ، المحتضر ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٧٠هـ) ، ص١١٧ ؛ الميانجي ، علي بن حسين علي ، مكاتيب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ، (طهران : دار الحديث ، ١٤١٩هـ) ، ج٢ ، ص٢٤ .

(٢) أبو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد ، مقاتل الطالبيين ، تحق : أحمد صقر ، انتشارات سعيد بن جبير ، ١٤٢٥هـ ، ص٧٠ .

(٣) ابن حنبل ، العلل ومعرفة الرجال ، تحق : وصي الله بن محمود عباس ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ) ، ج١ ، ص٣٤٦ .

ابنه الحسن[١] ، ومن الاشارات المهمة التي ركزها الامام الحسن ثقافة تعلم العلم وروايته فقد نقل عنه قوله : ((تعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو قال يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته))[٢] ، والنص يشير إلى الحفظ والكتابة مراعاة إلى الدقة والتثبت في النقل مع بيان فضل العلم ، وهي رؤية نقدية لما يتميز به الحافظ والكاتب للعلم .

٣ـ الامام الحسين بن علي (ت٦١هـ/٦٨٠م) .

جاء عنه خطبة بالغة الأهمية في تركيز ثقافة النقد وإشاعة ذلك بين المسلمين ويبدو أن الخطبة كانت في موسع الحج وفي منى موضع تجمع ومبيت الحجاج إذ أمر أن يجتمع من جاء من الصحابة وأبنائهم والتابعين وأبنائهم فبيّن لهم مواطن الصدق ومواطن الكذب قائلاً : ((فاني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب))[٣] ، وقد عرض كلامه على الحاضرين ليحكموا عليه فقال : ((فإن صدقت فصدقوني ، وإن كذبت فكذبوني))[٤] ، وقد صدقه الصحابة والتابعون فارشدهم إلى نقل كلامه إلى الثقات ممن لم يكن حاضراً[٥]، وهذا النص يرشدها إلى ممارسة النقد بكل أشكاله وإشاعة ذلك للتمييز بين الصدق

---

(١) الشهرستاني ، علي ، منع تدوين الحديث قراءة في منهجة الفكر وأصول مدرستي الحديث عند المسلمين ، (قم : مؤسسة الرافد ، ١٤٣٠هـ) ، ص٤٧٥ .

(٢) الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي السمرقندي ، سنن الدارمي ، (دمشق : مطبعة الاعتدال ، بلا) ، ج١ ، ص١٣٠ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، (ديار بكر : المكتبة الإسلامية ، بلا) ، ج٨ ، ص٤٠٧ ؛ ابن عساكر ، علي ابن الحسين بن هبة الله الدمشقي ، تاريخ مدينة دمشق ، تحق : علي شيري ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٥هـ) ، ج١٣ ، ص٢٥٩ .

(٣) الطبرسي ، أحمد بن علي ، الاحتجاج ، تحق : محمد باقر الخرسان ، (النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٣٨٦هـ) ، ج٢ ، ص١٩ .

(٤) الطبرسي ، الاحتجاج ، ج٢ ، ص١٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٩ .

والكذب في نقل الرواية والتحديث بها ، وقد أعطى الحق لمن يسمع حديثه أن يحكم عليه بالصدق أو الكذب وهي ممارسة علمية ترشد إلى النقد الموضوعي الذي يعمق الأسس الفكرية باتخاذ منهج الاعتدال والابتعاد عن الأحكام المرتجلة غير المنصفة وقد تكون هذه أسس تقويم الرجال فيما يقولون ويعملون ، وقد وثق الحسين عدة رجال وجرح آخرين(١) ، بل أشار إلى قاعدة نقدية قد تعد اليوم من الفكر العلمي المعاصر بقوله : ((دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر))(٢) ، والقاعدة تعني النقد الموضوعي لنفسه أي العالِم ولغيره بروح التأمل في فنون الفكر والمنهج المتطور وحسب تجدد آليات البحث العلمي وخاصة في النقد ونقد النقد .

ومما يؤثر عنه أنه أحال في خطبة له على مجموعة من الصحابة ممن سمعوا حديث ((هذان سيدا شباب أهل الجنة)) فذكر جابر بن عبد الله الانصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك في حين طعن في أشخاص ونقدهم منهم حجار بن ابجر وقيس بن الاشعث ويزيد بن الحارث وغيرهم(٣) .

٤ـ عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ/٦٨٧م) .

من أوضح ما جاء في نقده الرجالي وذكرته الكثير من المصادر التاريخية والحديثية فقد جاء في مسند الامام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) وغيره من المصادر رواية تصف أن تسعة رهط سألوا ابن عباس قبل أن يفقد بصره ولأهميتها ننقل موضع النقد فيها : ((أتاه تسعة رهط فقالوا : يا ابن عباس

---

(١) للمزيد ينظر : الطبرسي ، الاحتجاج ، ج٢ ، ص٢٠ - ٢٤ .

(٢) ابن شعبة الحراني ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين ، تحف العقول عن آل الرسول ، قدم له وعلق عليه : حسين الأعلمي ، (قم : كيميا ، ١٤٢٤هـ) ، ص١٧٦ .

(٣) للمزيد ينظر : الطبري ، التاريخ ، ج٥ ، ص٤٢٥ .

أما أن تقوم معنا وأما أن تخلونا هؤلاء ، قال : فقال ابن عباس : بل أقوم معكم قال : وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى ، قال : فابتدؤوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا ، قال : فجاء ينفض ثوبه ويقول : اف وتف وقعوا في رجل له عشر ... الخ))[1] ، ومن هذا النص يظهر النقد الرجالي بالفعل والقول وهو اعلم مراحل الجرح مبيناً الخطأ الذي وقعوا فيه ذاكراً أنهم جرحوا رجلاً له خصال لا توجد لغيره ، ثم ذكر الخصال كلها وقد اهتم المؤرخون والمحدثون به[2] ، وذلك لأهميته النقدية الجريئة وذكر التفاصيل معلقاً بعد جرح السائلين له أنهم وقعوا في رجل والعبارة واضحة الدلالة باستعمال لفظ (وقعوا) وهي مطلقة لم تبين أنهم وقعوا عن عمد أو غفلة .

٥ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت٧٣هـ/٦٩٢م) .

نقد أبا هريرة (ت٥٨هـ/٦٧٧م) في تعليقه على رواية رواها فقيل له : ((إن أبا هريرة يقول : أو كلب زرع ، فقال : إن أبا هريرة له زرع))[3] ، وفيه

---

(١) ابن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص٣٣٠ ؛ الكوفي ، القاضي ، محمد بن سليمان ، مناقب أمير المؤمنين ، تحق : محمد باقر المحمودي ، مجمع احياء الثقافة الإسلامية ، ١٤١٢هـ ، ج٢ ، ص٥٠٥ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ص١١٢ ؛ النسائي ، خصائص أمير المؤمنين ، تحق : محمد هادي الأميني ، مكتبة نينوى الحديثة ، ص٦٢ ؛ القاضي النعمان ، النعمان ابن محمد التميمي المغربي ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار ، تحق : محمد الحسيني الجلالي ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، بلا) ، ج٢ ، ص٢٩٩ ؛ الحاكم النسيابوري ، المستدرك ، تحق : يوسف المرعشلي ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ) ، ج٣ ، ص١٣٢ ، وغيرها من المصادر التي يطول ذكرها .

(٢) الحكيم ، محمد تقي ، عبد الله بن عباس ، (قم : ستارة ، ١٤٢٣هـ) ، ج٢ ، ص١٣١ .

(٣) مسلم ، الصحيح ، ج٥ ، ص٣٦ ، والرواية عن عبد الله بن عمر : ((أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب إلاّ كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية ، فقيل لابن عمر : أن أبا هريرة يقول أو كلب زرع ، فقال ابن عمر : أن لأبي هريرة زرعاً)) ، ورواه الترمذي في سننه ، ج٣ ، ص٢٣ وقال : ((هذا حديث حسن صحيح)) .

إشارة واضحة للنقد حول هذه الزيادة ، وإن حاول البعض تأويلها أو اثبات الزيادة فتخرج عن عملية النقد[١] ، ولكن الزيادة من ابن عمر تبدو نقدية[٢] ، ونقده بعبارة أخرى أكثر صراحة فقال : ((أكثر أبو هريرة علينا))[٣] لما كثرت رواياته[٤] .

٦ـ الامام زين العابدين علي بن الحسين (ت٩٥هـ/٧١٣م) .

نقل له قول نافع بن جبير[٥] في معاوية حيث قال : ((كان يسكته الحلم وينطقه العلم فقال : كذب بل كان يسكته الحصر وينطقه البطر))[٦] ، وجاء في حديث طويل ذكره الكشي في كتابه نصيحة زين العابدين لأحد أصحابه وهو القاسم بن عوف الشيباني[٧] وقد حذره من الكذب في الحديث فقال : ((واعلم أنه من يحدث عنا بحديث سألناه يوماً فإن حدث صدقاً كتبه الله صديقاً وإن حدث وكذب كتبه الله كذاباً))[٨] ، وهنا

---

(١) ابن حجر ، ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (بيروت : دار المعرفة ، بلا) ، ج٥ ، ص٤ .

(٢) للمزيد ينظر : أبو رية ، محمود ، شيخ المضيرة أبو هريرة ، ص١٤٢ ؛ شرف الدين ، الموسوي ، أبو هريرة ، (قم : بهمن ، بلا) ، ص١٩١ .

(٣) البخاري ، الصحيح ، ج٢ ، ص٨٩ .

(٤) للمزيد ينظر : بوهندي ، أكثر أبو هريرة دراسة تحليلية نقدية .

(٥) هو نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي كنيته أبو محمد ، وقيل : أبو عبد الله القرشي النوفلي المدني ، توفى عام ٩٩هـ ، وهو تابعي ثقة مشهور ، المزي ، تهذيب الكمال ، ج٢٩ ، ص٢٧٢ .

(٦) الحلواني ، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر ، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، تحق : مدرسة الامام المهدي عليه السلام ، (قم : مهر ، ١٤٠٨هـ) ، ص٩١ ؛ الاربلي ، علي ابن عيسى بن أبي الفتح ، كشف الغمة في معرفة الأئمة ، (بيروت : دار الأضواء ، ١٤٠٥هـ) ، ج٢ ، ص٣١٨ .

(٧) القاسم بن عوف الشيباني كوفي روى عن علي بن الحسين وزيد بن أرقم وروى عنه قتادة وأيوب وغيرهما ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٧ ، ص١١٤ .

(٨) الطوسي ، الاختيار ، ج١ ، ص٣٣٩ .

النص يشير إلى مراقبته لحملة الحديث لورود لفظ (سألناه) وهو أعلى مراحل النقد والمتابعة للفصل والتمييز بين حملة هذه الأحاديث ومحاولة التفريق بين الكذابة منهم وهي إشارة لوجوده بين المحدثين آنذاك ففي ورود سألناه اهتمام الامام بالحديث وذلك لأثره في الواقع الاجتماعي والتغيرات الحادثة الفكرية والسياسية وذلك لمنزلة المحدث في الوسط الاجتماعي .

كان الامام زين العابدين يثني على سعيد بن جبير[١] ، ونقد عروة بن الزبير في حديث رواه عن فضل زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بأنها أفضل بناته فقال له علي بن الحسين : ((ما حديث بلغني عنك تحدث به تنتقص فيه حق فاطمة - وقال مرة - تنتقص فاطمة)) فأجابه عروة : ((والله أني لا أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب واني انتقص فاطمة حقاً لها ، وأما بعد ذلك فلك أن لا أحدث به أبداً))[٢] ، وقد تكلم في سنده[٣] ودلالته واضحة في النقد للراوي والرواية .

القرن الثاني الهجري :-

يعد هذا القرن بداية لظهور طبقة التابعين واصحاب الائمة الذين ينقلون عن الطبقة الاولى وفيه تبدأ سلسلة الاسناد مع كثرة الطلب للحديث بين حفظه وبدايات التدوين الرسمي له، ومن اهم علماء النقد فيه هم :

---

(١) الطوسي ، الاختيار ، ج١ ، ص٣٣٥ .

(٢) الحاكم النيسابوري ، فضائل فاطمة الزهراء ، تحق : علي رضا عبد الله بن علي رضا ، (القاهرة : دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٢٩هـ) ، ص٣٤ .

(٣) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص٣٣ - ٣٤ .

١ـ عامر بن شرحبيل الشعبي (ت١٠٣هـ/٧٢١م) .

نقد قتادة وعبر عنه حاطب ليل عندما ذكروه له[١] ، ونقد الحارث ووصفه بالكذب وقال : ((حدثني الحارث الأعور واشهد أنه أحد الكذابين))[٢] ، ويبدو أن نقده للحارث للاختلاف بينهما مع أنه يذكر في النص المتقدم مفهوم ((حدثني)) . وقد نقده العديد من العلماء[٣] ، ذكره ابن داود في القسم الأول من رجاله[٤] فهو من النقاد لرواة الحديث في القرن الثاني الهجري بُني على نقده الكثير من علماء الجرح والتعديل رغم وجود المؤثرات العقائدية والسياسية في بعض تقويماته .

٢ـ محمد بن سيرين الانصاري (ت١١٠هـ/٧٢٨م) .

سئل عن عكرمة فجرحه بقوله كذاب[٥] ، ومن آليات نقده لرواة الأحاديث أنه كان يقول : ((أن الرجل ليحدثني بالحديث وما اتهمه ولكن اتهم من حدثه ، وأن الرجل ليحدثني بالحديث عن الرجل فما اتهم الرجل ولكن اتهم من حدثني))[٦] ، وذكر لابن سيرين أحد الأحاديث عنه ، فحمّله أن يقول لمن نقله : ((اتق الله ولا تكذب علي))[٧] .

---

(١) ابن عدي ، الكامل ، ج١ ، ص٥٥ .

(٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٤ ، ص١٥٤ .

(٣) للمزيد ينظر : الخوئي ، أبو القاسم الموسوي ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، (النجف الاشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٧٠م) ، ج١٠ ، ص٢١٠ ؛ وكذا : البيان في تفسير القرآن ، (الكويت : منشورات دار التوحيد للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م) ، ص٥٠٢ .

(٤) ابن داود ، تقي الدين الحسن بن علي الحلي ، كتاب الرجال مطبوع مع كتاب الرجال للبرقي ، (طهران : منشورات جامعة طهران ، بلا) ، ص١٩٣ .

(٥) ابن عدي ، الكامل ، ج١ ، ص٥٣ .

(٦) العقيلي ، الضعفاء ، ج١ ، ص٢٤ .

(٧) المصدر نفسه .

ومع وجود الجرح وجد المدح والتوثيق عند هؤلاء بمتابعة السند ومقارنته مع كشف العلة القادحة فيه بسقوط أحد السلسلة فيه كما في لا تكذب علي فقد نقله عن رجل عن ابن سيرين فاسقط الرجل وحدث مباشرة عن ابن سيرين وهو كثير في الأحاديث عند الصحابة والتابعين وغيرهم .

٣ـ الامام الباقر محمد بن علي بن الحسين (ت١١٤هـ/٧٣٢م) :

أشار في حديث له لأحد أصحابه : ((يا جابر لحديث واحد تأخذه عن صادق خير لك من الدنيا وما فيها))[١] ، وهذا النص يؤكد على البحث عن الراوي الصادق في الحديث والابتعاد بالمفهوم عن الكاذب في الحديث وأن عز وجوده بذكر ذيل الرواية ((خير لك)) .

ومن الاشارات الواضحة في بيان الثقات قوله : ((أنه ليزيدني في الحج رغبة لقاء عمرو بن دينار فإنه يحبنا))[٢] ، وهذا يشير إلى توثيق عمرو بن دينار[٣] بدلالة هذا النص .

٤ـ الامام جعفر بن محمد الصادق (ت١٤٨هـ/٧٦٥م) .

كان من أعاظم المحدثين إذ اجتمع لديه الآلاف من طلبة الحديث من مختلف

---

(١) المفيد ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ، الآمالي ، تحق : الحسين استاد ولي ، (قم : جماعة المدرسين ، ١٤٠٣هـ) ، ص٤٢ .

(٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٣٠٣ .

(٣) عُدَّ من أصحاب الباقر كما ذكره الشيخ الطوسي وعبر عنه بالمكي تمييزاً له عن الكوفي بنفس الاسم وكلام الشيخ بأنه أحد أئمة التابعين وكان فاضلاً عالماً ثقة كل هذا ذكره الخوئي في معجمه ولكنه علق عليه بأن الرجل ليس من المعروفين لا عند الخاصة ولا العامة وهو غير صحيح بعد توثيق الشيخ الطوسي وترجمة المزي في تهذيب الكمال إذ له ترجمة في ج٢٢ استغرقت من الصفحة الخامسة إلى الثالثة عشرة من هذا الجزء ، ينظر : الخوئي ، معجم الرجال ، ج١٤ ، ص١٠٦ ، وكذا : المزي : تهذيب الكمال ، ج٢٢ ، ص٥ - ص١٣ .

الأمصار الإسلامية واعتمد التخصص في تصنيف بعضهم وعدل وجرح العديد منهم ، بل أشار إلى معنى جميل نحن اليوم بحاجة ماسة إليه هو الاعتصام بالمجمع عليه أو النظر الكلي دون الجزئيات المبرزة للهويات الجزئية وترك الهوية الكلية التي تجمع ولا تفرق ، فقد قال لجميل بن دراج : ((يا جميل لا تحدَث أصحابنا بما لم يجمعوا عليه فيكذبوك))[1] ، وهو إشارة واضحة بأن ثقافة المجمع عليه لا ريب فيه أو البحث عن المشتركات بين المسلمين لفرض جمعهم والحيلولة دون تفرقهم فالكلام في الجزئيات مدعاة للتكذيب .

ونقد أبا الخطاب الاسدي وكان من الغلاة بقوله : ((اللهم العن أبا الخطاب))[2] وفي موضع آخر قال : ((كان أبو الخطاب أحمق فكنت أحدثه فكان لا يحفظ وكان يزيد من عنده))[3] .

وذُكر مرة هو وأصحابه من الغلاة عند الامام الصادق فنهى عن الاتصال بهم وحذر منهم[4] ووثق العديد من أصحابه من أمثال ابان بن تغلب فقد سأله بعضهم المزيد من أحاديثه فأشار له بفضل ابان بن تغلب في الحديث وشجعه على الأخذ منه بقوله : ((فإنه قد سمع مني حديثاً كثيراً ، فما روى لك عني فأرو عني))[5] ، وقد جمع أحد المعاصرين رواة وأصحاب الامام الصادق فبلغوا (٣٧٥٩) راو وربما استدرك عليه بعضهم[6] ومن المتقدمين

---

(١) الطوسي ، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ، تحق وتصح : محمد تقي فاضل وأبو الفضل الموسويان ، (طهران : مؤسسة النشر ، ١٤٢٤ه) ، ص٣٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٦٣ .

(٤) للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٣٦٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٩٦ .

(٦) للمزيد ينظر : الشبستري ، الفائق في رواة وأصحاب الامام الصادق ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٨هـ) ، في أجزاءه الثلاثة .

جمع أحمد بن سعيد بن عقدة أسماء الرواة عنه وهو كتاب من روى عن جعفر بن محمد الصادق[١] .

٥ـ شعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ/٧٧٦م) .

يعد أمير المؤمنين في الحديث كما عبر عنه ونسب إليه أنه أول من فتش بالعراق عن الرجال[٢] وذكره العجلي (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) في تاريخ الثقات وقال : ((وكان يخطئ في بعض الأسماء))[٣] لا يضره ولا يعاب عليه[٤] كما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه ، وثق جابر بن يزيد الجعفي مع تضعيفه من اغلب النقاد ، لذلك قالوا شذ أي في توثيقه[٥] ، ويبدو أن له توثيقات انفرادية في ممارسته النقدية وجرح ابان بن أبي عياش وتركه[٦] ، وكان شعبة ينهى عن الكتابة في الحديث عن الفقراء[٧] وربما هي إشارة إلى الوضع في الحديث اذ من عوامل ذلك العامل الاقتصادي آنذاك .

---

(١) النجاشي ، الرجال ، ص٩٤ ؛ الطوسي ، الفهرست ، تحق : جواد القيومي ، (قم : باقري ، ١٤٢٢هـ) ، ص٧٤ .

(٢) ابن حجر ، تقريب التهذيب ، تحق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ) ، ج١ ، ص٤١٨ .

(٣) العجلي ، أحمد بن عبد الله بن صالح ، تاريخ الثقات ، ترتيب : الحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي وتضمينات الحافظ ابن حجر العسقلاني ، علق عليه : عبد المعطي قلعجي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ) ، ص٢٢٠ .

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد مدينة السلام ، تحق : صدقي جميل العطار ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٢٤هـ) ، ج٧ ، ص٣٠٩ .

(٥) الذهبي ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة وحاشيته لسبط ابن العجمي الحلبي ، علق عليه : محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب ، (جدة : دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤١٣هـ) ، ج١ ، ص ١٢٦ .

(٦) أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله بن أحمد ، مسند الامام أبي حنيفة ، تحق : نظر محمد الفاريابي ، (الرياض : مكتبة الكوثر ، ١٤١٥هـ) ، ص٥٩ .

(٧) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٨٦ .

ونقـل عنـه قولـه : ((اكتبـوا عـن زيـاد بـن مخـراق فإنـه رجـل موسـر لا يكذب))[١] ، وكان يقول : ((التدليس[✿] اخو الكذب))[٢] ومن أساليبه النقدية قوله : ((تعالوا نغتاب في الله))[٣] ، وهو من النقاد الذين اعتمد قولهم[٤] في الغالب .

٦ـ سفيان بن سعيد الثوري (ت١٦١هـ/٧٧٧م) .

وهو معاصر لشعبة ولقب بأمير المؤمنين في الحديث ومعرفة الرجال ونقدهم ايضا ، قال الثوري له : ((لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلمن فيك))[٥] ، وثق جابرا الجعفي وذكره بخير وقال : ((وكان جابر ورعاً في الحديث ، ما رأيت أورع في الحديث منه))[٦] ، وعند المقارنة بينه وبين شعبة ذكر بعض المعاصرين أنه احفظ من شعبة[٧] وهناك ترجيحان أحدهما على الآخر مبنية على آراء المعاصرين وغيرهم في تقديم أحدهما على الآخر قد تكون لمؤثرات عدة لها مدخلية في الترجيح فمثلاً قالوا : سفيان الثوري افقه من سفيان بن عيينة[٨] وكان يدلس عن الضعفاء ولكن هذا لا يؤثر على امامته في النقد ولا

---

(١) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٨٦ .

(✿) وهو لغة : من الدلسة أي الظلمة ، واصطلاحا : ان يعاصر الراوي شخصا روى عنه بتوسط فاوهم عدمها ، او لم يرو عنه ، فلبسَ ويقرب منه ابهام الكيفية ، فان جزم فكاذب وهو معنى اخو الكذب ، الجعبري ، رسوم التحديث ، ص ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٩٣ .

(٣) العقيلي ، الضعفاء ، ج١ ، ص١٥ .

(٤) للمزيد ينظر : ابن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل ، في اغلب أجزاء الكتاب .

(٥) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٤ ، ص٤٦٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٤٦٧ .

(٧) الألباني ، معجم أسامي الرواة ، ج٢ ، ص١٦٦ .

(٨) العجلي ، تاريخ الثقات ، ص١٩٣ .

عبرة عند الذهبي (ت٧٤٨هـ) لمن قال : ((يدلس ويكتب عن الكذابين))[١] ، ومع نقد الأسانيد هناك تضعيف للمتون عند سماعها وهي منهجية اعتمدت عند هؤلاء النقاد .

٧ـ الامام مالك بن أنس الاصبحي (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) .

هو أحد الأئمة الأربعة وأقطاب مدرسة الحديث في المدينة المنورة وقد عده الشيخ الطوسي من أصحاب الامام الصادق عليه السلام لروايته عنه وكان يحدث بذلك ويصف مجالسته مع الامام وكثرة أحاديثه وفوائده[٢] ، نقل عن شعبة بن الحجاج قوله : ((كان مالك أحد المميزين ولقد سمعته يقول : ليس كل الناس يكتب عنهم وإن كان لهم فضل في أنفسهم إنما هي أخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلم فلا تؤخذ إلاّ من أهلها))[٣] ، ورد عمن سأله لم تركت فلاناً وكتبت عن فلان فقال له : ((لا تكتب في ورقك إلاّ من تحتج به ولا يحتج به عليك))[٤] ، وانكر الامام مالك أحاديث أهل العراق[٥] .

٨ـ الامام موسى بن جعفر الكاظم (ت١٨٣هـ/٧٩٩م) .

عدّل ووثق وجرح العديد من أصحابه ، فقد قال لصفوان بن مهران الجمال : كل شيء منك حسن جميل[٦] ، وكان من أصحابه الثقات علي بن يقطين فقد اعتمد عليه في مواضع عدة ودعا له في عرفة (الموقف) فعن داود

---

(١) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص١٦٩ .

(٢) الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٥ ، ص١٦٦ .

(٣) السيوطي ، اسعاف المبطأ برجال الموطأ مطبوع مع كتاب الموطأ للامام مالك بن أنس ، تحق : نواف الجراح ، (بيروت : دار صادر ، ١٤٢٥هـ) ، ص٤٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٤٥٤ .

(٦) الطوسي ، الاختيار ، ص٤٩٨ .

الرقي قال : ((دخلت على أبي الحسن عليه السلام يوم النحر فقال مبتدياً (كذا) : ما عرض في قلبي أحد وأنا على الموقف إلاّ علي بن يقطين فإنه ما زال معي وما فارقني حتى أفضت))[١] ، وقد تبرأ الامام من الغلاة والزنادقة وكذبهم صراحة[٢] ، ووقف جماعة عليه سموا بالواقفة مثل زياد بن مروان النقدي وعلي بن أبي حمزة البطائني وغيرهما ، وسئل عنهم الامام الرضا فقال : ((يعيشون حيارى ويموتون زنادقة))[٣] .

وقال لهارون الرشيد (١٧٠هـ/٧٨٦م - ١٩٣هـ/٨٠٨م) لما رفعت إليه أكاذيب من ينتسب له : ((نحن أهل بيت منينا بالتقوّل علينا))[٤] .

٩ـ يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ/٨١٣م) .

من غريب نقده أنه سئل عن جعفر بن محمد الصادق فقال : ((في نفسي منه شيء قلت : فمجالد ؟ قال : مجالد أحب إليّ منه))[٥] ، وقد علق الذهبي على هذه الجملة معترضاً بقوله : ((قلت : هذه من زلقات يحيى القطان بل أجمع أئمة هذا الشأن على أن جعفراً أوثق من مجالد ولم يلتفتوا إلى قول يحيى))[٦] ، يعد يحيى ابن سعيد القطان أمام الجرح والتعديل فمن جرحه لا يكاد يندمل جرحه كما هي عبارة السخاوي في كتابه (الاعلان بالتوبيخ) ، ومن وثقه فهو المقبول ومن اختلف فيه اجتهد في أمره[٧] ، وتضعيف جعفر بن

---

(١) الطوسي ، الاختيار ، ص٤٩٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٣٢ - ٥٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥١٨ .

(٤) ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص٢٩٦ .

(٥) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٥ ، ص٧٦ .

(٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٦ ، ص٢٥٦ .

(٧) ص٤٣٩ .

محمد الصادق بقوله : في نفسي منه شيء هو بعينه ذكره عن مجالد بن سعيد الذي فضّله على الامام الصادق(١) .

فقد ضعّفه مرة فقال عنه : في نفسي منه شيء ، وورد تضعيفه من العديد من أئمة الجرح والتعديل(٢) .

١٠ـ عبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ/٨١٣م) .

هو من أئمة الجرح والتعديل وصفه السخاوي بالحافظ الحجة وهو مع يحيى ابن سعيد القطان من جرحاه لا يكاد يندمل جرحه ومن وثقاه فهو المقبول ومن اختلفا فيه وذلك قليل أُجتهد في أمره(٣) ، وسئل : كيف تعرف الكذاب ، أجاب : كما يعرف الطبيب المجنون(٤) ، ونقده على الرجال في اغلب كتب الجرح والتعديل مبثوث في مطاويها يعتمد قوله ويبنى عليه صحة الأسانيد والمتون .

ومن اهم مميزات تطور الحركة النقدية التشدد في البحث عن الراوي والرواية في هذا القرن لتنامي ظاهرة الوضع واتساع حركات الزنادقة والغلاة مع كثرة طلب الحديث والرحلة لاجله ، لذلك فتش النقاد عن هؤلاء الرواة وظهرت المصنفات الاولى المبكرة لتمييز الرواة بالجرح والتعديل .

---

(١) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٢٧ ، ص٢٢١ .

(٢) المزي ، التهذيب ، ج٢٧ ، ص٢٢٠ - ص٢٢٣ .

(٣) الاعلان بالتوبيخ ، ص٣٤٠ .

(٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٩ ، ص١٩٧ .

القرن الثالث الهجري

وفيه جمعت الاحاديث وصنفت المصنفات وظهرت الصحاح والمسانيد واهتم النقاد بسلسلة الاسناد ، وكان اهم النقاد فيه هم :

١ـ الامام علي بن موسى الرضا (ت٢٠٣هـ/٨١٨م) .

سأله عبد العزيز بن المهتدي ممن آخذ معالم ديني فأشار إلى يونس بن عبد الرحمن صاحب كتاب يوم وليلة ووردت فيه أحاديث مدح وتوثيق وكذلك تضعيف[١] ، فقد وردت روايات تذم وأخرى تمدح وقد رجح ابو القاسم الخوئي المادحة لتسالم الفقهاء والأعاظم على جلالة يونس وعلو مقامه حتى أنه عد من أصحاب الإجماع بعد مناقشة لجميع الروايات الواردة في جرحه وتعديله[٢] ، وأشار لأصحابه بمنزلة الرواة الثقات الذين يعتمد عليهم كصفوان بن يحيى واحمد بن أبي نصر البزنطي والحسن بن محبوب وغيرهم[٣] ، ونقل عن علي بن المسيب أنه سأله ممن آخذ معالم ديني فقال : من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا[٤] .

٢ـ الامام محمد بن علي الجواد (ت٢١٩هـ/٨٣٤م) .

قال لعلي بن مهزيار في كتاب بعثه إليه : ((سرك الله بالجنة ورضي عنك برضائي عنك)) وله كتب متبادلة بينه وبين ابن مهزيار[٥] فإنه قد اختص به

---

(١) للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٥٣٨ ، ص

(٢) للمزيد ينظر : الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج٢١ ، ص٢٠٩ - ص٢٣٤ .

(٣) للمزيد ينظر : السبحاني ، دور الشيعة في الحديث والرجال نشأة وتطورا ، (قم : مؤسسة الامام الصادق ، ١٤٣١ه) ، ص١٤٨ .

(٤) الطوسي ، الاختيار ، ص٦٣٣ .

(٥) للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٥٩٣ ، وما بعدها .

وتوكل عنه في الأهواز[١] ، واختص به الكثير ممن تتلمذ له أو سمع منه أو كاتبه إذ برغم حياته القصيرة بث الحديث واعتمد على شخصيات بارزة[٢] فقد ذكر الطوسي من رجاله أكثر من مائة راو[٣] وقد حارب وضع الحديث والغلاة من الشيعة ولعنهم على رؤوس الاشهاد وله موقف من الفرق المنحرفة[٤] .

٣ـ الحسن بن علي بن فضال (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) .

كان ثقة في الحديث وفي رواياته[٥] له كتاب الرجال[٦] سأله محمد بن مسود عن إسماعيل بن حقية قال : صالح وهو قليل الرواية ، وعن خالد بن جرير الذي يروي عن الحسن بن محبوب فقال : كان من بجيلة وكان صالحاً ، وعن وهب بن جميع فقال : ما سمعت فيه إلاّ خيراً وعن علي بن خليد ، قال : يعرف بأبي الحسن المكفوف وهو بغدادي قال : ليس به بأس وعن زياد بن أبي رجاء ، فقال : ثقة[٧] ، ونقل النجاشي توثيقه لداود بن فرقد ، قال ابن فضال : داود ثقة ثقة[٨] .

---

(١) النجاشي ، الرجال ، ص٢٥٣ .

(٢) السبحاني ، دور الشيعة ، ١٥٩ .

(٣) الطوسي ، رجال الطوسي ، تحق : جواد القيومي الاصفهاني ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٢٨هـ) ، ص٣٧٤ وما بعدها .

(٤) جعفريان ، الحياة الفكرية ، ص١٢٢ .

(٥) الطوسي ، الفهرست ، ص٩٨ .

(٦) النجاشي ، الرجال ، ص٣٦ .

(٧) الطوسي ، الاختيار ، ص٤١٢ وما بعدها .

(٨) النجاشي ، الرجال ، ص١٥٨ .

٤ـ يحيى بن معين (ت٢٣٢هـ/٨٤٦م) .

والأدلة الناطقة على علمه وتمرسه في علوم النقد الحديثي أشهر من أن تذكر[١] وهو من أئمة الجرح والتعديل وممن جرحه يعقوب بن حميد بن كاسب فقال : ليس بثقة ، وكتب عن محمد بن سلام[٢] وعن سعيد بن أبي عروبة وهو ثقة ولكنه اختلط وطالت مدته واختلف في بدايتها فقال يحيى بن معين : خلط بعد هزيمة إبراهيم بن عبد الله[٣] سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م ، ومن سمع منه بعد ذلك ليس بشيء[٤] ، وقال الحارث بن شبل : بصري ليس بشيء[٥] ، وقال عن بكر ابن الأسود أبو عبيدة الناجي : كذاب[٦] ، وعن إسماعيل بن زكريا : ضعيف[٧] وضعف الكثير وبألفاظ الجرح المتعددة[٨] وإن اختلفت أقواله أو ربما تضاربت فمثلاً جاء عن إسماعيل بن زكريا كما ذكرنا بأنه ضعيف وقال عنه مرة أنه ثقة وأخرى لا بأس به[٩] .

---

(١) الدايني ، تاريخ النقد ، ص٦٨ .

(٢) الكعبي ، قبول الأخبار ، ج٢ ، ص١٤٧ .

(٣) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن قام بثورة ضد أبي جعفر المنصور في البصرة ثم تحرك نحو الكوفة سنة ١٤٥هـ وهو خلاف ما نقله العراقي (ت٨٠٦هـ) عن ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) وإن رد عليه ، الطبري ، التاريخ ، ج٧ ، ص٦٢٢ .

(٤) العراقي ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين ، فتح المغيث بشرح الفية الحديث ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٩هـ) ، ص٣٤٢ .

(٥) العقيلي ، الضعفاء ، ج١ ، ص٢٣٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٦٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٩٢ .

(٨) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٩٢.

(٩) المظفر ، محمد حسن ، الافصاح عن أحوال رواة الصحاح ، تحق : مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ، (قم : ستارة ، ١٤٢٦هـ) ، ج١ ، ص١٢٠ .

٥ـ علي بن المديني (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م) .

كان أحد أئمة الحديث في عصره وعالما في معرفة الحديث والعلل ، ولمنزلته الكبيرة قال عنه البخاري : ((ما استصغرت نفسي عند أحد إلاَ عند علي بن المديني[١] ، وقال عن ابن إسحاق صاحب السيرة (ت١٥٠هـ/٧٦٧م) أنه مدار حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم على ستة ثم صار علم الستة عند اثني عشر احدهم ابن إسحاق ، وقال يعقوب بن شيبة سألت ابن المديني عن حديث محمد ابن إسحاق قال صحيح عندي قال فكلام مالك فيه ، قال : لم يجالسه ولم يعرفه[٢] ، وكان ابن المديني يسمع المغازي من أحمد بن أيوب[٣] ، وذكره ابن أبي حاتم الرازي في الطبقة الثالثة وقال : كان أحمد لا يسميه بل يكنيه تبجيلاً له[٤] ، لم يرو عنه في تقوية أبيه[٥] .

٦ـ الامام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) .

أمام المذهب الحنبلي تعلم منه استاذه الامام الشافعي الأحاديث فإذا قوي اسناده عند أحمد جعله الشافعي أصلاً وبني عليه ، لان ابن حنبل كان بارع الفهم في معرفة الحديث ومعرفة الصحيح من السقيم[٦] ، ولمعرفته الدقيقة قال :

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص٣٤٥ .

(٢) ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله بن يحيى ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، (بيروت : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ) ، ج١ ، ص١٨ .

(٣) ابن معين ، أبو زكريا يحيى ، تاريخ ابن معين برواية عثمان بن سعيد الدارمي ، تحق : أحمد محمد نور سيف ، (دمشق : دار المأمون للتراث ، بلا) ، ص٤٩ .

(٤) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٣١٩ .

(٥) الخطيب البغدادي ، شرف أصحاب الحديث ، تحق : محمد سعيد خطيب اوغلي ، (انقرة : كلية الالهيات ، ١٩٧١م) ، ص٤١ .

(٦) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٣٠٢ ، وفي الطبعة التي اعتمدناها ، ج١ ، ص٢٥٢ .

لم نصب لهشيم عن الزهري إلاّ أربعة أحاديث[١] سأله محمد بن علي الجوزجاني عن حسن بن صالح فقال : ثقة وأخوه علي ثقة[٢] ، وسئل عن محمد بن راشد الذي يحدث عن مكحول فقال : ثقة[٣] وذكر هشيماً فقال : كان يدلس تدليساً وحشاً وربما جاء بالحرف الذي لم يسمعه فيذكره في حديث آخر اذا انقطع الكلام يوصله[٤] سئل عن اسامة بن زيد الليثي فقال : هو دونه وحرك يده وعن محمد ابن هلال المديني ، قال : ليس به بأس ، قيل : أبوه قال : لا أعرفه ، وعن عباس الجريري فقال : ثقة ثقة[٥] ، وغيرها من التقويمات النقدية لرواة الأحاديث بل الأسانيد بمجموعها ومعرفة عللها من الاتصال أو الانقطاع أو عدم الرواية أو عدم اللقاء وغيرها من العلل التي ربما تكون مخفية إلاّ على نقاد هذا العلم .

٧ـ الامام علي بن محمد الهادي (ت٢٥٤هـ/٨٦٨م) .

كانت المراقبة شديدة على الامام فاتخذ نظام الوكالة في نقل ما يريده وما يجيبه عن بعض المسائل أو بيان موقفه من بعض الرواة ومدى وثاقتهم أو عدمها ، وحارب الغلاة وكفرهم فكانت تصل إليه الكتب ويرد عليها أو هو يكتب ابتداءً كما كتب إلى محمد بن عيسى فقال : كتب إلي أبو الحسن العسكري ابتداءً منه : في لعن القاسم اليقطيني وعلي بن حسكة القمي وختم كتابه أن شيطاناً ترآى للقاسم فيوحى إليه ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٢) ابن عدي ، الكامل ، ج٢ ، ص٣١١ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص٣٣٧ .

(٤) ابن حنبل ، الجامع في العلل ومعرفة الرجال ، تحق : أبو علي النظيف ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٧هـ) ، ص١١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٩٤ .

غُرُورًا ﴾[1][✿] .

وقد كتب أحمد بن محمد بن عيسى إليه في قوم يتكلمون ويقرأون الأحاديث وينسبونها إليك وإلى آبائك فيها تفاسير باطنة بعيدة عن ظاهرها المحكم فكان جوابه مكتوباً : ((ليس هذا ديننا))[2] ، ويبدو أن هناك عدة من الكتب عن الغلاة ورواة الأحاديث المكذوبة المنسوبة للائمة وإلى الامام الهادي فكان يحذر من فتنتهم وكانوا مجموعة منهم الحسين ابن علي الخواتيمي والحسين بن محمد بن بابا القمي ومحمد بن نصير النميري والفهري وفارس بن حاتم القزويني ، وقد كتب ابتداء إلى العبيدي : ((ابرء إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي فابرء منهما فاني محذرك وجميع مواليّ واني العنهما عليهما لعنة الله ، مستأكلين يأكلان بنا الناس ... الخ))[3] .

وقال في فارس بن حاتم ، قال : هو كاذب[4] وقد جمع عبد الله بن جعفر الحميري مسائل الرجال ومكاتباتهم الامام الهادي[5] ، وهناك جملة من تلامذة الامام وهم من الثقات كأبي هاشم الجعفري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) وعلي بن الريان الاشعري ومحمد ابن عيسى بن عبيد وأيوب بن نوح واحمد بن محمد بن عيسى الاشعري[6] ، وأبو هاشم داود بن القاسم الجعفري له منزلة عالية عند أبي الحسن الهادي[7] .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١١٢ .

(✿) الطوسي ، الاختيار ، ص٥٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٦٦ .

(٣) الطوسي ، الاختيار ، ص٥٦٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٥٧٠ .

(٥) النجاشي ، الرجال ، ص٢٢٠ .

(٦) السبحاني ، دور الشيعة ، ص١٧١ .

(٧) الطوسي ، الاختيار ، ص٦١٢ .

٨ـ الامام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) .

وهو صاحب الصحيح وصاحب التاريخ في الرجال وهو أشهر من أن يعرَف وأخذت مصنفاته المرتبة العالية عند المسلمين فعكفوا على دراستها وبيان منهجه في جرحه وتعديله ، وتاريخه يحتوي على الثقات والضعفاء وكذلك العلل بل هو احسن الكتب في العلل على الاطلاق[١] ومن تضعيفاته ما جاء في إسماعيل بن مخراق كما جاء في كتاب الضعفاء للعقيلي (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م) نقل قول البخاري بأنه إسماعيل بن داود بن مخراق مدني ثم قال : منكر الحديث ، وفي إسماعيل ابن مختار لم يصح حديثه في الكوفيين ، وعن إسماعيل بن يعلى الثقفي قال : سكتوا عنه[٢] ، وجاء في كتاب الضعفاء الصغير له إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع كثير الوهم وعن إبراهيم بن إسماعيل بن علي حبيبة : منكر الحديث[٣] .

٩ـ الامام الحسن بن علي العسكري (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) .

كانت تقويمات الرجال تخرج عن طريق الكتب والرسائل وسميت توقيعات الامام في نقد رجاله أو الإجابة عن بعض الأسئلة في الحديث والفقه وكان له وكلاء يقومون بمهام عديدة يخرج التوقيع في أسمائهم مثل توكيل إبراهيم بن عبدة وعبر عنه : ((ثقتي وأميني))[٤] وورد في إسحاق ابن إسماعيل النيسابوري توقيعاً يرد على كتاب له بعثه قال : ((قد فهمت

---

(١) الدايني ، تاريخ ، ص١٠٢ .

(٢) العقيلي ، الضعفاء ، ج١ ، ص ١١٠.

(٣) للمزيد ينظر : المجموع من الضعفاء والمتروكين ، الضعفاء والمتركون للنسائي ، الضعفاء والمتركون للدارقطني ، كتاب الضعفاء الصغير للبخاري ، دراسة وتحق : عبد العزيز عز الدين السيروان ، (بيروت : دار القلم ، ١٤٠٥هـ) ، ص٤٠٧ .

(٤) الطوسي ، الاختيار ، ص٦٢٠ .

كتابك يرحمك الله ...))[١] ، وجاء في الكتاب اسم البلالي وعبّر عنه : ((الثقة المأمون العارف بما يجب عليه))[٢] ، وجاء بحق عثمان بن سعيد العمري أنه : ((الطاهر الأمين العفيف القريب منا))[٣] ، وجرح أحمد بن هلال الكرخي البغدادي العبرتائي بكتاب جاء فيه : ((احذروا الصوفي المتصنع))[٤] ، وكذلك جاء في عروة بن يحيى الدهقاني بلعنه وتكذيبه[٥] ، وكان له رواة ذكرهم الطوسي في رجاله[٦] .

١٠ـ الفضل بن شاذان (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) .

وهو من علماء الجرح والتعديل وممن يعتمد قوله ، لذا قال عنه النجاشي : ((وهو في قدره أشهر من أن نصفه)) ، من الثقات الفقهاء المتكلمين[٧] ، فقد وثق عبد العزيز ابن المهتدي وهو أحد وكلاء الامام الرضا وخاصته بقوله : ((وكان خير قمي رأيته))[٨] ونقل الكشي قوله : ((ما نشأ في الإسلام رجل من سائر الناس كان أفقه من سلمان الفارسي ولا نشأ رجل بعده افقه من يونس بن عبد الرحمن))[٩] ، وجرح ابن بابا القمي وعلي بن حسكة وفارس ابن حاتم القزويني واعتبرهم من الكذابين المشهورين[١٠] ووثق أبو جعفر

---

(١) الطوسي ، الاختيار ، ص٦١٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٦١٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٦٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٥٨١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص٦١٤ .
(٦) للمزيد ينظر : الطوسي ، الرجال ، ص٣٩٧ - ٤٠٣ .
(٧) الطوسي ، الرجال ، ص٣٠٧ .
(٨) الطوسي ، الاختيار ، ص٥٣٨ .
(٩) المصدر نفسه ، ص٥٣٩ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص٥٦٨ - ٥٧٠ .

البصري بقوله : ((وكان ثقة فاضلاً صالحاً))[١] ، وعن محمد بن سنان قوله : ((لا استحل أن أروي أحاديث محمد بن سنان))[٢] ، وقال بحق محمد بن عيسى العبيدي كما نقله علي بن محمد القتيبي كان الفضل يحب العبيدي ويثني عليه ويمدحه ويميل إليه ويقول : ليس في أقرانه مثله[٣] .

١١ـ الامام مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) .

قال في مقدمة صحيحه أنه استفاض عند أهل العلم صحة حفظ منصور بن المعتمر وسليمان الأعمش واسماعيل بن أبي خالد واتقانهم لحديثهم من عطاء ابن السائب ويزيد ابن أبي زياد وليث بن أبي سليم ، وإنما قدّم ذلك : ليعطي كل ذي حق حقه ويعطيه منزلته العلمية ، وأما المتهمون بالوضع وتوليد الأخبار فلا يخرج لهم في صحيحه كأمثال عبد الله بن مسور وعمرو بن خالد وعبد القدوس الشامي ومحمد بن سعيد وغياث ابن إبراهيم وأشباههم ، ومن كانت أحاديثهم من المناكير مثل عبد الله بن محرر ويحيى ابن أبي أنيسة والجراح بن المنهال وعباد ابن كثير وغيرهم وأوجب النقل عن الثقات واتقاء الرواية عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع ، ثم في باب أن الاسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلاّ عن الثقات وأن الجرح جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة بل من الذب عن الشريعة ونقل مجموعة من الروايات تعارض عنوان بابه منها ما روي عن محمد ابن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قال : ((لم نَر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث)) ، وعلق مسلم على الروايات التي ذكرها بقوله : ((يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون

(١) الطوسي ، الاختيار ، ص٦٠١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٥٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٨٣ .

الكذب))[١] مع أن هذا يعارض ما نقله من الأثر المشهور عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : ((من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين))[٢] ، اعتمد مسلم المنهج النقدي بل ألزم نفسه البحث عن الثقات من دون أن يضطر للنقل عن من ليس بثقة[٣] .

١٢ـ أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٢٧٤ أو ٢٨٠هـ/٨٨٧ أو٨٩٣م) .

له كتاب الرجال[٤] أو الطبقات[٥] ، وهو كتاب موضوع لبيان طبقات الرواة وقد وردت فيه ألفاظ الجرح والتعديل وإن كانت قليلة جدا لأن موضوعه بيان الطبقات فمثلاً يقول عن عامر بن كثير السراج أنه كان من دعاة الحسين عليه السلام[٦] وجاء في عبد الله بن عاصم روى عنه أبان الاحمر وعبد الله بن علي الحلبي عن يحيى بن عمران الحلبي كوفي كان يتجر إلى حلب فغلب عليه هذا اللقب مولى ثقة صحيح له كتاب وهو أول كتاب صنفه الشيعة[٧] .

ولم يذكر مضمون هذا الكتاب ولا عنوانه ، وقال عن فضيل بن محمد ابن اشد له كتاب ثقة[٨] ، وعن داود بن أبي زيد قال : معروف بصدق اللهجة[٩] ،

---

(١) للمزيد ينظر : مقدمة صحيح مسلم ، ص٦ - ١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٩ .

(٤) اختلف المحققون في نسبة الكتاب فجواد القيومي الاصفهاني نسبه إلى أحمد بن محمد البرقي كما هو المشهور حققه سنة ١٤١٩هـ ، ونسبه حيدر محمد علي البغدادي إلى أحمد ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن خالد البرقي حققه سنة ١٤٣٠هـ .

(٥) حققه ثامر كاظم الخفاجي ونسبه إلى أحمد بن محمد بن خالد البرقي حققه سنة ١٤٢٨هـ .

(٦) البرقي ، الطبقات ، ص٧٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ص١٧٧ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٢٥٦ .

(٩) المصدر نفسه ، ص٤٢٤ .

وعن إبراهيم ابن إسحاق شيخ لا بأس به[١] وعن مندل بن علي العنزي[٢] من العامة[٣] .

١٣ـ محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الملقب مُطين (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م) .

وهو من الثقات والحفاظ[٤] ونقل عنه العقيلي في الضعفاء عن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى قال : كان ابن نمير لا يرضى إبراهيم بن إسماعيل ويضعفه ، قال : روى مناكير[٥] اما ثابت بن محمد العابد فقد وثقه[٦] ووثق محمد ابن عقبة[٧] ووثق عمرو بن طلحة أبو محمد القناد[٨] ووثق عبيد بن اسباط بن محمد القرش[٩] ومن الغريب قول المباركفوري (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) في عاصم ابن يوسف اليربوعي الكوفي فقال وثقه مطين والدارقطني (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) ومحمد بن عبد الله الحضرمي[١٠] مع أن محمد بن عبد الله الحضرمي هو مطين وهو لقبه .

---

(١) البرقي ، الطبقات ، ص٤١٩ .

(٢) العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر ، ايضاح الاشتباه في أسماء الرواة ، تحق : ثامر كاظم الخفاجي ، (قم : ستارة ، ١٤٢٥هـ) ، ص٢٧٦ .

(٣) العلامة الحلي ، رجال العلامة الحلي ، تحق : محمد صادق آل بحر العلوم ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨١هـ) ، ص٢٦٠ .

(٤) الألباني ، معجم أسامي الرواة ، ج٣ ، ص٦٧٨ .

(٥) العقيلي ، الضعفاء ، ج١ ، ص٥٥ .

(٦) ابن حجر ، مقدمة فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ص٣٩٢ .

(٧) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٣ ، ص٢٧٩ .

(٨) المباركفوري ، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ) ، ج٢ ، ص٢٤٧ .

(٩) المباركفوري ، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ، ج٥ ، ص٤٩٠ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٦٠ .

وجرح يحيى بن بشير ورماه بالكذب[١] وجرح محمد بن عثمان بن أبي شيبة بقوله : ((عصا موسى تلقف ما يأفكون))[٢] ، ويبدو أن الوقيعة بينهما قد حدثت كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه فقد خرج كل واحد منهما إلى الخشونة والوقيعة في صاحبه[٣] .

إن لقب مُطيّن لقبه به أبو نعيم الفضل بن دكين[٤] .

القرن الرابع الهجري :

وفيه ظهر التخصص في النقد اكثر مع بيان ما يستحقه الراوي من الجرح او التعديل وكان فيه كتاب الجرح والتعديل المرجع في معرفة حال الرواة مع كتاب الكامل وكتاب الكشي وغيرها من امهات الكتب النقدية التي تعد اصول هذا العلم ، ومن نقاد هذا القرن :

١ـ سعد بن عبد الله بن أبي خلف الاشعري القمي (ت٢٩٩ أو ٣٠١هـ/٩١١ أو ٩١٣م).

اعتمد عليه النجاشي في ترجمة الحسن بن سعيد في ذكر خاله جعفر بن يحيى ابن سعد الاحول من رجال أبي جعفر الثاني عليه السلام ذكره سعد بن عبد الله[٥] وكذلك في محمد بن يحيى قال : كوفي ذكره سعد في طبقات الشيعة

---

(١) الدارقطني ، سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني ، تحق : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ) ، ص١٠٥ .

(٢) ابن عدي ، الكامل ، ج٦ ، ص٢٩٥ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص٢٥٤ .

(٤) ابن ماكولا ، أبو نصر سعد الملك علي بن هبة الله بن علي ، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، بلا) ، ج٧ ، ص٢٦١ .

(٥) النجاشي ، الرجال ، ص٥٨ .

وقال : روى عنه زياد وله كتاب[١] ، وقال النجاشي نقلاً عن سعد في هيثم بن عبد الله أبو كَهْمَس كوفي عربي له كتاب ذكره سعد بن عبد الله في الطبقات[٢] واعتمد عليه الطوسي في رجاله فذكر أن فاطمة بنت حبابة الوالبية روت عن الحسن والحسين عليهما السلام على ما قاله سعد بن عبد الله[٣] وكذلك في إبراهيم بن عبد الحميد من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام أدرك الرضا عليه السلام ولم يسمع منه على قول سعد بن عبد الله[٤] وكان سعد قد رحل في طلب الحديث والتقى بالحسن بن عرفة ومحمد بن عبد الملك الدقيقي وأبي حاتم الرازي وعباس الترفقي[٥] .

٢ـ أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ/٩١٥م) .

من كبار علماء الجرح والتعديل ، قال عن عبد الوهاب الثقفي قد اختلط فمن كتب عنه قبل ذلك فجيد[٦] ، قال اثبت أصحاب ايوب حماد بن زيد واثبت أصحاب حماد بن سلمة عبد الرحمن بن مهدي وابن المبارك[٧] ذكر النسائي ابن أبي عروبة حدث عن محدثين ولم يسمع منهم عمرو بن دينار وهشام بن عروة وزيد بن اسلم وعبيد الله بن عمر وغيرهم[٨] وكذب من أصحاب أبي حنيفة يوسف بن خالد السمتي والحسن بن زياد اللؤلؤي ومحمد

---

(١) النجاشي ، الرجال ، ص٤٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٣٦ .

(٣) الطوسي ، الرجال ، ص٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٥١ .

(٥) النجاشي ، الرجال ، ص١٧٧ .

(٦) النسائي ، رسائل في علوم الحديث ومنه تسمية فقهاء الامصار من الصحابة فمن بعدهم ، تحق : جميل علي حسن ، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٠٥هـ) ، ص٤٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ص٤٧ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٦٣ .

ابن الحسن ووثق من أصحابه أبو يوسف القاضي وغيرهم[١] .

وفي كتابه الضعفاء والمتروكين استعمل عدة ألفاظ في التضعيف منها : ليس بثقة عن ابان بن جبلة ، وليس بالقوي عن إبراهيم بن بشار ، وضعيف عن إبراهيم بن سويد الصيرفي ، ومتروك الحديث عن ابان بن أبي عياش ، وليس به بأس إلاّ أنه كان اختلط ومضطرب الحديث عن أيوب بن عتبة ، وكذاب عن أحمد ابن عبد الله الجوباري الهروي[٢] .

٣ـ محمد بن أحمد بن حماد الرازي الدولابي (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) .

كان من أئمة الجرح والتعديل وله مصنفان في ذلك نقل عنه ابن حجر العسقلاني في كتابه (تهذيب التهذيب) وغيره ، قال عن : أبي العباس ابن سهيل ابن سعد الساعدي ليس بالقوي وفي أسد بن عبد الله البجلي جاء اسمه في الضعفاء وهو كتاب لأبي بشر الدولابي[٣] وأنه ينقل عن البخاري فقال : عن الحسين بن المنذر في كتابه الكنى عن البخاري لم تصح روايته وقال في أبي بكر السلمي البصري أنه يهم في الشيء بعد الشيء[٤] وفي صدقة بن الفضل الحافظ المروزي أنه ثقة[٥] ، وفي ابان بن عفيف الكندي يروي عن أبيه فيه نظر[٦] ، ولأهمية علم الأسماء والكنى ألف أبو بشر الدولابي فيه[٧] .

قال المزي (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م) في كتابه (تهذيب الكمال) في ترجمة محمد ابن

---

(١) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص٧١ - ص٧٢ .

(٢) للمزيد ينظر : النسائي ، الضعفاء والمتروكون ، وهو واضح في صفحات الكتاب .

(٣) النسائي ، الضعفاء والمتروكون ، ج١ ، ص٢٢٨ ؛ ويظهر أن هذا الكتاب هو برواية الدولابي والأصل للبخاري ، مقدمة كتاب الذرية الطاهرة للدولابي ، تحق : محمد جواد الجلالي ، (بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٤٠٨هـ) ، ص١٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٣٦٦ .

(٦) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج١ ، ص٢٤ .

(٧) العراقي ، فتح المغيث ، ص٢٨٧ .

عون أبو عبد الله الخراساني ناقلاً تقويم الدولابي له بأنه : متروك الحديث[١] .

٤ـ علي بن أحمد العقيقي (ت٣١٥هـ/٩٢٧م) .

نقل ألفاظه في الجرح والتعديل العلامة الحلي في رجاله فعن حمران بن أعين : أنه عارف[٢] ، وعن عيسى بن عبد الله بن سعد أنه : ((يشبه أباه وكان وجها عند أبي عبد الله عليه السلام مختصاً به))[٣] ، وعن معاوية بن عمار الدهني ، قال : لم يكن عند أصحابنا بمستقيم كان ضعيف العقل مأموناً في حديثه[٤] ، وعن النضر بن عثمان النوا قال عنه : مات متحيراً[٥] ، وعن زياد ابن عيسى قال عنه : أبو عبيدة الحذاء كان حسن المنزلة عند آل محمد[٦] ، ذكر ابن داود الحلي (ت٧٠٧هـ/١٣٠٧م) في رجاله : أن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي قال عنه العقيقي : أنه فاضل وهو امارة لعدالته[٧] ، وعن سدير بن حكيم الصيرفي : اسمه سلمة كان مخلطاً[٨] وذكر العقيقي في كتابه الرجال من بني أعين مجموعة ثم ذكر أن ولد قعنب بن أعين بالفيوم من أرض مصر وفيها قبر غسان بن عبد الملك ابن أعين[٩] .

---

(١) ج٢٦ ، ص٢٤٢ .

(٢) العلامة الحلي ، الرجال ، ص٦٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٢٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٦٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .

(٦) النجاشي ، الرجال ، ص١٧١ .

(٧) ص٨٩ .

(٨) المصدر نفسه ، ص١٠١ .

(٩) الزراري ، أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان ، رسالة أبي غالب الزراري إلى ابن ابنه في ذكر آل أعين وتكملتها لأبي عبد الله الغضائري ، تحق : محمد رضا الجلالي (قم : مكتب الاعلام الإسلامي ، ١٤١١هـ) ، ص١٩٢ .

٥ـ محمــد بــن مســعود بــن محمــد بــن عيــاش المعــروف بالعياشــي (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م) .

كان من علماء الجرح والتعديل وقد نقل عنه الكشي نقده هذا لرواة الأحاديث منه في إسماعيل بن الفضل الهاشمي نقلاً عن علي بن الحسن بن علي بن فضال : أنه من ولد نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكان ثقة وهو من أهل البصرة(١) ، وعن مسم بن مالك كردين كان ثقة(٢) ، وعن شعيب ابن أعين يروي عنه سيف ابن عميرة وهو ثقة(٣) وعن سليمان بن سفيان المسترق ثقة(٤) قال العياشي : عبد الله بن بكير وجماعة من الفطحية فقهاء أصحابنا منهم ابن بكير وابن فضال يعني الحسن بن علي وعمار الساباطي وعلي بن اسباط وبنو الحسن بن علي بن فضال واحمد ومحمد ابنا الحسن بن علي بن فضال ويونس بن يعقوب ومعاوية بن حكيم وعدّ عدة من أجلة العلماء(٥) .

وعن إسماعيل بن حقيبة وقيل : جفينة أنه صالح ، ولكن قليل الرواية(٦) وفي حبيب السجستاني كان شارياً (خارجياً) ثم أصبح من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام منقطعاً إليهما(٧) .

---

(١) الطوسي ، الاختيار ، ص٢٩٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٧٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٣٨٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٣٨٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ص٤١١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص٤١٠ .
(٧) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، في اغلب صفحات الكتاب .

٦ـ محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م) .

له كتاب الضعفاء وهو مشهور وفيه ((أسماء الضعفاء من رواة الحديث ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم ومن يتهم في بعض حديثه ، ومجهول روى ما لا يتابع عليه وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة))[١] . وكتابه هذا تخصص في الضعفاء وهو مهم في معرفتهم ومعرفة سبب جرحهم وآليات نقدهم ومنه في اصبغ أبو بكر الشيباني قال عنه : مجهول وحديثه غير محفوظ وعن إسرائيل ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي : مختلف فيه ، وأزهر بن سنان أبو خالد القرشي : في حديثه وهم[٢] ، وعن سلمة الضبي : مجهول بالنقل ، وعن سلم ابن ميمون الخواص : حدث بمناكير لا يتابع عليها[٣] .

٧ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م) .

باسمه عرف كتاب الجرح والتعديل وهو من أهم الكتب في النقد ، بل هو أهم الاصول الرجالية على الإطلاق في هذا المضمار ، وذكروا أن الكتاب في حقيقته لأبيه وعمه أبي زرعة فقد تناولوا الرواة الذين ترجم لهم البخاري في تاريخه على أن يسأل هو ثم يجيبانه عن كل واحد من هؤلاء الرواة[٤] ومدى وثاقتهم وتجريحهم وآليات نقدهم ، ولكنه اشتهر الكتاب باسم عبد الرحمن ابن أبي حاتم وهو الأساس في الرجوع إليه ومعرفة نقد الرواة للحديث وهو من الكتب التي جمعت بين الثقات والضعفاء ، وله كتاب (بيان خطأ محمد ابن إسماعيل البخاري في تاريخه) وهو مما جمعه ابن أبي حاتم من تعقيبات

---

(١) العقيلي ، كتاب الضعفاء ، ما جاء في عنوان الكتاب من معلومات .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٤٩ - ص١٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥١٦ ، ص٥٣٧ ، وبقية الأجزاء الأربعة .

(٤) الدايني ، تاريخ النقد ، ص٩٦ .

أبيه وأبي زرعة الرازيين على التاريخ الكبير للبخاري وتحديد ما وقع من خطأ أو شبهة في النسخة التي وقف عليها الرازيان[١] ، وكتابه في التقدمة هو بمنزلة الأساس أو التمهيد لكتاب الجرح والتعديل[٢] وكتاب الجرح والتعديل هو تكميل لما نقص من كتاب التاريخ الكبير للبخاري والتصريح بنصوص الجرح والتعديل ومعها زيادة تراجم كثيرة وزيادات وفوائد في كثير من التراجم بل في أكثرها[٣] .

لقد اعتمد فيه على منهج الاستيعاب من كل الوجوه وممن يعوّل على نقدهم في الجرح والتعديل لذا قال تعرف الآثار الصحيحة والسقيمة بنقد العلماء الجهابذة[٤] ثم ذكر من هؤلاء النقاد بالحجاز مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وبالعراق سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحماد بن زيد وبالشام الاوزاعي[٥] ، ولأهمية هذا الكتاب اعتمد عليه المزي في كتابه (تهذيب الكمال) وصرح بذلك في مقدمة كتابه : ((أن ما كان في هذا الكتاب من أقوال أئمة الجرح والتعديل ونحو ذلك فعامته منقول من كتاب الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي الحافظ بن الحافظ))[٦] .

٨ـ أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م) .

وهو من علماء النقد الرجالي ومشهور في ذلك وذكرته مصنفات الجرح والتعديل واعتمدت أقواله وتتبعت تقويماته وما استقصاه من أسماء الرجال

---

(١) ابن أبي حاتم ، بيان خطأ محمد بن إسماعيل في تاريخه ، تحق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، (استانبول : مكتبة أحمد الثالث ، بلا) ، ص٢ من مقدمة المحقق .

(٢) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٩ مقدمة المحقق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١١ مقدمة المحقق .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢ .

(٥) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص١٠ .

(٦) ج١ ، ص١٥٢ .

فقد بلغ الغاية في ذكر رجال الامام الصادق عليه السلام كما ذكر ذلك الطوسي في مقدمة رجاله[1] ، وفي رسالة أبي غالب الزراري (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م) قال : ((وروى لي ابن المغيرة عن أبي محمد الحسن بن حمزة العلوي عن أبي العباس أحمد بن محمد ابن سعيد بن عقدة الكوفي المشهور بكثرة الحديث : أنهم سبعة عشر رجلاً ، إلاّ أنه لم يذكر أسماءهم وما يتهم في معرفته ولا يُشك في علمه))[2] وهذا العدد الذي نقله عن ابن عقدة هم من ذرية آل أعين ولكن في كتاب التكملة لأبي عبد الله الغضائري (ت٤١١هـ/١٠٢٠م) أنه سماهم فعن الحسن بن حمزة قال : ((اجتمعت مع أبي العباس ابن عقدة سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة ... فقال لي : يا أبا محمد هم ستة عشر اخوة - وسماهم - أو سبعة عشر ، قال أبو محمد : الشك مني))[3] .

ولمنزلته في معرفة الرجال ايّده ابن أبي حاتم في قضية انكاره على ابن صاعد الذي اخطأ في اسناده لحديث رواه وقد حبس في هذه القضية إلى أن جاء تأييده من قبل ابن أبي حاتم إذ صحح ما قاله ابن عقدة[4] ، ونقل توثيقه النجاشي في داود أبي سليمان الخندقي البندار وقال عنه : ثقة[5] ، واعتمد عليه العلامة الحلي في كثيراً من رجاله ونقل نقده الرجالي في موارد عدة فمثلاً قوله في جابر بن عبد الله الانصاري في أنه منقطع إلى أهل البيت عليهم السلام وعن جابر بن يزيد الجعفي أنه ترحم عليه الامام الصادق عليه السلام وقال :

---

(١) ص١٧ .
(٢) الزراري ، رسالة أبي غالب ، ص١٣٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٨٩ .
(٤) ابن حجر ، لسان الميزان ، (بيروت : مؤسسة الاعلمي ، ١٣٩٠هـ) ، ج١ ، ص٢٦٦ .
(٥) النجاشي ، الرجال ، ص١٦٠ .

أنه كان يصدق علينا[1] ، وورد نقده في اغلب كتب الجرح والتعديل وإشاراته مبثوثة في هذه الكتب المهتمة في النقد الرجالي .

٩ـ محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (ت٣٤٣هـ/٩٥٤م) .

ذكره الطوسي في الفهرست وقال : ((جليل القدر ، عارف بالرجال موثوق به))[2] ، ضعّف القاسم بن الحسن بن علي بن يقطين[3] ، وعن محمد بن ارومة أنه طعن بالغلو من ابن الوليد[4] وفي محمد بن عيسى بن عبيد قال : ((ما تفرد به محمد بن عيسى من كتب يونس وحديثه لا يعتمد عليه))[5] ونسب الوضع إلى محمد ابن موسى بن عيسى فقال : كان يضع الحديث[6] ، وكان له فهرست يذكر فيها المصنفات[7] ، وقد أخرجت الدراسات المعاصرة جملة من فهارس الشيعة التي لم تصل إلينا اليوم[8] منها فهرست ابن الوليد ، جاء في فهرست الطوسي عن كتب الحسين بن سعيد الاهوازي ، قال ابن الوليد : وأخرجها إلينا الحسين بن الحسن بن ابان بخط الحسين بن سعيد[9] ويبدو أن

---

(١) للمزيد ينظر : العلامة الحلي ، الرجال ، ص٣٥ ، ص٤٤ ، ص٥١ ، ص٥٥ ، ص٥٧ ، ص٥٨ ، ص٥٩ ، ص٦٠ ، ص٦٢ ، ص٧٥ ، ص٩٦ ، ص١٠٧ ، ص١٣١ ، ص١٦٥ ، ص١٦٩ ، ص١٧٣ .

(٢) ص٢٣٧ .

(٣) النجاشي ، الرجال ، ص٣١٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٢٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٣٣ .

(٦) النجاشي ، الرجال ، ص٣٣٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ص٣٣ .

(٨) للمزيد ينظر : الاراني ، مهدي خداميان ، فهارس الشيعة ، (قم : مؤسسة تراث الشيعة ، ١٤٣١هـ) ، في جزأين مجموعة فهارس منها : فهرس ابن الوليد وابن بطة وابن قولويه والصدوق وابن عبدون وسعد بن عبد الله الاشعري وعبد الله بن جعفر الحميري وحميد بن زياد النينوائي .

(٩) الفهرست ، ص١١٣ .

الطوسي نقل هذا الكلام عن فهرست له .

١٠ـ محمد بن حبان بن أحمد البستي التميمي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) .

أوضح ابن حبان مفهوم التمييز بين الرواة بمنهج الفصل بينهم بدراسة تاريخ المحدثين وتمييز الضعفاء عن الثقات ثم علل ذلك في مقدمة كتابه الشهير (الثقات) حتى يحسن تمييز الصحيح عن السقيم[١] ، فألف في مجال الثقات من الرواة كتابه المذكور مع كتاب مشاهير علماء الأمصار[٢] وطبع له كتاب تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار ولكنه في الحقيقة مأخوذ من كتابه الثقات[٣] الذي التزم فيه أن يذكر الثقات ممن يجوز الاحتجاج بروايتهم إذ قال : ((فكل من اذكره في هذا الكتاب ... فهو صدوق))[٤] .

١١ـ عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م) .

يعد كتابه الكامل في ضعفاء الرجال من أهم المصنفات في الجرح ، بل أصل من أصولها فهو الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الأحاديث أو الكامل في الجرح وقد عبر عنه السخاوي بأنه : ((إليه المنتهى في الجرح))[٥] ، وفي موضع آخر قال : ((اكمل الكتب المصنفة قبله واجلها ، ولكن توسع لذكره كل من تكلم فيه وان كان ثقة))[٦] ، وابن عدي قد استوعب الضعفاء

---

(١) ابن حبان ، الثقات ، (حيدر آباد : الدكن ، ١٣٩٣هـ) ، ج١ ، ص٨ .

(٢) الدايني ، تاريخ ، ص٩٠ .

(٣) ابن حبان ، تاريخ الصحابة ، ص١٧ .

(٤) ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص١٠ .

(٥) السخاوي ، المتكلمون في الرجال المطبوع بعنوان اربع رسائل في علوم الحديث من ضمنها رسالة السخاوي ، تحق : عبد الفتاح أبو غدة ، (حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤١٠هـ) ، ص١١٢ .

(٦) السخاوي ، الاعلان ، ص ٢١٨ .

في كتابه بل اعتمد حسب منهجه كل من تكلم فيه بجرح في ضوء المنهج الروائي والحكم في بعض الحالات على الرواية المروية أو استعراض بعض مرويات الراوي التي لاجلها نقد مع ذكر بعض تلك المرويات لاعطاء صورة عن سبب التضعيف للراوي ، ثم يذكر رأيه النقدي بحيادية في الراوي والمروي .

١٢ـ أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان المعروف بأبي غالب الزراري (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م) .

نسبه ينتهي إلى بُكير بن أعين من اسرة آل أعين المشهورة وقد ترجم لهذه الأسرة رسالته التي سميت باسمه فهي الترجمة الذاتية فقد ترجم المؤلف لنفسه ولأعيان بيته من رواة الحديث وهي تعد أقدم الاجازات العلمية الواصلة إلينا ، بل أطول إجازة من القرن الرابع على الاطلاق[1] وقد عُدَّ بعض المعاصرين أن هذه الرسالة من الأصول الرجالية[2] ومن عيون كتب التراث مؤلفة سنة ٣٥٦هـ ومعتمدة عند الرجاليين بخصوص اسرة آل أعين[3] ومن هنا جاءت أهميته في تاريخ الاسر العلمية ومعرفة تفاصيلها من ذكر رجالاتها من المحدثين فعن محمد ابن عبد الله بن زرارة قال كان كثير الحديث روى عنه علي بن الحسن بن فضال كثيراً[4] وعن محمد بن عيسى قال هو أحد رواة الحديث[5] ، ولأبي غالب سماعات للحديث فقد سمع من حميد ابن زياد وأبي عبد الله بن ثابت واحمد بن محمد بن رباح ثم عقب على ذكر أسماء هؤلاء بقوله : ((وهؤلاء من رجال الواقفة إلاّ أنهم كانوا فقهاء

---

(١) الزراري ، الرسالة وتكملتها ، ص١٢ من مقدمة المحقق محمد رضا الحسيني .

(٢) السبحاني ، دور الشيعة ، ص٢٨٤ .

(٣) الزراري ، الرسالة ، ص١٢ من مقدمة المحقق .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٤٦ .

ثقاتاً في حديثهم كثيري الرواية))[1] ، وفي عبيد الله بن أبي زيد أحمد يكنى أبا طالب قال : كنت أعرفه أكثر عمره مختلطاً بالواقفة[2] .

١٣ـ علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) .

من كبار علماء الرجال ونقادهم ، فقد نقد جملة من الرواة منهم على سبيل أحمد ابن حسن المضري قال عنه : بأنه متأخر كذاب وأحمد بن عبد الله الجوباري : هروي كذاب واحمد بن معدان العبدي : متروك[3] ، وعن أحمد بن داود بن عبد الغفار الحراني : متروك كذاب ، وجده عبد الغفار بن داود من الثقات[4] وعن محمد بن زكريا بصري يضع ، ومحمد بن عكاشة كوفي ضعيف[5] وعن جعفر بن زياد الاحمر الكوفي قال : يعتبر به[6] ، كان الدارقطني دقيقاً في أسماء الرواة فقد قرأ احدهم أمامه اسم محدث فقال عمرو بن سعيد ، فقال : سبحان الله فأعاد الاسناد وقال : عمرو بن سعيد ، فتلى قوله تعالى : ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[7] فقرأ عمرو بن شعيب[8] .

---

(١) الزراري ، الرسالة ، ص١٥٠ .

(٢) النجاشي ، الرجال ، ص٢٣٢ .

(٣) الدارقطي ، الضعفاء والمتركون ، ص٢٧٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٧٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٦٨ .

(٦) المظفر : الافصاح ، ج١ ، ص٢٦١ .

(٧) سورة هو : الآية ٨٧ .

(٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٣٠ .

١٤ـ محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي (ت أواخر القرن الرابع الهجري/أوائل القرن الحادي عشر الميلادي) .

وهو من كبار علماء الامامية في الجرح والتعديل وكتابه يعد من الأصول الرجالية عندهم بصير بالأخبار وبالرجال[١] ، يعد كتابه متميزاً عن غيره في أن الروايات الذامة أو المادحة جاءت مسندة وبطرق مختلفة وبتفاصيل كما أنه ذكر فيه فرق الغلاة[٢] ، قال الكشي : في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أربعة نفر وأكثر يقال لكل واحد منهم قيس هم قيس بن سعد بن عبادة وهو افضلهم وقيس بن عباد البكري وقيس بن قرة بن حبيب وهو من الهاربين لمعاوية وقيس بن مهران[٣] ، وفي محمد بن بحر قال أنه من الغلاة[٤] ونقل الإجماع عن تصديق زرارة ومعروف ابن خربوذ وبريد وأبي بصير الاسدي والفضيل بن يسار ومحمد ابن مسلم الثقفي[٥] وعن أسد بن أبي العلا قال : يروي المناكير[٦] وفي عيسى بن أبي منصور قال : سألت حمدويه بن نصير : خيّر فاضل[٧] وسمى مجموعة متصفة بالعدالة بالإجماع من أصحاب الامام الصادق عليه السلام منهم : جميل ابن دراج وعبد الله ابن مسكان وعبد الله بن بكير وحماد بن عيسى وحماد بن عثمان وابان بن عثمان[٨] ، وعن داود

---

(١) الطوسي ، الفهرست ، ص٢١٧ .

(٢) درياب ، محمود النجفي ، نصوص الجرح والتعديل دراسة وتقييم ، (قم : مجمع الفكر الإسلامي ، ١٤٣٠هـ) ، ج١ ، ص١١٠ .

(٣) الطوسي ، الاختيار ، ص١٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٢٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣١٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٣٨٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص٣٩٥ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٤٤١ .

ابن كثير الرقي : يذكر الغلاة أنه من أركانهم ولم أسمع أحداً من المشايخ من يطعن فيه[١] وقال في محمد بن عبد الله ابن مهران : أنه من الغلاة والحسن بن علي بن أبي حمزة : كذاب غال ، ولم اسمع في شعيب العقرقوفي إلاّ خيراً[٢] وفي أبي يحيى الجرجاني قال : اسمه أحمد ابن داود بن سعيد الفزاري وكان من أجلة أصحاب الحديث[٣] ثم نقل الإجماع عن عدالة يونس بن عبد الرحمن وصفوان بن يحيى بيان السابري ومحمد بن أبي عمير وعبد الله بن المغيرة والحسن بن محبوبة واحمد بن محمد بن أبي نصر وقال بعضهم مكان الحسن ابن محبوب : الحسن بن علي بن فضال وفضالة بن ايوب وقال بعضهم : مكان ابن فضال : عثمان بن عيسى[٤] ، وفي محمد بن الوليد الخزاز ومعاوية ابن حكيم ومصدق بن صدقة ومحمد بن سالم بن عبد الحميد ، قال : كلهم فطحية وهم من أجلة العلماء والفقهاء والعدول وكلهم كوفيون[٥] وفي محمد ابن عبد الله ابن مهران قال : متهم وهو غال[٦] وعن أبي محرر الانصاري أنه : مجهول[٧] وفي الكتاب تفصيلات مهمة جداً في تقويمات رجال الحديث وآليات نقدهم بالمنهج الروائي .

---

(١) الطوسي ، الاختيار ، ص٤٧١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٥٠١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٥٧٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٥٩٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص٦٠٥ .
(٦) المصدر نفسه ، ص٦١٢ .
(٧) المصدر نفسه ، ص٦٤٩ .

القرن الخامس الهجري :-

١- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) .

له خبرة واسعة في معرفة اصح الأسانيد وأثبتها وكذلك أوهى الأسانيد ذكر ذلك في كتابه (معرفة علوم الحديث)[١] وهذا يدل بشكل جلي على المعرفة الاسنادية والنقد الجزئي والكلي لها ، ففي عبد الرحمن بن حمدان وأبي حاتم الرازي ونصر بن علي عن أبيه عن ابن عون عن محمد بن سيرين عن ابن عمر ، قال : هذا ليس في اسناده إلاّ ثقة ثبت[٢] ثم تطرق في كتابه المذكور عن نقلة الحديث الصحيح أن ترفع الجهالة من الطبقة الأولى ثم يرويه اثنان من التابعين ويتداوله أهل الحديث بالقبول إلى وقتنا هذا كالشهادة على الشهادة[٣] .

قال عن أبي سفيان طلحة بن نافع وقتادة بن دعامة وغيرهما هم من المدلسين وقد دلسوا على الثقات[٤] وفي كتابه المستدرك على الصحيحين قال : ((وأنا استعين الله على إخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان رضي الله عنهما أو أحدهما))[٥] وعن الفضل بن موسى ويونس المؤدب وعامر بن يحيى كلهم ثقات[٦] .

وقال عن سليم بن عامر قد احتج به البخاري وسلم[٧] ، وعن أحمد بن يونس ابن المسيب الضبي أنه : ثقة ، واحمد بن محمد بن يحيى الجعفي

---

(١) الحاكم النيسابوري ، ص٥٢ - ٥٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٥٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٦٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص١٠٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٩ .

الكـوفي : لا بـأس بـه ، وعـن أحمـد بـن محمـد بـن غالـب : يضـع الحـديث متروك[١] ، ومع مكانته العلمية إذ لقب بالحاكم وهو أعلى مراتب علماء الحديث نقده بعضهم لتصحيحه الأسانيد والمتون مع أن بعضها موضوع أو ضعيف على مدعاهم[٢] ، مع هذا فهو من كبار النقاد الذين نهجوا منهج نقد الأسانيد لمن سبقوه وجزموا بها وهي محاولة تأصيلية لمنهج نقد النقد .

٢ـ الحسين بن عبيد الله الغضائري (ت٤١١هـ/١٠٢٠م) .

كان من علماء النقد الرجالي وهو من كبار شيوخ الطوسي والنجاشي ، ذكره الطوسي في رجاله بأنه : ((كثير السماع عارف بالرجال ، وله تصانيف ذكرناها في الفهرست))[٣] وهذه الاحالة إلى كتابه الفهرست لن نجدها في النسخ المعاصرة ولا ترجمة له فيها ، وترجمه النجاشي بقوله : ((شيخنا رحمه الله ... أجازنا ... جميع رواياته عن شيوخه))[٤] وهو من المشهود له بالمعرفة الرجالية[٥] ، وما نقله ابن داود والعلامة الحلي في كتابيهما يؤكد وجود الترجمة له في أصل كتاب الفهرست[٦] ولكنها اليوم مفقودة حتى من المخطوطات[٧] ، وفي رسالة أبي غالب الزراري وهو شيخه رواها وكانت في رجال آل أعين ثم

---

(١) للمزيد ينظر : الدارقطني ، سؤالات الحاكم ، ص٨٤ .

(٢) للمزيد ينظر : القيسي ، ثامر جبار عباس ، ما استدركه الحاكم من فضائل علي رضي الله عنه ومن فضائل السيدة فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم في مستدركه دراسة أسانيد وتحليل ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٧هـ) ، ص٣٤ .

(٣) الطوسي ، الرجال ، ص٤٢٥ .

(٤) النجاشي ، الرجال ، ص٦٩ .

(٥) ابن داود ، الرجال ، ص١٢٤ ؛ العلامة الحلي ، الرجال ، ص٥٠ .

(٦) ابن الغضائري ، أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم ، الرجال ، تحق : محمد رضا الجلالي ، (قم : سرور ، ١٤٢٢هـ) ، ص٩ .

(٧) الزراري ، الرسالة ، هامش ص٩٨ .

أكملها ، وهو الأثر الرجالي المهم له[١] وكان قد نقد حديث محمد بن علي بن همام وقال : لم يقع لأبي غالب ولو كان وقع إليه أو كان سمعه لحدثنا به ولذكره في هذه الرسالة[٢] ، لقد روى النجاشي عنه وقرأ العديد من المصنفات لرجال الامامية[٣] ويمكن الرجوع إلى كتاب الرجال للنجاشي في مواضع عديدة منه يتضح ذلك الجهد العلمي للغضائري ففي ترجمة أحمد بن الحسن بن إسماعيل قال النجاشي : ((وأخبرنا الحسين بن عبيد الله ، قال : حدثنا الحسين ابن علي بن سفيان ... بكتابه عن الرجال ...))[٤] .

٣- محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيط المفيد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) .

يعد من مجددي القرن الخامس الهجري واليه يرجع تأصيل مختلف العلوم الشرعية عند الامامية وهو شيخ المدرسة البغدادية له في النقد الرجالي باع طويل فقد وثق هشام بن الحكم وحمران بن أعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب[٥] وعن هشام قال : هم ثمانية كل منهم يروي عن الامام الصادق عليه السلام : هشام بن الحكم مولى بني شيبان وهشام بن سالم مولى بشر بن مروان وهشام الكندي الذي يروي عنه علي بن الحكم وهشام المعروف بأبي عبد الله البزاز وهشام الصيداني وهشام الخياط وهشام بن يزيد وهشام بن المثنى[٦] وعن علي ابن جعفر قوله : ((راوية للحديث سديد الطريق شديد

---

(١) الزراري ، الرسالة ، ص٩٧ من مقدمة المحقق .

(٢) تكملة رسالة أبي غالب الزراري ، ص١٩٢ .

(٣) السبحاني ، دور الشيعة ، ص٢٨٩ .

(٤) للمزيد ينظر : ص٧٤ ، ص٧٥ ، ص٧٦ ، ص٧٧ ، ص٧٨ ، ص٧٩ ، ص٨٠ ، ص٨٤ ، ص٩٥ ، وغيرها في مواضع كثيرة من الكتاب .

(٥) المفيد ، الفصول المختارة ، تحق : مير علي شريفي ، (بيروت : دار المفيد ، ١٤١٤هـ) ، ص٥٢ .

(٦) المفيد ، ص٥٢ .

الورع كثير الفضل))[1] وذكر جملة من الثقات منهم المفضل بن عمر الجعفي ومعاذ بن كثير وعبد الرحمن بن الحجاج والفيض ابن المختار ويعقوب السراج وسليمان بن خالد وصفوان الجمال وغيرهم ممن يطول بذكرهم الكتاب))[2] وعن إسحاق بن جعفر وأخيه علي قوله : ((كانا من الفضل والورع على ما لا يختلف فيه اثنان))[3] هذه الممارسة النقدية دالة بشكل واضح على البحث عن الثقات ثم بيان أسمائهم في كتبه وإن لم يفرد ذلك بكتاب خاص إلاّ أنه يتعرض في فصول كتابه (الارشاد) وغيره إلى بيان حال الثقات فقد ذكر داود ابن كثير الرقي ومحمد بن إسحاق بن عمار ، وعلي بن يقطين ونعيم القابوسي والحسين بن المختار وزياد بن مروان والمخزومي وداود ابن سليمان ونضر بن قابوس وداود بن زربي ويزيد بن سليط ومحمد بن سنان[4] ، وضعف عبد الملك بن عمير لأنه مشتهر بالنصب والعداء[5] وجرح الحسين بن منصور الحلاج ومحمد ابن علي الشلغماني المعروف بابن أبي العزاقر[6] .

٤ـ أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن العباس بن نوح السيرافي (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م) .

ذكره النجاشي بقوله : كان ((بصيراً بالحديث والرواية وهو أستاذنا وشيخنا))[7] وقد زاد على كتاب ابن عقدة بكتابه الزيادات على أبي العباس

---

(١) المفيد ، الارشاد ، ص٢٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٠٤ .

(٥) المفيد ، الافصاح في إمامة أمير المؤمنين ، تحق : مؤسسة البعثة ، (قم : مركز مؤسسة البعثة ، ١٤١٢هـ) ، ص٢٢٠ .

(٦) المفيد ، المسائل الصاغانية ، تحق : محمد القاضي ، (قم : مهر ، ١٤١٣هـ) ، ص٥٨ .

(٧) النجاشي ، الرجال ، ص٨٦ .

ابن سعيد في رجال الامام الصادق عليه السلام[١] وهو ممن فصّل الطرق الروائية لمجموعة من الكتب للنجاشي إجابة على كتبه فقد أجابه وحسب ما نقله النجاشي : ((والذي سألت تعريفه من الطرق إلى كتب الحسين بن سعيد الأهوازي ... الخ))[٢] ، يبدو أن معرفة الطرق والحرص على روايتها بطرقها كانت موضع اهتمام العلماء من علماء الحديث وأصحاب الجرح والتعديل بعدما كثر التدوين في الرواية والرجال ونقدهم .

٥ـ أحمد بن الحسين بن عبيد الله المعروف بابن الغضائري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .

اختلف في نسبة كتاب الرجال إليه أو إلى أبيه ولكن رد هذا لعدم نسبة كتاب في الرجال إلى أبيه مع أنه معروف بعلم الرجال ونقلت آراءه الرجالية الكثيرة وتخرج علي يديه كبار علماء الجرح والتعديل كالنجاشي والطوسي وابنه ، وسمي كتابه بـ (الجرح) أو (الضعفاء) ويعرف بـ (الرجال لابن الغضائري)[٣] ، ويمكن أن يستدل أن الكتاب لاحمد بن الحسين وليس لأبيه عند ملاحظة ترجمة أحمد بن الحسين الصيقل فقد قال : ((له كتاب في الامامة ، أخبرنا به أبي عن ...))[٤] وهنا الابن ينقل عن أبيه بقوله (أخبرنا) ، لابن الغضائري منهجه الخاص في التضعيف وآلية النقد وكتابه موضع نقاش ورد وقبول بين علماء الحديث وذلك لكثرة تضعيفاته في الكتاب ولكنه وثق بعض الرواة فعن أبان بن أبي عياش قال : تابعي ضعيف وعن إبراهيم بن

---

(١) النجاشي ، الرجال ، ص٨٧ ؛ الطوسي ، الفهرست ، ص٨٤ .

(٢) للمزيد ينظر : النجاشي ، الرجال ، ص٥٩ ، ص٦٧ ، ص١٠٢ ، ص١١٢ ، ص١١٨ ، ص٣١٦ .

(٣) ابن الغضائري ، الرجال ، مقدمة المحقق السيد محمد رضا الجلالي ، ص١٧ .

(٤) ابن الغضائري ، ص١٢٢ ، ص٤٣ ما ورد في هذه الصفحة قد ورد في أصل الكتاب بقوله : ((حدثني أبي ...)) وما كان في الصفحة التي قبلها (ص١٢٢) كان من المستدركات .

عمر الصنعاني : ضعيف جداً[١] ، وعن إسحاق بن عبد العزيز البزاز قال : يعرف حديثه تارةً وينكر أخرى ويجوز أن يخرّج شاهداً[٢] وكذلك بقية التراجم أكثرها تضعيف إلاّ أن في المستدركات يوجد توثيق لجابر بن يزيد الجعفي[٣] وتعديله للرجال قليل[٤] .

٦ـ أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الاسدي الكوفي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .

يعد النجاشي من كبار المتخصصين في علم الجرح والتعديل بل النقد الرجالي عند الامامية وأن كتابه المسمى بالفهرست عند بعض والرجال عند البعض الآخر ذات قيمة علمية جعلته محور النقد الرجالي عند الرجاليين من الامامية وغيرهم ومنه تؤخذ التوثيقات والتضعيفات ولو تعارض قوله مع غيره يقدم قوله عند الاغلب ، وقد رد بعض المعاصرين دعوى التقديم للخبرة ونفى دور الخبرة في قضية الشهادة التي يكفي فيها سلامة الحواس والحفظ[٥] ، والنجاشي له مباني في الرجال قد تختلف مع غيره من النقاد فقد ضعف مجموعة من الثقات مثل داود الرقي وقال : ((ضعيف جداً))[٦] وقد مر توثيقه من قبل المفيد في ارشاده وضعف جعفر بن محمد بن مالك مولى أسماء بن خارجة قال عنه : ((كان ضعيفاً في الحديث))[٧] في حين وثقه الطوسي وقال : ((كوفي

---

(١) ابن الغضائري ، الرجال ، ص٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١١٠ في المستدركات من نفس الكتاب .

(٤) للمزيد ينظر : المصدر نفسه (الأصل والمستدركات) .

(٥) السند ، محمد ، الاجتهاد والتقليد في علم الرجال وأثره في التراث العقائدي دراسة نقدية لمدرسة النجاشية ، (قم : وفا ، ١٤٣١هـ) ، ص٣٠٠ منقولاً عن دروس الوحيد الخراساني بقلم حسن الكاشاني .

(٦) النجاشي ، الرجال ، ص١٥٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ص١٢٢ .

ثقة))[١] ، وضعف جابر الجعفي وقال عنه : ((وكان في نفسه مختلطاً))[٢] في حين وثقه ابن الغضائري[٣] ، ومع هذا يعد النجاشي من أعظم أركان الجرح والتعديل ومكانته محفوظة في النقد الرجالي[٤] وحاول بعض المعاصرين من تحليل مباني الجرح عند النجاشي ومنهجه في التضعيف وحاول تضعيف اقواله على مبنى التأثر بغيره في جرح وتوثيق بعض الرجال واعتبر هذه المباني قاصرة واستدل ببعض الشواهد[٥] ولكن بعضها تام وبعضها الآخر غير تام ومناقش فيه وهو يخضع للنقد العلمي بعيداً عن التعصب إلاّ للمعرفة العلمية للوصول إلى معرفة علمية كلية تعمل بالمشتركات في الفكر الإسلامي ولكل ناقد منهجه ولكن الكلام في القاعدة الكلية التي تحكم التقويم الرجالي من الموضوعية وتحري الحقيقة مهما أمكن .

٧ـ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو محمد الاندلسي القرطبي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .

يعد من نقاد الرواة وله آراء منفرد فيها في الرواية والرواة[٦] من أهمها : مخالفته للجمهور من أن خبر العادل الواحد يفيد القطع بصحة الحديث وقبوله لحديث العدل سواءً كان موصولاً أم منقطعاً وبأي صيغة من صيغ الأداء وانكاره مبدأ التفضيل بين العدول وغيرها[٧] كان منهجه في النقد يعتمد على من وثقه عامة النقاد ولكنه وثق إسحاق بن سعيد بن جبير مع أنه

---

(١) الطوسي ، الرجال ، ص٤١٨ .

(٢) النجاشي ، الرجال ، ص١٢٨ .

(٣) ابن الغضائري ، الرجال ، ص١١٠ .

(٤) للمزيد ينظر : الحكيم ، الشيخ النجاشي ، ص١٦١ - ص١٦٧ .

(٥) للمزيد ينظر : السند ، الاجتهاد والتقليد ، ص٣٠٠ - ص٣١٣ .

(٦) العمري ، دراسات ، ص١١٢ .

(٧) المرجع نفسه ، ص١٢٣ - ص١٢٦ .

مجهول عند النقـاد[١] وفي دائـرة التضـعيف عنده فيهـا سـعة بـل ضـعف بعـض الثقات فعن اسباط ابن محمد القرشي ، قال فيه : ضعيف ، وهـو عنـد الأكثـر ثقة ، وعن إسماعيل ابن عبد الرحمن بن ذويب ، قال فيه : متروك وهو ثقـة ، وعلى هذا يكون ابن حزم من طبقة المتشددين في النقد الرجـالي ، ويبـدو أن العلماء يقبلون من هؤلاء التوثيق ولا يقبلون الجرح عند التفـرد بـل لابـد مـن موافقة الآخرين[٢] وابن حزم يكثر من جهالة حتى المعروفين كالصـحابة مثـل عجير بن عبد يزيد وكبار الأئمة مثل الترمذي والثقات مثل أحمـد بـن خالـد الوهبي واحمد بن علي الآبار الحافظ واحمد بن الفرج الكندي وغيرهم[٣] .

وعن أبي بكر الهذلي قال : ضـعيف جداً ، ويزيـد الرقاشـي : ضـعيف[٤] ، وعن نافع مولى يوسـف : ضـعيف منكـر الحديث[٥] ، وكتابـه (المحلـى) مملـوء بالتضعيفات في كل أجزاءه .

ووثق مسلم بن سالم الجهني وقـال عنـه : كـوفي ثقـة[٦] ونفـى توثيـق سـفيان لجابر الجعفي وأدعى أنه خفي أمره عليه لأنه قال بمـا ظهـر منـه إليـه[٧] ، وغـير ذلك من النقد الرجالي لرواة الأحاديث ولم يكتف بنقل ألفاظ كبار النقاد من المحدثين بل علق عليها وأيّد بعضها وخالف البعض الآخر بما توصـل إليـه بفكـره

(١) العمري ، دراسات ، ص١٢٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص١٣٠ - ١٣١ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٣٦ - ١٣٧ .

(٤) ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ، المحلى ، تحق : أحمد محمد شاكر ، (بيروت : دار الفكر ، بلا) ، ج٢ ، ص١٣ .

(٥) ابن حزم ، المحلى ، ص٣٥ .

(٦) ابن حزم ، الأحكام في أصول الإحكام ، تحق : أحمد شاكر ، (القاهرة : مطبعة العاصمة ، بلا) ، ج٦ ، ص٧٤٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٣٥ .

ونظره ونقده وهو ما يعبر عنه في الفكر المعاصر بنقد النقد، وأن لابن حزم في الصحابة كلام لم يرضَ به كثيرون[١] .

٨ـ محمد بن الحسن أبو جعفر الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) .

ما صنفه هذا العلم يعد مفخرة لعلم الرجال والنقد الرجالي فله اسهامات واضحة في هذا العلم لذا تعد مصنفاته محور الدراسات العلمية لدى العلماء والباحثين في حقول المعرفة الرجالية وآليات نقدها فكتابه الفهرست والرجال هي أصول علم الرجال عند الامامية فضلاً عن اختصاره لكتاب الكشي بوضع بصماته العلمية في اختيار رواياته في الجرح والتعديل مما يؤكد اهتماماته بهذا العلم وممارسة النقد الرجالي لرواة هذه الأحاديث ، وقد مارس التوثيق والتضعيف بمبانٍ خاصة قد تختلف مع غيره فله انفرادات عن معاصره النجاشي ومع هذا فإن الأصول الرجالية النقدية هي هذه المصنفات للطوسي والنجاشي التي تعطينا تقويمات للحقب الزمنية منذ الطبقة الأولى نقلة الرواية إلى منتصف القرن الخامس الهجري مع نقد رجالي يعتمد المنهجية لذات المصنف وقد يلتقي بنقده لهؤلاء النقلة مع غيره وقد لا يلتقي وهو يدل على الاستقلال المعرفي الذي يمكن أن يبحث بمجموعه كمشروع علمي ثم مقارنته مع غيره والتوصل إلى المنجز المعرفي في الفكر الرجالي عند المسلمين بعد استيعابه لما صنفوه وما قالوه من آراء نقدية .

يعطي الشيخ الطوسي في كتابه (الفهرست) عقيدة الرجل الذي يترجم له في بعض الاحيان وليس منهجاً ثابتاً فعن عثمان بن عيسى العامري قال فيه : ((واقفي المذهب)) ، وعن عباد بن يعقوب الرواجني : عامي المذهب[٢]

---

(١) العمري ، دراسات ، ص١٣٧ .

(٢) الطوسي ، الفهرست ،ص١٩٢ ، ص١٩٣ .

ومن نقده للرجال قال عن العلاء بن رزين القلاء أنه : ثقة[١] وعن ذريح المحاربي أنه : ثقة[٢] ، وعن محمد بن إبراهيم المعروف بعلان الكليني أنه : خير ، وعن محمد ابن سعد أنه : صالح مستقيم المذهب ، وعن محمد بن أحمد بن أبي عوف أنه : لا بأس به[٣] ، وعن محمد بن عيسى اليقطيني : ضعيف[٤] وعن أحمد بن علي ابن كلثوم : متهم بالغلو[٥] ، والشيخ الطوسي يعد من العلماء القلائل الذين صنفوا ونظروا ثم مارسوا فعلياً ما نظروا فيه وهذه ميزة قد تميزه عن النجاشي المعاصر له ، فإن النقد الرجالي وتصحيح الأسانيد والروايات تم تطبيقها على المستوى الفقهي العملي من خلال مصنفاته الفقهية والحديثية أو في النتائج المترتبة على عملية النقد مما تميّزه عن غيره الذي يفتقر إلى التطبيقات الفعلية وإن كان متخصصاً بعلم واحد وموضوع علم الجرح والتعديل قد تظهر نتائجه أوضح لأنه من لوازم الحديث من حيث الصحة أو عدمها .

٩ـ أحمد بن علي ابو بكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .

صاحب التصانيف الكثيرة في علوم الحديث والناقد لجملة من هذه العلوم وجزئياتها وله مصنفات تتناول تلك الجزئيات بالنقد وهو من المكثرين من حفظ الحديث فقد حفظ عن عبد الرزاق بن همام[٦] وفي ذم طلب شواذ الحديث بطلب الأسانيد الغريبة والطرق المستنكرة التي أكثرها موضوع ، يقول : ((ضيّع ما يعنيه وأقبل على ما لا فائدة له فيه))[٧] ، ومن نقده قال :

---

(١) الطوسي ، الفهرست ، ص١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢٧ .

(٣) الطوسي ، الرجال ، ص٤٣٩ ، ص٤٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٤٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٤٠٧ .

(٦) الخطيب البغدادي ، شرف أصحاب الحديث ، ص١٢٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ص١٢٩ .

((كان الاعمش سيء الخلق جافي الطبع بخيلاً بالحديث))[١] ، أورد الخطيب مجموعة من الأسماء التي لا تحتاج إلى تزكية المعدل من أمثال مالك ابن أنس وسفيان الثوري وسفيان ابن عيينة وشعبة بن الحجاج والأوزاعي والليث بن سعد وحماد بن زيد وعبد الله ابن المبارك ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي فهؤلاء وغيرهم لا يسال عن عدالتهم وإنما يسأل عن عدالة من كان في عداد المجهولين أو اشكل أمره على الطالبين[٢] ، وعرف المجهول بما لم يعرف إلاّ من جهة راو واحد مثل عمرو ذي مر وجبار الطائي وعبد الله بن أغر الهمداني والهيثم ابن حنش ومالك بن اغر وسعيد ابن ذي حدان هؤلاء لم يرو عنهم غير أبي إسحاق السبيعي[٣] .

وعن صالح بن بيان ، قال : ضعيف ، وهمام بن مسلم : مجهول[٤] وأورد في كتابه المشهور (تاريخ بغداد) اعداداً هائلة من التضعيفات عنه وعن علماء الجرح والتعديل تصلح مادة بحثية عن الضعفاء في هذا المصنف .

وذكر العديد من الثقات فعن محمد بن عبد الله المقرئ قال فيه : كان ثقة صالحاً ديناً فاضلاً ، وعن محمد بن عبد الله بن محمد المزني : ثقة[٥] ، والكتاب (تاريخ بغداد) مملوء بالثقات والضعفاء وفيه مادة علمية تنم عن تضلع بعلم النقد الرجالي ومعرفة بمكانة الرواة العلمية حسب تقويمات الخطيب البغدادي الرجالية .

---

(١) الخطيب البغدادي ، شرف أصحاب الحديث ، ص١٣٢ .

(٢) الخطيب البغدادي ، كتاب الكفاية ، ص٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٨٨ .

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٥٩ .

(٥) الخطيب البغدادي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٧٤ .

١٠ـ سـليمان بـن خلـف بـن سـعد التجـيبي القـرطبي أبـو الوليـد البـاجي (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م) .

هـو مـن رجـال الحـديث ولـه كتـاب (التعـديل والتجـريح لمـن روي عنـه البخاري في الصحيح)[١] في حين أن المطبوع بعنوان (التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح) ، وفيه اثبت ما صح عنده من أسماء وكنى مع تفضيل أحوالهم لمن روى عنهم البخاري[٢] ، ورد في هـذا الكتاب على مـن يعتقـد أن هـذا العلـم يـأتي مـن جهـة واحـدة هـي التقليـد فقـال : ((وسـأقدم بـين يـدي ذلـك أبواباً ومقـدمات تعلـم بهـا منـهج معرفـة الجـرح والتعديل فقد رأيت كثيراً ممن لا علم له بهذا الباب ، يعتقـد أن هـذا من جهة التقليد وأنه لا يدرك بالنظر والاجتهاد))[٣] . وعلى هذا الكلام أنه لم يتوقف علم الجرح والتعديل على نظر المتقدمين بل هو خاضع للنظر والبحث العلمي في آلياته وأسسه وضوابطه بالبحث عن المشتركات وايجاد القواعد الكلية .

أشار أبو الوليد الباجي إلى أن هذا العلم لمن كـان مـن أهـل الصناعة حتى يفهم ألفاظ الجرح والتعديل فقد يكون ثقة ولكن لا يحتج بـه ثـم نقـل روايـة الدوري عن ابن معين في محمد بن إسحاق من أنه : ((ثقة وليس بحجة))[٤] ، وقال في الأسانيد المتفق على طرحها والمتفق على صحتها ووجوب الأخذ بهـا ، فمما اتفق على عدم الأخذ به ما روى معمر عن أبان بن بي عياش عـن أنـس والعلة في ذلك من ابان[٥] ثم المتفق على صحته من روايات وطرق الزهري

---

(١) الزركلي ، ابو غيث خير الدين محمود ، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء في العرب والمستعربين والمستشرقين ، (بيروت : دار العلم للملايين ، بلا) ، ج٣ ، ص١٢٥ .

(٢) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ج١ ، ص٢٤٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٩ .

(٤) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ج١ ، ص٢٥٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦٩ .

إلى الصحابة مع بيان إذا اختلفوا قال : ((وجب النظر في اختلافهم))[١] ، وعن سلمة بن كهيل بعد ايراد رواية البخاري عنه قال : ((وهذا يقتضي أنه لم يكن سمع من أبي جحيفة))[٢] وله تمييز في الرجال فقد ميّز بين إسماعيل ابن ابان الوراق الازدي الكوفي فقال عنه : ثقة وبين إسماعيل بن ابان الوراق الغنوي الكوفي فقال عنه : كذاب[٣] ، وفي كتابه ضبط للأسماء والوفيات ونقل لألفاظ الجرح والتعديل من مختلف أئمة هذا العلم ، وقال عنه السخاوي : وكان أبو الوليد الباجي قد صنف في الجرح والتعديل وكان : علامة حجة[٤] .

١١ـ علي بن هبة الله بن علي بن جعفر المعروف بابن ماكولا (ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م) .

له كتاب مهم ونفيس بعنوان (الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والانساب) ، وهو يهتم كثيراً في رفع الاشتباه عن الأسماء والالقاب فعادة ما يقع الخلط فيهما وكذلك رفع الاشتباه بين الأسماء والألقاب والكنى وضبط الانساب بالأسانيد[٥] وهو في ذكر ذلك يفصل المعلومات الرجالية ويشعبها فعن لفظة الأخيل فيذكر ممن يذكره إسحاق ابن الاخيل ويقول : حلبي ثقة حدث عن مبشر بن إسماعيل ومعاوية بن هشام[٦] وعن أبي جزي نصر ابن طريف الباهلي حدث عن قتادة وهشام بن عروة والسختياني قال عنه : متروك الحديث[٧] ، ومعرفة هذا العلم منجاة من

---

(١) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ج١ ، ص٢٧٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٢٧٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٣ .
(٤) السخاوي ، الاعلان ، ص٣٤٨ .
(٥) ابن ماكولا ، الاكمال ، ج١ ، ص٤٦ ، من مقدمة المحقق .
(٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٤ .
(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٨١ .

الوقوع في الخطأ في الأسماء والألقاب فعد الواحد المشترك بأكثر منه للاشتباه لذا قال ابن الصلاح : ((من لم يعرفه من المحدثين كثر عثاره))[١] ثم أشار للمصنفات في هذا العلم فقال : ((ومن أكملها الاكمال لأبي نصر بن ماكولا ...))[٢] .

وعن الحباب بن فضالة قال : ليس بالقوي[٣] ، وعن حماد بن عيسى قال : ضعفوا حديثه[٤] وغيرها من آليات ضبط الأسماء والألقاب والكنى ولأهميته اعتمد عليه ابن عساكر في تاريخه كثيراً بل اعتمد عليه اغلب من تأخر عنه مما يدل على أهميته في هذا المجال من المفاهيم الرجالية تمهيدا لنقدها.

وبنهاية القرن الخامس الهجري تكاملت المنظومة الرجالية عند المسلمين وفق منهج المتقدمين وبرزت الظاهرة النقدية ضمن أسس منهجية وان تخللها بعض النقاد غير الموضوعيين ولكن يمكن كشف ذلك وبيان الاتجاه المعرفي كما سيتضح من خلال الفصول اللاحقة .

---

(١) المقدمة ابن الصلاح ، ص٣٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٤٠ .

(٣) الالباني ، ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، تحق : زهير الشاويش ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ) ، ج٣ ، ص٣٢٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص١٧٨ .

الفصــل الثاني

الأصول الرجالية والمناهج النقدية

الأصول الرجالية عند المسلمين :

اخترنا ما أعتمد كأصول رجالية عند المسلمين وهي محور أبحاثهم وعمدة استدلالاتهم في هذا العلم وقد ذكرنا ذلك في بيان عنوان الاطروحة واعتبر الاعتماد على هذه الأصول هو المنهج النقلي في معرفة أحوال الرواة والحكم عليهم أو لهم ، وكانت لهذه الأصول عدة مبان في نقل النص بالتوثيق أو التجريح عن طريق النقل المجرد لعلماء الجرح والتعديل أو النقل الروائي ، ولدراسة هذه الأصول بالتعرف على مضامينها يمكن الوصول للجامع المشترك وتعيين المنهج العلمي في النقد الرجالي بموضوعية تكون المعيار في الأحكام على عنصر الاسناد كطريق للمتون الحديثية .

يعد السند هو العنصر التوثيقي للمتون وعليه اعتماد الاغلبية لذلك وضعوا الأسس في قبول الرواة من عدم قبولهم في النقل التوثيقي فعملوا المصنفات الكبيرة في البحث عن صفاتهم ومدى اهليتهم لحمل هذه الأمانة .

ذكر أحد الباحثين بأن منهج الاسناد وهو يلجأ إلى التعديل والتجريح يستند على مقياس اخلاقي - ديني[1] ، وهو إشارة إلى المنهج النقدي الخارجي للمتون لتصحيح الطرق إلى المتون التي تحمل النص الشارح للنصوص النازلة لذلك فان هذه العملية في صلب المعارف الدينية التي ترتكز على الجانب الاخلاقي المتداخل مع البناء التنظيمي للفكر الاسلامي وثقافته ، ان الاهتمام بالرواة تأصل كمنهج فكري نقلي يعتمد التوثيقية والمصداقية ، وأن تخلله الكثير من الثغرات التي لا يمكن تجاهلها عند الباحثين والدارسين في علوم الحديث بل خضعت المعايير النقدية لدواع غير موضوعية تظهر عند الحديث

---

(١) حمزة ، الحديث النبوي ، ص٢٠٩ .

عن آليات النقد عند علماء الجرح والتعديل .

حاول ابن خلدون استبعاد منهج الاسناد الذي طبقه كل من المحدثين والمؤرخين كالطبري وغيره ، فقد أكد على أن دراسة المتن أهم من دراسة السند[١] بل سابق عليه وهذا ينطبق على المنهج التاريخي دون المنهج الحديثي للفارق بينهما وإن اشتركا في أمور منها السند واعتماده وأن الذين كتبوا التاريخ اغلبهم كانوا من طبقة المحدثين وهو ما فصّله ابن خلدون واستبعد نظرية النقد السندي في التاريخ والبحث في التعديل والتجريح إذا كان الخبر مستحيلاً وهو ينطبق على المنهج التاريخي دون الحديثي لان الاحايث تحمل في اغلبها النصوص الشارحة للاحكام والعقائد فكان الاهتمام بها اكثر ، ثم ذكر أن النقد السندي عند المحدثين معتبر ((في صحة الأخبار الشرعية)) لذلك كان التعديل والتجريح من المناهج النقدية المعتبرة[٢] ومنه وجب النظر في الأسانيد ومعرفة أحوال الرواة من العدالة والضبط وغيرها من الصفات الداخلة في الاعتبار المنهجي[٣] .

لقد كانت نظرية الاسناد في فكر المحدثين هي الطريق الوحيد للمحافظة على المتون ، ومع شدة اهتمامهم وحرصهم كان الوضع قد أخذ مأخذه سواء الوضع في الأسانيد وتركيبها أو الوضع في المتون وقلب الأسانيد الضعيفة إلى الصحيحة باخفاء العلل لعناصر الحديث وكانت هناك عدة دواع لذلك كان من أهمها الصراع السياسي والمذهبي واصبح الحديث الشريف معرضاً لهذا

---

(١) حمزة ، الحديث النبوي ، ص٢٠٩ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ج١ ، ص٣٣٢ .

(٣) للمزيد ينظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ج٣ ، ص٩٣٧ ؛ ولأهمية نظرية الاسناد وأثرها ينظر : الفحل ، ماهر ياسين ، أثر اختلاف الأسانيد والمتون في اختلاف الفقهاء (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٣٠هـ) ، ص٥٩ - ٦٤ .

الصراع مع أن الفرق جميعاً تدعي وحدة المصدر وأصبح لكل رجاله وأسانيده المعتبرة المقبولة مع رفض أسانيد الآخر وإن صحت أو وثق رجالها وعلى هذا تعرض الاسناد إلى النقد حتى من قبل المستشرقين وأدعى المستشرق شاخت أن هذه الأسانيد مختلقة وتزعم نظرية القذف الخلفي[1] التي شاعت في أوساط المستشرقين إذ وصفوها بانها اسهام مهم لدراسة التطورات في الأحاديث النبوية ، وقد ردت بأن كثرة الأسانيد ناتج من الرحلة في طلب علوم الحديث فكثرت الطرق بكثرة الطلب في كل قرن حتى تكاملت في القرن الثالث والرابع والخامس وربما استمرت بعد ذلك فكرة الاتصال بالسند ، استغرب أحمد أمين من تضخم الأحاديث بمرور القرون ثم ذكر أن من اسبابها بل اكبرها قضية الوضع الذي أصابه ومع هذه الكثرة استطاع الثقات من المحدثين تقعيد قواعد الجرح والتعديل[2] فصنفوا الأصول الرجالية لتمييز الرجال وبيان اتصالهم بالأسانيد ثم اتخاذ مناهج النقد لهم كطريق توثيق يجعل تحمل الكلام على عاتق من يرويه وهي نظرة ثنائية ربما نشأت من ثقافة المسلم للحياتين المادية والروحية ، والإسلام بفكرة قبول الشهادة في الأحكام يمكن تعميمها في الراوي والرواية ، ولكنها قد لا تعتمد على التعدد عند بعضهم ثم أوجدوا لها تأصيلاً شرعياً بل أنها صاحبت النصوص الشرعية ولم تنشأ متأخرة كما زعم بعض الدارسين والباحثين في حقل علوم الحديث[3] ، وعلى هذه النظرية يمكن القول أن فكرة الاسناد متأصلة بنقل القول والفعل والتقرير

---

(١) هذه النظرية لجوزيف شاخت (١٩٠٢ - ١٩٦٩م) وهو مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي تتلخص نظريته في افتراض راو واحد في سلسلة الاسناد على أنه هو المحور وهو الواضع للأسانيد لما يرويه من طرقه ، صمدي ، رضا أحمد ، الاسناد عند المحدثين الدلالة التاريخ المنهج ، بلا معلومات طبع ، ص٤ .

(٢) أمين ، أحمد ، ضحى الإسلام ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١م) ، ج٢ ، ص١٢٨ .

(٣) صمدي ، الاسناد عند المحدثين ، ص١٣ .

والرواية وحتى التاريخية منها عن طريق أداء صيغ التحمل عند المحدثين وهي أعلى مراحل التوثيق في نقل المعارف وربما يعرف بالنقل الموثق ولابد للناقل أن يجمع صفات مقبولة ليعتمد نقله ، لذلك من هذه النقطة بدأ علماء الجرح والتعديل تدوين أسماء هؤلاء النقلة بطريق معرفة طبقته فكل طبقة تروي عن سابقتها وهذا المنهج في تدوين الأصول الرجالية المعتمدة سهل للباحثين معرفة شرط المعاصرة في الرواية وأنه من الطبقة نفسها وأتاح للباحثين أن يتعرفوا على شرط آخر هو اللقاء وهل روى عن معاصره أم لا ؟ وهي آفة الحديث الموضوع الذي يمكن كشفه بتتبع طرق الأحاديث ومتونها .

إن تتبع الاسناد نتيجة لاهتمام المحدثين به أكثر من المتن في حين كان الفقهاء والاصوليون أكثر اهتماماً بالمتن لكشف صحته وبيان علته المؤثرة فيه في حين أن العلة عند المحدثين تقع وتؤثر فيه إذا كانت في الأسانيد[1] وفي المتون أيضاً ، ويبدو أن منهج المحدثين في الاهتمام بالأسانيد ذكرها ابن حجر بقوله : ((أكثر المحدثين في الاعصار الماضية من سنة مأتين وهلم جرا إذا ساقوا الحديث باسناده اعتقدوا أنهم برؤا من عهدته))[2] ، وهذا المنهج ولّد الأهمية القصوى بالرجال وأحوالهم وما قيل فيهم فكانت الأصول الرجالية المعتبرة في التقويم الرجالي وهو تأصيل لهذا العلم ابتكرته الحضارة الإسلامية كتوثيق لأفكارها وثقافتها وصيانة لدينها من المدخولات والموضوعات بالتحذير من الوضاعين والمدلسين والمنتفعين بالتقريب للسلطان واضفاء الشرعية له .

وبوجود سلسلة الأسانيد تفرع علم الرجال الذي يعرف من تداخل عدة علوم في مجال الكشف عن حال الراوي منها الكتب الرجالية في الجرح

---

(١) الخطيب ، معتز ، رد الحديث من جهة المتن دراسة في مناهج المحدثين والأصوليين ، (بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ٢٠١١م) ، ص٩١ .

(٢) لسان الميزان ، ج٣ ، ص٧٥ .

والتعديل وأسماء الرواة وبيان طبقاتهم وتراجمهم وكتب الحديث والأمالي والكتب التاريخية من السير والتراجم وكل ما له علاقة في الكشف عن احوال الرواة من مثل تواريخ المدن والأسر والشخصيات تدخل في حقيقة الأمر في بيان حال الراوي والحكم له أو عليه .

ويبدو أن المنهج النقدي قد اعتمد على عدة مرجحات في دراسة الرجال واصبح للمحدثين مجموعة من الرجال يعتمدون عليهم في تصنيفهم الكتب الحديثية لذلك اختلف المنهج بين المؤرخين والمحدثين فلم يقم الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) بعمل نقدي للأسانيد مثل عمل البخاري ومسلم[١] ، وعمل المحدثين وإن انصب كثيراً على الأسانيد وهي تهمة وجهت من قبل المستشرقين وغيرهم ولم يلتفتوا بنظرة كلية للتراث الإسلامي فإن عمل المحدثين وجهدهم في اثبات النسبة إلى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم كانت موضع اهتمامهم وقد أكمل عملهم الأصوليون والفقهاء فقد ركزوا على المتون[٢] .

يقر المستشرق جولدتسهير بأن المسلمين قد وضعوا علم نقد الحديث لوقف خطورة الوضع وأقر بفرق النقد بين المسلمين والغربيين وعبر عن ذلك بقوله : ((ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا))[٣] ، إن وجهات النقد الغربي مبنية على النظرة الاحادية (الدنيوية) في أن وجهات النقد عند المفكر الإسلامي تعمل بثنائية (دنيو - أخروية)

---

(١) العمري ، اكرم ضياء ، منهج النقد عند المحدثين مقارناً بالمنهج النقدي الغربي ، (الرياض : دار اشبيليا ، ١٤١٧هـ) ، ص٣٩٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٤٧ .

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة : محمد يوسف موسى ، (بيروت : منشورات الجمل ، ٢٠٠٩م) ، ص٧٠ .

وهذا الاختلاف النقدي للمنجز الإسلامي أو حتى الغربي قد حكمته هذه الثنائية في ثقافة المسلم منذ عرف الإسلام إلى اليوم .

ولكن مع وجود هذه الثنائية لابد من إعادة النظر في مناهج علوم الحديث وبيان مدى تأثير العوامل السياسية والاجتماعية والدينية في الوضع والاختلاق وبيان مدى قدرة منهج علماء الحديث على تنقية مدونة الحديث[١] سنداً ومتناً بالرجوع إلى أسس وضع هذه المناهج وأسس تطبيقاتها الفعلية في اعتماد نظرية الاسناد الطريقي إلى النص واهتمامهم بهذا الطريق بأسس تحتاج في مجالها التطبيقي إلى إعادة نظر .

حاول مصنفي الأصول الرجالية بيان أسسهم في النقد على منهجين :

١- المنهج النصي :

اعتمد هذا المنهج العديد من مصنفي كتب الرجال منهم البخاري في تاريخه وبدأ به باسم محمد تشريفاً للنبي باسمه صلّى الله عليه وآله وسلم حتى يصل إلى (٨٧١) ترجمة باسم محمد ومن الترجمة (٨٧٢) يبدأ بحرف الألف ثم يتابع بقية الحروف ، تميزت هذه الترجمات بالقصر في أغلب أجزاء هذا التاريخ وهو قد جمع بين الثقات والضعفاء ، وكان يميل إلى الاختصار والاكتفاء بما يشير إلى مكانة صاحب الترجمة عند المحدثين[٢] ، واعتمد البخاري على منهج التقليل من عبارات التوثيق حتى لاشهر المحدثين كأحمد ابن حنبل وابن راهويه وابن المديني لذا اعتبر ذلك عند أكثر المحدثين كالتوثيق ما لم يذكر الجرح[٣] ، ففي أحمد بن محمد بن حنبل قوله : ((سكن بغداد

---

(١) حمزة ، الحديث النبوي ، ص٢٢٠ .

(٢) العمري ، محمد علي ، دراسات ، ص٩٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٠٠ .

مات سنة احدى واربعين ومائتين ، الذهلي من ربيعة سمع إبراهيم بن سعد وابن عيينه))[١] وفي ابان بن تغلب الكوفي قال : ((سمع الحكم وفضيل بن عمرو وأبا إسحاق الهمداني روى عنه شعبة وابن عيينه وحماد بن زيد))[٢] ، ولم يذكر سماعه عن الامام الباقر أو الامام الصادق عليهما السلام في حين ذكر المزي روايته عن أبي جعفر محمد بن علي[٣] وذكر ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب[٤] ، وعلى هذا تكون الترجمة مقتضبة جداً بحذف بعض المعلومات المهمة منها او انه اعتمد الاختصار في تاريخه وهذه المناهج التي لا يخلو منها طرف ممن دوّن في هذا العلم .

ومنهج تدوين الرجال من المحدثين عند البخاري قد يبدو مختصراً جداً وهو قد يصل إلى مجرد ذكر الاسم وتعقبه كلمة واحدة في مثل عنبسة بن عبد الرحمن القرشي إذ اكتفى بقول : ((تركوه))[٥] وكثر ذلك في باب الكنى ويمكن القول أنه ايضاح الكنية إلاّ في بعض المواضع إذ يروي رواية عن صاحب الكنية في مثل أبي المبارك إذ يضعه في السند بكنيته ولم يوضع الاسم[٦] وعند تشابه الكنية يبين الاسم في مثل أبي العريان فهم ثلاثة الأول اسمه هيثم بن الاسود والثاني اسمه انيس والثالث اسمه بركة[٧] ، وقد يطيل الترجمة ولكنها نادرة جداً ففي ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الاسلمي الانصاري المديني فقد استغرقت ترجمته خمس صفحات ،

---

(١) البخاري ، التاريخ ، ج٢ ، ص٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤١٨ .
(٣) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٢٦ ، ص١٣٨ .
(٤) ج١ ، ص٨١ .
(٥) البخاري ، التاريخ ، ج٦ ، ص٣٤٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٧٨ .
(٧) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٩٥ .

وأكثر رواياته عن أبيه[١] ، وأطال في ترجمة نعيم بن همار ولكنها أقل من ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله فقد استغرقت أكثر من صفحة[٢] وفي عمران ابن أبي الجعد نصف صفحة[٣] .

اهتم البخاري في تاريخه بالمحافظة على ايراد سند المترجم له وعمن يروي ومن ثم يصدر حكمه على المترجم له ففي عمران بن سريع قال : ((في حديثه نظر))[٤] ، وقد يكرر نفس الترجمة كما في مثل محمد بن ايوب فقد ترجمه ثلاث مرات[٥] في حين أنهم واحد[٦] ومن منهجه أنه يذكر أحياناً بلد المترجم له ففي مثل إسماعيل بن إبراهيم قال عنه ((سكن بغداد)) وعن إسماعيل ابن إبراهيم أبو يحيى التيمي كوفي[٧] ، وفي إسحاق بن خليفة قال : ((حديثه في الكوفيين)) وفي عبارة أخرى عن إسحاق بن خُليد قوله : ((حديثه عن الكوفيين))[٨] ، أن هذه التفصيلات من مهمات المنهج الرجالي لتمييز الرجال حسب بلدانهم وحسب مدارسهم فإن الكوفة تختلف عن غيرها من المدارس الحديثية فمن عرف ذلك ميّز الأحاديث والرجال وعرف اللقاء والمعاصرة باختلاف الرجال وبلدانهم فهل هم رحلوا إلى الكوفة مثلاً حتى ينقلوا أحاديثهم ؟ وهكذا بقية المدارس كالبصرة والمدينة المنورة وخراسان والشام ومصر .

---

(١) البخاري ، التاريخ ، ج٥ ، ص١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢١١ .

(٤) البخاري ، التاريخ ، ج٦ ، ص٢١٠ ؛ وقال عن إسماعيل بن إبراهيم نفس العبارة (في حديثه نظر) ، ج١ ، ص٣٢٢ ؛ وعن محمد بن معاوية البصري قال : (وفي نظر) ، ج١ ، ص٢٤٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣١ .

(٦) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٧ ، ص٢٦٦ .

(٧) البخاري ، التاريخ ، ج١ ، ص٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٨) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٦١ .

وفي احيان يحدد طرق الرواة فعن داود بن راشد الواشحي قال : ((يُعد في البصريين سمع الحسن سمع منه موسى بن إسماعيل البصري))[1] ، وعن ربيعة الجرشي قال : ((يعد في الشاميين))[2] ، فقوله في الكوفيين والبصريين والشاميين والمصريين وغيرهما من البلدان فيه دلالة على الدقة المنهجية في النقد الرجالي حتى لا تختلط المدارس الحديثية فإن لكل بلد ميزته وميولاته وفي المقارنات يمكن استنتاج الجامع الصحيح المشترك بين هذه المدارس المنهجية وهي إشارة مهمة ذات قيمة علمية في المعرفة الاجتماعية وأثرها في التقويمات الرجالية .

ومن دقته أنه قال في سالم بن أبي الجعد وروايته عن زياد بن لبيد البيضاني قوله : ((ولا أرى سالماً سمع من زياد))[3] ، وفي سوار أبو إدريس المرهبي قال : ((أراه همدانياً))[4] وهي إشارة إلى المعرفة القبلية التي لها دخل في تشخيص الرجال ومعرفة أنسابهم وقبائلهم وميولاتهم وفي نقده لمن سمع من غيره يتوقف أو يصرح أو هو لا يعرف ويذكر ذلك كما في عبد الله بن مليل قال : ((روى عنه الاعمش ، كوفي ولا يعرف سمع منه الاعمش أم لا ؟))[5] ، وفي عبد الله بن أبي مرة بعد ذكر من روى عنه قال : ((ولا يعرف سماع بعضهم من بعض))[6] ، وهنا يترك فرصة للبحث العلمي وكشف الحقائق من مصادر أخرى أو بعقد المقارنات في الأسانيد والمتون عن هؤلاء الأشخاص الرواة للإطلاع عنهم ونقدهم نقداً علمياً موضوعياً .

---

(١) البخاري ، التاريخ ، ج٣ ، ص٢١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٤٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٩١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٥١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٩٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٩٣ .

ومن منهجه بعد بيان سند المترجم له ونسبه وبلده يعطى حكمه في النهاية في السماع من احدهما أو التوقف أو تفصيل أكثر ففي عبد الله بن مخارق بن سليم السلمي ولما انهى ذكر من روى منه وعنه ذكر : ((وروى أيضاً سليمان الشيباني عن مخارق بن سليم الشيباني فلا ادري ما بينهما))[١] ، هذا المنهج النقدي اعتمده في اغلب أجزاء الكتاب وهو بيان الراوي باسمه ولقبه وبلدته وقبيلته وعداده أي بيان مدرسته ثم بيان الراوي عنه وطريق اسناده ثم تعديله أو تجريحه ولكنه سكت عن كثير من الرجال المشهورين وغير المشهورين ، ويهتم كثيراً في بيان السماع لكل رجاله الذين يترجم لهم وفي بعض الاحيان يذكر سنوات الوفاة .

ينقل البخاري في تاريخه أقوال النقاد من الرجاليين وإن كانت مختلفة ومتناقضة ففي عبد الله بن معاذ ينقل قول يحيى بن معين فيه : ((كان ثقة ، عبد الرزاق كان يكذبه ، وقال هشام بن يوسف : هو صدوق))[٢] ، في احيان لم يذكر الأسماء من علماء الجرح والتعديل فعن عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني قال عنه : ((تركوه ، منكر الحديث))[٣] فهنا لم يذكر أسماء الذين تركوه من المحدثين ، وفي عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال : ((ضعفه علي جداً))[٤] ، وقد يرجح المدينة كما في عبد الرحمن بن سلمة الجمحي القرشي فقال : ((أراه من أهل المدينة))[٥] ، وقد يرجح القبيلة ففي عبد الرحمن بن سلمة قال : ((أو سلمة بن عبد الرحمن : أراه من بني

---

(١) البخاري ، التاريخ ، ج٥ ، ص١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٧٣ .

سليم))[١] ، وفي بعض الاحيان لا ترجيح له فيعبر بقوله : لا أدري[٢] ، ويشير إلى شهرة المترجم له وشهرة أحاديثه في بلد فمثلاً عبد الرحمن بن عقبة حديثه في المصريين وعبد الرحمن أبو عمرو الحداني حديثه في البصريين وعبد الرحمن بن أبي عاصم الدالاني حديثه في الكوفيين[٣] ، وعبد الرحمن ابن عثمان العدني حديثه في أهل اليمن[٤] وعبد الرحمن بن عمار حديثه في أهل المدينة[٥] وفي عبد الرحمن بن قتادة السلمي حديثه في الشاميين[٦] ، ومن منهجه أن يورد كثيراً من الأحاديث ويحكم على بعضها ويسكت عن البعض الآخر[٧] ، وهذا المنهج النقدي يفصل عنصر الاسناد بشكل أكثر دقة وبه يمكن رفع الملابسات الخفية عن الأسانيد الكثيرة والتي تضخمت كثيراً فيما بعد القرن الثالث والرابع والخامس وربما السادس والسابع والثامن .

إن دراسة المنهج النصي ونقل ذلك يوفر المادة العلمية حول الرواة من جوانب عدة لها المدخلية في إصدار حكم الجرح أو التعديل أو ربما التوقف الذي ذكره البخاري في تاريخه بشكل صريح ، ومن الأمور التي ذكرها البخاري أن بعض المحدثين قد ذهب حديثه كما قال عن : عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية[٨] ، وبعضهم أن حديثه ليس بشيء ، كما قال ذلك عن عبد

---

(١) البخاري ، التاريخ ، ج٥ ، ص١٧٣ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٦٧ ، ص٦٩ ، ص٧٠ ، ص٩١ ، ص١٧٧ ، ص١٩٤ ، ص٢٠٠ ، ص٢٢٣ ،

(٣) البخاري ، التاريخ ، ج٥ ، ص٢٠١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٣ ، وكذا ص٢٠٥ ، ص٢٠٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٩ ، وكذا ص٢٢٥ ،

(٧) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٣ .

(٨) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٧ .

الرحمن بن مالك البجلي[١] ، وقال عن غير هؤلاء كلام آخر فقد ذكر عبيد الله ابن عبد الله وقال عنه أنه معروف الحديث[٢] وعن ربيع بن مالك قوله : لم يثبت حديثه[٣] .

هذه المنهجية في نقل الأخبار عن الرواة هي الغالبة في أكثر كتب النقد الرجالي وقد ظهر منهج البخاري في تدوين كتابه في التاريخ من الاهتمام بالترجمة من عدة نواح منها الاسم والكنية واللقب مع الحرص في بيان السماع وهو فيما يبدو منهجه الذي اعتمده حتى في الصحيح التأكيد على اللقاء وهل أنه سمع من راويه أم لا ؟

إن بحث الاتصال السندي هو الشغل الشاغل للمحدثين والنقاد في الفكر الإسلامي على أن يكون بدون علة ظاهرة أو خفية فيه لذلك عد البخاري من شروطه اللازمة اللقاء بين الراوي والمروي عنه[٤] ، وما جاء في كتابه هذا له آثار مهمة جداً في الاعتماد عليه والنقل منه في اغلب كتب الرجال النقدية فلا يكاد يخلو كتاب في المنهج النقدي من آرائه ، لذا نقل أحد المعاصرين هذه الآثار بقوله : ((لقد كانت أقوال البخاري عمدة المصنفين في الانساب وسني الوفاة والتمييز بين الأسماء المشتبهة))[٥] ، وقد اشتهر بمعرفة الأسانيد المقلوبة وله باع كبير فيها[٦] لذا كان البخاري من نقاد الرجال والأسانيد فقد ترجم لأكثر من (١٣٩٨٣) ترجمة ، ولكنه خرج في صحيحه بما لا يتجاوز الألفين[٧] ممن ترجم

---

(١) البخاري ، التاريخ ، ج٥ ، ص٢١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٤١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٣٨ .

(٤) العمري ، دراسات ، ص٢٢٢ .

(٥) المرجع نفسه ، ص٩٩ .

(٦) للمزيد ينظر : أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ص٤٠ .

(٧) محمد ، يحيى ، مشكلة الحديث ، (بيروت : دار الانتشار العربي ، ٢٠٠٧م) ، ص٧٣ .

لهم في تاريخه وتأثر في إصدار احكامه النقدية بكبار النقاد في عصره فقد نقل عنه قوله في علي بن المديني وهو من كبار النقاد قوله : ((ما استصغرت نفسي عند أحد إلاّ عند علي ابن المديني))[1] ، وهو يقبل نقد أحمد وابن معين والقطان وغيرهم[2] ففي عمارة ابن جوين قال : تركه يحيى القطان[3] ، وعن عيسى بن أبي عيسى قال : ضعفه علي عن يحيى بن القطان[4] وقبل قول غيره في محمد بن درهم العبسي فقال : ((قال لي عبد الله الجعفي عن شبانة : وكان ثقة))[5] .

وفي إسحاق أبو الغصن ذكر أن يحيى بن سعيد سمعه ثم تركه[6] ، وفي محمد ابن مصعب القرقساني قال : ((وكان يحيى بن معين سيء الرأي فيه))[7] .

وعلى هذا المنهج سلك صاحب (الجرح والتعديل) ابن أبي حاتم الرازي في إظهار أحوال الرواة وبيان الثقة من غير الثقة للحكم له أو عليه وهو ثمرة هذا العلم بوجوب الفحص عن الناقلة لهذا الدين[8] ، وقد فصّل ذلك في كتاب (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل) إذ استعرض تاريخ تطور علم النقد الرجالي إلى أن وصل إلى أبيه وهو من كبار النقاد في هذا العلم من الطبقة الرابعة ، كان منهجه في التقدمة بيان أهمية الاسناد في الفكر الإسلامي

---

(١) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ص٣٧٨ .
(٢) العمري ، دراسات ، ص١٠٤ .
(٣) البخاري ، التاريخ ، ج٦ ، ص٢٨٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٠٤ .
(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٣٧١ .
(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٣٩ .
(٨) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٥٤ .

وبيان من لهم الزعامة النقدية في هذا العلم الذي أرخ له وبيّن أهميته بالطريقة النصية عن فحول النقاد ممن يختص بالمنهج النقدي ، فقد عمم الكذب على الرافضة فلا يكتب عنهم[١] ولا يمكن الوثوق بهذا التعميم لأن النقاد والمحدثين قد نقلوا الأحاديث عنهم في الصحاح كابان بن تغلب وغيره .

يعد كتاب (الجرح والتعديل) من الأصول الرجالية المعتمدة في مدرسة جمهور المسلمين وعليه المعول في التقويمات الرجالية والبناء الحكمي على الأسانيد بعد الرجوع إلى هذه الآراء النقدية الواردة فيه .

اعتمد ابن أبي حاتم في هذه الممارسة النقدية على أبيه وعمه أبي زرعة فقد أملى عليه نقدهما في رواة الحديث خصوصاً الذين ترجم لهم البخاري في تاريخه الكبير[٢] وهذه المدونة الرجالية تعد من أجمع كتب المتقدمين[٣] ، وإليها يرجع ممن ألف بعدها من العلماء إذ جمع ابن أبي حاتم أقوال المتقدمين والمتأخرين إلى أبيه وأبي زرعة وممن له أسس في هذا العلم من العلماء لذا قال : ((ولم نحكِ عن قوم قد تكلّموا في ذلك لقلة معرفتهم به)) ومن منهجه ارجاع النقد إلى صاحبه فقد ذكر : ((ونسبنا كل حكاية إلى حاكيها والجواب إلى صاحبه))[٤] .

وقد نهج ابن أبي حاتم منهج حذف التناقض في الأقوال كما صرح فقال : ((ونظرنا في اختلاف أقوال الأئمة في المسؤولين عنهم فحذفنا تناقض قول كل واحد منهم ، وألحقنا بكل مسؤول عنه ما لاق به وأشبهه من جوانبهم))[٥] ،

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٣١٨ .

(٢) الدايني ، تاريخ النقد ، ص٩٦ .

(٣) الخطيب ، محمد عجاج ، المختصر ، ص١١٣ .

(٤) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٣٢٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٢٤ .

وهو اعتراف واضح بوجود تناقض في منظومة وأسس الجرح والتعديل عند هؤلاء النقاد إذ لم يبين سبب التناقض في هذه المنظومة .

لقد أكد على إضافة أسامي كثيرة هي مهملة عند النقاد ولكن ادراجها في هذه المنظومة رعاية لحفظ قاعدة جمع كل من روى عنه العلم رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم على أن تلحق فيما بعد ، لذا عبر عن ذلك بقوله : ((فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى))[1] ، وهو تأكيد على عدم استيعاب منظومة الجرح والتعديل لجميع الرواة آنذاك .

إن المقارنة بين ما جاء في منهج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل) فإن الأخير اعتمد ايراد الاسم ثم نقل النص عنه من أبيه وعمه وهو منهج اعتمده يختلف عن منهج ترجمة البخاري في كتابه ، فقد نهج منهج النقل أما عن طريق السماع عن أبيه أو السؤال عن الراوي وفي احيان يسمع من أبيه وعمه وهذا في اغلب أجزاء هذه الموسوعة الرجالية ويمكن أن يقال أنها عملية ثلاثية تعتمد قراءة جديدة لما ترجم إليه البخاري من الرجال تولى ابن أبي حاتم وبأمر من أبيه وعمه أبي زرعة استعراض الرجال واحدا بعد واحد ثم بدأت عملية نقدهم جرحاً أو تعديلاً[2] ، كانت الترجمات النقدية في هذا الكتاب قد بلغت (١٨٠٣٨) ترجمة وقد نهج منهجاً في بيان ألفاظ الجرح والتعديل أو بيان السماع والرواية أو السكوت في بعض الحالات أو التصريح بلفظ لا أعرفه أو مجهول لا أعرفه[3] ، وقد تكرر لفظ سمعت من أبي إشارة إلى ألفاظ الجرح والتعديل أو بيان الحكم النقدي بشكله الأعم وهذا المنهج في أغلب أجزاء هذه المدونة ، ولكنها بالاطار العام تشبه مدونة

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٣٢٤ .

(٢) الدايني ، تاريخ النقد ، ص٩٦ .

(٣) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٩ ، ص٢٤٨ .

الامـام البخـاري الرجاليـة ، أي أنهـا ذات مـنهج نصـي وليسـت نقـل روائـي والحكم على المروي .

إما كتاب (الثقات) لابن حبان فقد اتخذ منهج الطبقات والتسلسل التاريخي إذ بدأ أولاً في السيرة النبوية وقدم مقدمة بيّن فيها أهمية معرفة السنن التي هي من اعظم اركان الدين وأنه لا سبيل إلى معرفة السقيم من الصحيح ولا معرفة صحة إخراج الدليل من الصريح إلاّ بمعرفة ضعفاء المحدثين وأحوالهم[١] ، ثم ذكر علة تأليف (الثقات) بذكر اسمائهم لتمييزها عن الضعفاء فإن ذكر أسماء المحدثين والفقهاء من أهل الفضل والصالحين ومن سلك سبيلهم ليسهل حفظها ووعيها[٢] ، ثم ذكر أيضاً أن منهجه حذف الأسانيد وسلوك سبيل الاختصار وهو ما اعتمده تسلسل أحداث السيرة النبوية وما بعدها من أحداث ووقائع الحكم الأموي والعباسي بشكل مختصر وبايراد أسماء الخلفاء باعتماد التقويم السنوي ثم ختم هذا السرد التاريخي وأحال إلى كتابه في الخلفاء من بني أمية وبني العباس لمن أراد المزيد[٣] ، ثم بدأ بكتاب الصحابة من الرجال والنساء بذكر روايات أهمية القرن الذي فيه الصحابة ومن افضلهم العشرة الذين شهد لهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بالجنة ثم يحيل بعضهم إلى ما ذكره في أخبار السيرة ويذكر الباقين منهم[٤] ، قبل أن يبدأ بالألف ليشرع في الأسماء والترجمة وبما أن كتابه بعنوان (الثقات) فإن ما يذكره هنا هم الثقات من الرجال وهو منهج اعتمد الفرز والحصر خلافاً لمدونات كانت جامعة بين الثقات والضعفاء وإن كان هناك من اعتمد هذا المنهج في ايراد الضعفاء فقط وكانت مدونات كبيرة في هذا المجال المعرفي .

---

(١) ابن حبان ، الثقات ، ص٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٤٨ .

إن من أهـم الاعتراضـات على هـذا المنهج هـو توثيـق مجهـول الحـال خلافـاً للجمهور من علماء الجرح والتعديل[١] ، ويقتضي منهج ابن حبان تعديل الراوي ما لم يثبت فيه جرح إذا روى عن ثقة وروى عنه ثقة ولم يرو منكراً ، ولكن هـذه القاعدة قد ردت بأنه كم ثقة روى عن ضعيف والعكس صحيح وبهذا المنهج عد من المتساهلين في النقد[٢] وإن عده بعضهم من المتعنتين المشددين في الجرح[٣] ولأهمية علم الجرح والتعديل عند ابن حبان فقد ألف في المجروحين كتابه (المجروحين من المحدثين) والكتاب آثاره واضحة في كتب الجرح المدونة من بعده[٤] .

وبهذه المؤلفات يبدو أن التكامل المعرفي لمنظومة الجرح والتعديل عند ابن حبان قد ظهرت واضحة في كتابيه لمن يريد مزيد معرفة في منهجه ومبناه .

احتوى كتاب (الثقات) على اربعة طبقات هم : طبقة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وممن روى عن اتباع التابعين ، ففي الطبقة الأولى ذكر (١٥٩٥) صحابياً وصحابية ثم ختم هذه الطبقة مبيناً منهجه في ذكرهم وثمرة ذلك تظهر لمن ينتحل صناعة الفقه والحديث معاً ، وابان عن غرضه في الخاتمة الخاصة بهذه الطبقة فقال : ((واغضينا عن التوصيف فيه لأن الغرض منهم اللقي ...))[٥] ، ويظهر من هذا النص أن شرط التحديث والاتصال السندي اللقاء عنده ، ثم يبدأ ابن حبان في ذكر أسماء وتراجم التابعين الثقات منهم دون الضعفاء والمتروكين فقد ترجم لـ (٤٨٦٧) منهم من الرجال والنساء وذكر في

---

(١) بنعضرا ، العقل المستقيل ، ص٢٨ .

(٢) العمري ، دراسات ، ص١٠٢ .

(٣) التهانوي ، قواعد في علم الحديث ، ص٨٧ .

(٤) ابن حبان ، كتاب المجروحين من المحدثين ، تحق : حمدي عبد المجيد السلفي ، (الرياض : دار الصميعي ، ١٤٢٠هـ) ، ص٦ من مقدمة المحقق .

(٥) ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص٤٨٢ .

خاتمة ذلك بأن ما وجد اسمه في هذا الكتاب فهو صدوق ويجوز الاحتجاج بروايته بشرط تجرده عن خصال خمسة :-

١- أما أن يكون فوق الشيخ الذي ذكره شيخ ضعيف سوى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم .

٢- أو دونه شيخ واه لا يجوز الاحتجاج بخبره .

٣- أو الخبر يكون مرسلاً لا تلزمه الحجة .

٤- أو يكون منقطعاً لا تقوم بمثله الحجة .

٥- أو يكون في الاسناد شيخ مدلس لم يبين سماع خبره عمن سمع منه .

هذه هي الخصال الخمسة ، فإذا وجد الخبر متعرياً عنها فإنه لا يجوز التنكب عن الاحتجاج به[١] وبهذا النص اتضح منهجه في بيان الرواة ونقدهم فردياً بالتجريد خارج السلسلة السندية أما داخلها فشرط خلو ذلك من خصال خمسة ، ثم شرع ابن حبان في بيان اتباع التابعين فقال في خاتمة طبقة التابعين : ((ثم أنا ذاكرون بعد هذا القرن القرن الثالث الذين شافهوا التابعين في الأقاليم ...))[٢] ، وهؤلاء أيضاً محكومون بالشرط الذي ذكره والتجرد بالخصال الخمسة وشرط آخر هو اللقى ثم بين أن منهجه في هذه الطبقة بيان الراوي وممن يروي ومن يروي عنه وسماه الشيخ الذي فوقه والشيخ الذي دونه[٣] .

ذكر في كتاب اتباع التابعين (٥٥٥٢) اسماً ممن رووا عن التابعين ، ثم يذكر في الجزء الأخير أسماء من روى عن اتباع التابعين فيكون ابن حبان استوفى

---

(١) ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص١٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٧٧ .

اربع طبقات في كتابه الثقات وكان عددهم (٤٤٨٨) راو وبذلك ختم كتابه بقوله : ((وكل من كان بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ثلاثة انفس في اللقى ادخلناه في كتاب تبع الاتباع هذا))[١] ، ثم ذكر أن الحديث لا يكتبه كل إنسان ولا يحفظه كل من كتبه ولا يميزه كل حافظ ثم يؤكد على أهمية الحديث للمسلمين ويقول : ((قوام لدينهم))[٢] و ((يدفع الكذب عن رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم))[٣] .

إن هذا النص الذي ذكره يبين أهمية الحديث في الفكر الإسلامي فهو يدخل في المنظومات العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية ويؤثر في صياغتها الواقعية لذا عبر عنه قوام الدين به .

كان منهجه في كتاب الصحابة ذكر الأسماء ممن روي عنه الأخبار أما من ذكر عنه الأفعال والآثار فقد مر في استعراض السيرة[٤] ، وكان إذا بدأ الحرف ينتهي بذكر النساء ثم يبتدأ بذكر الحرف الذي يليه ثم يختمه بذكر النساء وهكذا بقية الحروف إذا وجد روايات ولم يجمع الروايات في آخر الكتاب[٥] .

لقد تكامل عدد ثقاته (١٦٥٠٢) راو على الترتيب الطبقي وقد تنوعت الترجمات ولكنه غلب عليها الترجمة القصيرة جداً والمقتضبة إلاّ في بعض الحالات كترجمة مثلاً محمد بن إسحاق بن يسار فقد اسهب في الدفاع عنه من الطعون الموجهة له من قبل رجلين : هشام بن عروة ومالك بن أنس ونقل أقوال يحيى بن معين وشعبة وسفيان وعلي بن المديني وغيرهما بأنه : ثبت في

---

(١) ابن حبان ، الثقات ، ج٥ ، ص٦١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٥ ، نفس الصفحة .

(٣) المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٠ .

(٥) للمزيد ينظر : أجزاء الكتاب الخمسة .

الحديث وأمير المؤمنين فيه وصدوق وثقة[١] .

وفي ترجمة أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ذكر منهجه الموضوعي في الجرح والتعديل لذلك ذكر : ((نعطي كل شيخ حظه مما كان فيه ، ونقول في كل إنسان ما كان يستحقه من العدالة والجرح)) ثم بين في نفس الموضع وضع الثقات والضعفاء على هذا المنهج الحيادي[٢] ، وهذا المنهج يعرف منه حسب تطبيقاته في الرواة بأن يرجع إلى المقارنات ومدى تطبيقه يعتمد على ذلك .

وفي ترجمة أبو بكر بن عياش يعطي حكمه النقدي المستقل بقوله أنه : ((من الحفاظ المتقنين)) مع جرحه من قبل يحيى القطان وعلي بن المديني وهم أئمة الجرح والتعديل مع هذا يحكم ابن حبان على عدالته وعدم تأثير الوهم والخطأ فيه لذا قال : ((والخطأ والوهم شيئان لا ينفك عنهما البشر)) فلا يستحق مجانبة رواياته وترك حديثه بعد عدالته وصحة سماعه ثم يصرح بقوله : ((والصواب في أمره مجانبة ما علم أنه اخطأ فيه ، والاحتجاج بما يرويه سواء وافق الثقات أو خالفهم لأنه داخل في جملة أهل العدالة ، ومن صحت عدالته لم يستحق القدح ولا الجرح إلاّ بعد زوال العدالة عنه بأحد أسباب الجرح ، وهكذا حكم كل محدث ثقة صحت عدالته وتبين خطأه[٣] .

يعد كتاب رجال النجاشي المقدم من المدرسة الإمامية في نقد الرجال إذ اعتمد منهج النص على الرواة بالحكم بعد بيان أسمائهم وما يتعلق بالكتب المؤلفة مع بيان الطرق إلى هذه الكتب اختلفت تراجمه ونقده للرجال الذين ذكرهم في كتابه ولكن تراجمه تفاوتت بين القصر والإيجاز وفي بعض الحالات

---

(١) ابن حبان ، الثقات ، ج٤ ، ص٢٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٤١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٤٢٩ .

الاطناب[1] ، وجاء الاطناب بسبب ذكر المؤلفات للرواة الذين يكثرون من التأليف .

كان منهج النجاشي النقدي متعدد الألفاظ في الجرح والتعديل فقد استعمل ألفاظ منها : الثقة[2] وقد يكرر الثقة في دلالته على شدة الوثاقة ، ويمكن احصاء ألفاظه النقدية بالشكل الآتي :

١- ثقة .
٢- ثقة ثقة .
٣- ثقة ثقة صحيح .
٤- ثقة ثقة من أصحابنا عين سديد كثير الحديث .
٥- ثقة ثقة جليل من أصحابنا .
٦- ثقة ثقة لا يعدل به أحد من جلالته ودينه وورعه إليه .
٧- ثقة صدوق .
٨- ثقة عين صدوق .
٩- ثقة صدوق لا يطعن عليه .
١٠- ثقة عين .
١١- من عيون أصحابنا .
١٢- ثقة وجه .

---

(١) للمزيد ينظر : النجاشي ، الرجال ، ص٤ ، ص٦ ، ص١٠ ، ص١٦ ، ص٣٤ ، ص٣٩ ، ص٤١ ، ص٤٢ ، ص٥٨ ، ص٦٣ ، ص٧٦ ، ص٨١ ، ص٨٥ ، ص٨٩ ، ص٩٤ ، ص١٠٢ ، ص١١٥ ، ص١٢٨ ، ص١٣٢ ، ص١٦٧ ، ص١٧٧ ، ص١٩٧ ، ص٢٣٢ ، ص٢٤٠ ، ص٢٤٧ ، ص٢٥٢ ، ص٢٥٣ ، ص٢٥٧ ، ص٢٦١ ، ص٢٦٣ ، ص٢٦٥ ، ص٢٧٠ ، ص٢٧٦ ، ص٣٠٧ ، ص٣٢٠ ، ص٣٢٥ ، ص٣٢٦ ، ص٣٢٨ ، ص٣٣٠ ، ص٣٣٣ ، ص٣٣٥ ، ص٣٤٨ ، ص٣٥٠ ، ص٣٧٤ ، ص٣٧٧ ، ص٣٧٩ ، ص٣٨٥ ، ص٣٨٩ ، ص٣٩٩ ، ص٤٣٣ ، ص٤٣٤ ، ص٤٤٦ .

(٢) ص٢٨ في ترجمة إسماعيل بن زيد الطحان وغيره المئات ذكرهم بلفظ (الثقة) .

١٣- ثقة عين عند الكوفيين أو القميين أو عند أصحابنا .

١٤- ثقة صحيح الرواية واضح الطريقة .

١٥- ثقة جليل في أصحابنا كثير الرواية .

١٦- ثقة جيد الحديث ، نقي الرواية ، معتمد عليه .

١٧- ثقة سليم الجنبة .

١٨- مسكون في روايته .

١٩- لا بأس به .

٢٠- اصدق عندي لهجة .

٢١- الراوي من بيت كلهم ثقات أو ثقة من بيت الثقات وعيونهم .

٢٢- قريب الأمر .

٢٣- خيراً فاضلاً[١] .

أما ألفاظ الجرح فقد استعمل عدة منها :

١- ضعيف وضعيف الحديث .

٢- ضعيف الحديث فاسد المذهب .

٣- ضعيف الحديث ويرسل الأخبار .

٤- ضعيف .

٥- يضع الأحاديث .

٦- غلو في المذهب .

٧- فساد في الرواية .

٨- وصف بالكذب .

٩- ضعفه أصحابنا .

---

(١) للمزيد ينظر : الحكيم ، الشيخ النجاشي ، ص١٦١ - ١٦٧ .

١٠- ضعيف جداً .
١١- ضعيف في مذهبه .
١٢- مضطرب جداً .
١٣- كان مضطرباً .
١٤- غال المذهب .
١٥- فاسد المذهب مضطرب الرواية لا يعبأ به .
١٦- مختلط .
١٧- كان صحيحاً ثم خلط .
١٨- كان في أول أمره ثبتاً ثم خلط .
١٩- معدن التخليط ، له كتب في التخليط ، كان في نفسه مختلطاً .
٢٠- ليس بذاك النقي .
٢١- لم يكن بذاك ، وقيل : فيه غلو وترفع .
٢٢- كذاب غال يروي عن الغلاة ، لا خير فيه ، لا يعتد بروايته .
٢٣- يعرف وينكر ، بين بين يروي عن الضعفاء كثيراً .
٢٤- في حديثه بعض الشيء يعرف منه وينكر[١] .

هذه هي أشهر ألفاظ النقد في الجرح والتعدي عند النجاشي ، وقد سكت عن بعض الرواة ولم تصدر منه لفظة دالة على النقد مقتصراً على بيان الاسم واللقب والكتب المدونة للمترجم له إن وجد[٢] .

وبهذا المنهج رسم النجاشي آلياته في التعديل والتجريح والسكوت عن بعض الرجال ولم ينقدهم ولكنه لم يذكر السبب واهتم كثيراً في كتابه ببيان

---

(١) الحكيم ، الشيخ النجاشي ، ص١٦٦ .

(٢) للمزيد ينظر : النجاشي ، الرجال ، ص١٢٦ ، ص١٥٢ ، ص٣٣٩ ، ص٣٤٠ وغيرها فقد توقف في العديد من المترجم لهم .

طرقه إلى المدونات التي اهتم بجردها حسب ما وصلت إليه ونقلها في كتابه (الرجال) .

وثق الرجال على المستوى الفردي أو التوثيق الخاص ووثق التوثيقات العامة بقوله كلهم ثقات أو توثيق بيت من البيوت العلمية[١] ، ولم يرو عن بعض مشايخه فيه دلالة على أن بعضهم مطعوناً فيه أو ضعيفاً ، فيدل بالالتزام على أنه لا يروي إلاّ عن الثقة وقد ذكر بعض الرجال ممن لا يروون إلاّ عن ثقة في مثل ابن أبي عمير وأضرابه[٢] .

لقد بين النجاشي منهجه في مقامات رجال الامامية وعبر عن أبن أبي عمير بقوله : ((يسكنون إلى مراسيله)) أي ((أصحابنا)) كما هو لفظه في التعبير عن رجال الامامية[٣] ، وعبّر عن عبد الله بن الصلت بأنه ثقة : ((مسكون إلى روايته))[٤] وعن رفاعة بن موسى الاسدي قال : ((كان ثقة في حديثه مسكوناً إلى روايته ، لا يعترض عليه بشيء من الغمز حسن الطريقة))[٥] ، وفي هذه النصوص ايضاحات أكثر في تعديل الرواة إذ لم يكتف بلفظة واحدة في بعض تراجمه ، وربما هذه الاضافات لوجود اعتراضات نقدية على الراوي فلكي يرفع الشبهة يفسر ويشرح ويضيف وهو منهج اعتمده في الجرح والتعديل في اغلب تراجمه ، وقد مر احصاء بعض ما جاء في ألفاظ التعديل وألفاظ الجرح وكما قلنا فهو احياناً يسكت عن بعضهم بلا ألفاظ نقدية .

---

(١) الابطحي ، محمد علي ، تهذيب المقال في تنقيح الرجال ، (قم : سيد الشهداء عليه السلام ، ١٤١٢هـ) ، ج١ ، ص١٠٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص١١٠ .

(٣) النجاشي ، الرجال ، ص٣٢٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢١٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٦٦ .

وقد افرد في نهاية كتابه لمن اشتهر بكنيته[1] وهم أربعون رجلاً بترجمة مقتضبة جداً ، ولم يذكر النساء فيه وربما فسر ذلك بأنه كتاب يهتم بالمدونات قبل كل شيء كما جاء في عنوانه بـ (فهرست واسماء مصنفي الشيعة المشتهر بـ رجال النجاشي) .

ومن كبار علماء الحديث وعلومه في المدرسة الإمامية الشيخ الطوسي الذي اعتمد المنهج النصي أيضاً ، ويعد من المنظرين والممارسين لأصول هذه المدرسة وبالأخص في مجالات علوم الحديث وتدوينه وله في مجال الرجال ملخصات ومدونات ، فكان منهجه في كتبه الرجالية قد تأثر به غيره مثل النجاشي الذي اتبع اسلوب الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست إذ ترجم له النجاشي وذكر كتابيه (الرجال والفهرست)[2] ومنه يظهر أن النجاشي قد تأثر بمنهجه في الفهرست إذ رتبه على أبواب بعدد حروف المعجم وكان يشير أحياناً إلى الجرح والتعديل مع الاهتمام بذكر الكتب وبيان المذهب والعقيدة ومدى العلاقة بالأئمة عليهم السلام[3] وكتابه الآخر يعرف بالرجال أو الأبواب فقد قسمه إلى طبقتين من الرجال فمنهم من روى عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم أو عن الأئمة عليهم السلام ومنهم من لم يرو عن الأئمة وافرد في نهاية الكتاب باباً للنساء ، وقد أعطى للإمام الصادق عليه السلام أكبر عدد من أصحاب أي إمام آخر من أئمة الشيعة الإمامية[4] .

وفي آخر الكتاب عقد باباً لمن عرف بكنيته ولم يقف له على اسم[5] ، وباباً

---

(١) النجاشي ، الرجال ، ص٤٥٤ - ص٤٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٠٣ .

(٣) الحكيم ، الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥هـ - ٤٦٠هـ) ، (النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٩٥هـ) ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ص٣٦٧ .

(٤) الحكيم ، الشيخ الطوسي ، ص٣٩٩ .

(٥) للمزيد ينظر : الطوسي ، الفهرست ، ص٢٦٨ - ص٢٨١ .

من عرف بقبيلته أو لقبه أو بلده[١] ، ولم يذكر باباً للنساء لأنه معقود لذكر المدونات الرجالية أو ربما أنه لم يجد لهن مدونات ، في حين افرد لهن باباً في كتابه (الرجال) بعد نهاية كل فصوله المعنونة بأصحاب الأئمة وفي باب من لم يرو[٢] .

ومنهجه في الفهرست ذكر التعديل والتجريح فيه وهو منهج الترجمة النصية الخالية من المنهج الروائي الذي اعتمده من العلماء في بيان المدح أو الذم عن طريق الرواية .

إن ما ذكره محمد أبو زهرة بأن الفهرست : ((كان أول كتاب في علم الرجال عند اخواننا الامامية))[٣] ، ليس بصحيح فقد تكاملت الكتب الرجالية عبر مرحلة طويلة من المدونات الرجالية عبر العصور وسبقت بقرون كتاب الشيخ[٤] ، ولكن كتاب الفهرست للشيخ الطوسي قد استوعب ما كان قبله من المدونات بل تكاملت المدونات الرجالية فيه ، والمشكلة الكبيرة أن الشيخ الطوسي قد أهمل الكثير من الرواة ولعل ذلك ناتج عن طبيعة اختصاره للموضوع[٥] .

---

(١) الطوسي ، الفهرست ، ص٢٨١ - ص٢٨٣ .

(٢) للمزيد ينظر : الطوسي ، الرجال ، ص٥١ وفيه (٣٨) اسماً من النساء ، ص٨٩ وفيه (٣) أسماء ، ص٩٦ وفيه (١) اسماً ، ص١٠٦ وفيه (١) ، ص١٢٠ وفيه (١) ، ص١٥١ وفيه (٢) ، ص٣٢٧ وفيه (١٣) ، ص٣٤٧ وفيه (١) ، ص٣٨٠ وفيه (٢) ، ص٣٩٤ وفيه (١) ، ص٤٥٢ وفيه (١) .

(٣) الامام الصادق حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤٢٥هـ) ، ص٣٦٢ .

(٤) للمزيد ينظر : اغا بزرك الطهراني ، مصفى المقال في مصنفي علم الرجال؛ العبدالله ، تاريخ علم الرجال ؛ السبحاني ، دور الشيعة في الحديث والرجال ؛ الآراني ، فهارس الشيعة من جزأين ، وهذه الكتب بينت تاريخ تدوين علم الرجال قبل حقبة الشيخ الطوسي ومنذ القرن الأول الهجري .

(٥) الحكيم ، الشيخ الطوسي ، ص٣٥٧ .

لقد استعمل عدة ألفاظ في التعديل منها[1] :-

١- ثقة .

٢- ثقة وجيه .

٣- ثقة معتمد عليه .

٤- ثقة فيما يرويه .

٥- ثقة وأصله معتمد عليه .

٦- ثقة في نفسه .

٧- ثقة مرجوع إليه .

٨- ثقة صادق اللهجة .

٩- ثقة له أصل .

١٠- ثقة في الحديث .

١١- ثقة كثير الحديث .

١٢- ثقة في الحديث سالم الجنبة .

١٣- ثقة في حديثه مسكوناً إلى روايته .

١٤- ثقة في الحديث وفي رواياته .

١٥- صحح الحديث .

١٦- ثقة في حديثه حسن التصنيف .

١٧- كان أوثق الناس عند الخاصة والعامة .

١٨- من ثقات أصحابنا .

١٩- ثقة في رواياته .

---

(١) الحكيم ، الشيخ الطوسي ، ص٣٧٦ - ص٣٧٧ .

وفي ألفاظ التضعيف استعمل الألفاظ الآتية[1] :-

١- ضعيف .

٢- ضعيف الحديث .

٣- ضعيف لا يعول على ما ينفرد به .

٤- مختلط الأمر في الحديث .

٥- حديثه ليس بذاك النقي .

٦- لم يكن بذلك الثقة في الحديث .

٧- طعن عليه وضعّف .

وفي كتاب الفهرست كان من منهجه بيان العقيدة بالنسبة للراوي وفي بعض الاحيان ينقده ويلحق به الحكم الرجالي فمن الألفاظ التي استعملها كانت :-

١- امامي المذهب .

٢- امامي متقدم .

٣- أول من تكلم على مذهبه الامامية .

٤- كان يتشيع ويقول بالامامة .

٥- عظيم المكان في الطائفة .

٦- كان امامياً مستقيم الطريقة .

٧- صحيح العقيدة .

٨- امامياً حسن الاعتقاد .

٩- قريب الأمر إلى أصحابنا .

١٠- كان زيدياً أولاً ثم انتقل إلى القول بالامامة .

١١- كان زيدياً جارودياً .

---

(١) الحكيم ، الشيخ الطوسي ، ص٣٧٧ - ٣٧٨ .

١٢- زيدي أو زيدي المذهب .

١٣- الزيدية تدعيه وليس منهم .

١٤- فطحي المذهب .

١٥- واقفي المذهب .

١٦- كان فطحياً إلاّ أنه ثقة واصله معتمد .

١٧- كان فطحياً غير أنه ثقة في الحديث .

١٨- واقفي المذهب إلاّ أنه جيد التصانيف .

١٩- كان واقفياً شديد العناد في مذهبه ، صعب العصبية على من خالفه من الامامية[١] .

وذكر الغلاة ومنه يتضح رأيه فيهم فكان من نقده لهم استعماله عدة ألفاظ نقدية منها[٢] :-

١- كان غالياً متهماً في دينه .

٢- يذهب مذهب الغلاة .

٣- متهم بالغلو .

٤- في رواياته تخليط أو غلو أو تدليس .

٥- غال وحديثه يعرف وينكر .

٦- طعن عليه بالغلو .

ومن منهجه تفصيل الرواة وبيان مذاهبهم وآرائهم الكلامية مع تقويم لأصحاب المصنفات بعدة ألفاظ تعبر عن مقاماتهم العلمية مع اشارته إلى كثرة المصنفات أو قلتها[٣] وبمراجعة كتابيه (الفهرست والرجال) نجد أن منهجه

---

(١) الحكيم ، الشيخ الطوسي ، ص٣٧٨ - ص٣٨٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٣٨٠ - ص٣٨٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص٣٨٢ - ٣٩٨ .

النصي النقدي اعتمد على :-

أ - نصوص في التعديل .

ب - نصوص في الجرح .

جـ - توقف عن الجرح والتعديل .

ويعد كتاب (الرجال) الذي يهتم بالطبقات كثيراً من أهم الكتب الرجالية ، وقد سد فراغاً في النقد الرجالي ظهر تأثيره منذ تدوينه إلى اليوم فقد ضعف ووثق وسكت عن الكثيرين وخاصة مما لا خلاف فيه كزرارة ومحمد بن مسلم وأبي بصير وهشام ابن سالم وابن الحكم وغيرهم[١] .

٢- المنهج الروائي .

يعد كتاب (الكامل في ضعفاء الرجال) لابن عدي من الأصول الرجالية ذات المنهج الروائي في نقد الرجال فإن موضوعه الضعفاء والمجاهيل والمتكلم فيهم مع بيان الوجه الذي استحقوا به الجرح[٢] ، ترجم فيه لـ (٢٢٠٩) راو ، وقد قدم له بمقدمة مهمة في بيان مكانة جهابذة الحديث ونقاد الرجال الذين ينقل عنهم الجرح والتعديل[٣] مع بيان أسماء هؤلاء النقاد ، ويمكن أن يقال أن منهجه ينقسم إلى قسمين في هذا الكتاب :-

الأول : ذكر أسماء أئمة النقاد الذين يقبل قولهم في رواة الأخبار وصفاتهم .

الثاني : تراجم الرواة الذين ذكروا بضرب من الضعف ، ومن اختلف

---

(١) الحكيم ، الشيخ الطوسي ، ص٣٩٩ - ص٤٢٤ .

(٢) علي نور ، زهير عثمان ، ابن عدي ومنهجه في كتاب الكامل في ضعفاء الرجال ، (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٨هـ) ، ج١ ، ص١٢١ .

(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص١٢٢ .

فيهم فجرحه البعض وعدله البعض الآخر ويرجح قول احدهما ثم يذكر مرويات الرجل الذي ضعف من أجلها[١] .

وذكر المرويات التي من أجلها يضعف هؤلاء الرواة هو المنهج الذي اعتمده ابن عدي في كتابه هذا ، فقال في مقدمته : ((وذاكر لكل رجل منهم مما رواه ما يضعف من أجله ، أو يلحقه بروايته وله [له][٢] اسم الضعف لحاجة الناس إليها لاقرّبه على الناظر فيه))[٣] ، وبجرد هذه الأسماء من الضعفاء بالاسلوب العلمي الذي التزم به كما قال : ((من غير محاباة))[٤] ، وبذكر نتائج هذه الموسوعة الرجالية في الضعفاء يتضح أن البقية أي غير المذكور هنا : ((من هو ثقة أو صدوق ، وإن كان ينسب إلى هوى وهو فيه متأول))[٥] ، ومقدمته هي شبيه بمقدمة ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولعله تأثر به[٦] .

ترجم ابن عدي لأنواع عدة من الرواة منهم :-

١- الوضاع .
٢- المتروك .
٣- شديد الضعف .
٤- الضعيف .
٥- المجهول .
٦- المعدّل .

---

(١) ابن عدي ، الكامل ، تحق : صبحي البدري السامرائي ، وقد حقق المقدمة ، ص٩ .
(٢) علي نور ، ابن عدي ، ج١ ، ص١٢٢ .
(٣) ابن عدي ، الكامل ، المقدمة ، ص١٨ .
(٤) المصدر نفسه ، المقدمة ، ص١٨ .
(٥) المصدر نفسه ، المقدمة ، ص١٩ .
(٦) علي نور ، ابن عدي ومنهجه ، ج١ ، ص١٢٢ .

٧- الثقة المتكلم فيه .

وقد شرط على نفسه أن يذكر كل من تكلم فيه لذا ذكر أحمد بن صالح المصري ولولا هذا الشرط لم يذكره ، لذا ذكر الرواة ولو كانوا من رجال الصحيح[1] . ولايضاح ايراده الثقات الذين نظر إليهم بتقسيمهم إلى أربعة :-

١- الصحابة مثل زيد بن أبي اوفى .

٢- الأئمة المتبوعون في الفروع الفقهية منهم الامام أبو حنيفة فقد ترجم له لضعف حفظه عنده .

٣- الثقات المتكلم فيهم فقد ترجم لعدد كبير منهم .

٤- الثقات الذين انكرت عليهم بعض الأحاديث[2] .

كان منهجه ذكر أقوال أئمة النقد الرجالي ثم التعليق عليها بالحكم على الراوي بنفي البأس عنه أو أنه من أهل الصدق بعد ان يستعرض من ألفاظ الجرح والتعديل للنقاد الكبار لايتردد في بيان حكمه النقدي الخاص به ، فقد يكرر بعض العبارات مثل :((وهو عندي لا بأس به)) ((عندي لا بأس به ممن يكتب حديثه)) ((ما أرى بحديثه بأساً)) ((وهو لا بأس به))[3] ، وقال في عمارة بن زاذان الصيدلاني : ((وهو عندي لا بأس به ممن يكتب حديثه))[4] ، وفي عامر الاحول بعدما روى رواياته قال : ((ولعامر الاحول غير ما ذكرت ولا أرى بروايته بأساً))[5] ، فابن عدي في نقده الرجالي يعتمد المنهج الروائي

---

(١) للمزيد ينظر : المرجع نفسه ، ج١ ، ص١٧٣ .

(٢) علي نور ، ابن عدي ومنهجه ، ج١ ، ص١٧٧ .

(٣) للمزيد ينظر : الدايني ، تاريخ النقد ، ص١٥٢ - ١٥٣ .

(٤) ابن عدي ، الكامل ، ج٥ ، ص٨١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٨٢ .

في أساس أحكامه النقدية على الرواة الذين تكلموا فيهم بالضعف بعد النظر الموضوعي في مضامين هذه المرويات.

رد ابن عدي على البخاري بأن مراده أن يستقصي الاسامي وليس مراده الضعيف والمصدق في تاريخه[1] وهو يظهر أن المدونات التي سبقته كتاريخ البخاري كان جهده جرد الأسماء ولكنه لمن نظر إلى التاريخ كما ذكرنا منهجه أنه كان يمارس العملية النقدية وجاء فيه ذلك وإن توسعت بعده المصنفات في الجرح والتعديل والثقات والكامل وغيرها من المدونات الرجالية .

ومن تصفح منهج ابن عدي يجد أنه يذكر الراوي الضعيف ثم يستعرض بعض مروياته وأسانيده ثم يصدر حكمه الخاص باثبات الضعف أو نفيه بقبول أحاديثه ونفي البأس عنه بنظره ولم ينهج منهج التقليد في الرجال .

إن المنهج الروائي هو الذي اعتمده ابن عدي فهو يستعرض روايات الراوي بعملية نقدية ففي أحاديث الصلت بن الحجاج قال : ((وللصلت غير ما ذكرت من الحديث وليس بالكثير)) ، ثم عقب بقوله : ((ولم أجد للمتقدمين فيه كلام "كذا" فاذكره))[2] ، ومنه يفهم أنه استعرض مروياته وكلام أئمة النقاد وكل ما ذكروه فيه فصرح أنه لم يجد للمتقدمين من النقاد كلام فيه ، وهذا المنهج سار عليه في اغلب الترجمات التي جاء بها في كتابه .

وفي بعض الاحيان يسكت عن ابداء رأيه وينقل آراء غيره كما في صباح بن يحيى الكوفي فقد اكتفى بأنه ((شيعي من جملة شيعة الكوفة))[3] ، كان ابن عدي قد اتخذ اسلوباً في اغلب تراجمه بأنه يعطي حكمه النهائي على ما ذكره من الاقوال واستعراض بعض المرويات عن المترجم له في نهاية الترجمة .

---

(١) ابن عدي ، الكامل ، ج٥ ، ص٨٤ ، والصحيح كلاما لانه مفعول به منصوب .

(٢) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٨٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٨٥ .

وقد يحكم بالصدق على بعض الرواة كما قال في أحمد بن عبيد المعروف بأبي عصيدة وبعد أن استعرض رواياته اصدر حكمه في نهاية الترجمة بقوله : ((عندي مع هذا كله من أهل الصدق))[1] ، أن منهج النظر في المرويات على سبيل الحصر والاستقصاء أحياناً ومقارنة تلك المرويات بروايات الثقات الضابطين أحياناً أخرى يكاد يكون في جل تراجم (الكامل في ضعفاء الرجال)[2] ، فقد صرح بمنهجه كما جاء في ترجمة إبراهيم بن الهيثم بعد ما ذكر رواياته وأسانيدها : ((وقد فتشت عن حديثه الكثير فلم أر له منكراً يكون من جهته إلاّ أن يكون من جهة من روى عنه))[3] ، وقال في ترجمة إبراهيم بن البراء : ((أحاديثه التي ذكرتها وما لم أذكرها كلها مناكير موضوعة ومن اعتبر حديثه علم أنه ضعيف جداً وهو متروك الحديث))[4] ، هذا هو المنهج الروائي والبحث عن المرويات والنظر فيها وهي بنظره تعبر عن قدر وقيمة الراوي عند نقاد الرجال ، وهو منهج اعتمده الكثير من النقاد لمعرفة الرواة ونوع الرواية التي يرويها مضافاً إلى أقوال أئمة النقد الرجالي ، وهذا المنهج سمة من سمات كتاب الكامل لابن عدي ، فقد قال عن سهيل ابن أبي صالح ذكوان السمان : ((وسهيل عندي مقبول الأخبار))[5] .

وممن اعتمد المنهج الروائي النقدي كتاب (اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي) فقد تضمن روايات بلغت (١١٥١) جاءت تترجم لاكثر من ٥٠٠ راو بطريقين :

---

(١) ابن عدي ، الكامل ، ج١ ، ص١٨٩ .

(٢) العمري ، دراسات ، ص٣٥٣ .

(٣) ابن عدي ، الكامل ، ج١ ، ص٢٧٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٤٤٩ .

أولا : النقد الصادر عن الأئمة عليهم السلام لأصحابهم.

جاء النقد عن طريقة المنهج الروائي في إصدار الحكم النقدي على المحدثين في كل طبقة من الامام المعاصر لها وكانت الروايات مقسمة في بعض الحالات إلى روايات ذامة وروايات مادحة قد لا تجد لها ترجيحاً إلاّ بالرجوع إلى مناقشة السند والمتن لمعرفة صحتها وضعفها .

لقد وثق الأئمة عليهم السلام جملة من المحدثين بروايات صحيحة[١] منهم بريد ابن معاوية العجلي وأبا بصير ليث بن البختري المرادي ومحمد بن مسلم وزرارة[٢] وغيرهم[٣] الكثير ضمن هذا المنهج الذي اعتمد على بيان أحوال الرواة بالرجوع إلى نقد الأئمة عليهم السلام وهذه الروايات خضعت لمنهج البحث الحديثي عن الصحيح منها والضعيف لمعرفة الثقات والضعفاء لأن الكتاب لم يتخصص في احدهما .

يعد هذا الكتاب على نمط خاص من بين الكتب الرجالية فهو يركز على النقل الروائي وعلى منهج الطبقات فهو يبتدأ بأصحاب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وينتهي بأصحاب الامام العسكري عليه السلام وهو يشبه على رأي بعض المعاصرين طبقات ابن سعد[٤] .

اختلفت الروايات بين القصر والطول ولكن أغلبها من النوع الأول ، فالروايات الطويلة كانت تتضمن تفصيلات في بيان أحداث كالتي جاءت عن

---

(١) دریاب ، نصوص الجرح والتعديل ، ج١ ، ص١١٦ .

(٢) الطوسي ، الاختيار ، ص٢٤٦ .

(٣) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص١٤٩ ، ٢٣٩ ، ٥٤٣ ، ٦٠٧ ، وقد جاء في اغلب صفحات الكتاب ألفاظ الجرح والتعديل بالمنهج الروائي وبالأخص عن الأئمة عليهم السلام ، وقد ناقش السيد الخوئي اغلب هذه الروايات في موسوعة معجم رجال الحديث .

(٤) السبحاني ، دور الشيعة ، ص٢٧٨ .

سلمان الفارسي[١] وأبي ذر[٢] وعمار بن ياسر[٣] وجابر بن عبد الله الانصاري[٤] وعمرو بن الحمق الخزاعي[٥] وعبد الله بن عباس[٦] وميثم التمار[٧] وسعيد بن المسيب[٨] وزرارة بن أعين[٩] ومحمد بن مسلم[١٠] ومحمد ابن علي المعروف بمؤمن الطاق[١١] وجابر بن يزيد الجعفي[١٢] والمغيرة بن سعيد[١٣] .

وهشام بن الحكم[١٤] وهشام بن سالم[١٥] وما جاء في محمد بن أبي زينب مقلاص بن الخطاب[١٦] والمفضل بن عمر[١٧] وسليمان بن خالد[١٨] والمعلى بن خنيس[١٩] وسفيان الثوري[٢٠] ويونس بن عبد الرحمن[٢١] والفضل بن

---

(١) للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٦٤ - ٨٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٨٧ - ص٩٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٩٥ - ص١٠٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص١١٢ - ص١١٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص١١٨ - ص١٢٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ص١٢٦ - ص١٣٤ .
(٧) المصدر نفسه ، ص١٥٢ - ص١٥٨ .
(٨) المصدر نفسه ، ص١٩٨ - ص٢٠٢ .
(٩) المصدر نفسه ، ص٢١٥ - ص٢٣٨ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص٢٣٨ - ص٢٤٥ .
(١١) المصدر نفسه ، ص٢٥٩ - ص٢٦٤ .
(١٢) المصدر نفسه ، ص٢٦٤ - ص٢٦٩ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص٢٩٦ - ص٣٠١ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص٣٢٩ - ص٣٤٨ .
(١٥) المصدر نفسه ، ص٣٤٩ - ص٣٥٢ .
(١٦) المصدر نفسه ، ص٣٥٦ - ص٣٧٤ .
(١٧) المصدر نفسه ، ص٣٨٦ - ص٣٩٤ .
(١٨) المصدر نفسه ، ص٤٢١ - ص٤٢٦ .
(١٩) المصدر نفسه ، ص٤٤٢ - ص٤٤٥ .
(٢٠) المصدر نفسه ، ص٤٥٦ - ص٤٦١ .
(٢١) المصدر نفسه ، ص٥٣٧ - ص٥٤٨ .

شاذان[١] والحسين بن مهران[٢] ، واغلب الترجمات غير الذي ذكرناه فهي قصيرة وقد تكون مقتضبة جداً ، وقد جاءت الألفاظ النقدية كما جاء في الكتب الرجالية ونقدها للمحدثين الرواة .

ثانيا : النقد الصادر من علماء الجرح والتعديل .

لقد كانت لأبي عمرو الكشي تعليقات تجدها في بعض مروياته وهو ينقدها سنداً ومتناً فقد نقد الرواية القمية في الايقاع بيونس بن عبد الرحمن فقد قال بعد أورد روايات كثيرة في يونس بن عبد الرحمن مادحة وموثقة له ثم أورد روايات ذامة له وقادحة في قدره وجلالته عند المحدثين وجل هذه الروايات من محدثين قم فردهم الكشي بقوله : ((فلينظر الناظر فيتعجب من هذه الأخبار التي رواها القميون في يونس))[٣] .

إن منهجه جمع الروايات الذامة والمادحة هو عبارة عن نقل ما موجود بين يديه ولكنه لم يترك تلك الروايات فقد علق على بعضها كتعليقه على الروايات الذامة ليونس معترضاً على أنها لا تصح في العقل ثم ناقش أسباب الطعن فيه وفنده .

كان النقد بألفاظ من أشدها لفظ اللعين والزنديق[٤] والكذب[٥] والجهالة[٦] وهو لا شيء متهم بالغلو[٧] ومن الغلاة الكبار[٨] وعلق على بعض الرجال

(١) الطوسي ، الاختيار ، ص٥٨٣ - ص٥٨٨

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٣٦ - ص٦٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٤٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٥٥١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٦٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٤٣١ .

(٧) المصدر نفسه ، ص٤٣٤ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٤٤٠ .

ونقدهم فقال : ((محمد بن عبد الله بن مهران : غال ، والحسن بن علي بن أبي حمزة كذاب غال))[١] ونقل عن الامام الرضا عليه السلام أنه قال لعلي ابن أبي حمزة وأصحابه : ((يا علي أنت وأصحابك أشباه الحمير))[٢] .

ونقل عن الفضل بن شاذان أنه قد نقد أبو حفص المعروف بزحل أنه يروي المناكير وليس بغال[٣] ، وعن أبي محمد الانصاري من أصحاب الامام الرضا عليه السلام قال : ((مجهول لا يعرف))[٤] .

ذكر الكشي العديد من رجالات الفرق الأخرى غير الامامية وتناولهم بالجرح والتعديل بالنص الروائي تارة وأخرى بما نقله عن علماء الجرح والتعديل ، وربما أشار إلى تداخل الروايات والأسانيد وذكر في ترجمة محمد ابن أبي عمير أنه أكد أن الكثير من المحدثين من أصحاب الأئمة كانوا يروون حديث المدرستين فحصل تداخل سندي وروائي[٥] وعلى هذا كان المحدثون يسمعون من الجميع ولكن تمييز الفرق المذهبية أدى بالتالي الافتراق ومخافة الاختلاط لذلك صرح ابن أبي عمير بقوله : (فتركت ذلك)) خوفاً من : ((أن يختلط علي))[٦] .

أشار الكشي في كتابه إلى جملة من الفرق غير الامامية من جمهور المسلمين ففي أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي كان من العامة ثم نقل أقوال علماء الجرح والتعديل فيه من أنه : نقي الحديث ولكنه شديد

---

(١) الطوسي ، الاختيار ، ص٥٠١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٠١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٠٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٦٤٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٦٢٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٦٢٩ .

التشيع ولم ير منه الكذب أو ثقة مأمون على الحديث إلاّ أنه يحب آل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وكان دينه ومذهبه[١] ولأجل هذا ضعفه وكذبه الكثير إلاّ يحيى بن معين فقد وثقه[٢] ، وذكر رجالات الزيدية[٣] ونقل الكشي ذمهم من أمثال : كثير النواء وسالم بن أبي حفصة وأبو الجارود وغيرهم[٤] ، والبترية من الزيدية وهم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حي وسالم بن أبي حفصة والحكم ابن عتيبة وسلمة بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحداد ثم نقل الكشي النصوص الروائية في نقدهم[٥] من الذم والمدح ، وذكر الفطحية[٦] وقال : ((والذين قالوا بإمامته عامة مشايخ العصابة وفقهاؤها))[٧] .

ومن رجال الفطحية علي بن اسباط الذي مات على مذهبه[٨] ، ومحمد بن الوليد الخزاز ومعاوية بن حكيم ومصدق بن صدقة ومحمد بن سالم بن عبد الحميد وهم من أجلة العلماء والفقهاء والعدول وهم من أهل الكوفة[٩] ومن أهل الكوفة أيضاً علي بن حديد بن حكيم كان من الفطحية إلاّ أنه سكت عنه

---

(١) الطوسي ، الاختيار ، ص٦٥١ .

(٢) للمزيد ينظر : المظفر ، الافصاح ، ج٣ ، ص٥١ - ٥٤ .

(٣) وهم اتباع زيد بن علي بن الحسين الشهيد وهم على ثلاث فرق : الجارودية والسليمانية وقد يقال الجريرية والبترية ، البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، الفَرق بين الفِرق ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩م) ، ص١٦ .

(٤) للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٣٠١ - ٣٠٦ .

(٥) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص٣٠٦ - ٣١١ .

(٦) وقد يقال لهم الافطحية وهم يعتقدون بإمامة الابن الأكبر عبد الله بن جعفر الصادق عليه السلام ، البغدادي ، الفرق ، ص٤٢ .

(٧) الطوسي ، الاختيار ، ص٣٢٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٦٠٤ .

(٩) المصدر نفسه ، ص٦٠٥ .

ولم يذكره بذم أو مدح[١] وسكت عن عمرو بن سعيد المدائني وهو من الفطحية أيضاً[٢] .

وجاء في ذم الواقفة[٣] عدة روايات وقد نعتوا بصفات العناد والزندقة والكفر والشرك واللعن[٤] ، وذم العليائية ومنهم بشار الشعيري الذي لعنه الامام الصادق عليه السلام[٥] ..

ومما نقلناه يتضح النقد الفردي والنقد الجماعي في هذا الأصل الرجالي المهم وإن ورد فيه الذم والمدح أحياناً فلابد من اعتماد منهج الترجيح بالمرجحات العلمية والقرائن الدقيقة التي يمكننا بها أن نقترب من الحقيقة الموضوعية ثم إصدار الحكم النهائي وإلاّ عند التعارض المستقر تتساقط الروايات ويطلب أدلة أخرى خارجية .

وكما جاءت في هذا الأصل ألفاظ الجرح والذم جاءت ألفاظ التعديل والمدح التي توثق الرواة وهي على عدة أنواع منها :-

١- توثيق خاص : كالثقة ، من أجلة العلماء ، صالح قليل الرواية ، ما سمعت فيه إلاّ خيراً ، ليس به بأس ، لا بأس ، خيراً فاضلاً ، شيخ صادق ، ثقة شيخ صدوق ، وكان ثقة فاضلاً صالحاً .

٢- توثيق عام : فاضلون اخيار ، ثقات ، من أجلة العلماء الفقهاء العدول ،

---

(١) الطوسي ، الاختيار ، ص٦١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٤٧ .

(٣) هم الذين زعموا أن الامام موسى بن جعفر عليهما السلام حي لم يمت وأنه هو المهدي المنتظر ويقال لها الممطورة ، البغدادي ، الفرق ، ص٤٢ .

(٤) للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٥١٢ - ٥٢٠ .

(٥) هم الذين يقعون في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وليس لهم في الإسلام نصيب ولهم مقالات منكرة جداً ، للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٤٦٣ - ٦١٣ .

كلهم ثقات فاضلون ، ثقات جميعاً ، كلهم اخيار فاضلون كوفيون .

إن مصادر التعديل والتجريح كانت ثلاثة طرق[١] :-

١- عن طريق الأئمة عليهم السلام .

٢- عن طريق المشايخ علماء الجرح والتعديل .

٣- عن طريقه الخاص .

والغالب هو الطريق الروائي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، بالسند المتصل ولأجله يعد من أحسن الكتب الرجالية[٢] على منهج الطبقات أيضاً ، ولم نر فيه الترجيح للروايات المتعارضة حتى عند مختصره الشيخ الطوسي إلاّ في الدفاع عن زرارة فلما أورد سند الرواة قال : ((محمد بن بحر هذا غال وفضالة ليس من رجال يعقوب وهذا الحديث مزاد فيه مغيّر عن وجهه))[٣] ، ولما اختصره الشيخ الطوسي لم يحاول رفع التعارض الوارد في روايات الذم والمدح للرواة[٤] حتى الكبار منهم وهو منهج اعتمده القدماء في نقل الروايات من المحدثين والمؤرخين ونجد ذلك واضحا في كتاب الطبري في التاريخ والكتب الحديثية من الصحاح الستة والأربعة عند الامامية وهذا المنهج يفسح المجال للبحث والدراسة لمثل هذه الروايات المتعارضة حتى يمكن الوصول إلى حكم نهائي .

---

(١) المعلم ، أصول علم الرجال ، ج١ ، ص٤٠ .

(٢) المحسني ، بحوث في علم الرجال ، ص١١٣ .

(٣) الطوسي ، الاختيار ، ص٢٢٨ ، وسند هذه الرواية : ((قال أبو عمرو محمد بن عمر ابن عبد العزيز الكشي ، حدثني أبو الحسن محمد بن بحر الكرماني قال : وكان من الغلاة الحنقين قال : حدثني أبو العباس المحاربي الجزري ، قال : حدثنا يعقوب بن يزيد قال : حدثنا فضالة بن ايوب عن فضيل الرسان ... الخ)) .

(٤) للمزيد ينظر : ابن الشهيد الثاني ، حسن بن زين الدين صاحب المعالم ، التحرير الطاووسي المستخرج من كتاب (حل الإشكال في معرفة الرجال) لأحمد بن طاوس ، تحق : محمد حسن ترحيني ، (قم : مجمع الذخائر الإسلامية ، ١٤٢٥هـ) ، ص٢٤ وما بعدها .

إن هذا الأصل الرجالي المهم إشكاليته أنه غير مرتب على منهج الحروف أو سنة الوفاة ولكنه على منهج الطبقات وعولجت هذه الحالة بايجاد فهرست للأعلام وهو يهتم بمن وردت فيه رواية من الامام المعاصر لهؤلاء الرواة ، وربما وردت أسماء الرواة لأنهم وقعوا في أسانيد هذه الروايات .

المناهج النقدية :

تعددت المناهج النقدية عند أئمة النقد الذين يعتمد على نقدهم بل يبنى ذلك الحكم في ضوء ما يصدر منهم من أحكام نقدية وكانت هذه الأحكام خاضعة لهذا التفاوت بين متشدد ومتساهل ومعتدل ولا تكاد تخلو طبقة من هذا التقسيم[١] ، ولكن ما معنى التشدد في النقد والتساهل فيه والاعتدال ؟ وهل يؤخذ بقول المتشدد أم المتساهل ؟ أم أن الأخذ بقول المعتدل هو الأصوب في التقويم الرجالي ؟ .

فالتشدد في النقد الرجالي هو جرح الراوي بأدنى جرح[٢] اي يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث[٣] ، وقد يسرف في ذلك[٤] ، وقد رفض علي بن المديني قبول كلام أبي نعيم وعفان لأنهم على رأيه : ((لا يدعون أحداً إلاَ وقعوا فيه))[٥] ، وهذا يعني منهج التشدد في الجرح أو البحث عنه لاظهاره

---

(١) التهانوي ، قواعد ، ص٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٨٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٨٩ .

(٤) أبو نعيم ، احمد بن عبد الله الاصبهاني ، كتاب الضعفاء ، تحق : فاروق حمادة ، (الدار البيضاء : دار الثقافة ، بلا) ، ص٢٧ من مقدمة المحقق وهو إشارة إلى ابن حبان ومنهجه النقدي في الجرح وهو واضح في (كتاب المجروحين من المحدثين) له .

(٥) السجستاني ، سليمان بن الاشعث ، سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود ، تحق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، (بيروت : مؤسسة الريان ، ١٤١٨هـ) ، ج٢ ، ص١٧ . ابن أبي بكر بن قيم الجوزية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ) ، ص١٤٧ .

بأدنى مناسبة ، ولكن قد يفرض هذا المنهج نفسه إذا كانت الأحاديث في مسائل الحلال والحرام والأحكام لذلك نقل عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال : ((وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال))[1] ، ومثله ما روي عن الامام أحمد ابن حنبل في معيارية التشدد والتساهل فالأول في الحلال والحرام والسنن والأحكام والآخر في فضائل الاعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه[2] ، وفي ضوء هذا النص يكون التشدد مستساغاً لأنه يحفظ النظرية السندية من الاختراق وهي عملية نقدية مطلوبة إذا كانت معرفية الهدف والغاية مع البعد عن الاقصاء والتحامل على طائفة أو مدينة أو أي جهة مهما كانت حتى يكون التشدد بنية خالصة في ذات المتشدد في النقد الرجالي ، وقد يكون التساهل مبعث للعلاقات الخاصة في ذات المتساهل في النقد ، وربما يكون المعتدل في النقد أعلى كعباً في الأبحاث العلمية من غيره وإن كان المتشدد المعرفي له الحصة العليا من الاهتمام والتقديم .

إن البحث العلمي في هذه المناهج النقدية المتعددة الأشكال يوحي للباحث أن يبدأ بحفريات معرفية في كل منهج ومعرفة أحوال القائلين به وتاريخهم النفسي حالة إصدار حكمهم النقدي باعتبارهم قد أخذوا المرجعية في ذلك ، وهذا المنهج على ثلاثة أقسام :

أولاً : المتشددون .

وهم طبقة من النقاد اعتمدوا المنهج الصارم في الحكم على الرجال لذلك

---

(١) الحاكم النيسابوري ، المدخل في أصول الحديث المطبوع مع المنار المنيف في الصحيح والضعيف لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ) ، ص١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤٨ .

قدم توثيقهم على غيره فقيل : ((أنه يعض عليه بالنواجذ))[١] ، وكل طبقة لا تخلو من هذا المنهج ولكنه قد يخرج من غايته عند بعض النقاد مثل أبي إسحاق الجوزجاني (ت٢٥٩هـ/٨٧٢م) وعبد الرحمن بن يوسف بن خراش (ت٢٨٣هـ/٨٩٦م) فالأول يقع في أهل الكوفة والثاني يقع في أهل الشام ، فقد وقع الجوزجاني في ابان بن تغلب وقال عنه : ((زائغ مذموم))[٢] وله عبارات في الجرح من النوع المتشدد والمتعنت على خصومه لذلك صرح ابن حجر في كتابه (لسان الميزان) أنه ممن ينبغي عدم قبول جرحه لأن سببها الاختلاف في الاعتقاد ، وبيّن ابن حجر في أن ((الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب وذلك لشدة انحرافه في النصب))[٣] ، هذا التشدد بسبب الاختلاف في العقيدة او العداء التاريخي بين المدينتين ، ولم يكن لأجل نفس المنهج المتبع وربما يسري عند هؤلاء بحسب الاختلاف جرح أو توثيق لمن لا يستحق بسبب جرح الاثنين معاً ، فإن المنهج العلمي الموضوعي يقتضي التشدد بجانب الحفاظ على المعرفة وحدها بعيداً عن الادلجة بكل أنواعها وعدم الخروج عن المنهج العلمي ممن يتصدون للنقد والتقويم فقد يعرضهم للخروج من دائرة قبول أقوالهم في هذا العلم لذلك صرح ابن حبان عن الجوزجاني أنه : ((ربما كان يتعدى طوره))[٤] ، ولكنه كان يدعم قوله بالمكاتبات بينه وبين الامام أحمد ابن حنبل كما ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخه فقد كان الجوزجاني : ((يقرأه على المنبر وكان

---

(١) العبد اللطيف ، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ، ضوابط الجرح والتعديل ، (المدينة المنورة : مكتبة العبيكان ، بلا) ، ص٦٥ .

(٢) الخزرجي ، صفي الدين أحمد بن عبد الله الانصاري ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ، قدم له واعتنى به : عبد الفتاح أبو غدة ، (حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، بلا) ، ص١٥ .

(٣) ج١ ، ص١٦ .

(٤) الثقات ، ج٨ ، ص٨١ .

شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي))[1] ، في حين كان ابن خراش يقول : ((أن أبا مسعود أحمد بن الفرات يكذب متعمداً))[2] ، ونقل عن أبي مسعود قوله : ((وددت أني اقتل في حب أبي بكر وعمر))[3] ، ولتشدده في النقد الرجالي عبر عنه ابن حجر في (لسان الميزان) فقال عن ابن خراش : ((من غلاة الشيعة بل نسب إلى الرفض ... جرحه لأهل الشام للعداوة البيّنة في الاعتقاد))[4] .

هذا المنهج المتبادل لاختلاف العقيدة قد لا يمكن تجاوزه لتعمق الاتجاه المذهبي المغذى بالاتجاه السياسي آنذاك ولكن يمكن القول أن حدة ذلك الصراع قد خف أكثر من ذي قبل فالأجدر بنا الآن البحث الموضوعي المحايد لمعرفة دواع التشدد والدوافع الكامنة لهذا المنهج في الجرح وقد ظهر الاتجاه التعصبي واضحاً فيمكن الوقوف على مثل هذا المنهج ورده .

ويقابل التشدد في الجرح التثبت في التعديل معنى ذلك أن إصدار الحكم النقدي عن رويّة وتأمل في الراوي من كل الوجوه ، فإن هذا المنهج يقبل من المتشدد لأن توثيقه تبعاً لمنهجه ولكنه لا يعتمد في حالة مخالفته الإجماع على التضعيف[5] .

ومن النقاد من يتعنت أحياناً ولكن تعنته يرد عليه[6] .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ، ج٧ ، ص٨١ .

(٢) مغلطاي ، علاء الدين ، اكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحق : أبي عبد الرحمن أبي محمد عادل بن محمد ، (القاهرة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ١٤٢٢هـ) ، ج١ ، ص١٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٠٤ .

(٤) ج١ ، ص١٦ .

(٥) العبد اللطيف ، ضوابط الجرح والتعديل ، ص٦٥ .

(٦) للمزيد ينظر : المرجع نفسه ، ص٦٥ .

وعلى هذا لا يمكن إيجاد علاقة بين المتشدد في الجرح هو متشدد ومتثبت في التوثيق فإن ذلك قد يحصل وقد لا يحصل كما رد الذهبي على ابن حبان وتعقبه في جرح العديد من الرواة ، ففي افلح بن سعيد المدني قال ابن حبان عنه : ((يروي عن الثقات الموضوعات لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه بحال ، قلت : ابن حبان ربما قصّب الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه))[1] ، وهو نقد على ذات المنهج المتشدد ولابد من البحث عن دواع هذا النقد وأساسه .

وفي ترجمة سعيد بن عبد الرحمن الجمحي ، قال عنه ابن حبان : ((روى عن الثقات أشياء موضوعة)) فرده الذهبي بقوله : ((وأما ابن حبان فإنه خساف قصاب))[2] وفي ترجمة سويد بن عمرو الكلبي ، قال ابن حبان : ((كان يقلب الأسانيد ويضع على الأسانيد الصحاح المتون الواهية)) فتعقبه الذهبي بقوله : ((وأما ابن حبان فأسرف واجترأ))[3] ، ورده أيضاً ابن حجر بقوله بعدما وثق سويد ابن عمرو : ((أفحش ابن حبان القول فيه ولم يأت بدليل))[4] ، هذا اللون من التشدد يقابله من يتعقبه من المتأخرين ويرده ولو كانت المنهجية العلمية سائرة لارتفعت الكثير من الاشكاليات المعرفية في علوم الحديث وكانت السمة المميزة لمثل هذه الدراسات هو إيجاد المشتركات التي تتفق مع وحدة المصدر لهذا الكم الهائل من الأحاديث وكانوا هؤلاء

---

(١) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٤٨ .

(٣) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص٢٥٣ .

(٤) تقريب التهذيب ، ج١ ، ص٤٠٤ ؛ وفي ترجمة محمد بن الفضل السدوسي شيخ البخاري فقد ذكره ابن حبان وجرحه بقوله : ((اختلط في آخر عمره وتغير حتى كان لا يدري ما يحدث به ... الخ)) فرده الذهبي بقوله : ((ابن حبان الخساف المتهور ... الخ)) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٤ ، ص٦ ، والكثير من هذه التعقيبات على المتشددين في الجرح .

النقلة وناقديهم على قدر المسؤولية العلمية بعيداً عن المؤثرات والظواهر الدينية والسياسية وهم كذلك لأن النيات لأكثرهم صادقة ومخلصة إلاّ ما ندر فلا يمكن اتخاذ منهج التعميم .

وهذا المنهج يجب الوقوف عنده طويلاً وإعادة البحث المعرفي الحفري فيه لأنه قد يقع النقد لدواع غير علمية ولا اعتقد أن أحداً يرفض ذلك .

وقد تتفاوت الشدة بين النقاد فقالوا : أن شعبة بن الحجاج اشد من سفيان الثوري ويحيى القطان اشد من عبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى بن معين اشد من الامام أحمد ابن حنبل وقد تشدد بعض النقاد على أهل بلد أو بعض المذاهب كالجوزجاني في جرح الكوفيين خاصة ومن المتأخرين الذهبي وجرحه للصوفية والأشاعرة وغير ذلك كثير(١) .

إن معرفة ذلك له فائدة كبيرة وثمرة علمية وعملية في الحكم النقدي إذ أن المقارنات وجمع الأقوال النقدية في كل طبقة ومعرفة ذلك الحكم على الراوي(٢) ولا يقبل جرح الأئمة الذين استفاضت عدالتهم والجارح لهم كالآتي بخبر غريب لو صح لتوفرت الدواعي على نقله ، وقد تكلم يحيى بن معين في الامام الشافعي وجماعة من الاثبات فلا يلتفت إلى نقده هذا(٣) ولا يؤخذ بتوثيق إمام لراو اتفق الأئمة على تركه كما اعرضوا عن توثيق الامام الشافعي لابراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي(٤) ، ولكن هذا الاتفاق غير حاصل فالامامية من الشيعة قد اتفقوا على وثاقته واختلف الجمهور بين من ضعفه وممن توقف فيه ، وممن وثقه الشافعي وحمدان بن الاصبهاني

---

(١) للمزيد ينظر : التهانوي ، قواعد في علم الحديث ، ص٨٩ - ٩٢ .

(٢) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٦٧ .

(٣) المرجع نفسه ، ص٦٩ .

(٤) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

وغيرهم[1] .

هذا المنهج المتشدد قرر إلى جملة من علماء الجرح والتعديل منه على سبيل المثال لا الحصر :-

١ـ عبد السلام بن حرب النهدي الملائي (ت١٨٧هـ/٨٠٢م)[2] .

٢ـ يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ/٨١٣م)[3] .

---

(١) للمزيد ينظر : المظفر ، الافصاح ، ج١ ، ص٣٤ - ٣٩ ؛ وقد علق الدكتور بشار عواد معروف محقق كتاب تهذيب الكمال في ج٢ ، ص١٩١ بعدة نقاط أهمها :
١- كان نقدهم له بسبب العقائد .
٢- أنه كان فاضلاً شهد بعلمه من تكلم فيه .
٣- كانت علاقته بالامام مالك سيئة للمنافسة بينهما .
٤- أن الامام الشافعي لم ينفرد بتوثيقه .
٥- الثابت عن الامام الشافعي توثيقه مطلقاً وذكر أنه احفظ من الدراوردي . ثم خلص إلى النتيجة بقوله : فلينظر في تضعيفه وهو ليس بمتروك بكل حال .

(٢) أبو بكر الملائي سكن الكوفة سمع ايوب ويونس بن عبيد وأبا خالد الدالاني روى عنه أبو نعيم وأبو غسان مالك بن إسماعيل ومحمد بن سعيد بن الاصبهاني وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة ، قال يحيى بن معين : صدوق ، قال ابن أبي حاتم سألت أبي فقال : ثقة صدوق ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٦ ، ص٦٠ ؛ ذكره الشيخ الطوسي في رجاله وقال : ((مولى كوفي أصله بصري أبو بكر الملائي)) ، الرجال ، ص٢٣٧ ، وذكره العجلي في الثقات بقوله : ((قدم الكوفة يوم مات أبو إسحاق السبيعي وهو عند الكوفيين ثقة ثبت والبغداديون يستنكرون بعض حديثه والكوفيون اعلم به)) ، ج٢ ، ص٩٤ ، وترجمه ابن حجر في تهذيب التهذيب ، ج٦ ، ص٢٨٤ وقال عنه بعد أن استعرض شيوخه في الرواية وممن روى وكلمات علماء الجرح والتعديل فيه قال عنه : ((وقال ابن سعد : كان به ضعف في الحديث وكان عسراً وذكره الدارقطني والحاكم وأبو إسحاق الحبال وغير واحد في أفراد البخاري وحديثه في مسلم قليل)) .

(٣) وهو إمام النقد في هذا الحقل وإليه يرجع الكثير من علماء الجرح والتعديل فقد جرح العديد من أئمة المسلمين كالامام جعفر الصادق عليه السلام كما مر في ترجمته وقال في نفسي منه شيء ذكر ذلك المزي ، تهذيب الكمال ، ج٢٧ ، ص٢٢١ ؛ وقد قضى على شيخه شعبه فقال له شعبة : ومن يطيق نقدك يا أحول ، للمزيد ينظر : عبد الفتاح أبو غدة ، اربع رسائل في الحديث ، ص١٤٧ .

٣ـ أبو نعيم الفضل بن دكين (ت٢١٩هـ/٨٣٤م)[١] .

٤ـ عفان بن مسلم الصفار (ت٢٢٠هـ/٨٣٥م)[٢] .

٥ـ إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني (ت بعد ٢٤٤هـ/٨٥٨م)[٣] .

٦ـ أبو حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)[٤] .

---

(١) حافظ حجة إلاّ أنه يتشيع من غير غلو ولا سب ، ونقل عن يحيى بن معين قوله : كان أبو نعيم إذا ذكر إنساناً فقال هو جيد وأثنى عليه فهو شيعي وإذا قال : فلان كان مرجئاً فأعلم أنه صاحب سنة لا بأس به ، الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص٣٥٠ .

(٢) له ترجمة طويلة في ميزان الاعتدال للذهبي ، ج٣ ، ص٨١ ، من أهمها نقل قول يحيى بن سعيد القطان بحقه : إذا وافقني عفان لا أبالي من خالفني ، ولكن ابن عدي ذكره في الكامل ، ج٥ ، ص٣٨٤ ، وعلق الذهبي على ما ذكره ابن عدي في الكامل أنه : ((فآذى ابن عدي نفسه بذكره له في كامله)) وهو من المتشددين في الجرح والتعديل وقد رفض جائزة كبيرة بمجرد أن لا يذكر أحد الرواة بجرح أو تعديل فامتنع وقال : ((لا أبطل حقاً)) .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني السعدي سكن دمشق وكان حريزي المذهب إلاّ أنه مع صلابته ربما كان يتعدى طوره ، ابن حبان ، الثقات ، ج٨ ، ص٨١ ؛ فهو يضعف أهل الكوفة ويتهمهم فقد جرح رشيد الهجري من أصحاب الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وقال عنه : ((كذاب غير ثقة)) ، ابن عدي ، الكامل ، ج٣ ، ص١٥٨ ؛ وذكره الذهبي وقال : ((وهو ممن يبالغ في الجرح)) ، الذهبي ، ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ، اعتنى به : عبد الفتاح أبو غدة ، (حلب : دار البشائر الإسلامية ، ١٤١٠هـ) ، ص١٩٣ ؛ وقال عنه ابن حجر في كتابه (لسان الميزان) ، ج١ ، ص١٦ ما نصه ((فإن الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب وذلك لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلقة وعبارة طلقة حتى أنه يلين مثل الاعمش وأبي نعيم وعبيد الله بن موسى واساطين الحديث وأركان الرواية ...)) ؛ وله ألفاظ في الجرح متشددة جداً ، مثل : كذاب غير ثقة ، ساقط ، مفتر زائغ ، واهي الحديث وغيرها لمن تتبع ألفاظه في كتب النقد الرجالي إذ تتضح المؤثرات النفسية في صياغة العبارة ضد خصومه .

(٤) للمزيد ينظر : ابن أبي حام ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٢٨٣ - ص٢٩٩ وهي ترجمة وافية وكذلك ينظر : ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج٩ ، ص٢٨ - ص٣٠ ، وهو من المتشددين فقد جاء على ما نقله ابن حجر عنه : ((قال أبو حاتم قدم محمد بن يحيى النيسابوري الري فألقيت عليه ثلاثة عشر حديثاً من حديث الزهري فلم يعرف إلاّ ثلاثة ... فأغرب عليه أبو حاتم ، وترك حديث البخاري من قبل أبي حاتم وأبي زرعة ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٧ ، ص٢٥٩ .

٧ـ عبد الرحمن بن يوسف بن خراش (ت٢٨٣هـ/٨٩٦م)[(١)] .

٨ـ محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (ت٣٢٢هـ/٩٣٣)[(٢)] .

٩ـ محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥)[(٣)] .

١٠ـ المدرسة الحديثية القمية المتشددة[(٤)] .

---

(١) هو الحافظ وقد اتهم بالتشيع اتهمه ابن عدي وأنه يوصل المراسيل وخرج في مثالب الشيخين وعلق الذهبي بعد أن نقل أقوال العلماء النقدية فيه فقال : هذا والله الشيخ المعثر الذي ضل سعيه فإنه كان حافظ زمانه وله الرحلة الواسعة والاطلاع الكثير والإحاطة ، للمزيد ينظر : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص٦٠٠ - ص٦٠١ . ويبدو واضحاً الاختلاف العقائدي والتشدد في الجرح ، ومن نقده المتشدد سئل عن أحاديث غلام خليل ، فقال : سرقها من عبد الله بن شبيب وسرقها ابن شبيب بن النضر بن سلمة ووضعها شاذان ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٣٨ .

(٢) الامام الحافظ الناقد أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي الحجازي مصنف كتاب الضعفاء روى عن الكثير وروى عنه العديد من المحدثين وامتحنه العلماء وعبر عنه باحفظ الناس ، للمزيد ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٥ ، ص٢٣٧ ؛ وذكره الذهبي ممن يعتمد قوله في الجرح والتعديل ، ص٢٠٥ .

(٣) وصف أنه من المتشددين في الجرح وقال التهانوي : أنه معروف بالاسراف في الجرح والتعنت فيه مع جماعة ذكر أبو حاتم والنسائي وابن معين وأبو الحسن بن القطان ويحيى ابن سعيد القطان وابن حبان وغيرهم ، التهانوي ، قواعد ، ص٨٧ ، وقال في موضع آخر : ((أما ابن حبان تقعقع كعادته ... ابن حبان ربما جرح الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه)) ، ص٨٨ ، وذكر تشدده محقق كتاب المجروحين من المحدثين حمدي عبد المجيد السلفي في مقدمة التحقيق ، ج١ ، ص٦ ؛ ونقده العديد من النقاد كابن الصلاح ووافقه الذهبي وابن حجر ووصف بأوصاف منها الخساف المتهور ، للمزيد ينظر : عبد الفتاح أبو غده وتعليقاته في جمعه لأربع رسائل ، ص٦٧ - ٦٩ .

(٤) تعتقد هذه المدرسة بأنه لا يجوز الرواية عن الضعفاء والمجاهيل ولا اعتماد المراسيل ولا الرواية عن الغلاة او رواية فيها شيء من الغلو ، وإذا وجد من يروي عن هؤلاء يترتب عليه أن يخرج من هذه البلدة بل رتبوا الآثار على أدنى شبهة وإن كان الراوي من الأجلاء فقد أخرجوا أحمد بن محمد بن خالد البرقي وغيره فإن أحمد بن محمد بن عيسى الاشعري القمي قد اخرج البرقي مع جلالة قدره لأنه كان لا يبالي عمن أخذ ومحمد بن علي بن إبراهيم بن موسى القرشي للكذب والغلو وسهل بن زياد الآدمي القمي فقد جرحه واشهد عليه بالغلو والكذب ، للمزيد

هذا المنهج المتشدد في الجرح المتثبت في التوثيق كان متبعاً لمجموعة كبيرة من علماء النقد الرجالي ربما خضعت فيه مؤثرات نفسية وعوامل دينية وسياسية جعلت هذا المنهج رائجاً عنهم ، ولكن العلماء وضعوا عدة ضوابط أساسية لمعالجة الاختلافات التي أدت بالنقد إلى الجنوح نحو التحيز واقصاء الآخر وعدم استقرار الموضوعية والاعتدال والانصاف ، ويمكن أفراد ذلك بمبحث عن التاريخ النفسي للناقد الرجالي وبيان أو كشف الدواعي لجرح الآخر واسقاطه من سجل الثقات إلى سجل الضعفاء ، وربما أثرت تلك الكلمة فأبعد الراوي لتلك الدواعي البعيدة عن المنهج والأساس المعرفي وهمش العديد من الرواة وأصبح تاريخهم منسياً ولم يفكر بهم فأصبحوا من التاريخ المهمش واللا مفكر فيه وفي سجل النسيان الذي يحتاج الى اعادة .

ثانياً : المتساهلون .

وهذا المنهج اعتمد التساهل في الجرح والتعديل عند بعض النقاد وأن نجد أن بعض النقاد يختلف في الجرح عن التعديل فيكون شديداً في الأول ومتساهلاً في الثاني كابن حبان فهو متشدد في الجرح متساهل في التعديل كما حكم عليه النقاد ومع وجود التشدد ومقابله التساهل واوسطهما الاعتدال

ينظر : الاردستاني ، رياض المحدثين ، ص٧ و ص٩٧ ، وهذه الميزة المتشددة لهذه المدرسة منذ القرن الثاني والثالث والرابع وكانت هذه طريقتهم في الانتقاد وهي تخالف ما عليه جماهير النقاد إذ يتسرعون في الطعن بلا سبب ظاهر مما يريب اللبيب الماهر ، ثم أنهم يرتبون الأثر على ذلك بالفعل بالطعن والاخراج والهجر فقد طعنوا بيونس بن عبد الرحمن مع جلالة قدره ، هذه هي طريقتهم في الجرح والتعديل فمن لم يأت بما لم يرضوه فهو عندهم ثقة مأمون ، وقد حاربوا الغلو والغلاة ، للمزيد ينظر : بحر العلوم ، محمد مهدي ، الفوائد الرجالية ، تحق : محمد صادق بحر العلوم ، (طهران : آفتاب ، ١٣٦٣هـ) ، ج١ ، ص٤٦٤ ، و ج٢ ، ص٤٦٩ ؛ وعلى هذا المنهج المتشدد لا يمكن الاعتماد على جرحهم والأخذ به ، للمزيد ينظر : الوحيد البهبهاني ، الفوائد المطبوع مع رجال الخاقاني ، ص٣٨ - ص٣٩ .

نشأ التوقف عند الكثير من الرواة بلا نقد[١] ، وقد حذر العلماء من هذا المنهج لأن آثاره كبيرة في البناءات الفكرية والعلمية والشرعية وأن الفكر الإسلامي مشكلته الكبيرة في وجود الأحاديث والأسانيد الموضوعة ، وتعديل وتجريح الرواة قد يدخل في تمهيد الطرق السقيمة إذا اتخذ المنهج التساهلي في تحديد الحكم النقدي النهائي على الرواة ، ذكر ابن حجر أن من عدّل بغير تثبت كان كالمثبت حكماً ليس بثابت ، والجرح بغير تحرز فإنه الطعن في غير محله[٢] .

إن الإشكالية في هذا المنهج هي الإشكالية نفسها في منهج التشدد وهي لماذا هذا المنهج في الحالتين ؟ فلابد إذاً من دواع لذلك المنهج يعبر عن سيكولوجية الناقد وطبيعة النظرة التي تنسجها الشخصية وهو ما يعبر عنه بالسمات الذاتية[٣] المتكونة من الفطرة والتوجيه الاجتماعي ثم الجهد الشخصي[٤] ، يبدو أن دراسة أحوال الناقد وتغيّر أحكامه تستوجب دراسة حالته النفسية فأنه من العلوم المنسية أو المسكوت عنه أو غير المفكر فيه ألا وهو علم النفس التاريخي أو التاريخ النفسي لمثل هذه الشخصيات وفهم الدوافع والمشاعر المؤثرة فيهم أي دراسة علم الشخصية ومعرفة أشكال العلاقات الفردية أي الشخصية بالشخصية المعاصرة له أو علاقته بالجماعة[٥] ، أن الاهتمام بهذه

---

(١) تعليقات عبد الفتاح أبو غدة ، اربع رسائل ، ص١٤٥ .

(٢) للمزيد ينظر : الترمسي ، محمد محفوظ بن عبد الله بن عبد المنان ، منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر للحافظ جلال الدين السيوطي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ) ، ص١٣٦ .

(٣) البستاني ، محمود ، دراسات في علم النفس الإسلامي ، (النجف الأشرف : دار الباقر ، ١٤٢٨هـ) ، ج٢ ، ص٦٩ ، ويقصد بالسمات الذاتية : طبيعة النظرة التي تنسجها الشخصية لذاتها إيجاباً وسلباً منها سمة الكبر والفخر والحمية والعصبية وغيرها .

(٤) الشماع ، صالح ، المدخل إلى علم النفس ، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بلا معلومات طبع ، ص١٦٥ .

(٥) الرحيم ، أحمد حسن ، محاضرات في علم النفس ، (النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٨٤هـ) ، ص٦ .

العلاقات يوجد عند الباحث صورة كاملة عن آليات النقد في المنهج الأول والثاني ثم تحليل هذه التأثيرات النفسية على نتائج التقويم وما ينتج من ذلك من أفعال وتصرفات مختلفة مثل التعصب الرسي أو العنصري والتعصب الديني وما يسمى بالعقل الجمعي أي تأثر الفرد وأفكاره وانفعالاته بذلك سلباً أو ايجاباً وانفعالاته بدونه[١] ، أن العمليات المعرفية هي دراسات لشخصية الفرد[٢] .

يبدو لي أن تطور دراسات الفكر النقدي لهذه المناهج لابد أن تؤمن بتداخل العلوم والاستفادة من المناهج الحديثة لاستكشاف المخزون المعرفي لهذه المنظومة مع ابعاد كل أشكال الاضطرابات النفسية التعصبية منها ودراستها دراسة موضوعية للوصول إلى النهج المعرفي في دراسة التراث ، فلا يعنى أن منهج التشدد والتساهل في القبول والرفض مطلقاً إلاّ بعد دراسة أسس التشدد وأسس التساهل أو بعبارة أخرى معرفة المباني للمنهجين ثم الحكم بعد ذلك ، وربما فسر بأن التشدد في أسانيد الأحكام والتساهل في باب الفضائل فقد نقل عن الحاكم النيسابوري بسنده عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان يقول إذا : ((روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا في الاسناد وسمحنا في الرجال ، وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال))[٣] ، وربما حكموا بعدم قبول رواية المتساهل[٤] هذا المنهج قرر إلى مجموعة من النقاد منهم :-

---

(١) الرحيم ، محاضرات في علم النفس ، ص٣٧ - ص٣٩ .

(٢) غنيم ، سيد محمد ، سيكولوجية الشخصية محدداتها قياسها نظرياتها ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، بلا) ، ص٥٧٠ .

(٣) المدخل في أصول الحديث المطبوع مع كتاب المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ) ، ص١٤٧ .

(٤) الجعبري ، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر ، رسوم التحديث في علوم الحديث ، تحق : إبراهيم بن شريف الميلي ، (بيروت : دار ابن حزم ، ١٤٢١هـ) ، ص١٠٣ .

١ـ أحمد بن صالح المصري (ت٢٤٨هـ/٨٦٢م)[١] .

٢ـ عمرو بن علي بن بحر الباهلي أبو حفص البصري الصيرفي الفلاس (ت٢٤٩هـ/٨٦٣م)[٢] .

٣ـ أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم أبو الحسن العجلي (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)[٣] .

٤ـ يعقوب بن سفيان أبو يوسف الفسوي (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)[٤] .

---

(١) أبو جعفر طبري الأصل ، كان أحد حفاظ الأثر عالماً بعلل الحديث بصيراً باختلافه ، ذكره النسائي فرماه وجرحه يحيى بن معين وقال : كذاب يتفلسف ، وآفته الكبر عند بعض النقاد ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٤ ، ص٤٢٣ ؛ دافع عنه ابن حجر في مقدمة فتح الباري ، الحسني ، دراسات ، ص١٧٧ ؛ وقالوا عنه أنه معروف بابن الطبري روى عنه البخاري وأبو داود والترمذي بواسطة وسمع منه النسائي ولم يحدث عنه لأنه لم يأذن له فجمع أحاديث قد غلط فيها فشنع بها عليه ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص٣٦ ؛ وله ترجمة وافية في كتاب الكامل لابن عدي ، ج١ ، ص١٨٠ - ص١٨٦ .

(٢) كان يتكلم في علي بن المديني وهو بصري ثقة وهو من الحفاظ الكبار ، للمزيد ينظر : المزي ، التهذيب ، ج٢٢ ، ص١٦٢ - ص١٦٥ ؛ كان من الحفاظ وبعض أصحاب الحديث يتعصبون له وقد صنف المسند والعلل والتاريخ وهو امام متقن ، وكان يقول في علي بن المديني ، ولكنه لا يؤخذ بكلام الاقران فهو غير معتبر في حق بعضهم بعضاً إذا كان غير مفسر لا يقدح ، وعلي بن المديني كان يتكلم عنه ويطعن فيه ، للمزيد ينظر : ابن حجر ، تهذيب ، ج٨ ، ص٧٠ - ص٧١ .

(٣) كان يُعدُ مثل الامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وانهما كانا يأخذان عنه صاحب كتاب الثقات عده محقق الكتاب عبد المعطي قلعجي اقرب إلى الاعتدال في منهجه من التساهل ولما سئل عنه يحيى بن معين أجاب بأنه : ثقة ابن ثقة ابن ثقة ، نزل طرابلس المغرب إذ رحل من الكوفة فهو كوفي المولد والنشأة ولكتابه الثقات ميزة مهمة إذ كشف عن أسماء لم ترد في كثير من كتب الرجال وفيه نصوص وأخبار وحكايات لم ترد في كثير من المصادر، للمزيد ينظر : ما أفاده محقق كتاب الثقات في مقدمته ص٣١ - ص٣٧ .

(٤) ثقة حافظ توفى سنة ٢٧٧هـ ، ابن حجر ، تقريب ، ج٢ ، ص٣٣٧ ؛ ونقلت عنه العديد من التوثيقات والتجريحات في اغلب كتب الرجال فهي لا تخلو من نقده للرواة وللمزيد ينظر إلى تهذيب الكمال وغيره من كتب النقد الرجالي ، وله كتاب المعرفة والتاريخ وقد نقلت عنه أقواله في الجرح والتعديل ، ترجم له ابن أبي حاتم في كتابه الجرح والتعديل ، ج٩ ، ص٢٥٦ ؛ وترجمه الزركلي بقوله : ((يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي من كبار حفاظ الحديث من أهل فسا عاش بعيداً عن وطنه في طلب الحديث نحو ثلاثين سنة وروى عنه أكثر من ألف شيخ وتوفي بالبصرة ، الزركلي ، الاعلام ، ج٨ ، ص١٩٨ .

٥ـ محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغني الترمذي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)[١] .

٦ـ أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)[٢] .

٧ـ محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)[٣] .

٨ـ محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت٣١١هـ/٩٢٣م)[٤] .

---

(١) من أئمة الحديث وحفاظه من أهل ترمذ على نهر جيحون تتلمذ للامام البخاري وشاركه في بعض شيوخه وكان يضرب به المثل في الحفظ وعمي في آخر عمره وتوفي بمدينة ترمذ ، الزركلي ، الاعلام ، ج٦ ، ص٣٢٢ ؛ وهو أول من نوه عن الحديث الحسن ، الجعبري ، رسوم التحديث ، ص٦١ ؛ وكتاب الترمذي أصل في معرفة الحديث الحسن وهو الذي نوه بذكره ، ابن كثير ، اختصار ، ص٣٠ ؛ ومن الغريب قول ابن حزم في الترمذي وغيره بأنه : مجهول ، السخاوي ، المتكلمون في الرجال المطبوع مع اربع رسائل ، ص١٤٤ .

(٢) من أهل البصرة وكان ثقة حافظاً صنف المسند وتكلم على الأحاديث وبين عللها وقدم بغداد وحدث بها وثقه الدارقطني ولكنه قال : ((يخطئ كثيراً ويتكل على حفظه ، جرحه النسائي)) ، للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٥ ، ص٩٤ - ص٩٦ ؛ وذكره ابن الصلاح بقوله : ((أبو بكر البزار الحافظ الجليل)) ، ابن الصلاح ، المقدمة ، ص١٦٢ ، تكلم في الرجال في متخذاً منهج التساهل كما ذكروا ذلك عنه ويمكن النظر إلى نقده للرواة المبثوثة في كتب الرجال والتراجم ؛ ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص١٢٤ بقوله : ((صاحب المسند الكبير صدوق مشهور)) .

(٣) صاحب التاريخ والتفسير وهو أشهر من أن يعرَف ، كان صاحب مذهب اختلف مع الحنابلة ودفن بداره ، للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص١٥٩ ؛ قال عنه السيوطي في طبقات المفسرين ذاكراً تفسيره الروائي بقوله : ((جمع فيه بين الرواية والدراية)) وله : ((تهذيب الآثار)) ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، بلا) ، ص٨٢ ؛ وفي كتابه تهذيب الآثار تكلم عن كل حديث وعلته وطرقه ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٢ ، ص٧١٣ ؛ ووصفه الذهبي بـ ((صاحب التصانيف الباهرة ... ثقة صادق فيه تشيع وموالاة لا تضر)) ، اتهمه السليماني بالوضع للروافض ودافع عنه الذهبي ووقف في هذا الاتهام وقال : ((فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأنى فيه)) ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص٤٩٨ ، بل يتأكد من سبب الجرح المخالف لغيره من الاعلام النقاد .

(٤) أبو بكر النيسابوري ثقة صدوق ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٧ ، ص١٩٦ ؛ وهو إمام نيسابور في عصره وكان فقيهاً مجتهداً عالماً بالحديث ، لقبه السبكي إمام الأئمة له صحيح ابن خزيمة ، الزركلي ، الاعلام ، ج٦ ، ص٢٩ ؛ ونقل الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال أقواله النقدية

٩ـ سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن (ت٣٥٣هـ/٩٦٤م)[(١)] .

١٠ـ محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م)[(٢)] .

⇨ للرجال فمن أقواله : ((قال السلمي : سألت الدارقطني عن الازهري ، فقال : هو أحمد بن محمد بن ازهر بن حريث سجستاني منكر الحديث ، لكن بلغني أن ابن خزيمة حسن الرأي فيه وكفى بهذا فخراً)) ، ج١ ، ص١٣٢ وللمزيد ينظر : في الأجزاء كلها فإن الذهبي قد نقل كثيراً منها في هذا الكتاب .

(١) أصله بغدادي نزيل مصر الملقب بالبزاز من المحدثين فقد جرح وعدل وصحح وعلل كان ابن حزم يثني على صحيحه المنتقى وفيه غرائب ، للمزيد ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٦ ، ص١١٧ - ص١١٩، ونقلت أقواله النقدية في اغلب كتب الرجال النقدية.

(٢) هو من المتشددين في الجرح ومن المتساهلين في التوثيق كما نسب إليه ذلك ، ففي مقدمة كتابه (كتاب المجروحين من المحدثين) ذكر أنه نقل القدح من أئمة النقد وما صح عنده من الجرح مع ذكر السبب الذي من أجله استحق ذلك ، للمزيد ينظر : ج١ ، ص١٤ - ص٨٨ ؛ ونقل عنه لم يحتج في صحيحه بأي شيخ إلاّ إذا توافرت فيه خمسة أشياء : ١- العدالة ، ٢- الصدق ، ٣- العقل ، ٤- العلم ، ٥- تعري خبره عن التدليس ، وهذه الخصال التي وضعها ابن حبان هي معياره في الصحة والحكم على الرجال وهو لا يقبل من المدلس إلاّ بذكر صيغة التحمل وإن كان ثقة فلابد من سمعت أو حدثني وإلاّ فلا يجوز الاحتجاج بخبره وقد أحال في تفصيل هذه المسألة إلى كتابه شرائط الأخبار ثم أنه يوازن بين التضعيف والتوثيق بين الأئمة من النقاد ويحيل إلى كتابه (الفصل بين النقلة) وهو يشير إلى أدلة قد وضعها للتمييز بين الرجال ، فالثقة اودعه في كتابه (الثقات) والضعيف اودعه في كتابه (الضعفاء بالعلل) ، ويبدو أن منهجه قد رتبه على معرفة الخصال التي ذكرناها وصرح هو بها كمعيار علمي لمعرفة الرجال لذا قال في كتابه الثقات : ((فكل من ذكرته في كتابي هذا إذا تعرى خبره عن الخصال الخمس التي ذكرتها فهو عدل يجوز الاحتجاج بخبره)) ، ولذلك وضع قاعدته الرجالية : فمن لم يعلم بجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده ، لأن العدل من لم يعرف منه الجرح ضد التعديل ، ثم قال : ((لم يكلف الناس من الناس معرفة ما غاب عنهم)) ، للمزيد ينظر : مقدمة كتاب الثقات ، ج١ ، ص١٠ - ص١١ ، ويبدو من أن ابن حبان اعتمد على القاعدة التي تقول الأصل العدالة ما لم يثبت خلافها ولكنه ميَز الرجال في نقده على معايير علمية لم تكن بالمنهج المتساهل كما يظهر من أقواله النقدية فهو متشدد كما وصفوه في الجرح ومتساهل في التوثيق لكنه يبدو أنه معتدل فالجرح يجب التثبت والتحرز منه أكثر من التوثيق خوفاً من جرح من لا يستحق ذلك أو ربما توثيق من لم يستحق ذلك ، وعلى هذا فان

١١- عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد المعروف بابن شاهين (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)[١] .

١٢- محمد بن عبد الله الحافظ المعروف بالحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م)[٢] .

ابن حبان وضع الخصال الخمسة للتمييز بين الثقة والضعيف ، وهو منهج اقرب إلى الاعتدال منه إلى التساهل ، ولقبه بعض المعاصرين فيلسوف أهل الجرح والتعديل ، مقدمة المحقق للكتاب تاريخ أسماء الثقات لابن شاهين عبد المعطي امين قلعجي ، ص٢٠ ؛ وقد رد هذا المنهج وادعي أنه يخالف جمهور العلماء بل نسب إليه أن شذ عنهم في توثيق المجاهيل وحذر بعض العلماء النقاد من توثيق ابن حبان وعد ذلك من أدنى درجات التوثيق وذكروا أن قاعدته هذه مرجوحة لأنه وثق جماعة لا يعرفهم ولا آباءهم ثم استدرك بعض المحققين وذكر أنه ذلك ليس على نحو اطلاقه لأنه إذا وثق أحد الرواة وروى عنه جمع من الثقات ولم يأت بما ينكر عليه فهو صدوق يحتج به ، للمزيد ينظر : مقدمة تحقيق كتاب الأباطيل والمناكير للحوزقاني الهمذاني ، تحق : محمد حسن محمد حسن ، ص٨ - ص٩ .

وثقه الدارقطني وابن أبي الفوارس والداودي إلاّ أنه قال : كان لحّانا ولا يعرف من الفقه لا قليلاً ولا كثيراً ويقول : أنا محمدي المذهب وهو فيما يبدو أنه لا ينتمي إلى أي مذهب ، ووثقه الخطيب البغدادي وابن ماكولا ، ونفى الذهبي عنه البراعة في غوامض الصنعة واثبت له الرواية وضعفه ابن البقال ، للمزيد ينظر : مقدمة كتاب (ناسخ الحديث ومنسوخه) دراسه وتحقيق : كريمة بنت علي ، ص٩ - ص٣٠ ؛ له كتاب (تاريخ أسماء الثقات) وقد اعتمد فيه على نقل آراء النقاد وأكثر من نقل آراء الامامين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وصرح بذلك في مقدمته لهذا الكتاب ، للمزيد ينظر : ابن شاهين ، تاريخ أسماء الثقات ، تحق : صبحي السامرائي ، (الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٤هـ) ، ص٢٥ ؛ وكذا تحق : عبد المعطي امين قلعجي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٣٢هـ) ، ص٤٧ ، وفي هذا الكتاب وثق محمد بن القاسم الاسدي مع أنهم كذبوه ، ص٢٩٦ ، ووثق محمد بن أبي حميد مع أنهم ضعفوه ، ص٢٩١ ، وهو يعتمد ألفاظ يحيى بن معين بالدرجة الأولى واعتمد عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب ، تحق : قلعجي ، ص٢٤ ، وربما ينظر في تساهله .

نسب إليه منهج التساهل لاختلافهم في عقيدته وخاصة بعد إخراج المستدرك على الصحيحين فنقل عن الحافظ ابن حجر قوله : ((إنما وقع للحاكم تساهل لأنه سود الكتاب لينقحه فعاجلته المنية ولم يتيسر له تنقيحه)) ، ولم يختلفوا في علمه وجلالة قدره في علم الحديث ومصطلحه ، وأنه وضع قواعد التشدد والتساهل في الأسانيد نقل ذلك في كتابه المدخل وبين الغرض من تخريج ما لا يصح سنده ويعدل رواته لأن الجرح والتعديل يختلف بين الأئمة من النقاد فقد ⇦

١٣ـ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)[(١)] .

هذه نماذج ذكرناها قد نسبت إلى التساهل في الحكم النقدي وكذلك ما ذكرناه في منهج التشدد قد قرره عدة من العلماء النقاد[(٢)] ، وأنه يمكن النظر في هذا التقسيم الثلاثي لتفاوت الأقوال النقدية عند الامام الواحد فقد ينقل منه ما يظهر أنه متناقض ولكن له أسبابه ودواعيه ويحتاج إلى حفر معرفي لمعرفة علل ذلك وظروف إصدار ذلك الحكم النقدي على تضعيف الثقات وتوثيق

⇐ يتفقون وقد يختلفون ثم ذكر أنواع الصحيح ورواته وانواع الجرح وصفاته ، للمزيد ينظر : المدخل في أصول الحديث ، ص١٥٠ - ص١٧٣ ، فكان ما استدركه الحاكم على الصحيحين في ضوء مبنى الامام البخاري والامام مسلم ذكر ذلك في كتابه المدخل فضلاً عن المستدرك وهذا العمل فيه دلالة على دقة وملاحظة التصانيف ونقدها والإشارة إلى ما يكملها ليفتح البحث العلمي على مصراعيه لنقد الأعمال العلمية وتقويمها مع احياء روح البحث العلمي واستمراره خوفاً من التقليد والتحجر مع أن الامامين في الصحيحين لم يقطعا بنهاية البحث العلمي عند حد كتابيهما ، لذا قال في كتابه المدخل : ((لئلا يتوهم أنه ليس يصح من الحديث إلاّ ما أخرجه البخاري ومسلم فانا نظرنا وتأملنا ووجدنا البخاري قد جمع كتاباً في التاريخ على أسامي من روي عنهم الحديث من زمان الصحابة إلى سنة خمس ومائتين فبلغ عددهم قريباً من أربعين ألف رجل وامرأة المخرج منهم في الصحيحين للبخاري ومسلم وقد جمعت أنا أساميهم وما اختلفا فيه فاحتج به الآخر فلم يبلغوا الفي رجل وامرأة ثم جمعت من ظهر جرحه من جملة الاربعين ألف فبلغوا مائتين وستة وعشرين رجلاً فليعلم .. أن أكثر الرواة للأخبار ثقات)) ، ص١٥٩ ، ومنه يتضح أن الحاكم في ضوء هذه الممارسة العلمية لم يكن من المتساهلين في التوثيق ، فقد مارس عملية نقد الجهد النقدي .

(١) هو الحافظ العلامة الخراساني سمع من الحاكم فأكثر منه وتخرج به فضلاً عن غيره كثير وهو مكثر في التصنيف من الحديث والفقه وبيان علل الحديث ووجه الجمع بين الأحاديث ومن المصنفين على مذهب الشافعي ، للمزيد ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٨ ، ص١٦٣ ؛ كتب الحديث وحفظه من صباه إلى أن نشأ ورحل في طلبه إلى العراق والحجاز ، للمزيد ينظر : الصريفيني ، إبراهيم بن محمد بن الازهر ، الحلقة الأولى من تاريخ نيسابور المنتخب من السياق للحافظ الفارسي ، (قم : جماعة المدرسين ، ١٤٠٣هـ) ، ص١٢٧ - ص١٢٨ .

(٢) للمزيد ينظر : الذهبي ، ذكر من يعتمد قوله ، ص١٧١ ؛ التهانوي ، قواعد علم الحديث ، ص٨٧ ؛ العمري ، دراسات ، ص٩٧ .

بعض الضعفاء ، وحتى منهج التساهل يمكن النظر فيه فإن لكل ناقد مبنى خاص يعتمده في مصنفاته النقدية والروائية .

هذا التقسيم الثلاثي هو مترشح من الآراء النقدية لعلماء الجرح والتعديل والذين اختلفوا في إصدار الحكم على الرواة إلى ثلاثة أقسام[1] :-

١- الآراء النقدية لسائر الرواة .

٢- الآراء النقدية لكثير من الرواة .

٣- الآراء النقدية للراوي بعد الراوي .

ثالثاً : المعتدلون .

نسب هذا المنهج لجماعة من علماء النقد اتصفوا بالتأمل والنظر والتأني في إصدار الحكم النقدي على الرجال ، ويمكن القول أن ما أصدره أئمة أهل البيت عليهم السلام كان القمة في هذا الحقل المعرفي إذا ثبت عنهم بالطريق الصحيح فهم حملة آثار النبوة بلا منازع وهم الذين عرفوا الناس موازين الرواية والدراية وكيف تقوّم الرجال ؟ ، فهم النقاد لحملة هذه الآثار النبوية فقد جرحوا الغلاة والوضاع والزنادقة وحذروا منهم وعرفوا الأمة أهمية الاسناد لأنه أعلى مراحل التوثيق في ثنائية الثقافة الإسلامية فالكلام ونقله بهذه الخصيصة علامة فارقة في تاريخ الحضارات البشرية وميزة رائعة في نقل الكلام من صاحب الرسالة إلى الأجيال الآتية فكانت عند الأئمة أعلى مراحل الاتصال السندي فإذا تفاخر الرواة في أنهم ينقلون عن ألف راو أو ألفي راو فهم ينقلون عن راو واحد إلى أن تنتهي السلسلة إلى النبي الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ولم يؤثر أنهم درسوا عند

---

(١) الذهبي ، ذكر من يعتمد قوله ، ص١٧١ .

شيوخ إلاّ آبائهم ولم يحدثوا عن غير آبائهم فهم اعرف من غيرهم بآثار السنة النبوية الشريفة ، وقد يتراءى لبعض أن حديثهم أما مقطوع أو منقطع أو مرسل ولكن لو دقق وتفحص ظهر له الاتصال التام فمثلاً الامام الرضا علي بن موسى ترجمه الذهبي بقوله روى عن أبيه[١] فقط ولم يذكر غيره ، وأنه حدث بنيسابور عن آبائه فقد طلب منه محمد بن رافع واحمد ابن الحرث ويحيى بن يحيى واسحاق بن راهويه وعدة من أهل العلم فحدثهم عن أبيه بسنده[٢] ، وهذا الحديث عرف عند المحدثين بحديث السلسلة الذهبية المتصل بأعلى صيغ الأداء والتحمل وبلفظ حدثني[٣] ، وهكذا بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي ميزة مفقودة عند غيرهم اتصال سندهم واقتصارهم عن آبائهم في الرواية وهو معروف مشهور عند الجميع هؤلاء على مدى قرون من الزمن حددوا الوثاقة في الرواة وجرحوا الكذابين والغلاة والزنادقة والوضاعين بقواعد وضعوها لكشف الزيف ومعرفة العلل في السند والمتن وعلل الأحكام[٤] ، وهو كثير في تراث هذه المدرسة وامتداداتها على القرون حتى القرن الرابع الهجري لذلك كثيراً ما اعتمدوا على نقد الامام أو معرفة طبقات الرواة وأصحاب كل إمام هم طبقة قد تتداخل مع غيرها والفهرستات تهتم بالاشارة الى المصنفات والاصول ، وقد اهتموا بذاك الجانب أكثر من اهتمامهم في التصنيف في

---

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، اعتنى به ووضع حواشيه : عمرو شوكت ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٨هـ) ، ج٢ ، ص٨٥ .

(٢) الصدوق ، عيون أخبار الرضا ، قدم له : محمد مهدي الخرسان ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٩٠هـ) ، ج٢ ، ص١٣٢ ، وهذا المصدر من المصادر المهمة ومن التراث المهمش وفيه ينقل ظاهرة المناظرات العلمية المعقودة بأمر رسمي من الدولة مع الملل والطوائف المتعددة وهو جدير بالدراسة في فقه الأديان المقارن.

(٣) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٣٢ - ص١٣٤ .

(٤) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٨٦ ، ص٩٧ ، ص١٢٠ .

الثقات والضعفاء والمجروحين وهو الجانب الذي اهتم به فكر وتراث الجمهور من المسلمين وذلك لمعالجة الوضع ومعرفة وتشخيص الرواة ومعرفة حالهم حتى يتسنى للمحدث والفقيه والأصولي بناء الأحكام الدينية في ضوء تلك المعرفة الرجالية ومنه اتضح أهمية علم الرجال وعلم الجرح والتعديل وخطورته في البناء المعرفي الديني لمسار الأمة وتكوين هويتها وثقافتها .

هذا المنهج الاعتدالي قرر إلى جماعة من النقاد ولكن يمكن الإشارة إلى أن هذه المناهج ليست على اطلاقها ولكنها تنفع في حالات التعارض الحاصل عند علماء الجرح والتعديل ومدى ترجيح هذه الآراء النقدية بمرجحات وقرائن دالة على ذلك وإنما عرفت هذه المناهج من الممارسة الفعلية للحكم على الرجال في أصولهم الرجالية المعتبرة واستقراء حالات عديدة عرف منها منهج كل ناقد ولكل واحد منهم مبنى فكري يعتمد عليه فإنها الأسس التي يبني عليها الأحكام ، بل أن معرفة المباني هي مهمة الباحث ومن لم يعرف المبنى كانت أحكامه غير صائبة ، ومنه يعرف أن كل ناقد من النقاد كانت له أسس يعتمدها لذلك جاءت أحكامه النقدية في ضوء ذلك المبنى أو الأساس من التشدد أو التساهل أو الاعتدال ، فقد قررت تلك الأحكام النقدية كمناهج في الاعتدال ، ويبدو أن بعض النقاد فيهم شدة مع اعتدالهم أو فيهم تساهل ويمكن معرفة بعضهم بالتقسيم الذي ذكرناه[1] :-

---

(١) للمزيد ينظر : أبو غدة ، اربع رسائل ، ص١٣٨ ، ص١٤٥ ، ص١٧٢ ؛ بحث بعنوان مناهج أئمة الجرح والتعديل قد قسم هذه المراتب من دون ذكر مؤلفه ، وهو أكثر موضوعية من التقسيم الثلاثي المعروف ، ويمكن التفصيل والتقسيم في ضوء الجرح وفي ضوء التعديل ولكننا لسنا بصدد الخوض في التقسيمات بقدر الاهتمام والإشارة إلى وجود مثل هذه المراتب .

أ – المعتدلون مع بعض التشدد :-

١ـ شعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ/٧٧٦م)(١) .

٢ـ الإمام مالك بن أنس الاصبحي (ت١٧٩هـ/٧٩٥م)(٢) .

٣ـ عبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ/٨١٣م)(٣) .

٤ـ يحيى بن معين (ت٢٣٢هـ/٨٤٦م)(٤) .

---

(١) وثق جابر بن يزيد الجعفي مع تضعيفه ، لذلك قالوا شذ في توثيقه ، الذهبي ، الكاشف ، ج١ ، ص٢٨٨ ؛ ويرى أن يكتب الحديث عن زياد بن مخراق لأنه غني ، الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٨٦ ؛ ونقل عنه قوله : ((التدليس اخو الكذب)) المصدر نفسه ، ص٣٩٣ .

(٢) كذب محمد بن إسحاق لتشيعه وما نسب إليه من القول بالقدر وأما الصدق والحفظ فقد كان صدوقاً حافظاً اثنى عليه ابن شهاب ووثقه شعبة والثوري وابن عيينه وجماعة جلة ، وما جاء من ابن إسحاق في حق الامام مالك أو منه في حق ابن إسحاق مما لا يلتفت إليه ولا يعرج عليه وهو ربما صدر في حال المؤثرات النفسية من الغضب والحسد ، للمزيد ينظر : ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، تحق : مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٨هـ) ، ص٤٣٦ و ص٤٤٢ ؛ وكلام الامام مالك قد صدر منه بسبب منافسة الاقران وقد رجع وروى عنه ، مرعشلي ، يوسف ، علم الجرح والتعديل وأهميته في دراسة الأسانيد والحكم على الحديث ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٣٠هـ) ، ص١٦٨ .

(٣) نقل عن علي بن المديني قوله ليحيى بن سعيد القطان : ((أن عبد الرحمن بن مهدي قال : أنا اترك من أهل الحديث كل من كان رأساً في البدعة ، فضحك يحيى بن سعيد)) وذكر عدة أسماء قائلاً : ((كيف يصنع)) بهؤلاء ، ثم قال : ((إن ترك عبد الرحمن هذا الضرب ترك كثيراً)) ، الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٢٩ ، وهذا من متشدد مثل يحيى بن سعيد القطان فيدل على ان ابن مهدي أيضاً فيه شدة ولا يدل على تساهل ابن القطان فإنه من المتشددين فقد قضى على شيخه شعبة كما مر .

(٤) جرح الامام الشافعي وقال عنه : ليس بثقة وهو وإن صح لا يقبل عند نقاد هذا العلم لأن مثل الشافعي وأمثاله لهم شهرة واسعة ، وربما هو من المؤثرات النفسية التي تصدر في حالات كثيرة على أئمة كبار لمجرد حالات طارئة كتضعيف الامام الصادق عليه السلام من يحيى القطان ، وهذا مما لا يقبل قوله في هؤلاء الأئمة الذين بلغوا من الشهرة والوضوح بما يقبل فيهم جرح ، ينظر : أبو غدة : اربع رسائل ، ص٣٣ ، ومع تضلعه في النقد الرجالي ومعرفة ذلك ذكر له الخطيب البغدادي (١١) وهماً ، للمزيد ينظر : ج١ ، ص٢٠٣ - ٢٢٦ .

٥ـ علي بن المديني (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م)[(١)] .

٦ـ الامام البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)[(٢)] .

٧ـ الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)[(٣)] .

---

(١) لم يرو عن أبيه بل روى ضده ، الخطيب البغدادي ، شرف أصحاب الحديث ، ص٤١ ؛ ذكر له الخطيب البغدادي عدة أوهام منها في خزيمة بن ثابت فقد اثبت أنه ليس في الصحابة من اسمه خزيمة واسم أبيه ثابت سوى ذي الشهادتين ، للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، موضح ، ج١ ، ص٢٥٢ - ص٢٦٥ ؛ ونقل عنه قوله : ((لو تركت أهل البصرة لحال القدر ، ولو تركت أهل الكوفة لذلك الرأي يعني التشيع خربت الكتب)) قوله خربت الكتب يعني لذهب الحديث ، الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٢٩ ؛ ولم يقبل علي ابن المديني كلام الفضل بن دكين وعفان بن مسلم لكثرة نقدهم مع أنهم من كبار النقاد ، للمزيد ينظر : العمري ، دراسات ، ص٣٣٩ .

(٢) وهو من المكثرين في نقد الرجال جرحاً وتعديلاً وكتبه في هذا المجال مصادر اصيلة ويعد من المعتدلين في النقد لذلك اكثروا من النقل عنه ومن أقواله النقدية منكر الحديث أو سكتوا عنه ولا يقول : كذاب أو وضاع أو دجال وإذا قال كذلك فهو ينقله عن غيره ، ولا يبالغ في عبارات التوثيق وقد يقول : لا أدري ، ومن منهجه أنه لا يقبل الجرح إلاّ مفسراً ولا يقبل جرح الاقران ، ولكنه يجرح المخالفين لعقيدة أهل السنة ، للمزيد ينظر : العمري ، دراسات ، ص٩٨ - ص١٠٩ ؛ ونقل الخطيب البغدادي في كتابه (موضع اوهام الجمع والتفريق) عدة أوهام بلغت ٧٤ وهماً استدركها عليه في أسماء الرجال فيهم من جمعه وفيهم من فرّقه وكذلك ردّه ابن أبي حاتم في عدة قضايا في الجمع والتفريق إذ أنه سبق الخطيب البغدادي في هذا العلم ولكن الخطيب توسع فيه وكتابه إليه المنتهى ، للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، تحق : عبد المعطي امين قلعجي ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٧هـ) ، ج١ ، ص١٧ - ص٢٠٢ ؛ ومع اعتداله روى عن نُعيم بن حماد كلامه عن الإمام أبي حنيفة عند نعيه مشعراً بالجفوة بينه وبين الحنفية مع ابتعاده عن منهجه الذي رسمه ، للمزيد ينظر : أبو غدة ، اربع رسائل ، ص٦٠ ؛ وقد روى عن محمد بن يحيى الذهلي مع أن الأخير تكلم فيه ، العمري ، دراسات ، ص١٠٥ ؛ وقد احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم والجرح لهم كعكرمة مولى ابن عباس واسماعيل بن أبي إدريس وعاصم بن علي وعمرو ابن مرزوق ، للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٠٨ .

(٣) هو من تلاميذ الامام البخاري وقد تردد عليه كثيراً عند قدومه نيسابور ، وقد أخذ عن أبي زرعة الرازي أقواله في العلل ، وحكم على الاسناد المعنعن بالاتصال ورأي أن المعاصرة كافية لأن الثقة لا يروي عمن عاصره إلاّ ما سمع منه ، للمزيد ينظر : الخطيب ، محمد عجاج ، المختصر ، ص١٣٤ ؛ وتفسيراً لقول يحيى بن سعيد القطان في قوله : ((لم تر أهل الخير في شيء اكذب منهم ⇦

٨ـ أبو زرعة الرازي (ت٢٦٤هـ/٨٧٧م)[١] .

٩ـ أحمد بن علي بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)[٢] .

١٠ـ أحمد بن علي النجاشي (ت٤٥٠هـ/١٠١٤م)[٣] .

⇦ في الحديث)) ، قال مسلم : ((يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب)) اجرى الإمام مسلم البحث عن الثقات والحكم على الرواة في ضوء مبناه بكفاية المعاصرة واظهار الحكم الفصل على الرواة على هذا المبنى ، للمزيد ينظر : مقدمته في الصحيح ؛ ومع اعتداله ذكر له الخطيب البغدادي عدة أوهام في الرجال عدَدها ستة وهذا مما يغيِّر في الحكم على الرجال في جمعهم مع أنهم عدة رجال لمجرد التشابه في الأسماء أو تفريق المتحد من الرجال ، للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، موضع أوهام ، ج١ ، ص٢٨١ - ص٢٩٤ ؛ وله آراء نقدية خاصة فقد احتج بسويد بن سيد وجماعة غيرهم ، اشتهر عنه كاستاذه البخاري في الاحتجاج بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم والجرح لهم ، الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٠٨ .

(١) عبيد الله بن عبد الكريم الرازي أبو زرعة ، وهو غير أبي زرعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو (ت٢٨١هـ) وهما من النقاء في هذا العلم ، وقد نقل أقواله ابن أبي حاتم الرازي في كتابه الأصل (الجرح والتعديل) في كل أجزاء هذا الكتاب المهم ومنه يعرف منهجه .

(٢) تكلم في أحمد بن صالح ونقل عنه قول يحيى بن معين من أنه كذاب يتفلسف وعد هذا النقل من أوهامه لاختلاف من جرحه يحيى بن معين في أحمد بن صالح الاشمومي غير هذا المعروف ، ولكن الخطيب البغدادي قد ذكر أن فيه الكبر وشراسة الخلق ، نال منه النسائي جفاء منه في مجلسه فذلك الذي افسد بينهما ، مما حدا بالنسائي أن يجمع أحاديثه التي وهم فيها ، للمزيد ينظر : أبو غدة ، اربع رسائل ، ص٣٤ - ص٣٥ ؛ وقد كان النسائي قد ذكره في الضعفاء والمتروكين وقال عنه : ((أحمد بن صالح : ليس بثقة)) ، ص٦١ .

(٣) عند الأكثر يرجح قوله على قوله الشيخ الطوسي في حالة التعارض في الذم والمدح وقال به المامقاني (ت١٣٥١هـ) في كتابه (مقباس الهداية) لضبطه وخلو كتابه من الاشتباه والسهو على حد قوله ، للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٤ - ص٣٥٥ ؛ فقد سكت النجاشي عن جماعة وثقهم الشيخ الطوسي كذريح المحاربي وعلي ابن رئاب وعلي بن جعفر وأمثالهم ، للمزيد ينظر : الكلباسي ، سماء المقال ، ج١ ، ص١٨٧ - ١٨٩ ؛ ويعد كتابه من الأصول المقدمة عند الشيعة الامامية وفيه قد وصف الرجال بمصطلحات الجرح والتعديل بما يناسب كل راو حسب ما وصل إليه من حكم ، للمزيد ينظر : الحكيم ، حسن عيسى ، الشيخ النجاشي ، ص١٦١ - ص١٦٧ ؛ وقد جرح النجاشي بعض الثقات مثل داود الرقي وجعفر بن محمد وجابر الجعفي ، للمزيد ينظر : السند ، الاجتهاد والتقليد في علم الرجال ، ص٢٩٣ - ص٣٠٠ وقد رد بعض المعاصرين دعوى تقديم قول النجاشي في حالة معارضته لقول الشيخ الطوسي وهو الوحيد الخراساني في محل درسه ؛ للمزيد ينظر : المصدر السابق ، ص٣٠٠ .

١١ـ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)[١] .

١٢ـ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)[٢] .

---

(١) عُد ابن حزم عند بعض المعاصرين أنه من المتشددين في توثيق الرواة ومتساهل في التضعيف فقد عد من الضعفاء من يستحق الحكم بالتوثيق وهي من انفراداه فقد طالت نقوده بعض الصحابة والأئمة الكبار وقبوله رواية أهل الاهواء ، فقد حكم على عجير بن عبد يزيد بالجهالة وهو من المشهورين ومن قائمة الصحابة أما غير الصحابة فقد حكم بالجهالة على الامام الترمذي وغيره ، ولم يعر ابن حزم لقضية المذاهب أي اهتمام في حكمه على الرواة بل عَدَ أكثر أهل السنة بأهل الأهواء لطفاً وأوسعهم تسامحاً واحتراماً لمعتقداتهم وتصوراتهم ولا يخرجهم هذا عن حد العدالة في نظره ، للمزيد ينظر : العمري ، دراسات ، ص١٢٦ - ص١٤٤ ، وعلى هذا يمكن تعداده في هذا المنهج المعتدل من جهة والمتشدد من جهة أخرى وربما هو يتساهل في بعض الحالات النقدية حسب مبناه الفكري والعلمي وربما يتسم هذا المنهج بالموضوعية في نقد الرواة مع التجرد عن الالقاب والشهرة لذلك كانت له آراء منفردة في ذلك .

(٢) له ثلاث كتب في الرجال الأول في التلخيص وهو أهم كتاب رجالي في ضوء المنهج الروائي بل هو أصل متقدم طبقة على ما ألفه النجاشي والطوسي ، والثاني الفهرست والثالث الأبواب (الرجال) وهما له وهي ممارسة نظرية وفكرية ثم مارس ذلك فعلياً في كتب الحديث والفقه وهي ميزة لا تكاد تذكر للنجاشي وإن كان ضليعاً في الرجال ولكن من دون ممارسة واقعية انتج ذلك اعتماده على حجية خبر الواحد خلافاً لاستاذه السيد المرتضى علم الهدى ، وكان منهجه في كتابيه الاعتدال والموضوعية مع الشدة في تقصي المعرفة ، ذكر الأستاذ حسن عيسى الحكيم في رسالته الشيخ الطوسي من أنه كان يصدر حكمه على كل من تدور حوله شبهة يعطي رأيه النقدي بقوله : هو عندي ثقة أو ضعفه القميون وهو ثقة ولاعتداله يصدر حكمه الشخصي أو ينقل ذلك عن غيره ولكنه يتشدد مع الغلاة بألفاظ شديدة ، للمزيد ينظر : الحكيم ، الشيخ الطوسي ، ص٣٦٦ - ص٤٢٧ ؛ ونقل أبو الهدى الكلباسي (ت١٣٥٦هـ) في سماء المقال عن غيره أن في الآراء النقدية للشيخ الطوسي اضطراب واضح ففي كتبه الرجالية يوثق وفي غيره يضعف ، وقد يوثق من جرحه مشهور عند العلماء ، للمزيد ينظر : ج١ ، ص١٥٨ - ص١٦٧ ؛ أما اختيار الكشي فقد كان قد اختصره عن الأصل وقد ذكرنا ذلك في موضع سابق منهجه الروائي المعتدل في ايراد تلك الروايات الذامة والمادحة وعلى الناظر فيه طلب الحكم ، للمزيد ينظر : أبو الهدى الكلباسي ، سماء المقال ، ج١ ، ص٩٠ - ص٩٤ .

ب - المعتدلون مع بعض التساهل .

١ـ سفيان بن سعيد الثوري (ت١٦١هـ/٧٧٧م)[١] .

٢ـ محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)[٢] .

٣ـ محمد بن عبد الله بن نمير (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م)[٣] .

---

(١) كان يقدم سعيد بن جبير على إبراهيم النخعي وهو أعرف بالحفاظ من غيره ، وكان يقول عن جابر الجعفي : ((كان جابر ورعاً في الحديث ما رأيت أورع في الحديث من جابر)) ، وفي موضع آخر قال : ((ما رأيت أورع من جابر الجعفي في الحديث)) ولا منصور ، وكانت تعرض عليه كتب الحديث فقد عرض عليه زائدة كتبه فلم يختلفا إلاّ في قدر عشرة أحاديث وطلب من يحيى بن سعيد القطان عرض كتبه ولكنه لم يفعل وندم بعد ذلك ، وقال : ((لوددت أني كنت فعلت)) ، للمزيد ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٩١ - ص١٠٦ ؛ وقد عد الثوري معتدل في التوثيق منصف في الجرح ، العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٦٤ ، وقد تختلف التقويمات النقدية بين النقاد لاختلاف وجهات النظر في المفردة الواحدة ، فقد اختلف الامام أبو حنيفة مع الثوري وخالفه تماماً بقوله : ((ما رأيت اكذب من جابر الجعفي)) ؛ أبو غدة ، اربع رسائل ، ص٩٧ ؛ ذكر الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث : أن الثوري كان يحدث عن الضعفاء ، ومن لا يحتج بروايته ، ص١١٩ .

(٢) هو صاحب الطبقات جمع فيها الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى وقته وقد أجاد وأحسن وله طبقات أخرى صغرى ثانية وثالثة والتاريخ ذكر ذلك ، الكتاني ، محمد بن جعفر ، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، (القاهرة : مكتبة الكليات الازهرية ، ١٩٩٥م) ، ص٩٢ ؛ ومن مميزات ابن سعد اسهاب في ذكر احوال الصحابة ، الدايني ، تاريخ النقد ، ص٨٦ ؛ وكتابه في الطبقات مدحه الحافظ العراقي وعبر عنه بأنه كتاب جليل كثير الفائدة وابن سعد ثقة في نفسه وثقه أبو حاتم وغيره ولكنه كثير الرواية عن الضعفاء كالواقدي وهشام بن محمد الكلبي واكثر شيوخه من الثقات ولكنه أكثر الرواية عن شيخيه الواقدي والكلبي ، للمزيد ينظر : العراقي ، فتح المغيث ، ص٣٤٧ ، ويبدو من روايته عن الضعفاء جاء تساهله ولأجله ربما رتب بهذه الرتبة ، واجادته وروايته عن الثقات عَدَ من المعتدلين ، ويؤيد ذلك قول الزركشي فيه : أنه تكلم في الجرح والتعديل في طبقاته بكلام جيد مقبول ؛ النكت على مقدمة ابن الصلاح ، ص٢٨٨ .

(٣) قال عنه الامام أحمد بن حنبل : هو درة العراق ، الزركشي ، النكت ، ص٢٨٨ ؛ أبو غدة ، اربع رسائل ، ص١٠٣ ؛ ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٢٦٥ ، إذ اعتمد عليه احمد

٤ـ الامام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)[1] .

٥ـ محمد بن يحيى الذهلي (ت٢٥٨هـ/٨٧١م)[2] .

٦ـ سليمان بن الاشعث السجستاني المعروف بأبي داود (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)[3] .

ابن حنبل ويحيى بن معين فيما يقوله في الكوفيين ، ونقل عنه ابن أبي حاتم أقواله النقدية في الرجال في أهل الكوفة وغيرها وله في العلل والكنى والأسماء والبلدان للمزيد ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٢٦٥ - ص٢٧٠ ؛ روى عنه الامام البخاري (٢٢) حديثاً ومسلم (٥٧٣) حديثاً ومدحه اغلب من ترجم له للمزيد ينظر : ابن حجر ، التهذيب ، ج٩ ، ص٢٥٢ .

(١) وهو غني عن التعريف فقد تكلم عن الرواة بعدما سأله تلامذته عنهم وكلامه فيهم باعتدال وانصاف وأدب وورع للمزيد ينظر : الزركشي ، النكت ، ص٢٨٨ ؛ ذكر له الخطيب البغدادي اربعة أوهام في الجمع والتفريق للمزيد ينظر : ج١ ، ص٢٢٧ - ص٢٥٠ ؛ ولمعرفة اقواله النقدية في الرجال يمكن الرجوع إلى كتابه العلل ومعرفة الرجال فقد ذكر أحكامه فيه ، وفي سؤاله عن يعقوب بن إبراهيم القاضي أبو يوسف ، قال عنه : صدوق ولكن من أصحاب أبي حنيفة لا ينبغي أن يروى عنه شيء ، ويحيى ابن معين كتب عنه ، للمزيد ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٩ ، ص٢٤٩ ؛ ويبدو من تتبع أقواله أنه يقبل من المخالفين له بشرط ألا يكون داعية ، للمزيد ينظر : العبد اللطيف ، ضوابط الجرح والتعديل ، ص١٢١ .

(٢) تكلم في الامام البخاري فقيل غلبه الحسد عليه لما ورد نيسابور مع أنه شجع على حضور درسه ولكنه لما ظهر الخلل في مجلسه حسده مع أن الذهلي يعد من شيوخ البخاري وقد روى عنه في الصحيح ، للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، موضح أوهام ، ج١ ، مقدمة المحقق ، ص٢٥م - ص٣٠م ؛ ونقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : ((سمع منه أبي وأبو زرعة ثم تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابوري أنه اظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق)) ، ج٧ ، ص٢٥٩ ؛ وأشار الخطيب البغدادي إلى أن وهم في الجمع بين سعيد بن مرجانة وسعيد بن يسار ، موضح أوهام ، ج١ ، ص١٣م .

(٣) كانت له رحلة علمية فقد جمع وصنف وكتب عن مختلف محدثي البلدان الإسلامية وذكر رواته المزي في التهذيب وهم كثر وروى عنه أيضاً كثر وله ترجمة طويلة في هذا الكتاب ، للمزيد ينظر : المزي ، التهذيب ، ج١١ ، ص٣٥٥ - ص٣٦٧ ؛ هو من الملازمين للامام أحمد بن حنبل ، له رحلة في الحديث سمع وكتب وربما عبر أنه سمع ولم يكتب أو كتب ولم يحدث عن جماعة ، وفي بعض أقواله : ليس به بأس لم اكتب عنه وفي وهب بن محمد البناني قال : كتبت عنه وكان قدرياً ، للمزيد ينظر : أبو داود ، سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود ، ج١ ، من مقدمة المحقق ؛ ⇦

٧ـ بقي بن مخلد (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)[١] .

٨ـ عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م)[٢] .

⇦ ونقل الآجري وهو من أهم تلامذة أبي داود قوله : ((ليس في أصحاب الاهواء اصح حديثاً من الخوارج ثم ذكر عمران بن حطان وأبا حسان الاعرج)) ، الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٥٨ ، أن سؤالات الآجري لأبي داود في تقويم الرجال والحكم عليهم قد اعتمده كثير من علماء النقد الرجالي وله آراء قد تختلف حتى مع الامام أحمد بن حنبل ؛ فقد جاء عن بشار بن موسى الخفاف ، كان ابن حنبل يكتب حديثه وحسن الرأي فيه إلاّ أن أبا داود لن يحدث عنه ، للمزيد ينظر : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٣١١ .

(١) أبو عبد الرحمن القرطبي الحافظ له مسند في الحديث والتفسير ، أبو غدة ، اربع رسائل ، ص١٠٧ ؛ روى في مسنده لأبي هريرة (٥٣٧٤) حديثاً ، الكحلاني ، محمد بن إسماعيل ، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني ، علق عليه : عبد العزيز الخولي ، (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي وأولاده ، ١٣٧٩هـ) ، ج١ ، ص١٤ ؛ وله كتاب في حديثي الحوض والكوثر مطبوع بتحقيق : عبد القادر محمد عطا ، (المدينة المنورة : مكتبة العلوم ، ١٤١٣هـ) ، في (١٠٨) صفحة ؛ وله اسهامات في نشر علم الحديث في الاندلس أثر طلبه في رحلة مشهورة له ، للمزيد ينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٠ ، ص٣٥٤ - ص٣٦٠ .

(٢) صاحب الأصل في الرواة الضعفاء محل الدراسة في نقد نقوده الرجالية والبحث عن أسس النقد عنده ، وكتابه في الضعفاء عبر عنه السُبكي : بأنه طابق اسمه معناه ووافق لفظه فحواه ، للمزيد ينظر مقدمة كتاب الكامل ، تحق : سهيل زكار ، ج١ ، ص٢٠ - ص٢٦ ؛ حاول ابن عدي في كتابه الكامل استيعاب كل من تكلم فيه ووضع منهجه هذا في قسم المعتدلين وفيه بعض التساهل لذا قالوا أن نقده في الجرح إليه المنتهى ، الزركشي ، النكت ، ص٢٨٩ ؛ وقد رد ابن حجر على ما ذكره ابن عدي من اتباعه يحيى بن معين في سبر احوال الرجال فمن عرفه يؤخذ منه لا من غيره حتى لو عرفه مثل قول ابن معين في عبد الرحمن الغافقي وعبد الرحمن بن آدم : لا أعرفهما فحكم ابن عدي أن من لا يعرفه ابن معين فهو مجهول وإذا عرفه غيره لا يعتمد ، وكان رد ابن حجر أن هذا لا ينطبق على كل الاحوال فرب رجل لم يعرفه ابن معين يعرفه غيره ، وأن ابن يونس قال عن الغافقي : كان رجلاً صالحاً وابن يونس إليه المرجع في معرفة أهل مصر والمغرب ، للمزيد ينظر : العبد اللطيف ؛ ضوابط ، ص١٠٨ - ١٠٩ .

٩ـ علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)(١) .

١٠ـ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)(٢) .

١١ـ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)(٣) .

---

(١) شهد له الكثير من العلماء في حفظ ومعرفة الحديث من العلل والأسماء ، للمزيد ينظر : المرعشلي ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في سنن الدارقطني ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ) ، ص٥ - ص٧ ؛ فهو من المعتدلين ولكنه متساهل في بعض الأوقات ، للمزيد ينظر : العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٦٤ - ص٦٥ ، ص١٠٤ ، ص١٠٥ ؛ ذكر له الخطيب البغدادي وهماً في التفريق بين حجاج بن سليمان بن افلح الرعيني أبو الازهر وحجاج بن سليمان بن القمري مع أنهما واحد ، موضع أوهام ، ج١ ، ص٣١٦ ، وعبر عنه الذهبي بأنه وحيد عصره وبه ختم معرفة العلل ، ذكر من يعتمد قوله ، ص٢٠٩ ، مطبوع مع رسائل في علوم الحديث باعتناء عبد الفتاح أبو غدة ؛ ذكر السخاوي أن احسن كتاب في العلل هو كتاب الدارقطني ، الاعلان ، ص٣٣٥ ؛ وسكت عن نقد بعض الرجال كما سكت غيره كالبخاري ، للمزيد ينظر : اللحيدانه ، كتب تراجم الرجال ، ج١ ، ص١٦٠ - ص١٦٤ .

(٢) له كتاب فتح الباب في الكنى والالقاب وتسمية المشايخ وكتاب المعرفة وغيرها ، أبو غدة ، اربع رسائل ، ص١١٣ ؛ وقد نال من أبي نعيم واسرف في ذلك ، وصرح الذهبي أن البلاء بينهما هو الاعتقاد ، واختلط آخر عمره فحدث عن أبي اسيد وعبد الله ابن أخي أبي زرعة وابن الجارود ، للمزيد ينظر : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص٤٧٩ - ص٤٨٠ ؛ له آراء نقدية مهمة في معرفة الصحابة والكنى والالقاب والأسماء ، للمزيد ينظر : المزي ، التهذيب ، اغلب الأجزاء وفي اغلب كتب الرجال .

(٣) هو من كبار نقاد هذا العلم وله تراث ضخم في الرواية والدراية والرجال وفي دقائق هذا العلم صاحب كتاب تاريخ بغداد ، ولكن يؤخذ عليه توزيع الطعون ورميه العلماء بالوهم والتصحيف ، للمزيد ينظر : مقدمة كتاب موضع أوهام الجمع والتفرق ، ج١ ، ص٤١م - ص٤٢م ، ومن أهم كلماته في النقد قوله : ((ومذاهب النقاد للرجال غامضة دقيقة)) ، وقد ذكر التفاوت النقدي السائر بين النقاد بين الأدنى والأعلى مع الجوانب والبواعث النفسية والدينية والاجتماعية وربما الأخروية كما في رواية عبد الرحمن بن مهدي عن الحسن بن أبي جعفر بعدما ترك رواية حديثه فروى عنه خوفاً أن يسأله الله عزّ وجل عنه يوم القيامة ، للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٠٩ - ص١١٠ .

١٢- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)[١] .

(١) من كبار العلماء في الرجال ونقدهم ، ذكره ابن الصلاح في المقدمة وعده من السبعة الحفاظ وممن أحسنوا التصنيف وعظم الانتفاع بها ولقبه حافظ المغرب ، ص٣٦٢ ؛ وكتابه الاستيعاب من الكتب المهمة في معرفة الصحابة ذكر فيه ما شجر بينهم مما تلقاه من كتب الاخباريين وغيرهم وهو مما علق عليه ابن الصلاح وغيره بهذه الكلمات لذا قالوا عنه أنه من أحسن الكتب وأكثرها فائدة لولا ما ذكره بين الصحابة وخلافاتهم ذكر فيه (٤٢٢٥) ترجمة لصحابي وصحابية ، للمزيد ينظر : ابن كثير ، اختصار علوم الحديث ، ص١٢٠ - ص١٢١ جمعاً بين المتن والهامش ؛ وقد رده ابن حجر في الإصابة في عدة أوهام في الرجال والنسب ، للمزيد ينظر أجزاء ذلك الكتاب في الصحابة وتمييزهم ، ولكنه أحسن المصنفات في تحديد الصحبة مع معرفة تفاصيل تخص الطبقة الأولى الحاملة لهذا التراث ، فقد صرح الجعبري (ت٧٣٢هـ) : ((ومعرفة الصحابة منهم تفيد معرفة المتصل والمرسل والموقوف وأحسن مصنفاته كتاب ابن عبد البر وإن أكثر مما شجر)) أي بين الصحابة ، الجعبري ، برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عمر ، رسوم التحديث في علوم الحديث ، تحق : إبراهيم بن شريف الميلي ، (بيروت : ابن حزم ، ١٤٢١هـ) ، ص١٤٢ .

الفصل الثالث

الأسس النقدية عند علماء الأصول الرجالية

وأثرها في الاتجاهات الفكرية المختلفة

الاتجاهات وأثرها في التقويمات الرجالية

تعـددت الاتجاهـات الدخيلـة في التقويمـات الرجاليـة فـلا تكـاد تقـع تحـت ضابطة واحدة بل هناك اضطراب في أسس النقـد الرجـالي فتـدخلت عوامـل عـدة وكانـت هنـاك دوافـع ذاتيـة موضـوعية وغـير موضـوعية متـأثرة بالحالـة التاريخيـة والواقعـة آنـذاك ولا يعـني ذلـك خلـو هـذه التقويمـات مـن الحـالات الموضوعية ، ولكن يظهر للباحث أنه قد خضع للمؤثرات والتبريرات المختلفـة نتيجة للانقسام والانشطار العقائدي الحاد بين النقاد وعدم الفصـل بـين المعرفـة العلمية والمعرفة المبررة لغيرها نتيجة التداخل المؤدلج فـلا تكـاد تنفصـل المعرفـة عـن الايـديولوجيا الـتي سـببت الحكـم غير الموضـوعي علـى الـرواة في بعـض الحالات .

حكمت الاتجاهات المختلفة أسس النقد الرجالي وظهر أثرهـا واضـحاً عنـد المتقـدمين والمتـأخرين في مصـنفاتهم وموسـوعاتهم ، وتشـكلت قواعـد عنـد المتـأخرين نتيجـة عمـل المتقـدمين ، أن الاشـكالية الكـبرى تقـع تحـت تـأثير الاتجاهات النقدية ، فكيف يمكـن معالجة ذلـك ؟ ، يمكـن بالبحـث عـن الجامع المشترك المعرفي للوصول للنقد الموضوعي وطرح كل نقد غير موضوعي .

إن أهميـة البحـث في أسـس هـذه الاتجاهـات هـو للـتخلص مـن النقـد غـير الموضوعي الذي اصبح قاعدة مسلمة ينـى عليهـا الفكـر الإسـلامي في الـنص الشارح - المفسّر ، وذلك لأهمية نظرية الإسناد في الحضارة الإسلامية أو يمكن أن نسميها حضارة التوثيق وهـي خصيصـة لهـذه الأمـة لكـن لابـد مـن مراجعـة علمية ومعرفية بعيدة عن المؤثرات المختلفة للوصول للنقد الموضوعي للرواة في جـرحهم وتعديلـهم علـى أسـس معرفيـة بعيـدة عـن الاتجاهـات المنحـازة إذ

اصبحت اليوم ضرورة في إعادة تقويم التراث الإسلامي وبعثه من جديد والتواصل معه بعد قراءة النصوص قراءة واعية تجمع شمل المسلمين تحت أهدافهم وغاياتهم التي رسمها لهم الفكر الإسلامي في نصوصه التأسيسية والتفصيلية ، إذ جاءت نصوصه التراثية ترسم حالة التوثيق بما يشبه اليوم الارجاع أو الاحالة ولا سلطة للنص إلاّ للنص المؤسس النازل المتفق عليه في حين يمكن مناقشة النصوص الشارحة - المفسرة وهو ما جرى في تكوين منهج النقد عند المحدثين ومنهج النقد عند الأصوليين في إيجاد أسس نقدية علمية ، نحن اليوم بحاجة لاعادة تقويمية لهذه المناهج النقدية[1] ، وفق دراسة حفرية للأسس مع بيان أثر الاتجاهات عليها عند من يعتبر نقده وعليه يعول من بعده إذ اصبح نقده للرواة له سلطة لا يحاد عنها إلى غيرها مع أن بعض نقوده متأثر باتجاهات غير موضوعية ، إذ أن الأساس الذي وضعه علماء الجرح والتعديل في الراوي للتمييز بينه وبين راو آخر على أساس الثقة والحفظ والتثبت والاتقان ومنه يظهر جرح أهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب واختراع الأحاديث الكاذبة[2] ، وعلى هذا يكون حكم العدالة متفق عليه بين الجميع وهي نظرية الإجماع وإن اختلف في مصاديقها[3] ، ثم الحفظ مع الاتقان والتثبت وهو أيضاً محل إجماع بين المسلمين هذا بالنسبة للتعديل ، أما التجريح فاعلاه الكذب وهو محل إجماع أنه لا تقبل روايته مطلقاً سواء كان من أهل الكذب تخرصاً أو أهل الكذب وهماً ، فلو الصقت بالراوي هذه الصفات من الكذب التعمدي أو الكذب الوهمي أو الغلطي هؤلاء هم أهل الجرح[4] ، ومنه يتضح أن للراوي صفات مهمة متفق عليها هي :-

---

(١) العمري ، منهج النقد عند المحدثين مقارناً ، ص١٤ .

(٢) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٥٤ .

(٣) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحة .

١- العدالة .

٢- الضبط .

٣- الحفظ .

وفي ضوء هذه الصفات لا يؤخذ من الكذابين وغير الضابطين والحافظين للمتون وهو محل النقد عند علماء الجرح والتعديل في البحث عن الصادق والكاذب فالأول عدل والآخر مجروح لأن أهل العلم أجمعوا على نقد الخبر بذلك[١] .

ذكر ابن كثير: ((المقبول : الثقة الضابط لما يرويه)) والضبط على قسمين : ضبط صدر وضبط كتاب[٢] ، وقد اختلفت عباراتهم فتارة ترد الثقة الضابط وأخرى العدل الضابط مع أن تعريفهم للثقة والعدل يكاد يكون تعريفاً واحداً : هو البالغ العاقل الذي سلم من أسباب الفسق وخوارم المروءة[٣] ، ويبدو أن الاتفاق حاصل في العدالة والضبط مع اختلاف في الجزئيات والمصاديق الخارجية وربما ميّز بعضهم بين العدل الضابط والثقة الضابط ففهم من الأخير أنه اسم لمن لم يظهر فيه جرح مع زوال الجهالة عنه ويسمى المستور الحال وهو العدل في الظاهر ولا تعرف عدالة باطنة وعليه العمل في أكثر كتب الحديث المشهورة[٤] ، هذا ممن يراعي صفة المخبر في عدالته وأمانته وأما من يقول أن مخبر الأخبار تابع للعلم بصدق الراوي فلا فرق عنده بين أن يكون على أية

---

(١) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص٣٨ .

(٢) اختصار علوم الحديث ، ص٦٣ جمعاً بين المتن والهامش ؛ للمزيد ينظر : العبد اللطيف ، ضوابط الجرح والتعديل ، ص٢٤ .

(٣) الحاج حسن ، نقد الحديث ، ج١ ، ص٢٤٣ .

(٤) ابن دقيق العيد ، الاقتراح ، ص٤٢٤ ، جمعاً بين المتن والهامش .

صفة كانت بعد احراز صدقه وأن لا يكون كاذباً[١] ومنه قبول الأخبار والوقائع من غير المسلمين على هذا الاعتبار ، فالراوي لا يجوز له أن يروي إلاّ ما سمعه عمن حدث عنه أو قرأ عليه فأقرّ له به وما إلى ذلك من صفات المتحمل للرواية[٢] .

ذكر الشيخ الطوسي : أنه لا ترد رواية المخطئ في بعض الأفعال أو الفاسق بأفعال الجوارح إذا كان متحرزاً في روايته وهو ثقة ثم علل ذلك القبول بقوله : ((لأن العدالة المطلوبة في الرواية حاصلة فيه))، والفسق في أفعال الجوارح يمنع من قبول شهادته وليس بمانع من قبول خبره ، ثم يقرر ما عليه العمل ممن تقدم على عصره قائلاً : ((ولأجل ذلك قبلت الطائفة أخبار جماعة هذه صفتهم))[٣] ، ووسع ابن حبان مفهوم الثقة إلى كل راو لم يثبت فيه الجرح والأصل العدالة والصلاح وظاهر الحال[٤] ، لكنه تشدد في الجرح فقسمه على عشرين نوعاً منهم المبتدع إذا كان داعية يدعو الناس إلى بدعته حتى صار إماماً يقتدى به في بدعته[٥] ، ولكن الامام البخاري اخرج لمن هو غال في بدعته مع اهتمامه بعقيدته وتجريحه للمخالفين وهي طريقة المتقدمين لأن الرواة على اعتقادات مختلفة فلو اسقطت عدالته للزم ترك أكثر محدثي الأمصار[٦] ، وقد أخرج الامام البخاري في صحيحه لمثل هؤلاء الرواة مع ما فيهم من

---

(١) الشريف المرتضى ، علي بن الحسين بن موسى ، الذريعة إلى أصول الشريعة ، تحق : اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، (قم : مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، ١٤٢٩هـ) ، ص٣٨٧ .

(٢) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص٣٨٧ - ص٣٩٠ .

(٣) العدة في أصول الفقه ، ج١ ، ص١٥٢ .

(٤) العمري ، دراسات ، ص١٠٢ .

(٥) للمزيد ينظر : ابن حبان ، كتاب المجروحين ، ج١ ، ص٥٨ - ص٨٣ ،

(٦) العمري ، دراسات ، ص١٠٩ - ص١١٠ .

الكلام النقدي فقد نقل : ((إطباق الأمة أو اكثرهم على تعديل من ذكر فيهما [يعني الصحيحين البخاري ومسلم])) ، ونقل عن ابن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ/١٣٠٢م) قوله : ((وكان شيخ شيوخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل يخرج عنه في الصحيح : هذا جاز القنطرة)) ((ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما))[١] وهذه التوثيقات العامة لم تكن وليدة طرف واحد بل هي موجودة في الفكر النقدي الإسلامي كتوثيق جميع أصحاب الامام الصادق عليه السلام أو توثيق أسانيد كتب أو الاعتماد على كل حديث رواه أصحاب الإجماع حتى إذا كانت روايته عمن هو معروف بالفسق والوضع[٢] ، لكن المنهج العلمي يقتضي البحث والتأمل في ذلك الموروث وتنقيته من الدواعي المختلفة الاتجاهات ، ومن أجل كل ذلك كان الاحتياج ضروري إلى بيان أحوال هؤلاء الرواة وبيان درجاتهم ، ((ليعرف من كان منهم في منزلة الانتقاد والجهبذة والتنقير والبحث عن الرجال والمعرفة بهم وهؤلاء هم أهل التزكية والتعديل والجرح))[٣] ، ومصطلح التنقير يشابه مصطلح الحفريات اليوم عند المفكرين المعاصرين[٤] .

وبالتنقير[٥] المعرفي نشأ علم النقد عند المحدثين في لحظة الاحتياج الضروري لعدة عوامل وليس لعامل واحد من الوضع وكثرته بل ظهرت الاتجاهات في

---

(١) للمزيد ينظر : الاقتراح ، ص٤٢٨ - ٤٢٩ ، وتابعه ابن دقيق على رأيه .

(٢) للمزيد ينظر : الخوئي ، معجم رجال الحديث ، المقدمة ، ص٤٩ - ٧٨ .

(٣) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٥٤ .

(٤) كتاب ميشال فوكو كتابه (حفريات المعرفة) وقال : ((بين التحليل الحفري وتاريخ الافكار ثم نقط التقاء كثيرة ... تحدد [حفريات المعرفة] هذه الخطابات نفسها من حيث هي ممارسات تحكمها قواعد معينة)) ، تر : سالم يفوت ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م) ص١٢٨ .

(٥) نقَرت عن الأمر حتى علمته وذلك بحثك عنه ، كأنَ علمَك به نقر فيه ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ج٢ ، ص٥٧٨ .

نقد الرواية والرواة ، أن البحث التنقيري في التراث بأجمعه لا يعني التفكير في القراءة التراثية للتراث[1] ، بل اقصد القراءة الجديدة الواعية المواكبة للواقع مع طرح القبليات التاريخية التي تضيق المعرفة إلى أدنى حدودها مع أن وضع المعرفة الإسلامية لتشمل الأفق الأممي لأنها تمتلك الإنسانية بنصوصها العامة قبل التحديد والتضييق التاريخي ، والعوامل الفعلية لهذا التحديد والتضييق هي الاتجاهات المختلفة .

إن البحث عن الراوي أولاً ثم البحث في المعدل والجارح وكيف منحا سلطة التقويم النقدي على هؤلاء الرواة ؟ ، وبحثنا يتناول المعدل والجارح وكيف كان نقدهما وما هي مؤثرات إصدار الحكم ؟ ، إذ أن المشكلة في الاتجاهات الفكرية المختلفة عند المتقدمين ومدى اقربية ذلك الحكم من الموضوعية .

وكما اصطلح التنقير الذي ذكره ابن أبي حاتم الرازي في كتابه (الجرح والتعديل) هو يقابل مصطلح الحفريات في الوصول إلى لحظات انطلاق هذه المفاهيم ومحاولة العلم بها أو قد يقابل مصطلح آخر متقارب مع الحفريات المعرفية هو تاريخ الأفكار فنحن قد نبحث عن تاريخ انطلاق المصطلح وتطوره فإن المشاريع الفكرية قد تبدأ لظرف معين ولأسباب خاصة ثم تتوسع فتشمل اتجاهات مختلفة وهكذا هو علم الجرح والتعديل ، فلحظة النشوء الفتنة أو الوضع أو قبل ذلك أو أسس له القرآن الكريم أو السنة النبوية أو غيرها من الدواعي الفكرية المختلفة ، هو يهدف إلى إيجاد سلطة نقدية تقويمية لهؤلاء الرواة الذين تكاثروا بشكل مطرد مع تنامي الحضارة الإسلامية شرقاً وغرباً وعرفت في الموروث التاريخي بالرحلة في طلب العلم ، لا يمكن ارجاع ظهور علم الجرح والتعديل إلى عامل واحد بل عوامل تجمعت فظهر وبرز ، ثم بدأ

---

(١) للمزيد ينظر : الجابري ، نحن والتراث ، ص١٥ - ص٢٠ .

التـنظير لقواعـده وأسسـه النقديـة فتعـددت مناهجـه النقديـة وقـد تختلـف أو تتناقض عند ناقد واحد فضلاً عن الاختلاف النقدي بين المدارس المذهبية الإسلامية مختلفة الاتجاهات والرؤى ولأهمية السنة النبوية باعتبارها النص الشارح - المفسر المتفق عليه كمصدر من المصادر الرئيسة في التشريع بلا خلاف إلاّ في تفسيرها وتأويلها فقد حصل الاختلاف.

وتبعاً لذلك كان النقاد تحت ظل هذه الاتجاهات ينقدون ولا يخرجون عن أسس ومناهج المدرسة المذهبية وأن أوجدوا لهم أو لكل ناقد وجهة نظر قد تختلف مع غيره من النقاد وتخضع لظروف البيئة الاجتماعية أو الحاضرة التي هو فيها كالمدينة المنورة ونقادها والكوفة ونقادها وبغداد والبصرة والاندلس وقم والري ونيسابور وغيرها من الحواضر الذين كانت لهم آراء نقدية قد يشم منها الاتجاهات الدينية أو السياسية أو الاجتماعية أو تدخل العوامل النفسية في توجيه النقد نحو التعديل تارة والتجريح أخرى .

وللناقد وضعوا عدة شروط متفق عليها هي قبول شهادته أو هو عدل مرضي أو عدل مقبول أو لا يعلم منه إلاّ خيراً(١) ، والقول بالشهادة معناه عدالة الشاهد وتعدده أو يكفي الاطمئنان من هذا الناقد أو أنه من أهل الخبرة أو من باب الأخذ بالفتوى أو باب الظن المتسالم عليه وهو المعول عليه عند الأكثر لعدم نكران هذا النقد عند العلماء وأخذه الاغلب لعدم نكران هذا النقد عند العلماء بلا تمحيص فيعتمد القول النقدي بلا مراجعة(٢) .

وهناك مسالك أخرى لاعتبار نقد الرجال وتقويماتهم ومدى قبولها والعمل بها في صحة الرواية وسقمها ، وبالخصوص من يعتبر الإسناد ويعوّل عليه

---

(١) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص٨٤ .

(٢) للمزيد ينظر : دقيق العاملي ، السوانح ، ص١٦٧ - ص٢٠٤ .

وهو منهج المحدثين المختلف عن منهج الأصوليين[١] .

إن المحدثين من النقاد الذين يصدرون الأحكام النقدية ، قد تجتمع عندهم صفة النقد والتحديث وقد لا تجتمع ولكن لا تخلو طبقة منهم ولا قرن من القرون وربما إلى يومنا الحاضر من يقوم بنقد الرواة والنقاد وفق المناهج الحديثة التي تطورت كثيراً بتطور المناهج وأدواته المعرفية ومنه هذه الاطروحة التي هي بمثابة نقد النقد للوصول بالمنهج المعرفي المعاصر الى درجة المعرفة العلمية بالاتصال مع التراث الإسلامي بشكله العام وعلى التراث النقدي بشكل خاص على أن المشتركات العلمية في هذه الممارسة النقدية التي ميّزت تراثنا الأصيل .

فأساسيات هذه الممارسة تقوم على الراوي والراوي الناقد ممن تتوفر فيه اهلية الحكم على الرواة حملة الآثار للوصول إلى النبي وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم أو الامام في نظر الشيعة الامامية الذي يتصل اسناده إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم حتماً وهي مقولتهم وعليها ينبني فكرهم ، ومن هذه العملية نستدل بوحدة المصدر عند المسلمين جميعاً ، إذاً فلا يمكن أن يصدر التناقض من المصدر الواحد وعليه وحدتهم وقوتهم وبه يتقاربون بل أجلى المقاربات في تنقية هذا التراث .

ثم أن هؤلاء النقاد يدور امرهم بين حكمين أما الجرح أو التعديل .

وفصّل بعض علماء اللغة بين الجَرح والجُرح فالأول يكون باللسان في المعاني والاعراض ونحوها والآخر في الابدان بالحديد ، وهو في الاصطلاح وصف للراوي[٢] ، بما يضعفه أو يقلل من أهميته عند المحدثين أو تسقط

---

(١) الخطيب ، معتز ، رد الحديث من جهة المتن ، ص٢٩ - ص٥٢ .

(٢) العبد اللطيف ، ضوابط الجرح والتعديل ، ص٢١ .

شهادته القضائية في مجلس القضاء بما يسمى جرح الشاهد أو الشهود أو الجرح بعدالتهم ، وهنا تضعيف لرواية الراوي أو حصول تفكك في الإسناد يغير درجته إلى درجة اضعف ، ولا يخلو تضعيفه من ثلاث حالات هي :-

١- الضعف المطلق أي عدم قبول روايته عند تفرده وربما تتقوى بالمتابعة من مثله فترتقي إلى حسن لغيره .

٢- الضعف المقيد بالرواية عن بعض الشيوخ أو في بعض البلدان أو في بعض الأوقات .

٣- الضعف النسبي وهو الواقع عند المفاضلة بين راويين فأكثر ، والموصوف بما يقتضي رده فهو الضعيف جداً فهو لا يقوي غيره ولا يتقوى بغيره[١] .

إن الناقد يبحث عن آلة الحديث الصدق والشهرة بطلبه وترك البدع واجتناب الكبائر ، فإن وجدها يعدّل الراوي وإن لم يجدها ووجد آفة الحديث الكذب جرح الراوي فقد وضعوا قاعدة كلية لذلك تنطبق على الراوي والشاهد فإن كل من ثبت كذبه رد خبره وشهادته والكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم اعظم من الكذب على غيره[٢] .

وعلى ما ذكره الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية) من أن ملاك نظرية الجرح والتعديل تدور على صدق الراوي وكذب الراوي وأن صفة الصدق والكذب هما الأساسان في وجود مثل هذه الممارسة النقدية وأن تفرعت عنهما بما يماثل الصدق أو الكذب نتيجة لسد الثغرات أو إيجاد العلل المتأثرة في الاتجاهات الفكرية المختلفة .

---

(١) للمزيد ينظر : المرجع نفسه ، ص٢١ - ص٢٢ .

(٢) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٠١ - ص١٠٢ .

وذكر بعض المعاصرين أن الراوي يجرح باختلال شيء من خصال العدالة أو خصال الضبط معتمداً على ما ذكره الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية)[١] مع بيان خصال العدالة التي تفقد بممارسة الكذب وبالخصوص التعمد وتوسعوا في خبر ورواية المبتدع وهو المخالف لعقيدة المسلمين ، ولكنهم اختلفوا في تحديد ذلك وقد تطور هذا المفهوم كثيراً إذ أن لحظة بروزه وظهوره لا يعني هذا المفهوم الذي ذكروه إلى بدعة مكفرة وأخرى غير مكفرة وهو يحتاج إلى تنقير معرفي للوصول إلى نصه المؤسس قبل التراكم والتأثيرات التي رسمت الحكم التاريخي المتأثر بالاتجاهات المختلفة مع الابتعاد عن ملاك قبول الراوي وعدم قبوله لنظرية الجرح والتعديل فقد تعددت الآراء والأقوال في قبول المختلف في العقيدة والمبتدع فيها لاختلاف هذا المفهوم عند المسلمين فاحدهم قد يطلقه على الآخر وبالعكس[٢] ، وفصّل القول في مراتب الجرح ابن أبي حاتم الرازي في كتابه (الجَرحُ والتعديل) فأوصلها إلى أربعة[٣] ومع تقسيم الجرح اللساني الى عدة اقسام ، لكنه متفاوت ومنحصر بين الجرح الخفيف والجرح الشديد وقد يخضع لمؤثرات خاصة وعامة تكون من الأسباب التي تؤدي إلى ترك التعامل مع هذا الراوي أو ذاك تبعاً لهذا النقد ومن هنا يتبين خطورة هذا العلم وأثره في الفكر الإسلامي ثم أن هؤلاء النقاد الذين مارسوا عملية النقد أيضاً تعرضوا للنقد من الجرح بالخصوص ولم يكن هناك إجماع تام في الاتفاق على نقد الرواة ولم ينحصر عدد النقاد بعدد معين وما عمله ابن أبي حاتم في كتابه (الجرح والتعديل) يدل على أن بعض النقاد ليس لهم معرفة لذلك تركت أقوالهم ثم قام بحذف التناقض في الاقوال إذ قال : ((ونظرنا في اختلاف

---

(١) مرعشلي ، علم الجرح والتعديل ، ص٩٧ - ص١٢٧ .

(٢) للمزيد ينظر : المرجع نفسه ، ص١٠٢ - ١٠٨ .

(٣) للمزيد ينظر : ج١ ، ص٣٢٤ ، الأولى : ليس بقوي ، الثانية : ضعيف الحديث ، الثالثة : متروك أو ذاهب الحديث ، الرابعة : كذاب .

أقوال الأئمة ... فحذفنا تناقض قول كل واحد منهم))[1] .

ومن هذا النص يمكن معرفة الاختلاف والاضطراب في أقوال الأئمة في إصدار أحكام الجرح والتعديل في الراوي الواحد ثم أشار إلى وجود التناقض في كلامهم بين الجرح والتعديل مع قربهم ومعرفتهم للرواة وهذا يدل على تفاعل المؤثرات الداخلية والخارجية في نوع الحكم الصادر وألا يكون واحداً غير متناقض وربما لا يكون التناقض من الناقد لعوامل كثيرة منها الأخذ من المخالف لتصحيح روايته أو لإبراز حالة التعديل لروايته أو حالة الجرح لمخالفيه وهي ممارسة قد تكون مخفية أو مسكوت عنها أو مهمشة تظهر جلياً بالتنقير المعرفي كما صرح ذلك ابن أبي حاتم في كتابه الجرح والتعديل بـ ((التنقير والبحث عن الرجال والمعرفة بهم)) ، وهي صفة لعلماء مثل هذا النوع من العلم[2] ، وهذا لا ينحصر بزمان دون آخر فإن هذا العلم يمكن البحث عنه اليوم بالمقارنة والمقابلة وجمع الآراء ونقدها وتمحيصها في ضوء تطور المناهج الحديثة والمعاصرة للمواصلة مع التراث وبعثه من جديد بعد تنقية الشوائب والمتناقضات ، وقد صرح ابن أبي حاتم بأعمال الممارسة النقدية وحذف المتناقضات اذ انه مارس ذلك بحرية تامة .

ويبدو أن نظرية النقد قد تبلورت منذ شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفرع من فروع الدين الإسلامي يهدف إلى تقويم السلوك والفكر بوسائل النقد البناء الهادف ولأجل ذلك شرع هذا التنظيم ومنه قام النقاد في الذب عن سنة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ولم يقبلوها إلاّ من الثقات حملة الآثار النبوية ، بتطبيق روح النقد الشرعي المتمثل بتنظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أولى من التنظيم الاجتماعي في مجاله الحياتي ،

---

(١) ج١ ، ص٣٢٤ .

(٢) ج١ ، ص٥٤ .

فالمنظومة الفكرية هي الأساس في البناء الإسلامي وعليها البناء .

إن النقد الجارح لابد من تفسيره لئلا أن يكون في غير محله أو مما لا يعتبر أو قد يتعارض مع التعديل ولهم أقوال عدة ومناهج في ذلك[١] قد تكون غامضة[٢] لا يعرف لها ضابطة مبينة لأن جرح الراوي مما يختلف فيه لاختلافهم في العدالة وحدودها .

قد تختلف أسباب الجرح ولكن اغلب علماء الجرح والتعديل يفصلون هذه الأسباب وذلك لاثبات نقدهم بالأدلة على ذلك باسقاط محل المجروح عن اعتبار مروياته ، أن مكمن الخطورة في اسقاط هذه المتون باصدار حكم الجرح على الراوي فيكون هذا الحكم من أكبر نتائج الخلاف الفكري والفقهي فهو منشأ الاختلافات لذلك احتيج إلى تفسير أسباب الجرح وبيان سبب الاسقاط وهو بلا شك نتيجة من نتائج الاتجاهات الفكرية والانقسامات العملية في الحضارة الإسلامية ، وبهذا يكون الحفر المعرفي (التنقير) أو دراسة تاريخ الأفكار ضرورة للباحث أو الدارس في الحقول المعرفية المتنوعة ولا ينحصر بعلم دون علم ومنه علم الجرح والتعديل الذي يحتاج إلى قراءة معرفية جديدة لتحديد أسباب جرح الرواة والطعن في عدالتهم أو قصوراً في ضبطهم باعتماد الأسس المنهجية بايجاد القاعدة العامة المتأثرة بالنقد المعرفي وحده وبموضوعية تامة للنهوض بالواقع الفكري المعرفي اليوم ، واختلفت ألفاظ الجرح بين النقد الشديد مثل : كذاب أو وضاع أو فاسق أو رافضي خبيث ، أو ملعون مغال

---

(١) للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٠٥ - ص١١٤ ؛ الخليلي ، سبيل الهداية ، ص١٣٥ - ص١٤٤ ؛ المعلم ، أصول علم الرجال ، ج١ ، ص٣٢ - ص٣٩ ؛ آصف المحسني ، بحوث في علم الرجال ، ص١٠ - ص١٣ ، ذكر فيه جملة من ضوابط سماها التصديق والتجريح ثم صرح بعدها من أنه لا اعتبار للرجاليين في اثبات المدح أو الذم خارج تلك الضوابط ، ولكنه يمكن المناقشة في عرضه لهذه الضوابط .

(٢) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٠٩ .

أو غيرها من التعابير ربما بعضها فيه شيء من القساوة في استعمال اللفظ وهو خاضع في اغلب احواله لاتجاهات الناقد نحو الراوي ، وهناك من التزم الألفاظ الاخف حدة بمصطلحات ، فيه نظر ، سكتوا عنه لا تحل الرواية عنه ، كان ضعيفاً في الحديث وغيرها من التعابير الدالة على الضعف والجرح ، ولكن الإشكالية قائمة من أنه لأي سبب كان هذا التضعيف ، كما ضُعِّف أئمة المذاهب على ما هم عليه من الامامة والشهرة ؟ وما هي الأسباب الموجبة لذلك ؟.

ذكر بعض النقاد تقديم الجرح على التعديل وجعلوها قاعدة ، ولكن ليس على نحو الإطلاق لأنه لم يسلم من الجرح حتى الأئمة إذ ما من إمام إلاّ وقد طعن فيه طاعنون[1] ، لذلك فقد توسعوا في البحث عن هذه الأسباب الموجبة للتضعيف ولم يقبلوا الجروح المبهمة وأن رضي بها بعضهم بحجة تعطيل العملية النقدية لو بحثنا عن الأسباب ، في حين أن هناك من يقول بالتفصيل في بيان الأسباب الجارحة كالسُبكي[2] وغيره[3] .

ومن المباحث الملحقة بالجرح حالة تعارضه مع التعديل وله صورتان :-

١- اختلاف صدور النقد الجارح بين ناقدين .

٢- حكم النقد صدر من ناقد واحد .

والمقصود في صورة التعارض الجرح المفسر ففيه أقوال :-

١- يقدم الجرح على التعديل مطلقاً وهو المشهور .

---

(١) للمزيد ينظر : ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ص٤٣٤ - ص٤٥٠ ؛ السُبكي ، قاعدة في الجَرح والتعديل مطبوع في كتاب اربع رسائل ، ص١٩ - ص٦٥ .

(٢) قاعدة في الجرح والتعديل ، ص٣٥ وما بعدها .

(٣) للمزيد ينظر : العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٥٦ - ص٥٨ .

٢- يقدم التعديل على الجرح .

٣- يقدم قول الاحفظ من الأئمة النقاد .

٤- لا يقدم احدهما على الآخر إلاّ بمرجح .

أما إذا كان التعارض مع الجرح المبهم فيقدم التعديل ولكن ليس على نحو اطلاقه للاختلاف المنهجي بين النقاد بين متشدد ومتساهل ومعتدل هذا هو المشهور بينهم[١] .

إن هذه الآراء النقدية تعبر عن الفحص والتأمل لأسس المنهج الرجالي الذي وضع للحد من حالات وظواهر كانت وليدة الظرف السياسي والاجتماعي والنفسي وأن اختلفوا في ضوابط هذه الصور المتعددة والتي تعبر عن صورة فنية للحالة الفكرية والتي تحتم علينا البحث والتأمل في أصل تكوينها ونقدها نقداً موضوعياً نافعاً ، بالاعتماد على النصوص المؤسسة لها ومن مصادرها الأصلية[٢] .

أشار الحاكم النيسابوري من أن الكلام في الجرح والتعديل أكثر مما يمكن الاستقصاء فيه[٣] ، لكثرة الأقوال والآراء والاضطراب الواقع في تقويمات الرجاليين للرواة .

ويمكن إجمال ذلك بما ذكره صاحب المعالم حسن بن زين الدين (ت١٠١١هـ/١٦٠٢م) بهذا المخطط في علم الجرح والتعديل[٤] .

---

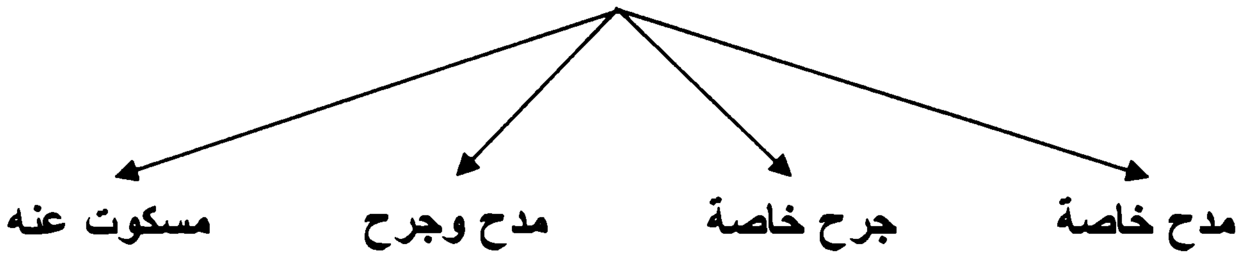
(١) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٦٠ - ص٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٨٣ .

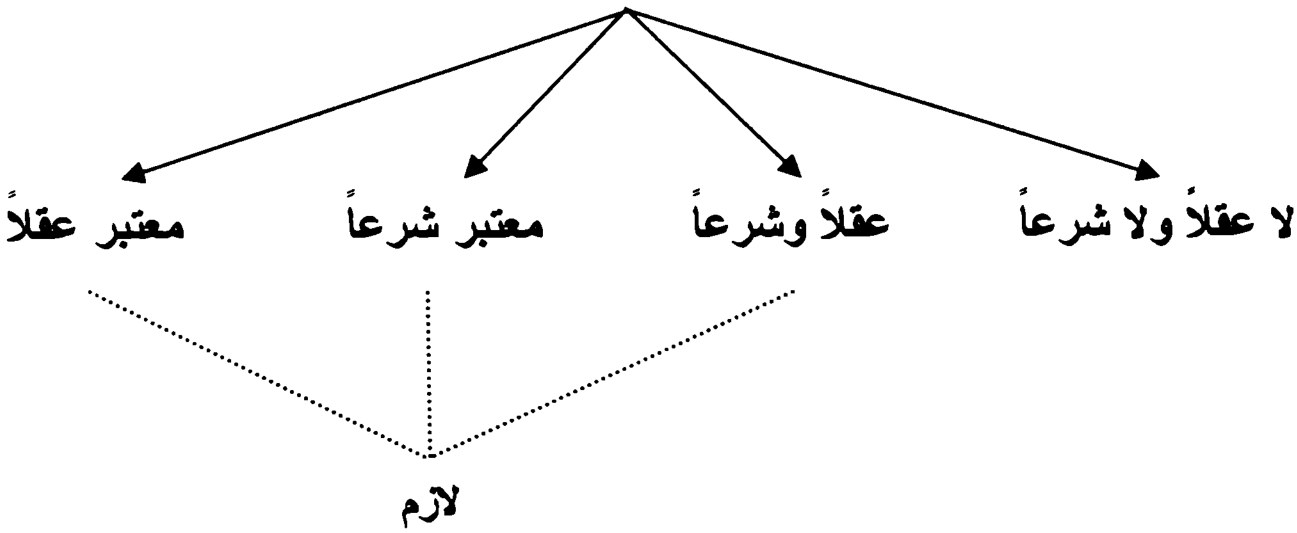
(٣) كتاب معرفة علوم الحديث ، ص٥٨ .

(٤) التحرير الطاووسي ، ص٢٦ .

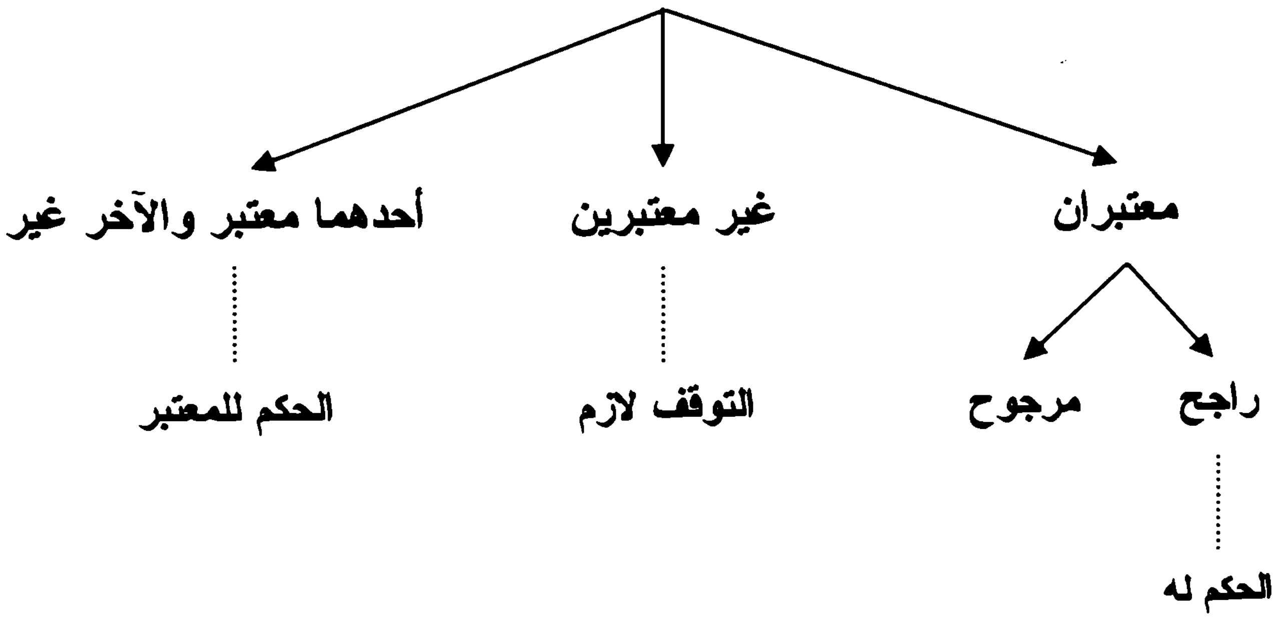
لا تخلو حالة الراوي من :-



طريق المدح خاصة ومثله الجرح خاصة



أما طريق المدح والجرح (الطريقان)



أما التعديل فهي ممارسة نقدية تستدعي اعتماد قول المعدل في قبول روايته واعتمادها ، وقد يجملون القول في هذه الممارسة بخلاف الجرح وقد مر التفصيل فيه ، وربما عللوا هذا الإجمال بأن أسباب التوثيق كثيرة فلم ير النقاد موجباً لذكرها[1] .

والعدل من الناس المرضي المستوي الطريقة يقال هذا عدل[2] ، وهو وصف للراوي في التثبت والحفظ والاتقان[3] بما يقتضي قبول روايته[4] ، واستعمال لفظ التعديل في الاصطلاح بمعنى التوثيق أشمل لأن أصل كلمة تعديل يعني الحكم بعدالة الراوي والمراد عدالته وضبطه فهما الأساس في قبول روايته[5] واختلف في تعريف العدالة بين المحدثين وغيرهم وما تثبت به إلى آراء وأقوال عدة .

لقد أشار الامام علي عليه السلام إلى أسس التعديل للرواة في كلامه عن تقسيم الرواة وكان القسم الرابع هو العدل الضابط الذي يتحرى الصدق لأنه مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله[6] ، وذكر الامام الشافعي جملة من صفات الراوي المقبولة وهي : ((أن يكون من حدث به ثقة في دينه ، معروفاً بالصدق في حديثه ، عاقلاً لما يحدث به ... الخ))[7] يفهم من دلالة هذه النصوص المؤسسة للبحث عن هذه الصفات ليمكن تعديل هؤلاء قبول خبرهم ورواياتهم وإن اختلفوا في هذا التعديل من أنه من باب الشهادة أو

---

(١) العمري ، دراسات ، ص٣٣ .

(٢) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٢٢٩ .

(٣) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٥٤ .

(٤) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٢٢ .

(٥) المرجع نفسه ، ص٢٢ - ص٢٣ .

(٦) الكليني ، الأصول ، ج١ ، ص٦٢ .

(٧) الشافعي ، الرسالة ، ص٣٤٤ .

الرواية وقد مر ذلك في مسالك قبول الجرح أو التعديل[١] ومن دراسة المقابلة بين الجرح والتعديل تظهر المناهج النقدية بين التعدد أو الاكتفاء بالواحد أو عدم نقل الجرح فهو عدل كما صرح ابن حبان في كتابه (الثقات) : ((لأن العدل من لم يعرف منه الجرح ضد التعديل ، فمن لم يعلم بجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده))[٢] ، وللعراقيين نظر في العدالة ذكر ذلك الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية) : من أن العدالة هي إظهار الإسلام وسلامة المسلم من فسق ظاهر فمن كانت هذه حالته وجب أن يكون عدلاً ، وفي موضع آخر من الكتاب يكفي قول المعدل : لا اعلم إلاّ خيراً ، كان ذلك تعديلاً[٣] ومع هذا فقد اختلفوا في قبول الجرح والتعديل مفسرين أو مبهمين على خمسة أقوال[٤] :-

١- يقبل التعديل مبهماً ولا يقبل الجرح إلاّ مفسراً .

٢- يقبل الجرح مبهماً ولا يقبل التعديل إلاّ مفسراً .

٣- لا يقبلان إلاّ مفسرين .

٤- يقبلان مبهمين .

٥- قبول التعديل مبهماً والتفصيل في قبول الجرح بين الجرح المجمل وقبول الجرح المبهم إذا صدر من إمام عارف .

إن تطور مفهوم العدالة والضبط من عدمهما عند علماء الجرح والتعديل لكن يمكن القول أن مدار قبول الخبر حول مفهوم الصدق والكذب في أصل

---

(١) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٣٤ - ص٣٦ .

(٢) ج١ ، ص١١ .

(٣) ج١ ، ص٧٢ و ص٨٥ .

(٤) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٥٣ - ص٥٥ .

نشأة هذا العلم وتفصيل مصاديق كل منهما قد خضع لتراكمات تاريخية انحصر في ظل الاتجاهات والانشطارات الفكرية عند المسلمين .

لقد ظهرت الاتجاهات في الفكر الإسلامي واضحة وبارزة ولا يمكن نكرانها لأي باحث ودارس في الفكر الإسلامي قديماً وحديثاً وهي أجلى صورة في علم الجرح والتعديل من غيرها في العلوم الدينية ، ونظرة لمصطلحات الجرح والتعديل منذ نشوء مفاهيمها وتطورها التاريخي تتضح الميولات والاتجاهات المختلفة في قبول الرواة وتعديلهم أو رفضهم وجرحهم في ضوء اعتقاداتهم أو لميولات أخرى ، وربما كثر ذلك عند المؤرخين ، قال تاج الدين السُبكي : ((فإن أهل التاريخ ربما وضعوا من أناس ورفعوا أُناساً إما لتعصب أو لجهل أو لمجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به أو لغير ذلك من الأسباب))[١] ، وهذا ليس على نحو اطلاقه فالنص يؤكد على مفهومين هما التعصب والجهل ويؤكدهما في انهما أكثر منه في أهل الجرح والتعديل لذلك قال السبكي : ((قل أن رأيت تاريخاً خالياً من ذلك))[٢] ، مما يؤكد الظهور الاتجاهي في التقويمات المنقولة أو المحكوم عليها من المؤرخين أو علماء النقد لهذه الأصول المعتبرة عند المسلمين وإن جرت محاولات للتخفيف من شدة الصراعات الانشطارية التي تتجدد إلى يومنا هذا ولكنها لم تكن بمستوى الأحداث التاريخية المتلاحقة المركزة لثقافة التعصب ونفي الآخر واقصائه حتى عند المفكرين المعتدلين ، ولدفع كل ذلك احياء ثقافة الاعتدال وقبول الآخر مع النقد الموضوعي للمنجز الفكري والتعامل معه على نحو التكامل لوحدة المصدر والمباني التأسيسية للفكر الإسلامي .

---

(١) أربع رسائل ، ص٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

الاتجاهات المختلفة :

أولا : الاتجاه المذهبي :

وهذا الاتجاه من اخطر الاتجاهات المؤثرة في جرح وتعديل الرواة والحكم عليهم في ضوء هذا الاتجاه فقد وقع الخلاف الحاد بين المسلمين في ضوء مذاهبهم المختلفة كالصراع بين أهل الحديث ومدرسة الرأي أو بين الصوفية وأصحاب الحديث أو بين الشيعة والسنة أو بين الشيعة أنفسهم أو السنة أنفسهم ، فإن هذا التشطير المذهبي كان له الأثر الفعّال في نقد الرجال من كل مدرسة ومذهب واتجاه سواء النقد التاريخي أو الحديثي لعدم الاستقلال التام للمؤرخ او المحدث او الناقد وحينما لا يستقل المؤرخ لا يستقل التاريخ : ((هكذا ورثنا تاريخاً عربياً متناقضاً ومتمذهباً ومنمطاً))[١] ، وكذلك فيما يبدو من المحدث الناقد المتأثر باتجاه معين أو أنه غير مستقل وخاضع لمؤثرات عدة منها سياسية أو اجتماعية أو نفسية أو غيرها تلعب الدور الفعال في إصدار حكم الجرح أو التعديل ، واختلاف المعتقد من ابرزها ، وهذا الامام البخاري يهتم كثيراً بعقيدة أهل السنة مع تجريحه للمخالفين[٢] ، وغريب منه في ترجمته للامام جعفر الصادق نقله لنقد يحيى بن سعيد قوله : ((كان جعفر إذا اخذت منه العفو لم يكن به بأس وإذا حملته حمل على نفسه)) ولم يعلق على هذا الكلام شيئاً[٣] ، وما قاله ابن أبي حاتم عن أبيه هو عين الصواب ، فقد أخبر أنه لا يسأل عن مثله وعن أبي زرعة عندما سئل عن رواة وعنه قال : ((لا يقرن جعفر إلى هؤلاء ... الخ))[٤] .

---

(١) هاني ، محنة التراث الآخر ، ص٢٤ .

(٢) العمري ، دراسات ، ص١٠٩ .

(٣) البخاري ، التاريخ ، ج٢ ، ص١٨١ .

(٤) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٢ ، ص٤١٨ .

ومن غريب نقله عن حريز بن عثمان الحمصي بأنه أفضل أهل الشام ثم نقل عن أبي اليمان قوله : ((كان حريز يتناول من رجل ثم ترك ذلك))[١] ، كيف يمكن الجمع بين الافضلية وسب الامام علي عليه السلام أو النيل منه ؟ ، وكيف يمكن معرفة معايير النقد في ضوء العدالة والضبط أو الأصل التأسيسي من آية النبأ بأسس الصدق والكذب ؟[٢] ، وقد عرف عنه أنه يتناول الامام علي عليه السلام والنص لم يذكره بل عبر عنه برجل في حين ذكر حقيقته ابن حبان في كتاب المجروحين من المحدثين وكيف كان يلعن علياً ، ويبرره بأنه قاتل آبائه وأجداده ، ثم يذكر ابن حبان أنه داعية إلى مذهبه ، ورد حكاية رجوعه ، وقال : ((ليس ذلك بمحفوظ عنه)) ، ثم روى مناماً ليزيد بن هارون رآه أبو نافع بن ابنة يزيد بن هارون ، ورواية أخرى عن إسماعيل بن عياش وهو في نزاع علمي مع حريز إلاّ أن التعصب أدى بحريز أن يوجد نقداً لاذعاً لاسماعيل بل نهره واراد ضربه مع أنه احتج بقول علمي قائلاً : ((مهلاً يا عثمان [يا ابن عثمان] ابن عم رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم وزوج ابنته))[٣] ومع أن مذهبه النيل من علي اعطي درجة من الوثاقة بتكرار كلمة ثقة ثقة[٤] ، وهو مخالف لأسس النقد المتفق عليها فخرج عن النقد الموضوعي إلى غيره وتأثر بعوامل نفسية سنذكرها في الاتجاه المتعلق بالمؤثرات النفسية والعداوة الشخصية التي تعبر عن نوازع نفسية وليس بمنهج علمي رصين .

---

(١) البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٣ ، ص٩٥ .

(٢) علق الأستاذ بشار عواد في تحقيقه لكتاب تهذيب الكمال للمزي على ترجمة حريز هذا ، واستفهم من أنه كيف يكون الناصبي ثقة وكيف يكون المبغض ثقة راداً على الذهبي في توثيقه ، للمزيد ينظر تعليقته ، المزي ، التهذيب ، ج٥ ، ص٥٧٩ .

(٣) للمزيد ينظر : ج١ ، ص٣٣١ - ص٣٣٢ .

(٤) للمزيد ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٣ ، ص٢٩٣ .

وفي ترجمة يعقوب بن إبراهيم ، أبو يوسف القاضي قال الامام البخاري : ((سمع الشيباني وصاحبه أبو حنيفة تركوه))[١] ، في حين جاء توثيقه والكتابة عنه من كبار علماء النقد[٢] ، وكتب عنه يحيى بن معين وأبو حاتم قال : يكتب حديثه ، إلاّ أن الامام أحمد بن حنبل رغم نعته : بالصدوق قال : ((ولكن من أصحاب أبي حنيفة لا ينبغي أن يروى عنه شيء))[٣] ، وهذا الكلام النقدي لا تفسير له إلاّ المؤثر المذهبي والاتجاه المختلف وهو نوع من التضييق في المرويات مع أن هذه الاتجاهات المذهبية تروي مروياتها بروايتها إلى المصدر النبوي بسلسلة مختلفة وطرق أخرى .

وفي ترجمة الحسن بن زياد اللؤلؤي روي عن يحيى بن معين قوله : كذاب في حين قال أبو حاتم : ضعيف الحديث ليس بثقة ولا مأمون ، وجاء في عنوان ترجمته أنه صاحب رأي[٤] ، أما محمد بن الحسن الشيباني فإنه ممن روى عنه الامام الشافعي وهو قد سمع من الامام مالك وله منزلة عند الامام أحمد بن حنبل وغيره[٥] ، في حين ترجم له ابن أبي حاتم وقال : محمد بن الحسن الشيباني مولى لهم صاحب رأي ، ثم نقل رأي الامام أحمد بن حنبل من أنه لا يروي عنه شيئاً وهو يناقض ما نقله التهانوي في كتابه (قواعد في علم الحديث) ، ونقل ابن أبي حاتم أيضاً الرأي النقدي ليحيى بن معين وهو قوله : ليس بشيء[٦] .

وترجم ابن حبان للامام أبي حنيفة في (كتاب المجروحين من المحدثين) في

---

(١) التاريخ الكبير ، ج٨ ، ص٢٧١ .

(٢) للمزيد ينظر : التهانوي ، قواعد ، ص١٥٥ - ص١٥٧ .

(٣) للمزيد ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٩ ، ص٢٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٦ .

(٥) للمزيد ينظر : التهانوي ، قواعد ، ص١٥٧ - ص١٥٨ .

(٦) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٧ ، ص٣٠٥ .

ترجمة طويلة منها أنه لا يجوز الاحتجاج به لأنه كان داعياً إلى الأرجاء[١] والداعية إلى البدع لا يجوز أن يحتج به عند ائمتنا قاطبة ، لا أعلم بينهم فيه خلافاً وقد جرحوه وأطلقوا عليه القدح[٢] ، هذا النقد في ضوء الاتجاه المذهبي ، وقد رد التهانوي بقوله مدافعاً عن الامام أبي حنيفة بقوله : ((أن من ثبتت عدالته واذعنت الأمة لامامته ، لا يقبل فيه جرح أصلاً ... الخ))[٣] .

ومن تنقير أصل الجرح للامام أبي حنيفة فهو آت من الاختلاف في العقيدة كما ذكر ذلك العقيلي في كتابه (الضعفاء) : ((كان يقول : القرآن مخلوق)) ، وفي موضع آخر : ((كان مرجئاً يرى السيف)) ، نقل رأي الامام أحمد بن حنبل فيه فمرة قال : ((أبو حنيفة يكذب)) ، وأخرى قال : ((رأيه مذموم ، وحديثه لا يذكر))[٤] ، ويبدو من هذه الآراء النقدية عند المتقدمين ، فقد حاول بعض المتأخرين معالجتها بالحسد والتنافس مما لا يجب أن يلتفت إليه ولا يعرج عليه[٥] ، فقد قرر السّبكي في قاعدته في الجرح والتعديل بقوله : ((بل الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحوه ، وكانت قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره ، فانا لا نلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة))[٦] ، وقد تعرض أصحابه

---

(١) الأرجاء : بمعنى التأخير وسموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان وهم خمس فرق ، تضلل كل فرقة اختها ، للمزيد ينظر : البغدادي ، الفرق ، ص١٥١ - ص١٥٥ .

(٢) ج٢ ، ص٤٠٥ - ص٤١٣ .

(٣) قواعد ، ص١٥٤ - ص١٥٥ .

(٤) للمزيد ينظر : ج٤ ، ص١٤٠٧ - ص١٤١٢ .

(٥) للمزيد ينظر : ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ص٤٣٤ - ص٤٥٠ ، وفي آخر الباب نقل قول سليمان بن الاشعث السجستاني : ((رحم الله مالكاً كان إماماً ، رحم الله الشافعي كان إماماً ، رحم الله أبا حنيفة كان إماماً)) .

(٦) أبو غدة ، أربع رسائل ، ص١٩ - ص٢٠ .

إلى نفس النقد واصل الجرح مذهبي فقد نقل عن يحيى بن معين رأيه في محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة قال : محمد جهمي[١] كذاب[٢] .

ونقل عن الامام أبي حنيفة قوله في جابر بن يزيد الجعفي : ((ما رأيت أحداً أكذب من جابر الجعفي))[٣] ، وكان شعبة يحدث عنه ، وعبد الرحمن ابن مهدي ، وجاء نقده وتجريحه بسبب الإيمان بالوصية والرجعة ، وينقل العقيلي في كتابه (الضعفاء) عن سفيان بن عيينه قال : ((أتيت جابر الجعفي فسمعت منه ذاك الكلام - يعني الإيمان بالرجعة -))[٤] .

ومن أن شعبة بن الحجاج قد وثقه وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال إلاَ أنهم نسبوا إليه الشذوذ في هذا التوثيق ، وكل ذلك لأسباب مذهبية وعقائدية ، فإن الاختلاف في هذا لا يستدعي جرحه وتضعيفه بهذه الشدة فيمكن أخذ رواياته الأخرى وترك المختلف عليها .

وممن وثقه سفيان الثوري وروى عنه ووصفه بالورع وعلى منهج قبول الجرح والتعديل بالرواية والخبر أو الشهادة يكون الجعفي من الثقات والاختلاف في المرويات لا يجرح ولا يعدل فالميزان العدالة والضبط وإجراء

---

(١) الجهمية : اتباع جهم بن صفوان ، كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن والذي قال بالاجبار والاضطرار إلى الأعمال ، للمزيد ينظر : البغدادي ، الفرق ، ص١٥٨ .

(٢) العقيلي ، الضعفاء ، ج٤ ، ص١٢١٧ - ص١٢١٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢١٣ .

(٤) ج١ ، ص٢١١ ، والرجعة : يعني في نظر الشيعة الامامية وحسب ما روي من روايات كثيرة عن الأئمة عليهم السلام برجوع أهل الإيمان ومن علت درجته وقد محض الإيمان محضاً ، ورجوع من محض الكفر ليريهم دولة الحق ، للمزيد ينظر : المفيد ، أوائل المقالات ، ص٢٨ ؛ وهي من الأمور التي اتصلت بالامامة ولا يحدث ذلك إلاَ عند قيام المهدي ، والاعتقاد بها نتيجة للروايات الصحيحة عند الشيعة الامامية وليست هي من الأصول ، نبيلة عبد المنعم ، نشأة الشيعة الامامية ، ص٢٩٨ .

التزكية له من قبل علماء الجرح والتعديل ممن كانوا أهلاً للتقويمات الرجالية بعيداً عن المؤثرات الدينية والاختلاف العقائدي والمذهبي .

إن نسبة الشذوذ لشعبة بن الحجاج على هذا التوثيق لجابر هو مؤثر من المؤثرات المنهجية التي قادت الذهبي وغيره من المتقدمين والمتأخرين إلى اعتماده في اخراج طائفة من الرواة بهذه الأسباب العقائدية مع أن التوثيق لجابر ليس فقط من شعبة[١] فقد وثقه الثوري[٢] ، واختلفت روايات الشيعة الامامية في ذمه ومدحه والأكثر قد رجح التضعيف ومنهم من رجح المدح لأن وجه الذم له جاء من باب التقية[٣] ، أو جاء ممن روى عنه كعمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومُنخّل بن جميل ويوسف بن يعقوب[٤] .

إن إشكالية النقد في التراث تأتي من عدم الموضوعية في التقويمات الرجالية واغلبه من المؤثرات العقائدية والتاريخية المتراكمة مع الاتجاهات المختلفة فهي لم تنحصر - أي هذه التقويمات - في الاتجاه المذهبي وحده كجرح الأئمة الكبار مثل الامام أبي حنيفة والامام الشافعي الذي ضعفه يحيى بن معين وغيره كابي عبيد وأبي زرعة الرازي[٥] ، وصرح السُبكي بما وقع لهؤلاء الأئمة من أثر الاتجاهات المذهبية فقال : ((وقد وقع هذا لكثير من الأئمة جرحوا بناءً على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب))[٦] ، وفي مسألة

---

(١) الذهبي ، الكاشف ، ج١ ، ص١٢٦ .

(٢) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٤ ، ص٤٦٧ .

(٣) الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، الرجال ، تحق : علي الفاضلي ، (قم : دار الحديث ، ١٤٢٧هـ) ، ص٧٥ .

(٤) النجاشي ، الرجال ، ص١٢٨ .

(٥) للمزيد ينظر : هامش كتاب (التاريخ الكبير) للبخاري ، ج١ ، ص٤٠ - ص٤١ ؛ أبو غدة ، اربع رسائل ، ص٣٢ - ص٣٣ .

(٦) أبو غدة ، اربع رسائل ، ص٣٥ .

خلق القرآن[1] ترك الامام البخاري لقوله بها ، واختلف النقاد في القول بها أو السكوت كما تعرض بعض الأئمة إلى السجن من أجل ذلك كالامام أحمد ابن حنبل ومحمد بن نوح وهما مما أنكرا خلق القرآن وأجاب البقية ممن امتحنوا بها كأمثال يحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وحدث بين الامام أحمد وابن معين من أن الأول كان لا يرى الكتابة عنه بعد الامتحان ، ولأجل ذلك طعن تلامذة الامام أحمد بن حنبل فيه كابراهيم بن هانئ في ابن معين[2] .

هذا الاختلاف في التقويم كان سببه الاختلاف في الرأي العقائدي والمذهبي مما لا ينكر ولا يمكن تأويله ، وكانت الاتهامات متفاوتة وقد تبلغ التكفير والتهميش والاقصاء في حدتها فقد تركوا حديث يحيى بن صالح الوحاظي بدعوى أنه كان من الجهمية[3] ، ونقل العقيلي قول عبد الله بن إدريس في الامام أبي حنيفة وأبي يوسف : ((كان أبو حنيفة ضالاً مضلاً وأبو يوسف فاسقاً من الفاسقين))[4] ومن الغريب قول عبد الله بن المبارك وحكمه على من صلّى خلف القاضي أبو يوسف بالنظر في صلاته[5] ، وغيرها من التقويمات الناتجة عن هذا الاتجاه وهي ثقافة امتدت إلى عصرنا من تضعيف المخالف لنا وعدم سماعه واحترام رأيه والشعور به وتقبل رأيه والحوار معه ،

---

(١) وهي مسألة كلامية حول أن القرآن مخلوق أم لا وقد آثار ذلك المأمون في سنة ٢١٨هـ ولكنها أقدم من ذلك التاريخ فقد كانت ثائرة في الأوساط الكوفية في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة ، للمزيد ينظر : جدعان ، فهمي ، المحنة ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٠م) ، ص٢٦ .

(٢) للمزيد ينظر : جدعان ، المحنة ، ص٢٤٤ - ص٢٤٧ .

(٣) للمزيد ينظر : العقيلي ، الضعفاء ، ج٤ ، ص١٥١٨ - ص١٥١٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٥٤٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٥٤٥ .

ومن نتائجها أيضاً ظاهرة الاقصاء والتهميش للآخر المخالف وهو يخالف النصوص التي أسست الحضارة الإسلامية قبل التراكمات التاريخية والاتجاهات المختلفة ، وربما ترسخت في أذهاننا ولا نكاد ننفصل عنها إلاّ بإعادة التقويمات الموضوعية وإصدار الأحكام بروح العلمية المجردة قدر الامكان عن تأثير هذه الاتجاهات .

ومن أسباب توهين الرجال اعتقاد التجسيم فقد ذكر السُبكي يصف ما حدث في عصره في الاختلاف العقائدي وأثره أنه حذف من كلام النووي ما تكلم به على أحاديث الصفات(١) ، فإن النووي(٢) اشعري العقيدة(٣) وسرى ذلك بين الفرق الكلامية وتوسعت الهوة بينهما وترتبت الآثار النظرية والفعلية في ضوء هذا الاختلاف المذهبي الحاد بين هذه الاتجاهات الفكرية ومنه التقويم الرجالي بين علماء الجرح والتعديل وترتبت آثارهم النقدية في قبول الأخبار وردها ، وعالجوا الرجال من منظار هذا الاختلاف وقد اتضح مما ذكرناه من الأمثلة .

---

(١) وهي أحاديث الصفات الخبرية التي تصف الباري عزَ وجل بعدة صفات هل تحمل على الظاهر أم على التأويل ، والأشهر على التنزيه والتأويل المشابهة لصفات المخلوقين لأنه ليس كمثله شيء وهي مسألة اختلفوا فيها ، للمزيد ينظر : النووي ، محي الدين ، المجموع ، (بيروت : دار الفكر ، بلا) ، ج٤ ، ص٤٧ .

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري النووي الحافظ الشافعي له مصنفات كثيرة مهمة منها في الرجال فله تهذيب الأسماء واللغات وفي طبقات الفقهاء ولي مشيخة دار الحديث ، توفى سنة ٦٧٦هـ ، ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، تحق : عمر عبد السلام تدمري ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ) ، ج٥٠ ، ص٢٤٦ .

(٣) الاشاعرة : هم الذين يتبعون الإمام أبو الحسن الاشعري صاحب كتاب مقالات الإسلاميين وكتاب الابانة في أصول الديانة وهي آخر مؤلفاته فيما قيل ويذهب إلى رأيه في الأصول عامة المسلمين من أهل السنة إلاَ المجسمة في الصفات فقد خالفوه في ذلك وهو يرى أن آيات وأحاديث الصفات من المتشابهات وليس من المحكمات ، للمزيد ينظر : البغدادي ، الفرق ، ص٢٤٨ - ص٢٨٠ .

إن هذه الاتجاهات المذهبية وسعت الشرخ بين هذه الأمة الموحّدة بالنص المؤسس للمنظومة الفكرية ، فالأمة الموحَدة والموحّدة من أصول النظرية بل هو المفهوم التأسيسي الذي يجب أن يتركز في ثقافة المسلم بل في ثقافة الإنسان ، فإن أرادت أن تبعث هذا التراث عليها أن تأخذ بالنص المؤسس لوحدتها فالاجتماع في ضمن الكليات لا الجزئيات ، فإن في الكليات الوحدة وفي الجزئيات الهوية .

إن مفهوم الثقة الذي لا يكذب في النقل قد يحل جزء المشكلة في الإسناد ولكن هذا المفهوم لم يجد السعة كما وجد في مفهوم الصحبة في عدم خضوع الطبقة الأولى لم يجد السعة كما وجد في مفهوم الصحبة في عدم خضوع الطبقة الأولى لمعايير النقد ، بل أنه خضع لمعايير التشطير المذهبي[١] واختفت أو هشمت فكرة الثقة بعيداً عن الاتجاهات المختلفة ، ومن ذلك الوثوق بصدق الراوي لا ما قيل بالوثوق بصدق الرواية[٢] للاختلاف بين المفهومين فإن صدق الراوي مناقشة لأحواله ومعرفة السند بتمامه في حين يكفي الاطمئنان الوثوقي بالرواية بعيداً عن السند وفيما يبدو هي الخطوط الوسطى بين الأصولية والاخبارية في المدرسة الامامية ، فكان علم الرجال وحجيته بين مد وجزر عند المتاخرين والمعاصرين في قبول حجية قول الرجالي كمسألة اصولية فقدت ثمرتها العملية بالاعتماد على الوثوق الاطمئناني والاكتفاء ببعض الأقوال الرجالية بعدما سلم الطريق إلى المتن من التنقير المعرفي للرواة .

لقد وثق النجاشي يحيى بن سعيد القطان وقال : ((أبو زكريا ، عامي

---

(١) هاني ، محنة التراث الآخر ، ص٢٤ .

(٢) عزيزي ، وآخرون ، الرواة المشتركون بين الشيعة والسنة ، تر : عبد الأمير الوردي ، (طهران : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، ١٤٣٠هـ) ، ج١ ، ص٨ .

ثقة ...))[١] مع كلامه على الامام جعفر الصادق عليه السلام ، ووثق العديد غيره مما يؤسس لمفهوم الثقة أو الموثوق عند متأخري الامامية لما قسموا الأخبار إلى الصحيح والحسن والموثق والضعيف ، وقسم الموثق مبتكر من مبتكرات الامامية وهو الراوي الثقة وان كان مخالفا في العقيدة ، وقد فرق الشيخ الطوسي في كتابه (العدة في أصول الفقه) بين العدالة في الرواية والعدالة في الشهادة ولأهمية النص الذي ذكره الشيخ الطوسي ننقله بتمامه : ((فأما من كان مخطئاً في بعض الأفعال أو فاسقاً بأفعال الجوارح وكان ثقة في روايته متحرزاً فيها ، فإن ذلك لا يوجب رد خبره ويجوز العمل به لأن العدالة المطلوبة في الرواية حاصلة فيه ، وإنما الفسق بأفعال الجوارح يمنع من قبول شهادته وليس بمانع من قبول خبره ولأجل ذلك قبلت الطائفة أخبار جماعة هذه صفتهم))[٢] ، ولم يكن هذا الشيء عند الامامية وحدهم بل هو عند جهور المسلمين كنص تأسيسي في قبول الثقة بشكله العام دون التقويمات الجزئية التي اتسعت بعد النص والبعد عنه وكلما تقربنا من لحظة الانطلاق للنص نجد أن الأمور تتقارب أكثر ، ولكن لا تعدم المقاربات بالبحث عن المشترك حتى في البعد ، فقد وُثق أبان بن تغلب عند علماء الجرح والتعديل في اصولهم الرجالية وغيره مما اشتركوا في المرويات الحديثية عند المسلمين ، هذه المشتركات في الأصول الرجالية والحديثية وإن اختلفوا في الجزئيات إلاّ أنهم قد اتفقوا في الكليات وتبقى الجزئيات خصوصيات ثابتة لكل مدرسة واتجاه فكري ولكن المهم الاتفاق والاشتراك في الكليات[٣] .

---

(١) الرجال ، ص٤٤٣ .

(٢) ج١ ، ص١٥٢ .

(٣) للمزيد في هذا الموضوع يمكن النظر في : الرواة المشتركون بين الشيعة والسنة لحسين عزيزي وبرويز وستكار يوسف بيات ، نقحه ونقله إلى العربية : عبد الأمير الوردي وعقيل الربيعي ورزاق عبد الرسول والكتاب من جزأين وهو محاولة مهمة للعمل وفق نظرية المشتركات الكلية في مدرسة الإسلام الفكرية .

لقد ترسخ الاتجاه المذهبي والعقدي منذ بدايات الانقسامات الفكرية بين الطبقة الأولى والثانية والثالثة ثم أصبحت ثقافة تتربى عليها الأجيال بتوسيع الهوة بين المسلمين والكلام والتنظير كان أوسع في الجزئيات والابتعاد عن ترسيخ ثقافة المشتركات والكليات وذلك لترتب الآثار من هذا الفصل الخطير بين الفكرتين فهذا المخالف لا يؤخذ حديثه بل قد تطور مفهوم الأخذ إلى حكم فقهي بحرمة الكتابة والتدوين لمن هذه صفتهم وهذه عنواناتهم المذهبية وسموا في التاريخ بالمبتدعة وهو مفهوم يطلق من الجميع ضد الجميع وفصّلوا القول في القبول والرد[1] ، ويبدو أن الرجوع إلى لحظة انطلاق النص التقويمي لم يكن يرفض القبول بالتفصيل عند المتأخرين بعد استحكام النزاع الفكري واستفحاله والترويج له بتبني الفكر السياسي لهذا الاتجاه دون ذاك مما خلق فجوة واسعة وثقافة مركزة على عدم قبول الرأي الآخر بخصوصياته إلاّ بذوبان فكره أمام الفكر الاستبدادي المدعوم من قبل الفكر التبريري السياسي .

ذكر الخطيب البغدادي أن النصوص اللحظية عند الطبقة الأولى هي أصول علم النقد فقد كانوا يقبلون الجميع في الرواية والشهادة وهو موافق لرأي الشيخ الطوسي الذي نقلناه في قبوله الرواية حتى من الفساق ، وقد يكون الخطيب البغدادي قد وسع مفهوم القبول أكثر لذا قال : ((والذي يعتمد عليه في تجويز الاحتجاج باخبارهم اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج وشهاداتهم ومن جرى مجراهم من الفساق بالتأويل ثم استمرار عمل التابعين والخالفين بعدهم ...))[2] ، ثم ذكر أسماء ممن احتج بهم وهم على مذاهب مختلفة اشد الاختلاف كالخوارج والشيعة والاتجاهات الفكرية المختلفة كالاعتزال والقدر والارجاء ، فذكر عمران بن حطان وهو من الخوارج

---

(١) مرعشلي ، علم الجرح والتعديل ، ص١٠٤ - ص١٠٩ .

(٢) الكفاية ، ص١٢٥ .

وعمرو بن دينار وهو ممن يذهب إلى القدر والتشيع وكان عكرمة اباضياً وابن أبي نجيح كان معتزلياً وعبد الوارث بن سعيد وشبل بن عباد وسيف بن سليمان وهشام الدستوائي وسعيد بن أبي عروبة وسلام بن مسكين وكانوا قدرية وعلقمة بن مرثد وعمرو بن مرة ومسعر بن كدام وكانوا مرجئة وعبيد ابن موسى وخالد بن مخلد ، وعبد الرزاق ابن هام وكانوا يذهبون للتشيع ...[١] .

ومن نص الخطيب البغدادي يفهم معنى المشترك الفكري لان الجميع ينهل من منبع واحد وهو يتكلم بلسان القرن الخامس الهجري مستوعباً جهود من سبقه إذ ينقل لحظات انطلاق التقويمات الرجالية في تلك الأصول التأسيسية فيقول : ((واحتجوا بأخبارهم فصار ذلك كالإجماع منهم وهو أكبر الحجج))[٢] ولكن المراد الإجابة عنه هو ما المشترك بين هذه الاتجاهات المختلفة والمتصارعة فكرياً وسياسيا ؟ ، وقد أجاب الخطيب البغدادي بقوله : ((بالتأويل)) هم على اعتقاداتهم مؤولة ولا يضر سماعهم وقبول بعض رواياتهم فقد روي عن علي بن المديني : ((لو تركت أهل البصرة لحال القدر ، ولو تركت أهل الكوفة لذلك الرأي يعني التشيع خربت الكتب)) وعلق الخطيب البغدادي على جملة (خربت الكتب) بقوله : ((خربت الكتب يعني لذهب الحديث))[٣] ، وكان النقاد لا يعتمدون كثيراً على الاتجاه المذهبي في لحظة التأسيس ولكنه توسع فيما بعد حتى استحكم عند المتأخرين بل اصبحت تهمة التشيع ملاصقة لكل راو يحب أهل البيت عليهم السلام حتى ولو لم يفت باحكامهم ، وهنا لابد من التمييز بين قبول الرواية وقبول الشهادة فقد وقع الخلط الواضح وربما قيل بعدم قبول الرواية والشهادة من أهل الأهواء أو قبولها كما صرح ذلك جملة من أئمة المذاهب كالشافعي

---

(١) الكفاية ، نفس الصفحة .

(٢) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٢٩ .

والامام أبو حنيفة وتلميذه أبو يوسف القاضي أنه يجوز قبول الشهادة من أهل الأهواء غير صنف من الرافضة خاصة وهم الخطابية[١] ، وهذا النص يحدد صنفا واحدا ، فكيف توسع الى اكثر من ذلك ؟ ، كان أئمة النقد يجتهد في البحث عن كل فرقة ومذهب واتجاه ومعرفة الآراء والأقوال والأحكام قبل صدور حكم القبول أو الرفض في الرواية والشهادة ، وليس الحكم لمجرد المخالفة في العقيدة فقد قبلت الشيعة الامامية مجموعة من الرواة مع اختلافهم في العقيدة والمذهب بل عملت بمروياتهم أيضاً ليس مجرد توثيقهم وقبولهم مثل حفص بن غياث وهو من أهل السنة وقضاتهم وغياث بن كلوب ونوح بن دراج النخعي وإسماعيل بن أبي زياد السكوني وهؤلاء أيضاً من أهل السنة وغيرهم ، أما فرق الشيعة فقد عملوا بمروياتهم وفق ضوابط الثقة في النقل[٢] ، وأما فرق الغلاة فلا يمكن الاعتماد على أقوالهم ومروياتهم ورجالهم إلاّ بالتميز بين حالة الاستقامة وحالة الغلو إذاعرفت حالة التحول ، فإن أبا الخطاب الذي تنسب إليه الخطابية كانت له حالة استقامة ثم تحول نحو الغلو فيعتمد في حال استقامته ويترك حال تخليطه[٣] وكذلك القول في

---

(١) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٢٥ - ص١٢٦ ؛ والخطابية هم : اتباع أبي الخطاب الاسدي وهو محمد بن أبي زينب كان يزعم أن الأئمة آلهة وأن الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه وادعى أن الامام جعفر الصادق إله ، وقد لعنه وطرده الامام الصادق فادعى الإلوهية لنفسه ، والخطابية يرون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم وخرج على العباسيين في عهد المنصور (١٣٦هـ - ١٥٨هـ) فارسل إليه عيسى ابن موسى في جيش كثيف فأسروه فصلب في كناسة الكوفة سنة ١٤٣هـ ، البغدادي ، الفرق ، ص١٨٨ .

(٢) الطوسي ، العدة ، ج١ ، ص١٤٨ - ص١٥١ .

(٣) أبو الخطاب هو محمد بن أبي زينب اسمه مقلاص بن الخطاب وهو من أكابر دعاة الامام الصادق عليه السلام فلما ظهر غلوه تبرأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وله دعوات بعد غلوه كلها تنافي أصل الإسلام ، للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٣٥٦ - ص٣٧٤ ففي ذلك روايات بلعنه ولكنها تؤكد أنه من أصحاب الامام الصادق عليه السلام ثم اظهر الغلو بعد ذلك ؛ للمزيد ينظر أيضاً : البغدادي ، الفرق ، ص١٨٨ - ص١٩٠ .

العبرتائي[١] وابن أبي عذاقر[٢] ، أو عذاقر وضبطه العلامة الحلي في كتابه (ايضاح الاشتباه) : بأبي الغراقر[٣] .

وبعد هذه الجولة في الأقوال وبيان حالات النقد الرجالي المبني على التقويم الرجالي وفق المذهب والاتجاه الديني ومحاولة ابعاد المؤثرات العقدية والمذهبية عن هذه التقويمات ، ولكنها كانت محاولات ضعيفة لعبت السياسة والصراعات المذهبية فعلتها في ترسيخ هذه الجزئيات في التراث الإسلامي بل أن البناءات الفكرية كانت في ضوء تلك التقويمات مما شكّل أكبر الإشكاليات في الفكر الإسلامي .

ولقراءة التراث والتواصل معه أبعاد تلك المؤثرات التراكمية وإزاحتها للوصول إلى الفكر المعرفي المستقل بتقويمات نقدية جديدة وفق فقه المقاربات والأصول المشتركة بين المسلمين .

لقد قرر ابن دقيق العيد بعد بيان أثر المخالفة في العقائد وهو سبب من أسباب الجرح قوله : ((والذي تقرر عندنا : أنه لا تعتبر المذاهب في الرواية إذ لا نكفر أحداً من أهل القبلة إلاّ بإنكار متواتر من الشريعة))[٤] ، وهذا من مبادئ فقه المقاربات لوجود المشتركات بين أهل القبلة والتي هي أهم من

---

(١) العبرتائي : أحمد بن هلال أبو جعفر العبرتائي صالح الرواية يعرف منها وينكر ، النجاشي ، الرجال ، ص٨٣ ؛ ولد سنة ثمانين ومائة ومات سنة سبع وستين ومائتين ، وكان غالياً متهماً في دينه وقد روى أكثر أصول أصحابنا ، ص٨٣ .

(٢) الشلغماني : أبو جعفر محمد بن علي المعروف بابن أبي العزاقر كان متقدماً في أصحابنا فحمله الحسد لأبي القاسم الحسين بن روح على ترك المذهب والدخول في المذاهب الرديئة حتى خرجت فيه توقيعات وانتهى أمره للصلب ، النجاشي ، الرجال ، ص١٥٠ ، كان مقتله سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م ؛ الطوسي ، العدة ، هامش ج١ ، ص١٥١ .

(٣) ص٢٦٠ .

(٤) الاقتراح ، ص٤٣٩ .

الجزئيات والنتائج المترتبة على التمسك بها ، وكان الأكثر يقبل من الصادق وإن اختلف مذهبه[1] ، ولا يلتفت إلى الأقوال النقدية إلاّ بالرجوع إلى كتب هذه المذاهب ليعرف مبانيها ومدى تفكيرها من أصولها المعتمدة ، فقد ذكر محمد جمال الدين القاسمي في كتابه (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث) فائدة مهمة من أن كثيراً ممن رُمي بالتشيع من رواة الصحيحين لا تعرفهم الشيعة أصلاً وقد راجعت من كتب رجال الشيعة كتاب الكشي والنجاشي ، فما رأيت ممن رماهم السيوطي نقلاً عمن سلفه بالتشيع في كتابه التقريب ممن خرّج لهم الشيخان وعدهم خمسة وعشرين إلاّ روايين وهما ابان بن تغلب وعبد الملك بن أعين ولم أر للبقية ذكراً[2] ، وفي ضوء هذه الفائدة دعا بالرجوع في أقوال الفرق المذهبية إلى مصنفاتها المتداولة ، ثم قال : ((فكم من قول افتري على مذهب أو نقل مقلوباً أو فاقد شرط كما يعلمه من حقق ورجع إلى الأصول))[3] .

ومن أهم نتائج الاتجاهات المذهبية ظهور حركة الوضع وظاهرة قلب الأسانيد وإيجادها للانتصار والغلبة على المخالف[4] ، ووضع الأسانيد في المناقب لأئمة المذاهب[5] ، ومن غريب ما نقل عن بعض الاباضية من ان الامام الشافعي لا يرى ابن ملجم مخطئا في قتله الامام علي بل هو مجتهد وكل مجتهد مصيب ، والاغرب ان هذه مروية عن الامام نفسه واستدل بها

---

(١) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص١٢٧ – ص١٢٨ .

(٢) للمزيد ينظر : ص١٩٤ – ص١٩٥ .

(٣) القاسمي ، قواعد التحديث ، ص١٩٥ .

(٤) الخضير ، الحديث الضعيف ، ص١٣٧ .

(٥) للمزيد ينظر : يوزبكي ، رامي ، الوضاعون وأحاديثهم الموضوعة من كتاب الغدير للشيخ الأميني ، (قم : مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ١٤٢٠هـ) ، ص٣١٥ – ص٣٣٤ .

على التصويب[١] ، ومنه تفسيق عمار بن ياسر من قبل عبدالله بن ابي جعفر عيسى ابن ماهان الرازي[٢] ، ولا شك ولا ريب ان الباحث المنصف ليقف طويلا عند هذه النصوص ليظهر الميولات المذهبية ونتائجها في إصدار الأحكام النقدية ، وقد عدت قائمة بالموضوعات والمقلوبات بلغت (٤٠٨٦٨٤) حديثا[٣] ، كان من نتائجها التقويمات غير الموضوعية لبعض الرواة في أنه وضاع حقيقة أم أنه متهم بالوضع ؟ أو من جهة ضياع مفهوم الثقة بين الرواة من النواصب أو تهمة التشيع أو التدوين في فضائل أهل البيت عليهم السلام ، أو سب السلف أو سب الإمام علي أو غيرها من نتائج الاتجاهات المذهبية التي تحولت إلى آثار وقواعد ترتبت عليها الآثار النقدية والاقصاءات الفكرية والعلمية والتهميش الفعلي لمثل هؤلاء في كل مدرسة بل تطور الحال إلى الاكتفاء بكل مدرسة بمجموعة من الرواة والتحذير من سماع غير رواتها فقد نقل ابن عدي في كتابه المهم (الكامل) جملة من تلك الممارسات الفعلية بين المذاهب والمدارس الحديثية بانكار سماعها من غيرها مع أن الإجماع عقلي ونقلي أن مصدر هذه الأحاديث إن صحت واحد أي وحدة المصدر ، وممن نقله في ترجمة إسماعيل بن موسى الفزاري الكوفي وقد اختلف إليه جماعة من المحدثين فأنكروا عليهم هذا السماع وبأقسى الألفاظ ما نصه : ((ايش عُلّمتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف)) ، وقد علق ابن عدي على جملة أحاديثه فقال : ((وإنما أنكروا عليه الغلو في التشيع ، وأما في الرواية فقد احتمله الناس ورووا عنه))[٤] ،

---

(١) الحارثي العماني ، ابو عبد الله سالم بن حمد الاباضي ، العقود الفضية في اصول الاباضية ، بلا معلومات ، ص ٤١ .

(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج ٥ ، ص ١٥٥ .

(٣) للمزيد ينظر : يوزبكي ، الوضاعون ، ص ٣٣٥- ص ٣٣٨ .

(٤) الكامل في الضعفاء ، تحق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض وشارك في التحقيق عبد الفتاح أبو سنة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٣٢هـ) ، ج١ ، ص٥٢٨ .

وهو صدوق روي عنه[١] ، فإذا كان السب والشتم هو المعيار فإن أهل الكوفة وأهل الشام قد تصارعوا واختلفوا وكذلك بقية الأمصار وادي ذلك إلى نتائج وخيمة آنذاك فقد نقل العقيلي في كتابه (الضعفاء) عن أسد بن وداعة وجماعة من أهل الشام كانوا يجلسون ويسبون علي بن أبي طالب ومن لم يسب جروا برجله[٢] ، وحريز بن عثمان الحمصي قد اشتهر باللعن بل كان داعية إلى هذا[٣] ، وركزت تلك المفاهيم وعمقت الصراعات السياسية ووعاظ السلاطين والمنتمين للنظام السياسي في زرع ثقافة الاختلاف الصراعي الاسقاطي ليس الاختلاف الطبيعي في الهوية والجزئية النابعة من الانتماء الكلي للإسلام بتوسيع هوة الاختلافات الجزئية إلى أقصى حد بتكفير القوي أي الحاكم الضعيف المستبعد وكان نصيب الشيعة وغيرهم الاقصاء والتهميش وهو بفعل السياسة وليس بفعل المعرفة أبداً .

فيما يبدو للمتتبع أن النقد الرجالي قد تطور كثيراً عما كان عليه لحظة التكوين والانطلاق بل تضيّق أثر الاتجاهات الدينية المختلفة وقد تأثر كثيراً بهذا الاتجاه أكثر من غيره من الاتجاهات وأخذ صبغة النقد المذهبي ، لا النقد المعرفي وبما هو اقرب لمذهب الناقد ومن هو الأبعد ، فمثلاً في ترجمة حمران ابن أعين الكوفي ترجم له الامام البخاري ذاكراً عمن روى ومن روى عنه بدون ذكر ألفاظ التوثيق والتجريح[٤] ، وعن ابن أبي حاتم قال : ((سألت أبي عنه فقال : شيخ))[٥] ، وعن ابن عدي بعد أن استعرض جملة من مروياته قال : ((لم أر له حديثاً منكراً جداً فيسقط من أجله وهو غريب الحديث ممن

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٢ ، ص١٣٤ ؛ ابن حبان ، كتاب الثقات ، ج٥ ، ص٦٣ .

(٢) ج١ ، ص٣٨ .

(٣) ابن حبان ، كتاب المجروحين ، ج١ ، ص٣٣١ .

(٤) التاريخ الكبير ، ج٣ ، ص٧٦ .

(٥) الجرح والتعديل ، ج٣ ، ص٢٧٧ .

يكتب حديثه))[١] وهو اقرب للتقويم الموضوعي النقدي بحق هؤلاء الرواة ، وقد رد الإجماع في ترجمة حبة بن جوين العرني الكوفي من أصحاب الامام علي قال : ((وروى أحاديث كثيرة وقلما رأيت في حديثه منكراً قد جاوز الحدّ إذا روى عنه ثقة وقد أجمعوا على ضعفه إلاّ أنه مع ذلك يكتب حديثه))[٢] ، وهذه النصوص التي سطرها ابن عدي تدل على البحث الموضوعي في تقويم الرجال إذ أنه بحث في المرويات ثم حكم بعد ذلك حتى يبتعد عن التعصب الذي لمسه في عصره والعصر الذي سبقه رغم أننا نجد التقويمات الرجالية قد اختلفت بعد القرن الخامس والسادس والسابع تبعاً لتوسع هوة الخلاف والانقسام حتى في المذهب الواحد .

وهذا ما نشاهده في حكم الذهبي وهو تطور كبير في نقد الرجل متأثر بالاتجاه المذهبي فإنه لم ينقل كلام المتقدمين أولاً بل اخره وصدّر كلامه في ترجمة حبة العرني بقوله : ((من غلاة الشيعة وهو الذي حدث أن علياً كان معه بصفين ثمانون بدرياً وهذا محال))[٣] ، ولم يذكر وجه الاستحالة بعدم حضور هذا العدد وحكمه من غلاة الشيعة لم يذكره نقاد التأسيس من المتقدمين وهو تطور خطير في الحكم على الرواة واسقاطهم وهذا التحامل ذكره السبكي في اتجاهات الذهبي المذهبية على المستوى الداخلي فله تحامل مفرط على أهل السنة فلا يجوز أن يعتمد عليه لغلبة مذهب اثبات الصفات الخبرية ومنافرته لأهل التأويل ثم قال : ((والغفلة عن التنزيه حتى أثّر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه وميلاً قوياً إلى أهل الاثبات))[٤] ، فهو يطنب في وصف من وافقه ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن ، وعلى

---

(١) الكامل ، ج٣ ، ص٣٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٥٥ .

(٣) ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٤٥٠ .

(٤) اربع رسائل ، ص٤٣ .

العكس على من خالفه وكل ذلك سببه المخالفة في العقائد والتعصب المفرط فإذا وقع باشعري فإنه لا يبقي ولا يذر وكذلك بالنظر لتراجم علماء المذاهب من أمثال علماء الحنفية والمالكية والشافعية ثم يذكر السبكي أنه أدرك من نهى عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله[1] ، في حين اعطى السخاوي درجة كبيرة للذهبي في اعتبار قوله في هذا العلم فقال : ((وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال))[2] ، وقال في موضع آخر راداً على السبكي تلميذ الذهبي بقوله : ((وهو على تقدير تسليمه إنما هو في أفراد مما وقع التاج في اقبح منه))[3] .

هذه الاتجاهات المذهبية قد توسعت كثيراً بتقادم الزمن واستفحل أمرها وضاع مؤسسوا النص النقدي الذي هم اقرب للموضوعية ممن تأخروا ووسعوا هوة الخلاف اشد ، ونحن لا ننكر وجود الخلاف المتأثر بالاتجاه السياسي الذي قاد الاتجاه المذهبي وركز ثقافته ودل على شرعيته بالوضع والتدليس مبكراً، ولكن الخلاف استحكم وإن زال التأثير السياسي بعد ذلك بين المذهب الواحد والمذاهب الأخرى في الأصول والعقائد والفروع الفقهية .

لقد صرح السخاوي في تطور المجال النقدي بعد استعراضه لجملة من النقاد من المتقدمين والمتأخرين فقال : ((وآخرون من كل عصر ممن عدل وجرح ووهن وصحح والأقدمون اقرب إلى الاستقامة وأبعد من الملامة ممن تأخر))[4] ، وهذا لا يعني أن المتقدمين على نحو الإطلاق قد تخلصوا من المؤثرات أبداً ولكنهم على نحو الاقربية النسبية في وضع هذا العلم لاعلى نحو

---

(١) اربع رسائل ، ص٤٣ - ص٤٦ .

(٢) الإعلان بالتوبيخ ، ص٣٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٥٣ .

المعرفة لمن أراد أن يقصي الأدلجة السياسية منه والتعصب وتتضح معالمه بالحفر المعرفي وتاريخ الأفكار ومراحل تطور المفاهيم وتغيّرها .

ومن اجمل ما نقله محمد جمال القاسمي في كتابه (قواعد التحديث) ما نصه : ((ولله دَرُّ علي رضي الله عنه أي بحر علم ضم جنباه إذ قال لكميل ابن زياد لما قال له أترانا نعتقد انك على الحق وأن طلحة والزبير على الباطل : ((اعرف الرجال بالحق ، ولا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله))[1] ، وهذا النص المشهور شهرة واسعة يعطي القاعدة في تقويم الرجال الموضوعي بالبحث العلمي السليم عن المؤثرات الحاجبة كشهرة الرجال والنساء والبناء التقليدي في ضوء ذلك ثم الحكم مع تلك الشهرة بعبادة الموروث أو التعصب لبعض دون بعض على أساس تلك الأسماء وليس على أساس الحق المسلم به في القرآن والسنة وضرورة العقل فالانصاف يقتضي البناء والنقد في ظل هذه المنظومة الفكرية في تراث الإسلام .

وممن تطور نقده نحو الاشد كميل بن زياد النخعي وغيره لو تتبعنا المراحل النقدية منذ عصر التأسيس إلى قرون متأخرة في هذا المجال نراه يشتد كلما توسع الانقسام المذهبي والسياسي ومؤثرات أخرى وكميل مما طاله هذا النقد فقد وثقه ابن سعد وابن معين[2] ونقل توثيقه ابن أبي حاتم في كتابه المهم (الجرح والتعديل)[3] ، في حين جرحه جرحاً شديد ابن حبان وهو متأخر عن ابن سعد وابن معين وابن أبي حاتم وهو معروف في شدته لذلك ذكره في (كتاب المجروحين من المحدثين) قائلاً : ((من المفرطين في علي عليه السلام

---

(١) ص٢٩١ ، رواه البلاذري في انساب الاشراف ولكن الكلام موجه للحرث ابن حوط الليثي ، للمزيد ينظر : ص٢٣٩ ؛ اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص٢١٠ .

(٢) الذهبي ، ميزان الاعتدال ن ج٣ ، ص٤١٥ .

(٣) ج٧ ، ص٢٣٨ .

ممن يروي عنه المعضلات وفيه المعجزات منكر الحديث جداً تتقى روايته ولا يحتج به))[1] ، وممن وثقه ممن تقدم ابن حبان العجلي في كتابه (تاريخ الثقات) فقال : ((كوفي تابعي ثقة))[2] ، وقد ينطبق على كثيرين من الرواة بل حتى النقاد مراحل تطور الآراء وتبدلها لظروف وعوامل من أهمها العامل الديني الذي كان أثره في تراثنا واضحاً لا يحتاج إلى تأويل لعوامل معروفة ولكن ليس معنى ذلك لم يوجد أهل معرفة يبحثون عن الحق وحده ويدافعون عنه فمن الظلم الحكم بذلك ، ولكننا اليوم نريد المواصلة مع هذا التراث وإزالة العوائق عن طريق بعثه واحيائه من جديد بقراءة معاصرة مع الاحتفاظ بالأصالة .

إن الأسس النقدية التي وضعت لتقويم الرواة كانت من أهم الانجازات الفكرية في الحضارة الإسلامية وإن اعتراها اتجاهات متعددة ومختلفة وبنظرية النقد التي أسسها القرآن الكريم في أساليب وممارسات كانت من أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي وهو من أهم وسائل النقد البناء ، فثقافة النقد بكل صوره عرفتها الحضارة الإسلامية ومن مصدرها الأول إلاّ أنها قد حجبت هذه الممارسات لعوامل عدة واتجاهات مختلفة من أهمها الاتجاه السياسي ، والحضارة الغربية قد ازدهر فيها النقد لكنه تحول أيضاً إلى غير ما بدأ به في نقد النقد ونقد الحداثة وما بعدها وأخيراً إلى النقد الحضاري ، أن عيب النقد الغربي هو أنه اقرب إلى الهدم منه إلى البناء واقرب للتدمير منه إلى الإصلاح وفي الأخير يصبح المنقود ناقداً والناقد منقوداً ولكن لابد من معيار وموازنة بين القديم والجديد وهذا المعيار هو شيء ثالث فيه من القديم أصله ومن الجديد فرعه ومن القديم جوهره ومن الجديد اعراضه ، من القديم

---

(١) ج٢ ، ص٢٢٥ .

(٢) ص٣٩٨ ، وفي الهامش ثقة رمي بالتشيع .

جذره ومن الجديد اوراقه ، من القديم مضمونه ومن الجديد إشكاله وهو عنصر التواصل في التاريخ بين الماضي والحاضر لذلك وحتى لا تزحزح الأسس فإن التجربة الإنسانية فيها حقائق ثابتة سماها الحكماء بداهات العقل وسماها العلماء الحقائق الموضوعية وسماها المحدثون الماهيات المستقلة والمعاني والدلالات(١) .

هذه الرؤية التي قال بها أحد المفكرين المعاصرين وهو حسن حنفي وغيره حاولوا منها التواصل مع التراث والتفاعل معه بروح نقدية عقلائية ومنه يمكن الرجوع إلى الحقائق العلمية التي هي رأس المال كما يعبر عنها عند أهل المنطق لا ما تريد إقراره روح الحداثة اليوم من إعلان ثقافة المتغير وحده فلا ثبوت وهي حالات المادة لا حالات الروح (الغيب) وهي سمة من سمات الحضارة الغربية اليوم ، والمادة والروح سمة الحضارة الإسلامية الناهضة بإعادة قراءة التراث والفكر الإسلامي بموضوعية مقرونة بالاتجاه المعرفي والحوار العلمي وحده بعيداً عن المؤثر المذهبي والسياسي .

ومن الغريب قول جورج طرابيشي وحكمه على علم الرجال بأنه : ((مثال ناجز لعلم ايديولوجي بقدر ما يصح تعريف الايديولوجيا بأنها وعي غير مطابق لواقعه))(٢) ، وهو كلام غير دقيق لأنه لا يمكن التعميم من حالة واحدة أو حالات متعددة ، ونحن لا ننفي وجود اختراق لهذه المنظومة الفكرية ولا ننفي أيضاً من وجود الاعتدال والموضوعية فيها ، وما هدفنا في هذا البحث إلاّ عبارة عن نقد النقد بالرجوع إلى البديهات والضرورة العقلية مع أسس وقواعد المنظومة الشرعية وجوانبها المشرقة .

---

(١) للمزيد ينظر : حنفي ، فلسفة النقد ، ص١٩ – ص٢١ .

(٢) من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث ، ص٥٩٦ .

يبدو أن الصراع المذهبي الذي بدأ مبكراً على شكل صراعات سياسية تطورت إلى حركة مذهبية تبحث عن الأسس والأدلة الشرعية لها فنشط الوضع في الأحاديث ولكن ظهر في كل طبقة نقاد حاربوا الوضع والأحاديث الموضوعة وأشاروا إلى الغلاة والزنادقة والملاحدة وهو واضح في التراث الفكري في الإسلام ، وهذا المشروع لمقاومة هذه الاتجاهات اصبح واضحاً اليوم عند الباحث المنصف الذي يبعّد العناصر المؤدلجة ويقرّب العناصر المعرفية للوصول للمشتركات الموضوعية والمتفق عليها بين جميع المسلمين .

يخيل إلي رفض القواعد الرجالية التي ركزت ثقافة الاقصاء عند أهل السنة أو الشيعة أو ملل الإسلام الأخرى فليس بصحيح أن يرمي الناقد الرجالي السني الراوي الشيعي أو بالعكس وإن وجدت في عصر الصراعات المذهبية التي أدت إلى تمزق الأمة وافتراقها إلى أجزاء ، فنحن بحاجة اليوم لقراءة تلك الصراعات قراءة واعية واخراج المؤثرات منها على المنهج المعرفي ، وأن تكون المشتركات هي القاعدة في ذلك .

وقد شذ جورج طرابيشي في قوله أن علم الرجال هو من أكذب العلوم أو أكثرها عدم مطابقة لموضوعه ونسبه إلى الاسقاطية وقال : ((فهو ينسبهم إلى الصدق أو الكذب ليس تبعاً لصدقهم أو كذبهم في ما يروونه من روايات بل تبعاً لمطابقة مضمون هذه الروايات أو عدم مطابقتها للمذهب الذي ينتمي إليه مصنف طبقاتهم وتبعاً لدرجات هذه المطابقة تطلق عليهم صفات ثقات أو ضعفاء أو وضاعين ...))[1] .

هذا الكلام مجاف للحقيقة فإن أساليب النقد من أروع ما جاء به الفكر الإسلامي ، صحيح هناك ما يقوله طرابيشي في هذه التقويمات كما تطرقنا إلى

---

(١) من إسلام القرآن ، ص٥٩٦ .

بعض منها ولكن لا يمكن نسف هذا العلم برمته لمجرد وجود مثل هذه التقويمات التي يمكن فرزها في القواعد التي وضعها علماء الحديث وعلماء الجرح والتعديل في النقد التكاملي عند المحدثين والفقهاء في النقد الداخلي والخارجي ، ونحن لا ننكر وجود المؤثر الديني والاختلاف المذهبي وأثره في الجرح والتعديل ولكننا نقر أنها ممارسة على ما فيها من خروقات ايديولوجية إلاّ أنه يمكن تمييزها بالمنهج المعرفي الباحث عن المشترك بين هذه الأمة .

إن المدونة الحديثية في تراثنا منها ما ورد في ومنها ما اختص به احدهما دون الآخر ، ولا يمكن تصور الوضع للمخالف فإن ما ذكره طرابيشي فيما يبدو قشري وغير علمي فيما عبّر عنه بزرق المدونة الحديثية بالوضع من الطرفين في مسألة الخلافة فماذا يقول بالأحاديث الدالة على الخلافة في المدونة الحديثية عند أهل السنة والجماعة التي تثبت احقية المخالف بالخلافة[١] ، وهي موجودة مثلاً في المدونة السنية بشكل واضح لا تحتاج إلى تأويل متفقة مع المدونة الشيعية في كثير من مفاهيمها ودلالاتها وفي مسند أحمد ابن حنبل إمام المذهب الحنبلي العديد من الروايات الدالة على ذلك والموافقة مع المدونة الشيعية ولا يمكن استعراض كل تلك الكتب الحديثية التي تبين وهم طرابيشي وغيره مما يتبع أقوال المتأثرين بالاتجاهات المؤدلجة ويدعون المعرفة الفكرية والكتابة المعاصرة في عصر الحداثة والتجديد لكنه لم يسبر أسرار التراث الإسلامي ، ومما يؤسف عليه التكلم الآن في الفكر المعاصر عن التراث وهو قد لم يقرأ التراث قراءة واعية بل قلّد غيره وكرر وردد ما قالوه بلا تمحيص لأنها توافق الموروث الذي هو عليه أو يريد إبرازه وإظهاره بمظهر السلبية أو عدم الواقعية[٢] .

---

(١) للمزيد ينظر : من إسلام القرآن ، ص٥٨٢ - ص٥٨٣ .

(٢) ككتابات ابن قرناس في سنة الأولين والحديث والقران ورسالة حول الخلافة وحكم الله ، وجورج طرابيشي في من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث النشأة المستأنفة وغيرها من الكتابات في الفكر المعاصر .

إن قراءة التراث تحتاج إلى منهج موضوعي معرفي يعتمد القراءة العلمية بزحزحة أسس الأدلجة المذهبية والسياسية ورفض التعصب وإلغاء الآخر برفع الموضوع مرتبة الصحيح وخفض الصحيح مرتبة الموضوع والإصرار على ذلك فمن التعصب أن نرى من يعلق على حديث ما بأنه ضعيف بل موضوع ، لكن رواه الترمذي وغيره ومع هذا فهو كذب[1] ، هذا الإصرار غير المبرر بعبارة بل هو موضوع ، وعبارة مع هذا فهو كذب هو من المناهج غير الموضوعية التي تعتمد ثقافة إفراغ المحتوى من الآخر وملء محتوى الموافق .

ومن نتائج الانقسام المذهبي التعصب في إقصاء الآخر بشكل إضاعة كل جهوده وتزعم ذلك رجال الحديث فمثلاً يعبرون عن بعض الرواة بألفاظ مسقطه لكل جهوده في الرواية فكثر التصنيف في الضعفاء والمجروحين والمتروكين فكانت موسوعة ابن عدي الذي جمع ما قبله واستوعب ذلك ، لذا يعد من أكمل كتب الجرح وعليه اعتماد العلماء[2] فقد فاق بما أودعه كتاب (الضعفاء) للعقيلي وكتاب المجروحين لابن حبان معتمداً على نقل الآراء النقدية للامام البخاري في أكثر المواطن وإن خالفه في بعضها واخذ من بقية علماء النقد ولكنه لم ينقل عن الامام مسلم شيئاً وتفاوتت ألفاظ التضعيف[3] ، في اسقاط المرويات أو الاتهام بالوضع أو يضع عن الثقات أو يسرق الحديث ، وأصبح للنقاد ألفاظ خاصة ، مما يدل على اختراق كبير لهذه المنظومة إما بالتعمد والاقصاء الاتجاهاتي بين المذاهب ، فكانت ألفاظ الجرح ممكن ان تطال أي أحد من الرواة بالضعف أو السرقة أو أنه يروي المناكير أو

---

(١) ابن تيمية ، علم الحديث ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ) ، ص٢٧٦ .

(٢) مقدمة كتاب الكامل في ضعفاء الرجال ، ج١ ، ص٣٥ .

(٣) للمزيد ينظر : مقدمة المحققون ، ج١ ، ص٧٠ - ص٧٦ .

يزيد في الأسانيد أو يروي المناكير عن الثقات وغيرها[١] من الجرح وألفاظه التي تحتاج إلى دراسة في الأسباب والنتائج المترتبة في تضعيف الراوي وعلاقة الناقد بمنهج المنقود ومدى الأقربية والأبعدية بينهما ، فتارة يصرح الناقد أن الراوي يضع الحديث أو يسرقه من الناس الثقات أو هو إلى الضعف اقرب منه إلى الصدق بالنظر إلى شخصه وذاته وأخرى إلى مروياته[٢] وهذا أيضاً يحتاج إلى النظر في التقويم وأسبابه فلعله نتيجة من نتائج الاختلاف الاتجاهاتي المتعدد من المذهبي نزولاً إلى الصراع الجغرافي .

ومن التوثيق وألفاظه التي تحتاج إلى إعادة قراءة علمية ومعرفية واعية توثيق من ثبت فسقه ، فمثلاً مما نقلوه عن حريز بن عثمان الحمصي الذي كان يسب ويلعن علياً وقد عرف بذلك ومع هذا فقد وثقه يحيى القطان ومعاذ بن معاذ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ودحيم[٣] ، فما هي معيار الثقة وكيف تعطى مثل هذه الدرجة لمن سب أحد من الصحابة وفق نظرية العدالة ، وما هو حكمه عند المحدثين والفقهاء ؟ ، وقد علق ابن عدي على رواية يحيى

---

(١) للمزيد ينظر : كتب الضعفاء والمجروحين وبالأخص كتاب الكامل يجد ذلك واضحاً ولكن هذه الأحكام تحتاج إلى وقفة وتأمل ربما أشاروا إليها ضمناً ، لأن الاختلافات لا تقتصر على التعصب المذهبي والسياسي فهي تتعدى إلى الاجتماعي والنفسي والصراع بين المدن واشار النقاد إلى محل السكن والولادة فأهل البصرة وأهل الكوفة وبغداد والشام ومصر ونيسابور والمغرب الأقصى وحتى الاندلس وغيرها لهم مناهج نقدية خاصة قد تختلف مع المدن الأخرى ولا تخلو من التعصب أيضاً ، بل أن الصراع الفكري في الحضارة المعاصرة لا زال موجوداً بين المسلمين وغيرهم فالمركزية الغربية وحوار المشرق والمغرب وادعاء المرجعية الفكرية لم يتخلص منه حتى المنهج الحداثوي .

(٢) ابن عدي ، الكامل ، ج٣ ، ص٢٠٩ ، فعن زياد بن أبي زياد الجصاص قال : متروك الحديث ... ثم قال : ولم نجد له حديثاً منكراً جداً فاذكره وأحاديثه يحمل بعضها بعضاً وهو في جملة من يجمع ويكتب حديثه ، ج٤ ، ص١٣٢ ، فضُعِّف زياد بن المنذر أبو الجارود الكوفي لمروياته في فضائل إله البيت وثلب غيرهم ، ج٤ ، ص١٣٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٩٤ .

ابن صالح الوحاظي الذي سمع من حريز حديثاً في بغض علي وانتقاصه لم يذكره - اي نص الحديث - لأنه لا يصلح ذكره كما قال ابن عدي ، وقال أيضاً : ((لا يروي مثله من يتقي الله))[١] ، ومن المعروف أن درجة الثقة تعطى لمن لا يضع الحديث ويكون مستقيماً في أقواله وأفعاله حتى يمكن الاعتماد على نقله وإن كان مخالفاً للآخر .

قال النجاشي في أحمد بن علي السيرافي : ثقة في حديثه[٢] ، وقال الطوسي : ثقة في روايته ، غير أنه حكي القول بالرؤية وغيرها[٣] ، وهنا يمكن إطلاق لفظ الثقة في الحديث والرواية والخبر بما يطمئن إلى عدم كذبه ووضعه وعدم التأثير بمؤثرات خارجية أو داخلية تؤثر تأثيراً سلبياً في النقل ، وإن كانت لفظة الثقة المطلقة والمقيدة لها معان عند علماء الجرح والتعديل دالة على التعديل[٤] وإن اختلفت المذاهب وتعددت الاتجاهات .

يقول السبكي : ((يجب على طالب التحقيق التوقف عنده لفهم ما يلقى عليه ، وان لا يبادر لانكار شيء قبل التأمل فيه))[٥] .

ثانيا : الاتجاه السياسي .

لا يخفى عن الباحث المتتبع ما لهذا الاتجاه من دور لا يقل عن الاتجاه المذهبي خطراً على المعرفة إذ يجعل هذا الاتجاه الفكر والمعرفة أداة تبريرية لفعل السلطة وتوجهاتها ، وقد تنبهت السلطة إلى ذلك فكثرت الموضوعات في

---

(١) ابن عدي ، الكامل ، ج٣ ، ص٣٩٥ .

(٢) الرجال ، ص٨٦ .

(٣) الفهرست ، ص٨٤ .

(٤) للمزيد ينظر : درياب ، نصوص الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٤٠١ - ص٤٠٧ .

(٥) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠هـ) ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

مسألة الخلافة[١] بل أن اتجاه التدوين للحديث قد تلكأ في عصر التكوين الأولي بين مؤيد لتدوين النص ومخالف له لاعتبارات عدة[٢] ، وهذا الاختلاف المبكر في تدوين ورواية الحديث من قبل الطبقة الأولى أدى إلى الصراع الفكري والسياسي بين الرأيين أما ما يقال أن حركة الوضع وظهوره كان في سنة احدى وأربعين بعد الهجرة[٣] فغير دقيق لعدم الاتفاق على التدوين ، إلاّ أنه ما بعد سنة ٤٠هـ/٦٦٠م كان التوجه الأموي واضحاً لاستقطاب طبقة الرواة للسلطة ومحاولة كسب الشرعية من قبل صاحب الشريعة عن طريقهم ، وفرض السلطة الرقابة الشديد على الرواة ، وقد اكتشف ذلك اهل الحديث الذين شغلوا انفسهم بجمع الأحاديث وروايتها ذلك[٤] ، وعرفوا مواطن الوضع وأسبابه السياسية والتقرب إلى السلطان لدوافع عدة ، ذكر ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) عن شيخه الاسكافي : أن معاوية قرّب مجموعة من الطبقة الأولى من الصحابة أمثال أبي هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة ابن الزبير لتأييد موقفه والرد على مخالفيه وأولهم الامام علي بوضع أحاديث فيه مقابل اجر معين يرغب إليه[٥] ثم ذكر الأحاديث وناقشها مع أن حديث عمرو بن العاص قد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مسنداً عن عمرو بن العاص[٦]

---

(١) للمزيد ينظر : يوزبكي ، الوضاعون ، ص٤٢٢ - ص٤٦٥ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، اعتنى به وراجعه : الداني بن منير آل زهوي ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٦هـ) ، ص٥٧ - ص٦٧ .

(٣) الصالح ، علوم الحديث ، ص٢٦٦ .

(٤) الرزينة ، لالاني ، الفكر الشيعي المبكر تعاليم الامام محمد الباقر ، تر : سيف الدين القصير ، (بيروت : دار الساقي ، ٢٠٠٤م) ، ص١٣٨ .

(٥) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص٦٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٦٤ ؛ ينظر : البخاري ، الصحيح ، ج٧ ، ص٧٣ ؛ ينظر : مسلم ، الصحيح ، ج١ ، ص١٣٦ .

وكذلك رواية أبي هريرة في ذم علي مخرجة في الصحيحين عن المسور بن مخرمة عن الزهري[1] ، وبلا شك أن هؤلاء الرواة قد تأثروا بالاتجاه السياسي ودعموا السلطة ضد المعارضة في محاولة لشرعية السلطة السياسية ، وظهر ذلك في بداية الدولة الأموية وتركيز ثقافة الوضع والاختلاق فقد نقل لنا ابن أبي الحديد بعض الحوار الذي جرى بين المغيرة بن شعبة وصعصعة بن صوحان العبدي وقد نهاه عن ذكر فضائل علي علانية وعيب عثمان مع اعترافه بفضائل الامام علي بقوله : ((فانك لست بذاكر من فضل علي شيئاً أجهله بل أنا اعلم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر ، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس ... الخ))[2] ، هذا التوجه السياسي في ظل الأدلجة السلطوية في اخفاء العيوب وإظهار الاحوال على غير حقيقتها يتزعمها الرجال تلو الرجال في الوضع والتحريف والتزييف وقلب الحقائق فتظهر ثقافة السلطة وتهميش المعارضة والغاء المعرفة المطلقة وهو يكاد ينطبق على ثقافة المنتصر وأدلجته الثقافية ومنه تظهر حالات الأقرب منها والابعد عنها ، وعناصر التأثير واضحة كالمحاورة التي ذكرناها بين رجل السلطة ورجل المعارضة ، وهي حالة تتكرر بتداول السلطة ، أن الوضع بكل دوافعه لم يكن قاصراً على الموضوعات في المنظومة السنية وحدها ، بل يوجد في المنظومة الشيعية وغيرهما من المنظومات الإسلامية بشكل عام ، فالنقد الشيعي قد طال الكتب المعتبرة فضلاً عن غيرها وإن كانت المدرسة الاخبارية قد قالت بصحة الروايات وقطعية صدورها إلاّ أن المنهج الغالب هو مناقشة هذه الروايات ونقدها سنداً ومتناً ، فقد كانت خطوة الشيخ حسن صاحب المعالم في كتابه (منتقى الجمان) ، وخطوة محمد تقي التستري في كتابه (الأخبار الدخيلة) ومستدركاته رصد

---

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٦٥ .

(٢) الطبري ، التاريخ ، ج٤ ، ص١٤٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢٣ ، ص٤٣٠ .

الموضوعات في كتب الشيعة الحديثية ونقد هذه الروايات[١] .

إن هذه المقدمة لايضاح مدى التأثير السياسي على المعرفة العلمية غير المؤدلجة فالكلام هنا عن الواضع وليس عن الموضوع أو الموضوع له ، فالعلماء النقاد قد ميزوا بين هذه المفاهيم وعلاقتها فيما بينها ، فالواضع السياسي يكون قد روّج لايديولوجيا السلطة ومنح الشرعية لصالحها ، وقد ظهر ذلك من خلال الدولة الأموية والعباسية وهناك وثائق تاريخية تؤيد هذه الدعوى وأغلب ذلك ذكرته المصادر الأولية فلتأثير السياسي روج له الرواة ونقادهم المرتبطين أو غير المرتبطين بالسياسة ، ولم يسلم منها الطبقة الأولى أو بقية الطبقات نتيجة الصراعات السياسية بين العلويين والأمويين والعباسيين فضلاً عن الصراعات الأخرى بين الخوارج وغيرها[٢] ، هذه الصراعات السياسية أدت إلى تكوين جماعة من المحدثين والناقدين المنضوين تحت كل راية تحاول رفعها ضد خصومها مما أدى إلى كثرة الوضع في الحديث وهو ما يسمى بالوضع المقابل ، فقد جعلت السياسة سب علي سنة على المنابر بل نقل عن أهل الشام بأن الجمعة لا تصح إلاّ باللعن والسب لأبي تراب وقالوا لعمر بن عبد العزيز (ت٩٩هـ - ١٠١هـ/٧١٧م-٧١٩م) تركت السنة[٣] ، هذه الظاهرة التي تعتمد اقصاء وذم وتشهير الخصوم كانت واضحة وبارزة في التراث

---

(١) للمزيد ينظر : حب الله ، حيدر ، نظرية السنة في الفكر الامامي الشيعي التكون والصيرورة ، (بيروت : الانتشار الإسلامي ، ٢٠٠٦م) ، ص٥٣٠ - ص٥٣٨ ؛ الأخبار الدخيلة لمحمد تقي التستري ثم كتب المستدركات ، تعليق : علي أكبر الغفاري فيه الباب الثاني في الأحاديث الموضوعة من الصفحة ٨٨ - ص٢٤٥ وكذلك الأجزاء الأخرى من المستدركات .

(٢) للمزيد ينظر :الحاج حسن، حسين ، نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية ، (بيروت : مؤسسة الوفاء ، ١٤٠٥هـ) ، ج١ ، ص٤٥٧ - ص٤٩٦ .

(٣) العلوي ، محمد بن عقيل ، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ، قدم له : محمد رضا الخرسان ، (النجف الأشرف : المكتبة الحيدرية ، ١٣٨٦هـ) ، ص٩٥ - ص١٠٧ .

السياسي عند الأمويين والعباسيين فقد أسسوا ذلك بالشكل المنظم ضد كل المناوئين لحكمهم وعلى رأسهم العلويين وغيرهم من الخوارج ، ولكنها كانت مع العلويين على أشدها ، إذ أعلنوا ذلك على المنابر الرسمية والقدح في شخصية الامام ومكانته وأقربيته وانعكس ذلك على أصحابهم إذ جرح كثير من الرواة لأنهم على خط التشيع للامام مع الإقرار بفضائلهم[1] ، وبرزت ظاهرة السلطة ومحدثيها والمعارضة ومحدثيها ، فذهبت السلطة ولم تذهب نتائج الوضع والجرح والتعديل غير الموضوعي ، حتى وصل الأمر إلى الطعن في رؤوس المذاهب وقد مرّ ذلك في الاتجاه المذهبي .

إن أثر ذلك الصراع قد امتد ودام إلى وقتنا الحاضر فنحن بحاجة ماسة إلى قراءة تراثنا قراءة تاريخية واعية لنزع الآثار السياسية منها ، فإن جميع المسميات الجزئية تلتقي بالمسمى الأعلى ألا وهو الإسلام ، ومن تأثيرات التمزق السياسي دعوى كذب الأحاديث عند الفريق الآخر وجرح الرواة عندهم ، ذكر ابن تيمية الحراني في هجومه على المنظومة الشيعية متأثراً بالاتجاه السياسي من أن الشيعة لا كتب لهم مصنفة في الرجال ولا أسانيد معروفة ونسب قدح الجمهور لهم مع كثرة الكذب الذي اصبح متواترا إذ ظهر من زمن الامام علي واساسه هذا الاتجاه ، ومن غريب قوله أن الشهادة بالكذب على الشيعة من البديهيات إذ قال رادا على العلامة الحلي المعاصر له : ((وانتم يشهد عليكم أهل الحديث والفقهاء والمسلمون والتجار والعامة والجند ، وكل من عاشركم وجربكم قديماً وحديثاً ، أن طائفتكم اكذب الطوائف ... الخ))[2] ، انظر هذا النص وتأمل التأثير السياسي في منطق

---

(١) العلوي ، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ، ص١٠٨ - ص١١٠ .

(٢) للمزيد من التحامل المتأثر بالاتجاه السياسي ينظر : منهاج السنة ، ج٤ ، ص١٧٣ - ص١٨٧ ، بل أن الكتاب بأجمعه يعبر عن ثقافة السلطة وثقافة المعارضة ، وهو ينقل لنا صورة عن الواقع المرير لما انتجته السياسة في الصراع الفكري .

الاستبداد ضد المعارضة السياسية فصورة ذلك لا تفارقنا حتى اليوم إذ لم تنفصل السياسة واتجاهاتها الايديولوجية عن المعرفة الموضوعية ولا نكاد نتخلص من التأثيرات التاريخية والأحداث والوقائع التي استحكمت في احكامنا حتى اصبحت ثقافة يروج لها المنتفعين من بقاء التمزق والانقسام ، ولا زال التفكير عند الشيعة بروحية المعارضة في الدفاع عن نفسها ولا زال التفكير عند أهل السنة والجماعة بروحية الخلافة وهو تأثير سياسي - تاريخي من رواسب القرون الماضية ، ركّز مفاهيمه الكثير من العلماء وأدّى إلى الانقسام الحاد فسعى البعض الآخر إلى الجمع والتقريب فكان صعباً مستصعباً للخروج من هذا التفكير وهذه الظاهرة في جسم الحضارة الإسلامية التي انتجت عدة صور لأهل الحديث وللرافضة وللمعتزلة ولأهل الرأي فكان الدين للأول والكذب للثاني والكلام للثالث والحيل للرابع ...[١] .

وممن نقله ابن تيمية عن سبب عدم التخريج للامام الصادق في صحيح البخاري فقال : ((وقد استراب البخاري في بعض حديثه لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطان فيه كلام فلم يخرّج له ...))[٢] ، وهو تأثير مذهبي وسياسي واضح وإلاّ ما معنى هذه الريبة فإن كبار المحدثين قد رووا عنه بل أن أهل الصحاح إلاّ البخاري قد أخرجوا له ، فكأن البخاري تأثر بما بلغه عن ابن سعد وابن عياش وابن القطان في حقه[٣] وفي الأخير أكثر ، فقد ترجم البخاري للامام الصادق ونقل قوله : ((وقال لي عبد الله بن أبي الأسود عن يحيى بن سعيد : كان جعفر إذا أخذت منه العفو لم يكن به بأس ، وإذا حملته

---

(١) منهاج السنة ، ج٤ ، ص١٧٤ - ص١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٢٢٤ .

(٣) العلوي ، العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل ، (قم : المجمع العالمي لأهل البيت ، ١٤٢٧هـ) ، ص٥٤ .

حمل على نفسه))[١] ، وعبد الله ابن محمد بن أبي الأسود تكلم فيه يحيى بن معين نقل ذلك ابن أبي خيثمة ولكنه نقل عن يحيى أيضاً أنه قال : ما أرى به بأساً ، وهو ابن أخت عبد الرحمن بن مهدي ، وقال الخطيب البغدادي : كان حافظاً ثبتاً[٢] وهو من شيوخ الامام البخاري ، وكلامه الذي نقله عن يحيى بن سعيد القطان ، قد رده العلماء من المحدثين والنقاد وغيرهم ، ونقل ابن عدي كلام ابن سعيد وغيره من النقاد وكان ابن سعيد القطان سيء الرأي في الامام الصادق بل أنه فضل مجالد عليه وقال : ((في نفسي منه شيء فقلت : فمجالد ؟ قال : مجالد أحب إليّ منه))[٣] وقد رده الذهبي بقوله : ((هذه من زلقات يحيى)) ثم قال أن جعفراً أوثق من مجالد بالإجماع[٤] ، قال العلوي : أن لفظ ((ومجالد احب إليّ منه)) كلمة جفاء مؤذية ومجالد ضعيف عن يحيى ابن سعيد نفسه ، وابن مهدي لا يروي عنه وابن حنبل لا يراه شيئاً وغيرها من ألفاظ التضعيف بحق هذا وهو مجالد بن سعيد الهمداني[٥] .

وعلى هذه المنوال يظهر التأثير السياسي على علماء الجرح والتعديل ، كان مالك بن أنس لا يروي عن جعفر بن محمد حتى يضمه إلى آخر من أولئك الرفعاء ثم يجعله بعده خوفا من السلطة، ولم يرو عنه حتى ظهر أمر بني العباس[٦] ، ورتب علماء الجرح والتعديل وليس جميعهم وانما من مجموعة منهم ظهر الأثر السياسي واضحا خوفا او طمعا ، وقد خرج ذلك على المعيار

---

(١) البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٢ ، ص١٨٢ .
(٢) ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ص٤١٤ .
(٣) الكامل ، ج٢ ، ص٣٥٦ .
(٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٦ ، ص٢٥٦ .
(٥) العلوي ، العتب الجميل ، ص٥٥ - ٥٧ .
(٦) ابن عدي ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٥٧ .

العلمـي فجـرح العديـد مـن العلمـاء لمجـرد تشـيعهم أو تعـديل النواصـب أو الاختلاف مـع السـلطة السياسـية قـديماً وحـديثاً إلاّ مـن المدرسـة المعتدلـة عنـد جميع الاطراف ، فقد وثق النجاشي ابن القطان مع كل ما صدر منه عن الامام الصادق فقد جاء في ترجمته : ((يحيى بن سعيد القطان أبو زكريا عامي ثقة روى عن أبي عبد الله عليه السلام نسخة ...))[1] هـذا النص يشير إلى التقويمات المعتدلـة التي لم تحركها الاتجاهات المذهبية أو السياسية وعلى هذا التقويم يكون الخط الأقرب إلى المعرفة منه إلى الأدلجة .

ويخيل إلي أن التقويمات الرجالية تكاد تنحصر أكثر في قضية الصراع السياسي الذي حوّل السيطرة على السلطة للدفاع الشرعي عنها فنجد في أكثر التراجم وما بها من نقود للرواة يذكرون فيه جملة من الالفاظ منها : تشيع أو غلو أو تطرف أو ترفض أو كان يتشيع أو داعية إلى مذهبه أو يروي أحاديث في فضل أهل البيت أو في فضل علي أو أنه مقت لتشيعه مثل ابن عقدة أو صحيح الحديث ولكنه يتشيع ، ووصل الأمر إلى أكثر من ذلك كما في الحكم ابن عتيبة بعدما مدحوه قالوا في تشيع إلاّ أن ذلك لم يظهر منه ، وقال بعضهم في ترجمة حكيم بن جبير الأسدي فيه قليل تشيع أو أنه يميل إلى التشيع كما في زبيد بن الحارث بن عبد الكريم ، ودافع الذهبي عن عمرو ابن دينار المكي لتهمة التشيع وزكاه منها ، أو أنه ليس يثبت لأنه يقدم علياً على عثمان كما في قابوس بن أبيظبيان الذي نسب إليه هذا التقديم وغير ذلك كثير جداً[2] .

أما تعديل المخالف لخط المعارضة فكثير أيضاً كتوثيق عمر بن سعد مع تصريحهم بأنه قتل الامام الحسين أو عنبسة بن خالد بن يزيد فقدموه على الليث

---

(١) الرجال ، ص٤٤٣ .

(٢) للمزيد ينظر : العلوي ، العتبُ الجميل ، ص٨٣ – ص١١٠ .

ابن سعد[١] وكان على خراج مصر يعلق النساء بالثدي قاله ابن أبي حاتم نقلاً عن أبيه[٢] ودافعوا عن مروان بن الحكم دفاعاً سياسياً مؤدجلاً مع اعترافهم بأنه أثار الفتنة يوم الجمل بقتل طلحة روى عنه البخاري[٣] ، وعنبسة ابن سعيد ابن العاص كان جليس الحجاج بل منقطع إليه وثقه ابن معين وأبو داود والنسائي والدارقطني[٤] ومن الغريب توثيق من يتحامل على علي عليه السلام مع اعتماد نظرية عدالة الصحابة وتجريح من يتكلم فيهم ولو تقصينا ذلك لطال بنا الخطب[٥] لأن التأثير السياسي قد دخل المنظومة الرجالية في النقد حسب الرؤية السياسية ومدى التجاوب معها بعقيدة أو بدونها لأن التراث قد وصلنا هكذا فعلينا التنقير المعرفي لوضع الفكر المعرفي في نصابه ورفض الاختلاف السياسي في اعتناق بعض المذاهب ورد غيرها كظاهرة خلق القرآن السياسية فقد وسعت الفجوة بين المذاهب واختلفت التقويمات بعدها في ضوء قبولها أو رفضها إلى من قال بها أو امتنع عنها كاختلاف الامام أحمد بن حنبل مع يحيى ابن معين الذي لم يقف معه وأجاب تحت الضغط السياسي[٦] .

وقد فعلت السلطة السياسية فعلتها في استقطاب مجموعات من المحدثين كشفت لنا المصادر غير الرسمية مدى تأثيرهم في طمس الحقيقة وقد نجت هذه المصادر من الإقصاء والتدمير ولولاها لفقد الكثير من الحقائق المعرفية[٧] .

---

(١) العلوي ، العتب الجميل ، ص١١٤ .

(٢) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٦ ، ص٥٢٩ .

(٣) العلوي ، العتب الجميل ، ص١١٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص١٢٢ .

(٥) للمزيد ينظر : المرجع نفسه ، ص١٢٧ - ص١٦١ .

(٦) المرجع نفسه ، ص١٦١ - ص١٦٢ .

(٧) ناجي ، عبد الجبار ، نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجاً ، (بيروت : منشورات الجمل ، ١٤٣٢هـ) ، ص١٨٦ .

إن الوضع السياسي الأموي والعباسي قد أدخلا في المرويات الحديثية الكثير بوسائط المحدثين والنقاد الذين لهم الميول الواضحة للنظامين السياسيين ووضعت المعارضة لهما من محدثيها ونقادها أيضاً ، ومن باب المثال لا الحصر كان عروة ابن الزبير والزهري من الموالين للحكم الأموي مع عداء لخط المعارضة ، فقد نقل عن عروة أنه رد عن يوم الجمل لأنه صغير[١] ، وكانت له علاقة مع معاوية وبقية حكام بني أمية إلاّ عمر بن عبد العزيز وله أحاديث كثيرة[٢] ، والواقدي كان عباسياً في ميوله فقد دعموه مادياً وكان مقرباً منهم وتلميذه ابن سعد أيضاً يميل للعباسيين ، واليعقوبي يميل للعلويين ويظهر ذلك من تتبع روايات العباس في السيرة النبوية ودورها في عصر النبوة والأثر العباسي في ذلك ودور الرواة ونقدهم لغيرهم على أساس التقرب إلى السلطة السياسية أو بعدهم عنها[٣] ، فاتهم الحارث الهمداني لقربه من علي عليه السلام إذ قال ابن عدي : ((وللحارث الأعور عن علي وهو أكثر رواياته عن علي وروى عن ابن مسعود القليل ، وعامة ما يرويه عنهما غير محفوظ))[٤] .

ولو بحثنا عن أسباب عدم حفظ مثل هذه المرويات نجده العداء السياسي إذ طمست الدولة الأموية معالم الروايات عن الامام علي عليه السلام إلاّ ما ندر ومع هذا وصل إلينا ما وصل ، وحاول بعض النقاد للحديث إشاعة أن روايات الامام المروية أغلبها باطل أو قول الشعبي : ((ما كذب على أحد من هذه الأمة ما كذب على علي))[٥] ، وغيرها من المرويات التي تستهدف

---

(١) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ص٤٠٧ .

(٢) للمزيد ينظر : ناجي ، نقد الرواية ، ص١٨٧ - ص١٩١ .

(٣) المرجع نفسه ، ص٦٠ - ص٧٧ .

(٤) الكامل ، ج٢ ، ص٤٥١ .

(٥) الكامل ، ج٢ ، ص٤٥١ .

التراث الشيعي بل تراث المعارضة وتهميشه ليصبح بعيداً عن ثقافة الأمة بل غير مفكر فيه أصلاً والترويج لثقافة السلطة وأهدافها ، فقد تحولت القصة والسرد فيها إلى أداة سياسية ومحل استقطاب البلاد الأموي لهم بعدما طردهم الامام علي من المساجد وسار العباسيون على منوالهم فقد استجلبوا القصاص ليحدثوا في مساجد بغداد[١] .

ومع كل مساعي السلطة الحاكمة لجذب النقاد والاستفادة منهم إلاّ أن بعضهم ومن غير المعارضة من وقف من الرواة الذين يدخلون في عمل السلطان موقفاً حاسماً ، فلم يرض محمد بن سيرين على حميد بن هلال العدوي لأنه دخل في شيء من عمل السلطان[٢] ونُقد أيضاً خالد بن مهران لدخوله في عمل السلطان[٣] واحمد بن عمر الابيوردي القاضي[٤] ومحمد بن أحمد ذو البراعين كان متصرفاً في عمل السلطان[٥] ، ومفضل بن مزيد اخي شعيب الكاتب وكان يتولى شيئا من عمل السلطان[٦] ، وقد حذر الأئمة والعلماء من الدخول في عمل السلطان لأنه يفرض إرادته لتعزيز حكمه ودوامه ومن لا يفعل فهو في خطر لذا شبه الامام علي عليه السلام صاحب السلطان براكب الأسد يغبط بموقعه وهو أعلم بموضعه[٧] ، وقد أفرد الكليني

(١) للمزيد ينظر : الأمين ، إحسان ، التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الامامية ، (بيروت : دار الهادي ، ١٤٢١هـ) ، ص١٥٨ - ص١٦٣ .

(٢) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٣ ، ص٢٣٠ .

(٣) ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج١ ، ص٢٦٤ .

(٤) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج١ ، ص٢٤٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٦١ .

(٦) صاحب المعالم ، التحرير الطاووسي ، ص ٥٤٥ .

(٧) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ١٩ ، ص ١٤٩ .

في كتابه (الكافي) باباً عن عمل السلطان وجوائزهم وباباً عن شروط الدخول معهم[١] ، فكيف بمن يتقرب إلى الطبقة الحاكمة بمحض إرادته طلباً للحظوة أو المال كما صنع غياث بن إبراهيم في حكم المهدي العباسي (١٥٨ - ١٦٩هـ/٧٧٤م-٧٨٥م)[٢] ، إذ وضع له حديثاً يلائم هواه إذ كان يلعب بالحمام فذكر له متنه : ((لا سبق إلاّ في نصل أو خف أو حافر)) فزاد فيه ((أو جناح)) ، ثم قال المهدي : ((أنا حملته على ذلك)) وقال احدهم له : ((إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس))[٣] ، وهؤلاء طبقة بل طبقات من الوضاع للأمراء والحكام بما يوافق فعلهم وآراءهم[٤] ، ويبدو أن روايات ذم العالم على مداخلة السلطان الظالم متفق عليها بين جميع المسلمين فقد افرد لها ابن عبد البر باباً في كتابه (جامع بيان العلم وفضله)[٥] .

استغل الاتجاه السياسي في رد الأحاديث التي تخالفه ايديولوجيا وتبنى ذلك بعض الحفاظ والنقاد من حيث يشعرون أو لا ، فقد وضعوا من القرائن الدالة على الوضع أن يكون الراوي رافضياً والحديث في فضائل أهل البيت[٦] ، وهو اتجاه سياسي لخدمة السلطة آنذاك إذ يحس الباحث أن السلطة تتكلم بلسان هؤلاء وإلاّ كيف يكون بهذا الإطلاق اسقاط واقصاء المرويات عن فضائل أهل البيت لمجرد أن الراوي من الرافضة ، ولأن الرافضي جهة معارضة للحكم الأموي والعباسي وأن الحاكم منهما لا يرضى الفضائل

---

(١) الكليني ، الكافي ، ج ٥ ، ص ١٠٥- ص ١١١ .

(٢) الصالح ، علوم الحديث ، ص ٢٦٨ .

(٣) ابن حبان ، كتاب المجروحين ، ج١ ، ص٦٦ ؛ السيوطي ، تدريب الراوي ، ج١ ، ص١٥٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٥٤ - ص١٥٥ .

(٥) للمزيد ينظر : ابن عبد البر ، جامع ، ص٢٢٦ - ص٢٣٤ .

(٦) السيوطي ، تدريب ، ج١ ، ص١٥٠ .

الممنوعة في عرفهم وثقافتهم وما يريدون تحقيقه من طمس معالمهم ولا معنى للكلام إلاّ التهميش والإقصاء والإبعاد ، ومن الغريب قوله : ((كل حديث يدل على وصاية علي رضي الله عنه أو على خلافته [موضوع] لأنه يخالف ما أجمعت عليه الأمة من أنه صلّى الله عليه [وآله] وسلم لم ينص على تولية أحد بعده))(١) هذه مصادرة لآراء المذاهب الأخرى على وفق الاتجاه السياسي ، فالرؤية الالغائية للآخر إنما هي بذرة من بذرات السياسة والاستبداد ، فأين الإجماع والشيعة الامامية تخالفه إلاّ إذا كان ليس لهم وجود في الحضارة الإسلامية ؟ ، أو لا يعبأ في المخالف وهذه رؤية سياسية ليست رؤية معرفية تحترم الآراء ، والنظرة الموضوعية ما نقله السيوطي عن ابن الجوزي قوله : ((ما أحسن قول القائل : إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع))(٢) ، وأعظم قاعدة لمعرفة الموضوع وضعها الامام الصادق عليه السلام بقوله : ((لا تقبلوا علينا حديثاً إلاّ ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة ...))(٣) ، هذا بالنسبة إلى قواعد معرفة المتون ، ولكن اغلب الموضوعات تعاني الخلل في الإسناد ففيه المجاهيل والضعاف أو ممن يتهم بالغلو والتفريط والوضع(٤) وعلل قادحة خفية .

إن معرفة الموضوع كان مهامّ نقاد الأحاديث وجهابذتهم من المعرفيين غير المنتمين للاتجاه السياسي فقد انقسم المحدثون في عصر ظهور المعتزلة السياسي على يد المأمون العباسي (١٩٨ - ٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) في مسألة اثارها

(١) السيوطي ، تدريب ، ج١ ، هامش ص١٥٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٥٠ .
(٣) الطوسي ، الاختيار ، ص٢٩٨ .
(٤) الأمين ، التفسير ، ص٢٠٤ - ص٢٠٥ .

الاتجاه السياسي لاغراضه الخاصة ، وحدث الصراع بين العقل والنقل ووقف الامام أحمد بن حنبل ضد إرادة المعتزلة وأجاب آخرون منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون ويحيى بن معين وزهير بن حرب أبو خيثمة وإسماعيل بن داود وإسماعيل بن أبي مسعود وأحمد الدروقي[1] وهؤلاء كبار المحدثين في بغداد ، وقد حضر مجموعة أخرى من المحدثين منهم الامام أحمد ابن حنبل وكبار المحدثين من غير المجموعة الأولى منهم أبو حسان الزيادي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن أبي مقاتل والفضل بن غانم والذيال بن الهيثم وسجادة والقواريري وقتيبة وسعدويه الواسطي وعلي بن الجعّد وإسحاق بن أبي إسرائيل وابن الهرش وابن عُلَيّة الأكبر ويحيى بن عبد الرحمن العمري وأبو نصر التمار وأبو معمر القطيعي ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب وابن الفرخان وجماعة منهم النضر بن شميل وابن علي بن عاصم وأبو العوام البزاز وابن شجاع وعبد الرحمن ابن إسحاق[2] ، وقد رد المأمون على من لم يقل بخلق القرآن ومنهم الامام أحمد بن حنبل بقوله : ((وأما أحمد بن حنبل وما تكتب عنه فاعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة وسبيله فيها واستدل على جهله وآفته بها))[3] ولم يتراجع عن مقالته إلاّ اثنان ابن حنبل ومحمد بن نوح فوجه بهم إلى طرطوس[4] فتوفي المأمون وهما في الطريق ثم توفي محمد بن نوح في منطقة عانه وارجع ابن حنبل إلى بغداد فحبس[5] ، كان ابن حنبل لا يكتب عمن يتتبع السلطان كما أنه لما سئل عن حفص بن عمر الفرخ قال : لم أكتب

---

(١) الطبرسي ، التاريخ ، ج٨ ، ص٦٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٦٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٦٤١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٦٤٤ .

(٥) جدعان ، المحنة ، ص١٦٠ .

عنه ، كان يتتبع السلطان[١] .

وممن امتحن علي بن المديني وهو من أكبر المحدثين والنقاد في عصره ، بل صرح الخطيب البغدادي بقوله : ((والمقدم على حفاظ وقته)) وقد أجاب في القول بخلق القرآن ثم يذكر العلاقة بينه وبين ابن أبي داود وعلى أثر ذلك تكلموا فيه ، فقد اثر عنه قوله : ((قوي أحمد على السوط وأنا لا أقوى))[٢] وانقسم المحدثون في أثر الامتحان السياسي إلى قسمين : الأول يقول بها والثاني ينكرها وبروز أسس الفكر النقلي بشكل واضح عند الامام أحمد بن حنبل الذي عززه بعد ذلك المتوكل العباسي (٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ/٨٤٦م-٨٦١م) بإلغاء أسس الفكر العقلي .

وامتحن نُعيم بن حماد (ت٢٢٩هـ/٨٤٣م) وسجن في سامراء ومات فيه وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي إذ سجن ببغداد ومات فيه سنة ٢٣٢هـ ومحمد ابن عبد الله ابن أعين المصري وهؤلاء لم يجيبوا السلطة العباسية وكانت حالتهم اسوأ من حالة الامام أحمد بن حنبل[٣] الذي اطلقه المعتصم العباسي (٢١٨هـ - ٢٢٧هـ/٨٣٣م - ٨٩٠م) وانتهت محنته في شهر رمضان من عام ٢١٩هـ/٨٣٤م[٤] .

قام المتوكل العباسي بإرساء الفكر النقلي التقليدي بأمره ترك النظر والمباحثة في الجدال وأمر الناس بالتسليم والتقليد وكانت حصة المحدثين أقوى وأعلى على حساب العقل والاعتزال وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة

---

(١) ابن حنبل ، العلل ومعرفة الرجال ، ص٤٤ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٣٤٥ - ص٣٥٣ .

(٣) جدعان ، المحنة ، ص١٩١ - ص١٩٢ .

(٤) المرجع نفسه ، ص١٨٧ - ص١٨٨ .

والجماعة[١] واستقدم المحدثين إلى سامراء وأجزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية فكثر المجتمعون على السماع من أبي بكر ابن أبي شيبة الذي حدث في جامع الرصافة وعثمان بن أبي شيبة في جامع المنصور[٢] .

وبهذا تبنت الدولة مشروع الإحياء النقلي مما اعطي لها صفة الاحياء والاماتة وهو تركيز لثقافة التقليد والاثبات بل اصبح المتوكل محدثاً روى له السيوطي في تاريخه[٣] فدخل المحدثون تحت رعاية التوجه السياسي فكثر الحديث واصبح النقد حول من دخل وأجاب وممن امتنع أو اعتذر ممن اجاب وحسب ظروفه .

هذه التقلبات السياسية عاشت آنذاك جدلية بين الديني والسياسي لكنها تميزت بفرض الأمر وإجابة المنتمين لها بالسمع والطاعة ، وهي إشكال دول الإسلام التاريخية[٤] .

كان القرن الرابع الهجري قد قلص الدولة العباسية إلى مجرد الاسم إذ تشظت أقاليم الدولة إلى دويلات صغيرة وغيرت الخريطة السياسية تماماً إلاّ أنه كان خيراً وبركة على الحركة العلمية إذ نشط النقد الرجالي تصنيفاً ومحاورة وبلغ التدوين اشده فظهر الحاكم النيسابوري والدارقطني إمام عصره في الجرح والتعديل وابن حبان وابن خزيمة وصحيحه الذي عبر عنه العلماء في

---

(١) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت : دار القارئ ، ١٤٢٥ هـ) ، ج٤ ، ص٩٧ .

(٢) السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر ، تاريخ الخلفاء ، تحق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، اوفسيت على طبعة مطبعة السعادة بمصر ، (بغداد : مطبعة منير ، بلا) ، ص٣٤٦ .

(٣) للمزيد ينظر : ص٣٤٦ ، و ص٣٥٥ .

(٤) جدعان ، المحنة ، ص٤٦٦ - ص٤٤٧ .

تقويمهم له : صحيح ابن خزيمة يكتب بماء الذهب ويعد في المرتبة الثالثة بعد صحيح البخاري ومسلم[١] ، وجمع الكليني كتابه (الكافي) والشيخ الصدوق كتابه (من لا يحضره الفقيه) ، وكثرت المصنفات الرجالية والحديثية لمدرسة بغداد وقم والري وخراسان وحلب وغيرها من المدارس ودونت في علوم الحديث ، وكثرت الحفاظ ، ولم ينفك السياسي عن الديني فقد حدث عبد الله بن سليمان بن الاشعث السجستاني في بغداد برعاية الوزير علي بن عيسى واظهر فضائل علي ثم تحنبل وهو مقبول عند أصحاب الحديث ولكن أبيه صرح بكذبه[٢] ، ورعى الوزير جعفر بن الفضل ابن الفرات أبو الحسن علي الدارقطني وبره بمال كثير وانفق عليه نفقة واسعة وخرّج له المسند وكان لهذا الوزير مجالس املاء كتبها الدارقطني وآخر معه وخرجاها أو هم قاموا بتأليف الاستدراكات[٣] ، وفي هذا القرن ظهر تقارب الديني والسياسي لأن الأخير اصبح يرعى المعرفة ويدعمها ، فظهرت الحركة العلمية بأبهى صورها وانه لم يشهد مثلها في القرون التي تلت هذا القرن فقد كان الكثير من الوزراء هم فحول في الأدب كابن العميد (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م) والمهلبي وسابور وابن عباد وكانت لهم مجالس تموج بالفلاسفة والأدباء والشعراء وكانوا يجودون عليهم بالعطاءات الكبيرة[٤] ولذا سمي هذا القرن بعصر النهضة في الإسلام كما اطلق عليه آدم متز واستمر العطاء العلمي في بدايات القرن الخامس وأواخره بظهور تواريخ المدن كتاريخ نيسابور وتاريخ اصفهان وتاريخ بغداد

---

(١) مقدمة كتاب الكامل في ضعفاء الرجال ، ج١ ، ص٣١ - ص٣٣ .

(٢) ابن عدي ، الكامل ، ج٥ ، ص٤٣٦ .

(٣) متز ، الحضارة الإسلامية ، ج١ ، ص٣٥٧ .

(٤) الحياني ، مظفر شاكر محمود ، الامام الدارقطني وجهوده في الحديث وعلومه ، (بغداد : ديوان الوقف السني ، ٢٠٠٩ م) ، ص٣٤ - ص٤٣ .

وغيرها[1] إذ نشطت الحركة العلمية في عصر الانفتاح العلمي وتأصيل العلوم وتدوينها وقد كانت القرون الثلاثة الأخيرة أهمها إذ كانت العصور التي تلتها عبارة عن مستدركات أو شروح وهوامش وإن ظهر فيها نتاج فكري ولكنه لا يضاهي ما انجزته تلك القرون ولحد هذه اللحظة تعد المصادر الأولية بل أن المادة المعرفية التأسيسية تعزو لتلك القرون من عصر النهضة والابداع ، بل يمكن أن نطلق عليها عصور النقد والصراع الفكري والسياسي بين الادلجة والمعرفة توجت انتصارها في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس باستقطاب السياسي إلى المعرفة والاشتغال بها .

ثالثا : الاتجاه النفسي :

يعد التاريخ النفسي من التواريخ المهمة ولكنه مهمل ولم يتناوله العلماء بالبحث والدراسة بما يليق بل سكتوا عنه ، وتأتي أهميته من جهة الآثار النفسية وأسباب وقوع كثير من التصرفات بل الحوادث في التاريخ نتيجة لحالات نفسية من غضب أو حسد أو غيرة أو تعصب أو تشنج وصلابة أو افراط وتفريط وحالات تسيطر عليها الغرائز والعاطفة من دون تحكم العقل والاعتدال فقد صدرت عدة أحكام في التاريخ النفسي كان سببها الدواعي الغرائزية وقد ترتب عليها آثاراً مهلكة وهذا ما اوضحه النص النازل اجمل توضيح في السرد القصصي القرآني لأول حادثة في التاريخ البشري هي قتل هابيل من قبل أخيه قابيل فقد وصف الله سبحانه وتعالى تلك الحادثة مصوراً صورة لهابيل وصورة لقابيل وحالته النفسية في قتله أخيه وأصل النزاع في مسألة القربان فلما تقبل من هابيل ولن يتقبل منه ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾[2] فأجابه

---

(١) متز ، الحضارة الإسلامية ، ج١ ، ص٣٥٧ - ص٣٥٩ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٢٧ .

هابيل : ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(١) ، ثم أعطاه نتيجة عمله وغضبه وحسده : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾(٢) ، ورتب الأثر على الغضب والحسد والغيرة : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾(٣) ، ثم ندم على فعلته : ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾(٤) وعجز عن دفن أخيه ولكن الله سبحانه وتعالى ارسل الغراب ليريه كيف يواريه والنص القرآني يصوّر النتيجة الحتمية للصراعات النفسية في لفظة : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ وكثير من النصوص القرآنية تصور حالات النفس وآثارها ، وقد سبقت الشريعة الإسلامية علماء الغرب الذين عرفوا بعلم النفس والشخصية الإنسانية أمثال جوردن ألبورت (Gordon - allport) ، وفرويد (Fravd) وكارل يونج (Garl Yong) والفرد آدلر (Alfreid Adler) ، وقد ظهر علم النفس الديني وانضم إلى فروع علم النفس الأخرى في السنوات الأخيرة في الثقافة الغربية ، وتأثرت الثقافة الإسلامية بها فظهرت الكتب في علم النفس الديني الإسلامي مثل القرآن وعلم النفس سنة ١٩٨٢ والحديث النبوي وعلم النفس سنة ١٩٨٩ وهما لعثمان نجاتي ودراسات في علم النفس الإسلامي لمحمود البستاني سنة ١٩٨٨ وغيرها ، أن تمييز انماط السلوك الإنساني الداخلي (التخيل - التفكير - الفهم ...) أو الخارجي (التعبير بالحركة عن الغضب والعدوان ...) السوي أو غير السوي(٥) ، وهذه بلا شك ولا ريب تنعكس على الناقد وعمله في تقويم

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢٨ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٢٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣٠ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٥) أبو شهبة ، هناء يحيى ، بحث بعنوان (السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية) مقدم الى مؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة / كلية الشريعة والدراسات الإسلامية / جامعة اليرموك / الاردن / اربد في ١٧ – ١٨ أبريل ٢٠٠٧م ، ص٢ - ٣ .

الرجال فتظهر بعض التقويمات غير موضوعية متأثرة بالعامل النفسي فكيف يمكن الحصول على ناقد موضوعي لا يؤثر عليه العامل النفسي ويلتزم الحياد والموضوعية مهما أمكن ؟ ، يرى الامامية أنه يمكن الحصول على مثل هذا الناقد وهو المعصوم ونصه في التوثيق كتوثيق مثلاً ابان بن تغلب بنص الامام الصادق وبقية الأئمة لرجالهم وهؤلاء لا يتطرق إليهم التوثيق والتجريح المنبعث من حالات نفسية إطلاقاً على نظرية الشيعة الامامية بل يعطون الاستحقاق الفعلي للرواة من الجرح أو التعديل ، وقد يشكل على وجود التعارض في بعض التقويمات الرجالية وبالنصوص عنهم أيضاً ؟ ، ويمكن استعمال القواعد لرفع التعارض ومعرفة المرجحات من نصوص متفق العمل عليها ولا مجال لسردها هنا لأنها ليس محل كلامنا فإن مداره المؤثرات النفسية وفي ضوء العصمة والعدالة المشهورة يمكن تقريب الأقرب وتبعيد الأبعد فالمدار وجود الانصاف والعدالة في هذه التقويمات حتى يمكن اعتبار نقل الراوي واعتماده لما له من آثار فكرية وأحكام شرعية وبناءات عقائدية وفي شتى العلوم الدينية الأخرى .

وتختلف الحالات النفسية للإنسان بتعدد الأمزجة والأنماط السلوكية فالظواهر المتنوعة مثل الحقد والزهو والكذب والخيانة والتعصب والغيبة والطمع والحسد ... الخ ، بعضها مصحوب بوعي الشخصية بشذوذها وبعضها غير مصحوب بالوعي المذكور[1] ، وهذه الحالات تصاحب الكثير من نقاد الرواة ويكاد لا يخلو منها إلاّ المعصوم في نظر الامامية ومن تقرب منه ، ويبقى الكلام في لحظة إصدار الأحكام أو الافتاء أو الاجتهاد بالشكل العام كيف تكون الحالة النفسية لحظة انطلاق الحكم الذي يأخذ أثره بعد ذلك ؟ ، فلكي يكون التقرب من الموضوعية في نقد أسس نقدهم لابد من مراعاة هذا

---

(١) للمزيد ينظر : البستاني ، دراسات في علم النفس الإسلامي ، ص١٢٢ - ص١٣٦ .

الاتجاه لأهميته في الكشف عن الكثير من التقويمات غير الموضوعية ومنها نقد الأئمة من العلماء وقد حصل وقد ذكرنا جزء منه في الاتجاه المذهبي والاختلاف فيه ، ولكن لابد من كشف الدوافع للجرح والدوافع للتعديل من الجهة النفسية والصراع الداخلي ، والشعور بالتقدير الذاتي الايجابي من الثقة والاستقلال والتفاؤل وغيرها أو الذاتي السلبي الاحساس بالدونية والضعة والتبعية والشك والتردد[١] ، ويؤكد علماء النفس في بحوث الشخصية المتصلة بنظرية الذات اذ طالما يربطون بين نظرة الشخصية لذاتها ونظرتها للآخرين ونظرة الآخرين عنها[٢] ، فالنظرة الأولى في مزاجها وحالاتها التي لها دخل في تقويماتها للآخرين ورؤيا الآخرين كتقويم اجتماعي بأن الإنسان مقوم أم ناقد ، والآفات السلبية للعلاقات الاجتماعية من أهم آفات الشخصية تجاه الآخر .

الدوافع النفسية في النقد :

اختلفت الدوافع النفسية التي مارسها أصحاب الأصول الرجالية في نقدهم للرواة وبيان جرحهم أو تعديلهم وكما مر فقد ذكرنا أن حالات الشخصية قد تختلف بين النقاد بين متشدد ومعتدل ومتساهل وهو كما يبدو يرجع إلى اختلاف الأمزجة بين الناس ولكن التربية الإسلامية تدعو إلى العدل والاعتدال في التصرفات السلوكية والأحكام المتعلقة في إصدار حكم الجرح أو التعديل الملازم للقيم الأخلاقية الإسلامية في أصل النظرية ، ونحن نبحث عنهما لإيجاد قواعد علمية خالية من البواعث النفسية التي تخلق الأحكام غير الموضوعية وبثقافة بعيدة عن العلمية وقريبة من الميثولوجيا (Mythology)

---

(١) البستاني ، دراسات في علم النفس الإسلامي ، ص٢٤١ - ص٢٤٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٦٨ - ص٢٧٠ .

التي لها الأثر الكبير في حياة الشعوب وسلوكها الديني[١] ، ومن أهم الدوافع النفسية المؤثرة في هذا الاتجاه :-

أولا : النقد القولي .

الكذب :

يقال في المقال والفعال ورجل كذّاب وكذوب للمبالغة[٢] ، وكثر تصريفه لشناعته ، والكذب على عدة أقسام أهمها تغيير الحاكي ما يسمع ويقول ما لا يعلم نقلاً وروايةً أو الاغراء بما لا يحسن أو بما لا يصلح وهو في مجرى الخديعة ، ووجود هذه الصفة هي من أقوى الأسباب الباعثة على جرح الراوي ، وصورته في الرواية هو أن يحدث أنه سمعه ولم يدركه أو أدركه ثم وجد عليه أنه لم يسمع منه ، ولا يصح للكاذب أي تعديل[٣] ، ولا يكفي أن يدركه إذا لم يلقه لذا كانت ألفاظهم بالتحمل شاهدة على محاربة الكذب في الرواية لعدة دوافع فقالوا أعلاها حدثني أو سمعت وتعد هذه من آليات كشف الكذب عند الراوي ، ومتى كشفت فقد حصل الإجماع بترك حديث مثل هذا عند جميع المسلمين ومن هنا منشأ الخطورة في اثبات الكذب فاحتاجوا إلى علوم عدة تابعة لعلم الجرح والتعديل مثل الأسانيد أقواها وأضعفها تاريخ الرواة واسمائهم ومدنهم وكناهم وألقابهم وغيرها من متعلقات عملية الجرح والتعديل لكشف صفة الكذب وتحديد الكاذب وقد يحدث خطأ عند الناقد من أثر توهم الناقد بالمعاصرة أو عدمها لتداخل الطبقات أو الرحلة والسماع

---

(١) الظالمي ، رشيد باني ، الميثولوجيا في النص التاريخي والديني ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠١١م) ن ص٢٣ - ص٢٧ .

(٢) الراغب الاصفهاني ، المفردات ، ص٤٤٥ .

(٣) فتاح ،بشير محمود ، المعجم الاصطلاحي لالفاظ الجرح والتعديل في علم الحديث النبوي الشريف ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١١ هـ) ، ص٢٦١ - ص٢٦٥ .

وعدم معرفتها فيحكم بالتسرع على الراوي وأغلبه قد حصل يظهر للمتتبع لهذا التراث ، فقد رد الدارقطني على البخاري ثم رد الخطيب البغدادي على البخاري أيضاً في كتابه (موضح أوهام الجمع والتفريق) كما رد على غيره في هذا الكتاب ، فقد اختلط على بعض النقاد في عد الاثنين فأكثر واحداً أو عد الواحد اثنين فأكثر ، وقد سجل الخطيب البغدادي على البخاري اربعة وسبعين فصلاً بعضهما في الجمع وغالبها في التفريق كل ذلك في كتابه (التاريخ الكبير) مع ذكر الأدلة وآراء النقاد وبعض الروايات وفوائد أخرى[١] كما ذكر أوهام أئمة النقد كيحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي ابن المديني وغيرهم[٢] ، اعتمد الامام البخاري النقد النقلي عن شيوخه وكثيراً ما ينقل صفة الكذب عن غيره مثل رمي بالكذب أو يرميه فلان بالكذب وغيرها من الأساليب في نقل صفة الكذب للراوي فقد نقل عن يحيى القطان قوله في عبد الله ابن سعيد ابن أبي سعيد المقبري : ((استبان لي كذبه في مجلس))[٣] ، وعن التابعي عبد الرحمن بن يزيد السلمي فقد نقل عن غيره فيه : ((لا ترووا عنه فإنه كذّاب))[٤] وغالباً لا يذكر أسبابه وآليات كشفه فقد كانت العدالة من الشروط المهمة لذلك يخرج عنها المتهم بالكذب والكذاب المتعمد ولو مرة[٥] ولم يذكروا كيفية معرفة ذلك ودلالاته فإن جرح الراوي بهذه الصفة هي اسقاطه في سجل الموثقين وتدوينه في سجل المتروكين ولكن ما هي حقيقة الكذب عند المحدثين ؟ هل الكذب المتعمد أم غيره ؟ أم

---

(١) للمزيد ينظر : مقدمة المحقق عبد المعطي أمين قلعجي للكتاب (موضح أوهام الجمع والتفريق) للخطيب البغدادي ، ج١ ، ص٥م - ص١٥م .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٢ .

(٣) البخاري ، الضعفاء الصغير ، ص٤٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٥٧ .

(٥) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٢٥ .

مصاديقه المتعددة التي من أوضحها المدلس إذا لم يكن التدليس هو الكذب حقيقة فيكون من أوضح مصاديقه ، ثم يجب أن يكون البحث في الدواعي النفسية للكذب مع إخراج الأحكام المسبقة على طائفة أو مدينة بتعميم أنهم يكذبون أو اكذب الناس كما هو الاتجاه المذهبي عند بعض المذاهب تجاه الشيعة بعمومها مع أن الوارد عن الخطابية أنهم يستحلون الكذب فلا يمكن تعميمه لفرق الشيعة كلها كما مر ذلك في الاتجاه المذهبي واثره في التقويمات الرجالية .

هذا المبنى لا يعتمد على أساس علمي رصين بل هو متأثر بالمؤثرات المذهبية والنفسية معاً ، ولذلك كان من الشروط المهمة للمعدل والجارح أن يكون ورعاً يمنعه الورع من التعصب والهوى ، تتوجه تهمة الكذب إلى الراوي في حالتين هما[1] :-

١- التفرد برواية مخالفة لأصول الدين وقواعده العامة إذا لم يكن في الإسناد من يتهم بذلك غيره .

٢- أن يعرف عنه الكذب في كلامه وإن لم يظهر منه وقوع ذلك في الحديث النبوي .

وإذا ظهر في هذا الراوي الحالتين يترك حديثه ويطلق على شخصه لفظة المتروك ، ويبدو أن المتروكين من هذا النوع بانطباق تهمة الكذب الظني أو غير المتعمد ، وقد ورد هذا النقد بالصيغة المذكورة في اغلب أو جميع الأصول الرجالية محل الدراسة والبحث ، ولكن عند النظر إلى الشرطين المذكورين يمكن معرفة الأول بسهولة في الفحص عن مروياته أو الثاني فهو لا يظهر إلاّ أن الممارسة الحسية المعاصرة للراوي وتتبع كلامه أو النظر في كتبه غير الحديثية والوقوف على الاحالات غير الصحيحة وبهذا يمكن كشف كذبه كما هو اليوم

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٢٩ .

في مراجعة هوامش البحوث ومطابقتها مع المصادر والمراجع المأخوذ عنها ومدى المصداقية في النقل وعدمها .

وتتوجه لفظة الكذب إلى الراوي المتعمد في الكذب عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ولو مرة واحدة وحديثة يسمى الموضوع واختلفوا في قبول روايته بعد توبته هل تقبل أم لا ؟ انقسموا إلى فريقين :

الأول : لا تقبل روايته وإن حسنت توبته .

الثاني : قبول روايته إذا صحت توبته[١] .

كان المنهج النقدي يعتمد الدقة والتتبع فإذا اختلط أو كثرت غفلته في فترة ما فإنه يسقط توثيقه مهما بلغ ورعه أو سلامة نيته بل أن سلامة النية قد تؤدي إلى السذاجة[٢] والقشرية في الأحكام لأنه قد يحصل الكذب حتى من الصادقين والصالحين فقد نقل الامام مسلم في مقدمته عن محمد بن يحيى بن سعيد قوله : ((لم نر الصالحين في شيء اكذب منهم في الحديث)) أو : ((لم تر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث)) وعلق الإمام مسلم على ذلك بقوله : ((يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب))[٣] ، وهو اعتذار لهم غير مبرر فإن الورع والتقوى هي حالة الصالحين وأهل الخير مانعة من فعل الكذب ، فكيف يسوغ لهم الكذب وهم غير معذورين بذلك وقد نهى النص القرآني عنه قال تعالى : ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾[٤] .

---

(١) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص١٣٠ – ص١٣٢ .

(٢) العمري ، منهج النقد ، ص٣٦ – ص٣٧ .

(٣) مسلم ، الصحيح ، ص١٣ .

(٤) سورة النساء : الآية ٥٠ .

وتهمة الكذب أو صفة الكذاب تحتاج إلى قراءة جديدة فيمن وصفوا بها خوفاً من تداخل الاتجاهات المذهبية والنفسية والتنافسية وربما صفة الحسد التي سنذكرها أيضاً من المؤثرات النفسية الخطيرة في الأسس النقدية التي اعتمدت نتائجها بلا تمحيص ومراجعة .

من اشهر من اتصف بصفة الكذاب الحارث الأعور وممن وصفه به الشعبي فقد اخبر عنه بقوله : ((حدثني الحارث الأعور الهمداني وكان كذاباً)) وفي نص آخر بسند عنه أيضاً : ((حدثني الحارث الأعور وهو يشهد أنه أحد الكاذبين)) ، ونقل الإمام مسلم بعد تلك الروايات أن الحارث اتهم[1] وضعفه يحيى بن معين ولم يصفه بالكذب أو الكذاب وذكره ابن حبان بقوله : ((كان غالياً في التشيع واهياً في الحديث))[2] ولفظة اتهم[3] قالها الإمام البخاري وكررها في التاريخ الكبير نقلاً عن غيره ثم نقل تكذيب الشعبي للحارث[4] ، ولفظته بعبارة اتهم مشعرة بعدم تيقن الاتهام فلو كان به جرح لذكره بألفاظ الجرح المعروفة التي أعلاها الكذاب ، الصفة التي جاءته من الشعبي ، ذكره النسائي في الضعفاء والمتروكين ونقده بأنه : ليس بالقوي[5] ، ولم يعلق الدارقطني مع ترجمته في الضعفاء والمتروكين فقد اكتفى بكوفي همداني[6] ونقل ابن عدي في الكامل بسنده عن يحيى بن معين وقد سأله

---

(١) مقدمة الامام مسلم في صحيحه ، ص١٤ .

(٢) كتاب المجروحين ، ج١ ، ص٢٦٤ - ص٢٦٥ .

(٣) البخاري ، الضعفاء الصغير ، ص٤٢١ .

(٤) التاريخ الكبير ، ج٢ ، ص٢٥٣ .

(٥) ص٧٧ .

(٦) ص٩٧ .

عثمان بن سعيد الدارمي عن حال الحارث في علي قال : ثقة[١] وذكره العجلي في الثقات ثم ذكر أنه كان متهماً[٢] .

وممن وثقه ابن شاهين (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) : وقال الحارث الاعور : ثقة ما احفظه وأحسن ما روى عن علي وأثنى ، سمع علياً رضي الله عنه يقول : ((من يشتري علمي بدرهم ؟)) فذهب الحارث فاشترى صحيفة فجاء بها إلى علي فأملى عليه ، قيل لأحمد بن صالح : فقول الشُعبيَ ، فقال : لم يكذب في الحديث ، إنما كان كذبه في رأيه[٣] ، أما الشيعة الامامية فقد أجمعوا على أقربيته من الامام علي بل هو من أولياءه[٤] وقد اتفقت كلمتهم على مكانته ووصفوه بالورع والتقوى ، وذكروا أن ما قاله الشعبي بحقه محل كلام بل افتراء منه[٥] ، وافضل من شخّص العداء ابن عبد البر بين الحارث الهمداني والشعبي الهمداني غضبه ونقمته عليه بسبب افراطه في حب علي وتفضيله على غيره ثم علل سبب هذا الغضب الذي تحول إلى نقد عاطفي نفسي بقوله : ((لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر رضي الله عنه وتفضيل عمر رضي الله عنه)) ، ثم قال : ((واظن الشعبي عوقب بقوله في الحارث الهمداني ... ولم يبن من الحارث كذب)) ، ويبدو أنه قد حصل نفس الأمر بين الشعبي وإبراهيم النخعي من النزاع والعداوة[٦] ، كان الشعبي من المتقربين للسلطان فقد أرسله عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ/٦٨٤-

---

(١) ج٢ ، ص٤٥١ .

(٢) الثقات ، ص١٠٣ .

(٣) تاريخ أسماء الثقات ، ص١٠٨ .

(٤) البرقي ، كتاب الطبقات ، ص٤٣ .

(٥) الخوئي ، البيان ، ص٥٣٤ .

(٦) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص٤٣٨ - ص٤٣٩ .

٧٠٥م) إلى ملك الروم[1] وهو مما يدل على اختلاف الميولات مما أدى إلى تجريح الثقة وتعديل المجروح بمنهج غير موضوعي فهذا أحد الأمثلة وإلاّ فامثلة ذلك كثير للمدقق والمحقق في التراث ويمكن له كشف جملة من الحقائق المتداخلة[2] .

وممن كذب الشعبي سعيد بن جبير وقال في مسألة العمرة كذب الشعبي[3] ومثل هذا النقد قد حصل بأثر الدفاع عن الشخصية وهي دوافع نفسية بين الاقران وغيرهم فقد قال سعيد بن المسيب لغلامه برد : ((لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس)) ، وما جرى بين مالك ومحمد بن إسحاق فقد كذبه لتشيعه وما نسب إليه من القول بالقدر ، وأما الصدق والحفظ فكان صدوقاً حافظاً ، اثنى عليه ابن شهاب ووثقه شعبة والثوري وابن عيينة وجماعة جلّة ، قال مالك - وذكر عنده أهل العراق - فقال : انزلوهم عندكم بمنزلة أهل الكتاب وذكر ابن عبد البر في هذا الباب الكثير من النقود غير الموضوعية فقال : ((وقد تكلم ابن أبي ذئب في مالك ابن أنس بكلام فيه جفاء وخشونة كرهت ذكره وهو مشهور عنه)) ، في حديث : (البيعان بالخيار) ، وكان إبراهيم بن سعد يتكلم فيه وإبراهيم ابن أبي يحيى يدعو عليه وممن تكلم في مالك عبد العزيز بن أبي سلمة

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص١٣٦ .

(٢) الشعبي : وهو أبو عمرو عامر بن شراحيل كوفي من شعب همدان أمه من سبي جولاء ولد لست سنين من خلافة عمر أو حسب قوله : ولدت عام جولاء ، روى عن الكثير من الصحابة توفي سنة ١٠٥هـ على اختلاف بينهما في ولادته ووفاته ، للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٦٧ - ص١٧١ ؛ ونفى السيد المرتضى سماعه من الامام علي لأن ولادته عام ٣٦هـ وإبراهيم الذي ولد عام ٣٧هـ ، الانتصار ، تحق : مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم : جماعة المدرسين ، ١٤١٥هـ) ، ص٥٦٨ .

(٣) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ص٤٤١ .

وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وابن إسحاق وابن أبي يحيى وابن أبي الزناد وعابوا أشياء من مذهبه[١] وكذلك حسداً بين العلماء من المحدثين والنقاد من أثر الهفوات والغضب والشهوات[٢] وكلها آثار لحالات نفسية تترتب عليها جملة من الأحكام أهمها الكذب في تقويم المخالف في الرأي والعقيدة والتفوق وغيرها من سمات الاختلاف وتكثر بين الاقران للمنافسة .
ومن الغريب في هذا البحث عن الشعبي وعلاقته بالحارث ممن يعاصره أنه توجد تمظهرات لتلك العلاقات ففي الفكر الإسلامي يجب أن تراعى الموضوعية والعلمية المعرفية في الكشف الخالص عن الأدلجة ، لقد ناقض الشعبي نفسه وروى عن الحارث بل روي عنه عند الجمهور في الأبواب[٣] ، ومن الغريب تكذيب طائفة كاملة كتكذيب التهانوي للرافضة ونسبتهم إلى الجهل وعدم معرفة الإسناد وليس لهم أسانيد متصلة صحيحة وإذا كان متصلاً فلا يخلو من هو معروف بالكذب أو كثرة الغلط ثم فضّل الخوارج بالصدق والعلم[٤] .

التدليس :

ظاهرة التدليس واضحة في الحديث ، فقد حاول النقاد كشف وتشخيص هذه الظاهرة والعناصر القريبة منها والبعيدة عنها وإحصاء ذلك بالاستقراء بكل أنواعه وأصله اخفاء العيب بأمور فنية حتى لا يكشف ذلك إلاّ النقاد من المحققين ، ومعرفة أنواع التدليس وأسباب ذلك مرهون بمعرفة مباني القول في

---

(١) ابن عبد البر ، جامع ، ص٤٣٩ - ص٤٤٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٤٥٠ .
(٣) المظفر ، الافصاح ، ج١ ، ص٢٨٦ - ص٢٩١ .
(٤) قواعد ، ص٢٠٢ .

العدالة والفسق[١] ،اذ فتشوا عن موضع السماع لكشف علة التدليس[٢] ، وهي ظاهرة تولد الذلة والغش والغرور والخداع والكذب وشدد عبد الله بن المبارك على المدلسين ممن يدلس عن الثقات أو ممن يخفي ذلك لكن إذا حقق في سماعه ذكره أي كشف عنه ، أو التدليس عن المجاهيل الذين لا يعرفون ، أو التدليس عن المجروحين مع تغيير اسمائهم وكناهم أو التدليس عن شيوخ لم يروهم ولم يسمعوا منهم ذكر ذلك الحاكم النيسابوري في كتابه (معرفة علوم الحديث) ثم قال : ((ولم استحسن ذكر أسامي من دلس من أئمة المسلمين صيانة للحديث ورواته)) ، ثم ذكر البلدان ممن عرف بالتدليس فيها وممن لا يعرف فيها فكان نصيب الكوفة الأكثر تدليساً[٣] .

يظهر بهذا التمهيد عن هذه الظاهرة وأثرها أنه لم يسلم منها حتى أئمة الحديث كما يصرح الحاكم بذلك فهي من المؤثرات النفسية الداعية للكذب في اتصال الإسناد إيهاماً للغير أنه سمع ما يؤيد مروياته لاثبات شيء في نفس الراوي والناقد قد يحكم على المدلس بما يبحث عن عيوبه ليظهر ذلك للناس ، ان امتناع الحاكم من ذكر المدلسين ليس له مايبرره الان وقد نجد له تبريرا في ظرفه ، فنحن بحاجة الى اعادة قراءة الموروث قراءة واعية وجدية وفق المناهج المعاصرة حتى تصنيف البلدان وتاريخها يحتاج إلى دراسة دقيقة في حكم المدلس من غيره ، فالبحث في هذا الموضوع من الأهمية بمكان لخطورة الكذب المقنع وخاصة وقد مارسه كبار أئمة الحديث وربما مورس عنهم لأسباب واتجاهات مختلفة منها المؤثر النفسي ويظهر بالبحث عن تاريخ هذه الظاهرة

---

(١) للمزيد ينظر : ميرداماد ، محمد باقر الحسيني ، الرواشح السماوية ، تحق : غلامحسن قيصرية ونعمة الله الجليلي ، (قم : دار الحديث ، ١٤٢٢هـ) ، ص٢٦٨ - ص٢٧٢ .

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج١ ، ص٢٣ .

(٣) للمزيد ينظر : ص١٠٣ - ص١١١ .

وتطورها بما سماه ابن أبي حاتم التنقير المعرفي .

وقد شدد شعبة بن الحجاج على ظاهرة التدليس بعدة روايات رواها عنه علماء الحديث(١) ، لانها اصبحت ظاهرة شائعة عند الرواة ، ووردت روايات تدل على التدليس أنه من أنواع الكذب أو أنه اخو الكذب ، والتدليس اخو الكذب قاله شعبة أو أنه دناءة من الأخلاق وكشفه بحدثنا أو أخبرنا أو سمعت(٢) ، وعلى هذا فهي ظاهرة نفسية يمكن كشفها بالبحث عن أسبابها ونتائجها وتمظهراتها فيما بعد ، وهي حالات تظهر بالبحث والتنقير في الأسس ونحتاج إليها في كشف المؤثر النفسي وغيره .

قال ابن حبان : ((وأما المدلسون الذين هم ثقات وعدول فإنا لا نحتج بإخبارهم إلاّ ما بينوا السماع فيما رووا مثل الثوري والأعمش وأبي إسحاق وأضرابهم من الأئمة المتقين وأهل الورع في الدين لنا متى قبلنا خبر مدلس لم يبين السماع فيه وإن كان ثقة لزمنا قبول المقاطيع والمراسيل كلها ...))(٣) ، وكان النقاد يرحلون في طلب الحديث للتدقيق في الاسناد مثل شعبة يرحل في طلب الحديث لكشف الإسناد والتثبت فيه وهو من المتشددين ، فقد رحل في كشف اسناد حديث ثم توصل إلى سقوط رواة من السند فأثر عنه قوله : ((دمر علي هذا الحديث لو صح لي هذا الحديث كان احب الي من أهلي ومن مالي ومن الدنيا كلها))(٤) ، هكذا يكون البحث العلمي في كشف الحقائق ومعرفة ذلك يتطلب الجهد والسهر والدراسة للوصول إلى العنصر الأقرب للحقيقة ، ومنهم من اعتبر التدليس ليس من الكذب فقد سئل أبو

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص١٧٣ - ص١٧٤ .

(٢) ابن عدي ، الكامل ، ج١ ، ص٣٣ - ص٣٤ .

(٣) صحيح ابن حبان ، ج١ ، ص١٦١ .

(٤) الخطيب البغدادي ، الرحلة في طلب الحديث ، تحق : نور الدين عتر ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥هـ) ، جمعاً بين مقدمة التحقيق والمتن ، ص١٤٨ .

زرعة عن أبي سعد البقال فقال : لين الحديث ، مدلس ، قلت : هو صدوق ؟ قال : نعم كان لا يكذب[١] في حين يرى ابن حبان لرفع تهمة التدليس بيان السماع[٢] ، وهي القاعدة الأساسية لرفع تهمة التدليس سواء عُدَّ من الكذب أو الاخفاء المتعمد لسلسلة الاتصال الظاهري الذي عليه مقدمة الوصول إلى المتن فينتفي بالتدليس ووجود المدلس التوثيق العلمي للحديث النبوي ، ولا يهم ذكر اسبابه ما لم يعرف سماعه لذلك اهتموا النقاد بمعرفة الرواة وممن سمعوا فلا يكاد يخفى عليهم سند إلاّ إذا كانت العلة خفية أو شديدة الخفاء ومع ذلك دونوا في العلل والأسماء والكنى والمشاهير وغيرها ممن يساعد على كشف المؤثرات النفسية في القاء العلم وتلقيه وتدوينه ، واهتم الإسلام بنظامه الروحي والنفسي بالصحة النفسية وبيّن كبائر الذنوب وصغائرها في النص النازل والنص الشارح له ، قال تعالى : ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[٣] ، وقد شاع الصدق في الأقوال خاصة ويقابله الكذب[٤] فأصلهما في القول ماضياً كان أو مستقبلاً وعداً كان أو غيره[٥] وقد ركز الإسلام على نظرية العلاقات الاجتماعية فلا يؤمن بالفردية فهو لم يأمر الفرد بالعدل والاحسان والبر وصلة الرحم وأداء الأمانات إلى أهلها والوفاء بالعهد والصدق والتواضع وينهاه عن العقوق والجور والبغي إنما للتعامل مع الناس[٦] . هذا هو بناء العقل الإسلامي لذلك رفض كل حالات الكذب والتدليس في الأقوال والأفعال لينشأ ثقافة ثنائية في الواقع الاجتماعي ، وللبحث عن

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٤ ، ص٦٣ .

(٢) الثقات ، ج١ ، ص١٢ ، ج٥ ، ص٥٩٥ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٨٤ .

(٤) أبو هلال العسكري ، الفروق ، ص١٩٤ .

(٥) الراغب الاصفهاني ، المفردات ، ص٢٨٧ .

(٦) بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن ، الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٧ م) ، ص١٨٨ .

العناصر القريبة أو الأقرب من هذه الثقافة في مجال بحثنا عن ظاهرة التدليس علينا أن نسعى في عصرنا اليوم بالبحث عن المعرفة في تراثنا لاكتشافها وحدها .

ثانيا : النقد الفعلي :

تعبّر الحركة عن إرادةِ تُفهم مثل القول وكانه كلام مترابط ، كثيراً ما يحصل فيه التفاهم والتعبير عن المراد بيانه بالحركة السلبية أو الايجابية وقد مارس نقاد هذا العلم في إرادة إعطاء أحكامهم بطريقة النقد الفعلي أو المنهج الفعلي في نقد الرواة ، وهذا أيضاً يظهر متأثراً بحالات نفسية سلوكية أو هي نمط من أنماط التعبير لإيضاح مثير معين وهذا النقد لا يخلو من أسباب موجبة من التحول القولي إلى الفعلي لوجود ربما قرائن حالية أو غيرها استوجبت هذا التحول .

فقد تطورت دراسات علم النفس لفهم الدوافع والمشاعر المؤثرة فينا ثم التنبؤ بالسلوك الخارجي ثم معرفة دوافعه فظهر ما يسمى بعلم الشخصية وقلنا بالتنبؤ لأن شخصية الإنسان معقدة وردود فعله متعددة ومتنوعة فقد يختلف رد فعل شخص ما في موقف معين عن رد فعل شخص آخر في الموقف نفسه[1] .

إن الحركة والإشارة من التعابير التي ينبى عليها فهم المقابل من فرد أو جماعة بل تقبل من الأخرس في معاملاته الاجتماعية من عبادات ومعاملات وزواج وطلاق وأقر بذلك الفقهاء ، أما نقاد هذا العلم أيضاً فهموا من الإشارات واعتبروها من ألفاظ الجرح والتعديل كتقليب الايدي وتقطيب الحاجبين وانفراد الوجه وتغير حركة الشفاه وما إلى ذلك من إشارات وهي

---

(١) الرحيم ، محاضرات في علم النفس ، ص٦ - ص٧ .

اجابات لأسئلة تطرح من قبل التلامذة ، وهذا الاسلوب أكثر شيوعاً في كتب السؤالات منه في غيرها من كتب النقد وافضلها كما صرح بعض المعاصرين سؤالات الآجري لأبي داود السجستاني لما احتواه من مادة نقدية[١] .

أكثر الإشارات استخداماً هي إشارة تحريك اليد في الدلالة على التعديل أو التجريح ثم بقية الحواس من الرأس وتمحيض الوجه (تغيره) ، واليد وتحريكها بأشكال متعددة وأغلب هذه الإشارات تحصل في الجرح دون التعديل لأنه نادر[٢] ، ويبدو استعمالها في الجرح لضعة المجروح ورفعة المعدل وهو أعلى قدراً مما يشار إليه بحركة ، ومع هذا فلابد إذاً من التنقير المعرفي لإدراك كنه الأسباب التي أدت إلى نقد المجروح بهذه الطريقة .

وهناك نقد لا هو من القولي ولا من الفعلي ولكنه من المسكوت عنه في كتب الرجال النقدية مع وجود اسمه أو لقبه أو كنيته ولم يصرحوا بجرح أو تعديل وهو كثير قد وقع في كتب الأصول الرجالية وبالأخص كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم وكتب النجاشي والطوسي وقبلها طبقات البرقي ، واختلف العلماء في مصير هؤلاء المسكوت عنهم إلى آراء قد تكون متباينة[٣] .

---

(١) العمري ، دراسات ، ص٢٦٨ - ص٢٦٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٦٩ - ص٢٧١ .

(٣) المرجع نفسه ، ص٢٧٦ - ص٢٨٠ .

نماذج استعمالات الإشارة في النقد:

١- استعمال اليد .

وفي جارحة اليد نقد يحيى بن سعيد القطان عمر بن الوليد الشني لما سأله علي ابن المديني عنه فقد ذكر ذلك ابن عدي في كتابه ونقل قول ابن المديني واصفاً نقد يحيى بن سعيد : ((فقال بيده فحركها كأنه لا يقويه ، فاسترجعت أنا ، فقال : مالك ؟ قلت : إذا حركت يدك فقد اهكلته عندي)) ، وفي موضع آخر : ((قال : وسألت يحيى بن سعيد عن الربيع بن حبيب فقال : ... ومال بيده ، كما قلت هو نحو عمر بن الوليد ، فقال : هو نحوه)) ، ومن هذا النص تظهر دلالة الإشارة لأن ابن المديني قد فهم الجرح فلذلك استرجع ، ولكن يحيى القطان استفهم ، فأجابه بعد ذلك بالنص القولي التأكيدي بقوله : ((ليس هو عندي ممن اعتمد عليه ولكنه لا بأس به)) وهذا ينطبق على الاثنين عمر بن الوليد الشني والربيع بن حبيب[١] .

قال عبد الله بن علي بن المديني : سألت أبي عن إسحاق الملطي فقال بيده هكذا ، أي ليس بشيء[٢] ، واستعمل الامام أحمد بن حنبل تحريك اليد عندما سئل عند زيد بن أبي أنيسة ، فحرك يده[٣] .

وممن استعمل الإشارة من المتقدمين أبو زرعة فقد أومأ بيده في نقده لسعيد ابن سنان أبي مهدي ، وفهم منها أنه ضعيف[٤] ، وأومأ إلى فمه كناية عن الكذب وأومأ إلى لسانه[٥] .

---

(١) الكامل ، ج٦ ، ص٨٦ .

(٢) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٢٠٠ .

(٣) العلل ومعرفة الرجال ، ص٨٥ .

(٤) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٤ ، ص٢٨ .

(٥) العمري ، دراسات ، ص٢٧٠ - ص٢٧١ .

وممن استعمل الإشارة باليد أبو حاتم الرازي عندما سئل من قبل ابنه عن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ، فحرك يده وقلبها[١] ، وحرك يده الامام أحمد بن حنبل عند سأله ابنه عن عبد الرحمن بن ثروان[٢] .

٢- استعمال تحريك الرأس :

واستعمل أبو زرعة الرازي تحريك الرأس كدلالة على التضعيف كما وجه ذلك لسيف بن محمد الثوري وعبد الرزاق بن عمر الثقفي وسلام بن مسلم المدائني وغيرهما[٣] .

٣- تغير الوجه والإشارة إلى الفم أو اللسان .

سئل يحيى بن سعيد عن سيف بن وهب فحمض وجهه ، وقال : كان سيف هالكاً من الهالكين[٤] وكذلك فعل وتغيّر وجهه حين سئل عن ميمون أبي عبد الله البصري[٥] ، وعن أبي زرعة من أنه استخدم الإشارة إلى الفم وإن كان حرك يده ولكنه ليظهر تقاسيم الوجه أو ليبين آفة الكذب عن طريق الفم وهي كناية عن كذب من سئل عنه وربما يشير إلى اللسان لصفة الكذاب ، ولما ذكر له عبد الله ابن أبي بكر المقدمي أومأ بيده إلى فيه ، وله تعابير تعرف منها جرح الرواة بتكليح الوجه (التكشر والعبوس) وحصل ذلك لعمرو بن عثمان الكلابي وعبد الله بن نافع المخزومي[٦] .

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٣ ، ص٦٠ .

(٢) العقيلي ، الضعفاء ، ج٢ ، ص٣٢٧ .

(٣) العمري ، دراسات ، ص٢٧١ .

(٤) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٤ ، ص٢٥٥ .

(٥) العمري ، دراسات ، ص٢٧٠ .

(٦) المرجع نفسه ، ص٢٧٠ - ص٢٧١ .

ثالثا : السكوت عن النقد .

هذه حالة قد تكون وسط بين القول والفعل بأن يسكت كبار النقاد في مصنفاتهم الرجالية وتبقى الأسماء بلا لفظ دال على الجرح أو التعديل وقد مارسها كبار نقاد الحديث كالبخاري وأبي حاتم وأبي زرعة وابن أبي حاتم والنجاشي والطوسي ، ويبدو أن اللاحقين لهم قد فهموا أن السكوت يعد من قبيل الرضا بهم والميل إلى توثيقهم ما لم يجرحوا فنزلوا أحاديثهم إلى درجة الحسن في العادة[1] ، واستدل المعاصرون أن السكوت توثيق ولا يعني التجريح أو التجهيل وذكروا من تتبعهم جملة من العلماء من المتأخرين الذي اعتبروا السكوت تعديلاً ، ولكنه لم يوجد نص صريح باعتباره لا عن البخاري ولا عن غيره ، في حين أن هناك من عدّ السكوت من قبل البخاري وابن أبي حاتم عن الرواة تجهيلاً ، وذكر العمري أن هؤلاء من المستورين أي ليسوا بثقات مشهورين ولا بضعفاء معروفين فالسكوت عنهم ليس بتوثيق[2] ، واحتوى كتاب (تنقيح المقال في علم الرجال) للمامقاني على العديد من المجاهيل حتى نقد على ذلك مع أن هؤلاء لابد لهم من قرائن لمعرفة الحكم لهم أو عليهم[3] واستدل الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦ هـ/١٧٩١م) في فوائده قرينة على الموجب للعمل بروايته وفيه دلالة على التوثيق كما في إبراهيم ابن هاشم الذي لم ينص عليه بذم أو مدح[4] ويبدو أن كثرة مروياته ترفعه إلى قبول روايته وتوثيقه فتكون من أسباب المدح والقوة ونص على ذلك العديد من العلماء

---

(١) العمري ، دراسات ، ص٢٧٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٧٦ - ص٢٨٠ .

(٣) القريشي ، صالح جبار عبود ، الشيخ المامقاني ومنهجه في كتاب تنقيح المقال في علم الرجال ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الفقه جامعة الكوفة ، غير منشورة ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ص٣٩١ - ص٣٩٣ .

(٤) فوائد الوحيد البهبهاني ، ص٤٦ ، المطبوع مع كتاب رجال الخاقاني .

النقاد من الشيعة الامامية واعتبروها قاعدة في معرفة الرجال إلاّ أن السيد الخوئي قد رد هذه القاعدة وناقشها وذكر مستندها وبيانه سنداً ودلالة ، فالسند لمدركها ضعيف مع قصور الدلالة[1] والرواية رواها الكشي في رجاله ومتنها هو : ((عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اعرفوا منازل الرجال منا على قدر رواياتهم عنا)) ، وفي رواية أخرى مشابهة مع اختلاف الألفاظ والزيادة[2] .

رابعا : الحسد .

ظاهرة الحسد من الظواهر النفسية الباطنية التي قد تترتب عليها الآثار الوخيمة فتعد من النقد الباطني (الإرادة الباطنية) فتظهر على شكل أفعال أو أقوال تأخذ أثرها في الواقع الاجتماعي ، وذكر الحسد في النص القرآني ، قال تعالى : ﴿مِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[3] ، وله مصاديق في النقد الرجالي ، كنقد يحيى ابن معين الامام الشافعي وقوله : أنه ليس بثقة حتى نهاه الامام أحمد بن حنبل ، ومن حاول إبعاد هذا النقد من ساحة يحيى بن معين رده ابن عبد البر بقوله : ((وقد صح عن ابن معين من طرق أنه كان يتكلم في الشافعي))[4] ، وقد تكلم الثوري وغيره في الامام أبي حنيفة وابن أبي ذئب وغيره في الامام مالك ، والنسائي في أحمد بن صالح المصري ونحوه ، وذكر التهانوي أنه لو اطلقنا تقديم الجرح لما سلم لنا أحد من الأئمة ، إذ ما من إمام إلاّ وقد طعن

---

(١) الفضلي ، عبد الهادي ، أصول علم الرجال ، (بيروت : مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٣٠هـ) ، ص٢٠٧ - ص٢١١ .

(٢) للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٦٣ ، فقد جاء فيه : ((قال الصادق عليه السلام : اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا ، فانا لا نعد الفقيه فقيهاً حتى يكون محدثاً ، فقيل له : أو يكون المؤمن محدثاً ؟ قال : يكون مفهماً والمفهم محدث)) .

(٣) سورة الفلق : الآية ٥ .

(٤) جامع بيان العلم ، ص٤٤٧ .

فيه طاعنون[١] سببه أحد المؤثرات النفسية التي تكثر وتنشط في حالات التقويم والنقد للمتميزين ولم يخل من الحسد والكراهة والبغضاء حتى الصالحين ، وقد تنبه العلماء النقاد لمعالجة هذه الظاهرة النفسية فرفضوا قبول الأقوال النقدية بين الاقران إذا خلى من حجة وبرهان[٢] وهو مذهب الامام البخاري[٣] ومن الغريب أنه لم يطبقه على الامام الصادق عليه السلام وأخذ بكلام يحيى بن سعيد القطان كما ذكر ذلك ابن تيمية[٤] .

وقد رد أبو عمرو الكشي في كتابه طعن القميين في يونس بن عبد الرحمن وعبر عنها بأنها لا تصح في العقل ، وناقش المرويات الطاعنة فيه فابطلها[٥] والغالب أنها من نوع الحسد والغيرة لمكانة يونس القريبة من الامام الرضا عليه السلام .

ومن الحسد ما ذكره يحيى بن سعيد في عمر بن هارون البلخي من أنه أكثر عن ابن جريج وابن جريج هذا زوج أمه كما ذكر مسلم بن عبد الرحمن البلخي ، قال بهز بن أسد : أرى يحيى بن سعيد حسده[٦] ، وكذلك ما اتهم به هشام بن الحكم في مسألة الجسمية جاءه من الحسد لما ورد من مدحه بنص الامام الرضا عليه السلام[٧] قوله : ((كان عبداً ناصحاً اوذي من قبل أصحابه حسداً منهم له))[٨] وفي يحيى بن عبد الحميد الحماني ما تكلموا به

---

(١) قواعد ، ص٩٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٢ .

(٣) العمري ، دراسات ، ص١٠٩ .

(٤) منهاج السنة ، ج٤ ، ص٢٢٤ .

(٥) للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٥٣٧ - ص٥٤٨ .

(٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١١ ، ص١٨٨ .

(٧) الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج٢٠ ، ص٣٢١ .

(٨) الطوسي ، الاختيار ، ص٣٤١ .

عنه إلاّ من الحسد[١] ورد الذهبي : ((الجرح مقدم وأحمد والدارمي بريئان من الحسد))[٢] ، والحسد آفة من آفات أهل العلوم بمختلف الاختصاصات وغير مقتصر على علماء الجرح والتعديل ، بل يمكن أن يقال أنه آفة اجتماعية تنخر في المجتمع لتضعيف الأواصر فيما بين الناس ، فقد يحسد العالم من قبل عالم آخر لمجرد رؤية اقبال الناس إليه دونه او تفوقه في مجال اختصاصه كما حدث مع الحسين بن علي بن الحسن أبو علي الفراء فقد ضعفه محمد بن نصر الخواص لقصد الناس إليه دونه[٣] ، وما جرى على الامام النسائي كله من الحسد ذكره الدارقطني بأنه افقه مشايخ أهل مصر وأعرفهم بالحديث والرجال فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرملة فسئل عن فضائل معاوية فامسك عنه فضربوه في الجامع ، فقال : اخرجوني إلى مكة وهو عليل فتوفي بمكة مقتولاً شهيداً[٤] ، وممن تكلم عنه البغوي في آخر عمره أي حسدوه[٥] وممن حسدوه وتكلموا فيه ابن بكير ، فقال عنه ابن أبي الفوارس : كان يتساهل في الحديث ويلحق في بعض أصول الشيوخ ما ليس منها ويصل المقاطيع[٦] ، وما قيل في الامام الشافعي جاءه من الحسد ومن غير المقبول من الذهبي قوله في معرض الدفاع عن الشافعي بتهمة التشيع بقوله : ((لو كان شيعياً وحاشاه من ذلك)) ، في حين كان تقويم الامام أحمد للامام الشافعي أكثر موضوعية من الذهبي ، إذ أكد على أنه من أهل العلم منحه الله سبحانه

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص١٧٩ .

(٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٥٣٥ .

(٣) ابن عدي ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٦٧ .

(٤) للمزيد ينظر : مقدمة كتاب الضعفاء والمتروكين ، تحق : محمود إبراهيم زايد ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ) ص١٣٩ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج١ ، ص٣٣٩ .

(٥) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٢ ، ص٣٣٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٠١٨ .

وتعالى منه شيئاً وحرمه قرناؤه وأشكاله فحسدوه ورموه بما ليس فيه وبئست الخصلة في أهل العلم[١] ، وممن حسدوه ابن حبان فاتهموه بالبدعة والزندقة والكذب ونهوا عن الكتابة عنه إلاّ أن الناس كان يعظمونه حتى بعد وفاته فيزورون قبره رغم انف الحاسدين[٢] ، وممن حسدوه الامام أبو حنيفة وقد ذكر ذلك الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) فقد جمع في ترجمته من روايات الكذابين والحاسدين مما اضطر بعض العلماء في الرد عليه والنيل منه[٣] ولو فتشنا عن هذه المواقف التقويمية في الجرح والتعديل لوجدنا الكثير منها في المصادر الأولية التي هي الأصول ولوجدنا الردود المختلفة أيضاً منها الموضوعي ومنها غير الموضوعي المتأثر بالعوامل التي ذكرناها ، والأمر اليوم بالبحث عن المعرفة ينكشف ويتعرى الالتفاف عليها ومع كثرة الابحاث والتحقيقات لهذا التراث ما زال يعاني الأدلجة والاقصاء والتهميش للآخر ومحاولات التبرير غير المنطقي أو العرض غي الموضوعي وذلك عند مفكرين معاصرين كبار كأمثال عبد المجيد الشرفي فيسمي علماء الشيعة بالملالي وعلماء السنة بالعلماء مع أن التبادل المعرفي لا يعرف هذا التقسيم أصلاً عند أصحاب النص المؤسس فقد أخذوا علماء الحديث عن عباد بن يعقوب الرواجني وإبراهيم ابن ميمون ودرسوا في الكوفة موطن علماء الحديث في العصور الأولى[٤] بلا محذور أو حساسية فلكي ننهض بإحياء هذا التراث الأصيل لابد

---

(١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٥٨ ، جمعاً بين المتن والهامش .

(٢) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، تحق : شعيب الارناؤوط ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ) ، ج١ ، ص٢٤ - ص٢٥ من مقدمة المحقق .

(٣) للمزيد ينظر : مقدمة الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ، تحق : نور الدين عتر ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥هـ) ، ص٥٠ وما بعدها .

(٤) الربيعي ، حسن كريم ماجد ، (الفكر الاقصائي عند عبد المجيد الشرفي تحديث الفكر الإسلامي انموذجاً) بحث منشور في مجلة المنهج السنة الرابعة العدد الرابع عشر ، ١٤٣٢هـ ، الصادرة من مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر ، ص٢١٤ - ص٢٢٧ .

من إزاحة التراكمات المؤدلجة بكل صورها للخروج بالنص الأساس الذي يقاربنا ونتداول به ونتعايش بلا إلغاء الخصوصيات والهويات التي هي عنوانات للفرد أو للجماعة أو للأمة مع الآخر الفرد والجماعات والأمم .

رابعا : الاتجاه الاقتصادي .

ولهذا الاتجاه أثره في التحديث فقد طلب بعض المحدثين الإجرة مما عد من الذنوب اشتراط الإجرة على اسماع الحديث[١] ، وكان ممن يأخذ على الإسماع أحمد ابن محمد أبو الحسن بن النقور البزاز وقد افتاه أبو إسحاق الشيرازي بجواز أخذ الاجرة على اسماع الحديث لاشتغاله به عن الكسب[٢] .

وممن امتنع عن التحديث للسلاطين مع فقره وحاجته عبد الله بن المبارك وفضيل ابن عياض والأعمش وغيرهم[٣] ، قال عيسى بن يونس : ((ما رأيت الاغنياء والسلاطين عند أحد احقر منهم عند الاعمش مع فقره وحاجته))[٤] ، ومما ينقل عن المحدثين من الصور من الاباء والرفض عن أخذ الإجرة على التحديث مما يجعلهم عند النقاد من أعلى مراتب التعديل وقد عنون الخطيب البغدادي في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) باباً أسماه (من نزه نفسه من المحدثين عن قبول أموال السلاطين ذكر فيه سعيد ابن المسيب وسفيان وعبد الله بن إدريس[٥] وبعضهم جمع بين الحديث والقضاء وعدّ أخذ المال عن الحديث من البيع له والمال الذي يتقاضاه من

---

(١) الامدي ، علي بن محمد ، الإحكام في الأحكام ، تحق : عبد الرزاق عفيفي ، طبع بإذن المحقق ومؤسسة النور عن ط١ ، (الرياض : مؤسسة النور ، ١٣٨٧هـ) ، ج٢ ، ص٧٧ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص١٤٤ .

(٣) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي ، ص١٧٧ - ص١٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٩٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٩٢ - ص١٩٩ .

القضاء من المتهمين رشوة لذا سئل الامام أحمد بن حنبل ايكتب عمن يبيع الحديث ؟ قال : لا ولا كرامة ، ونقل عن أبي حاتم الرازي قوله عمن يأخذ على الحديث : لا يكتب عنه ، وعقب الخطيب البغدادي أن منع ذلك جاء تنزيهاً للراوي عن سوء الظن به ، لأن بعضهم ممن يأخذ الأجر عثر على زيادة وادعاء ما لم يسمع لأجل ما كان يعطى ، ولذلك نقل عن شعبة بن الحجاج قوله : ((لا تكتبوا عن الفقراء شيئاً فإنهم يكذبون لكم))[١] ، وشجع الكتابة عن زياد بن مخراق لأنه رجل موسر لا يكذب وكذلك عن عمارة ابن أبي حفصة وقد رده بعضهم بقوله : ((كم من غني يكذب)) ، مع أن شعبة ابن الحجاج كان معسراً ولكنه يدعو إلى عدم الكتابة عن الفقير[٢] ، ومع هذا هناك مجموعة قد أخذوا الأجرة عن التحديث كعكرمة ومجاهد والفضل بن دكين وكان يطلب من تلاميذه الدراهم ويعقوب بن إبراهيم كان عنده حديث لا يسمعه لغيره إلاّ بدينار ، ونقد أبو عبد الرحمن النسائي علي بن عبد العزيز المكي لأخذه الاجرة وعوتب على ذلك فيما بعد[٣] ، وقد كتبت أئمة النقد في حاجة وفقر المحدثين حتى لا ينالوا الجرح أثر ذلك التحديث فقد جوّز لبعضهم من أمثال الفضل بن دكين فلم يذكروا ما يضعفه لأجل تلك الاجرة التي كان يأخذها لفقره ، وكذلك علي بن عبد العزيز البغوي المكي إلاّ النسائي فقد مقته لأنه يطلب على التحديث ويعتذر بشدة الحاجة[٤] ومع كل هذا أن من يأخذ الاجرة على التحديث يمنع من قبول روايته إلاّ أن يقترن بعذر يزيل خوارم المروءة والظن السيء به ذكر ذلك ابن الصلاح في مقدمته[٥] ، وفي

---

(١) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١٥٣ - ص١٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٥٦ .

(٤) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص١١٧ - ص١١٨ .

(٥) ابن الصلاح ، المقدمة ، ص٩٣ .

ضوء التدقيق في حالة المحدث من جهة الحالة الاقتصادية بين الغنى والفقر ومدى تأثير ذلك في وضع الأسانيد والمتون وبقاء مصداقية وعدالة وضبط الراوي لحديثه ، فقد تنبهوا إلى الوضع الاقتصادي للمحدث ومدى تأثيراته فنقدوه لذلك ، وهو اتجاه علمي دقيق.

خامسا : الاتجاه الاجتماعي وأبعاده.

ويتحقق هذا الاتجاه وأثره النقدي في جملة من الأبعاد المؤثرة في العملية النقدية وهي كالآتي :

١- البعد الشخصي .

إن تدهور العلاقات الاجتماعية الفردية أو ما نسميه الخلافات الشخصية التي لا يمكن في ضوءها البناء المعرفي النقدي لهذا العلم من أن يأخذ أثره ولو اعتبر كان من المناهج غير الموضوعية لا يصلح الاحتجاج به وقد ذكروا بعض الامثلة عن التنافس والتخاصم والعداوة والحقد والحسد الذي وقع بين كبار المحدثين النقاد مما أدى بالتالي إلى نقد الكثير منهم نقداً متأثراً بهذا البعد ولكن العلماء من النقاد قد التفتوا إلى هذه النقود وأبطلوها بتكوين قاعدة عدم قبول أقوال الاقران فيما بينهم كالنزاع بين الامام مالك ومحمد بن إسحاق والنسائي وأحمد بن صالح المصري وغيرها من المنافرات المبنية عن النزاعات الشخصية التي يجب أن تزاح عن طريق البحث العلمي المعرفي ونخلص إلى نتائج بعيدة عن الاقصائية للطرف المجروح أو المعدل ضمن هذا البعد ، فان كثيرا ما تقع المنافرات والسجالات في المجتمع وهي مشخصه لا ينى على ما جاء فيها من اتهامات من هذه الجهة .

نقل ابن عبد البر صورة من صور العلاقات بين العلماء آنذاك ثم تغير هذه الصور بعد ذلك فنقل أن العلماء إذا لقي العالم منهم من هو فوقه كان ذلك

غنيمة وإذا لقي من هو مثله ذاكره ومن هو دونه لم يزه عليه ثم صار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن يقطع منه حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة ، ولا يذاكر من هو مثله ، ويزهو على من هو دونه فهلك الناس[١] وكما هو حاصل آنذاك فهو حاصل في عصرنا اليوم إذ نبحث عن المعرفة ونجد من يطلبها للمباهاة وينتقص غيره بها وهو شعور شخصي يتولد من آفات الكوامن النفسية من الحسد والحقد والهجر والقطيعة نتيجة المناظرات لذا ورد لا تقبلوا أقوال الفقهاء بعضهم في بعض لأن الذي يتكلمون به يكون نتيجة الحسد والغيرة ، ودواء العلم وتعلمه التواضع فهو تاج العلم والعلماء ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : ((التواضع لا يزيد العبد إلاّ رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله ...))[٢] ويبدو أن مرض العلم وآفته الحسد والعجب والفخر[٣] كما نقل عن الامام الصادق عليه السلام ، ولكي تكون أحكام عالم الجرح والتعديل بعيدة عن المؤثرات النفسية واتجاهاتها هو القضاء على هذه الآفات حتى يكون التقويم تقويماً علمياً معرفياً وهو ما نبحث عنه أو نريد افرازه وازاحته عن الخط لكشف الاتجاه العلمي ، لذا نذكر أن البحث العلمي عن الشخصية ومؤثراتها النفسية دخيلة في تلك التقويمات التراثية لعلم الرجال لوجود تلك الآفات وإن خلا منها البعض ممن يحمل الثقافة الإسلامية الحقة والتي تخاف الله سبحانه وتعالى ضمن ثنائية الدنيو- آخروية وتقوية الوازع الداخلي في الأحكام ، ولذا أكد الإسلام في ثقافته النفسية بالتهذيب والاصلاح من علم الطب النفسي ليصل إلى العدالة التي هي ملاك الأمر[٤] ،

---

(١) ابن عبد البر ، جامع ، ص٤٣٦ .

(٢) للمزيد ينظر : الشهيد الثاني ، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد ، (قم : إسماعيليان ، ١٤٢٨هـ) ، ص١٧٠ - ص١٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٢٦ .

ومن ثقافته التقوى أي أن يتقي الإنسان غضب الله سبحانه وتعالى والالتزام بمنهجه وهو ما يعبر عنه اليوم بالرجل الموضوعي في عرضه للأشياء والحكم عليها ، والسيطرة على الدوافع الفسيولوجية الايجابية والسلبية كعاطفة الكراهة والغيرة والحسد وغيرها[1] ، ومن هنا يتضح أهمية هذا البعد فعلى الباحث تشخيص الدوافع للتجريح أو التعديل باعتبار أن الجارح أو المعدل حاكم يمكن استئناف حكمه ومعرفة مواضع الخطأ والصواب ، ودراسة التراث اليوم هي عبارة عن إعادة قراءة التراث لرفع التراكمات التاريخية التي شوهت بعض نتاجه العلمي الزاخر .

٢- البعد الأسري .

اشتهرت اسر علمية في علم الحديث وروايته يشار إليها بالبنان لما لها من جهود علمية تزخر بها الأجيال والحضارة الإسلامية بل الفكر الإنساني ، كانت هذه الأسر العلمية تتنافس في العلم وتورثه كابر عن كابر من أهمها في الفكر الشيعي :-

١- آل أبي رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم المدنيون .

٢- الأشعريون ممن سكنوا قم واعتنوا بالحديث وتشددوا في الرواية والرجال .

٣- آل أبي شعبة الحلبيون .

٤- آل أبي الجهم بنو قابوس اللخميون .

٥- آل نعيم الازدي الغامديون .

٦- آل الزبير الاسديون الكوفيون .

---

(١) للمزيد ينظر : أبو شهبة ، السنة النبوية ، ص١٥ - ص٣١ .

٧- آل اعين .

وربما لم تصل إلينا تراجم الأسر ولكنها موجودة في مطاوي كتب الأدب والتراجم والسير والتاريخ لمن يريد جمع رجال اسرة واحدة مع رجالها في علم الرواية والنقد فضلاً عن العلوم الأخرى ، ومن اقدم ما وصل إلينا رسالة مهمة تعد من انفس الوثائق التاريخية في تراجم الأسر ، إذ الكتاب الذي وصل إلينا هو ترجمة ذاتية مستقلة ترجم فيها المؤلف لنفسه ولاعيان اسرته وهذه الرسالة رسالة أبي غالب الزراري إلى ابن ابنه في ذكر آل اعين وتكملتها لأبي عبد الله الغضائري من اقدم السير الذاتية المستقلة(١) ، ومع هذا فإن الكتاب يعد أقدم إجازة في الحديث وأطولها لأنه مؤلف في سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م وأصبح معتمد أهل العلم في الحديث والرجال في الرجوع إلى اسرة آل أعين ورجالها من أهل العلم في الحديث ، وأبو غالب الزراري كاتب هذه الرسالة أو الكتاب هو أحمد بن محمد ابن محمد أبي طاهر بن سليمان ابن الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين بن سنسن ، ولقب بالزراري نسبة إلى علم هذه الاسرة زرارة ابن أعين ، كانت وفاته سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م ، فهذه الاسرة المعروفة في الكوفة توارثت العلم في الرواية والرجال حتى اشتهرت به فقد جمع أبو عبد الله بن الحجاج المحدثين من آل أعين فكانوا ستين رجلاً(٢) .

وبعد الكلام عن أسرة من الأسر العلمية كنموذج ربما يظهر التقويمات الرجالية متأثرة بهذه الأسس وميولاتها أو معادية لها ولرجالاتها فيكون التقويم غير علمي في هذه الحالة ولأبعاد التحيز للأسر لابد من دراسة هذه

---

(١) أبو غالب الزراري ، الرسالة ، تحق : السيد محمد رضا الجلالي ، ص١٠ - ص١٣ .

(٢) للمزيد ينظر : تحقيق هذه الرسالة من قبل السيد محمد رضا الجلالي ففيه الغنى عن ذكر ذلك ، وهي الطبعة المحققة الأولى عن مركز البحوث والتحقيقات ١٤١١هـ مكتب النشر الإسلامي في قم ؛ وللمزيد في معرفة الأسر العلمية في الكوفة ينظر : البراقي ، حسين أحمد ، تاريخ الكوفة ، استدراك محمد صادق بحر العلوم ، تحق : ماجد بن أحمد العطية ، (قم : شريعة ، ١٤٢٤هـ) .

الأسر دراسة علمية موضوعية تكشف اثار النقد لها او عليها .

ذكر ابن عساكر في تاريخه عن أبي السائب أنهم بيت من أهل دمشق أهل علم وفضل[١] ، وقال أبو زرعة الدمشقي بنو أبي السائب أهل بيت من أهل دمشق أهل علم وفضل وخير[٢] ، وكان لآل أبي صعصعة حلقة في المسجد النبوي وكانوا أهل علم ودراية وكلهم كان يفتي[٣] ، وأسرة آل أبي شيبة مشهورة بالحديث وروايته فمحمد ابن عثمان ترعرع في بيئة علمية فأبوه عثمان روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وكذا عمه عبد الله بن محمد فبيته بيت علم وحديث كما أن الكوفة في عصره كان يشد إليها الرحال لكثرة علمائها[٤] ، وكذلك أسرة ابن أبي الدنيا أسرة خير وفضل وبيته بيت علم وصلاح ، المتوفى في سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م[٥] ، ومن الأسر العلمية أسرة آل ابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ/٩٠٠م) فقد قيل عنه أنه محدث ابن محدث ابن محدث فجده لأبيه الضحاك بن مخلد من كبار المحدثين والحفاظ من تلاميذ الامام البخاري وأحمد ابن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة[٦] وغيرهم ، وأسرة آل أبي يعلى الموصلي (ت٣٠٧هـ/٩١٩م) عرفت بالعلم والفضل[٧] ، والكلام عن هذه الأسر العلمية

---

(١) ج٢٢ ، ص٣١٧ .

(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج١١ ، ص١١٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٣٤ .

(٤) مقدمة كتاب سؤالات ابن أبي شيبة لعلي بن جعفر المديني تحق : موفق عبد الله عبد القادر ، (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ) ، ص١٥ وما بعدها .

(٥) مقدمة كتاب الاخوان لابن أبي الدنيا ، تحق : محمد عبد الرحمن طوالبة عن دار الاعتصام ، ص١٢ وما بعدها .

(٦) مقدمة كتاب الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ، تحق : باسم فيصل الجوابرة ، (الرياض : دار الدراية للطباعة ، ١٤١١هـ) ، ج١ ، ص٩ وما بعدها .

(٧) مقدمة كتاب المفاريد ، لأبي يعلى الموصلي ، تحق : عبد الله بن يوسف آل جديع ، (الكويت : مكتبة دار الأقصى ، ١٤٠٥هـ) ، ص١ وما بعدها .

المنتشرة في الامصار الإسلامية قد تتنافس فيما بينها فيقع التأثير النفسي من أثر الاتجاهات المختلفة وهي كثيرة جداً لمن أراد استقصاء ذلك فاهل كل بلد يكاد يظهر اعتقادهم ضمن خريطة وجودهم وقد تحصل منافسة في تقديم الرواة وتأخيرهم كالمنافسة بين رواة الكوفة ورواة الشام فيكون لأهل الكوفة رؤية نقدية تقابل رؤية نقدية عند الشاميين لاختلاف العقيدة والمنافسة السياسية نتيجة الموروث والصراع الذي زرعته الاتجاهات السياسية وبلا شك ولا ريب أثر هذه الأسر العلمية المتصدية في تقريب رواتها وابعاد غيرها فلابد للباحث معرفة هذه الأسر ووجودها وميولها خوفاً من الوقوع في المؤثرات النفسية في التقويم والنقد وترتيب الآثار على ذلك في قبول الرواية أو ردها من اثر النقد غير الموضوعي للرواة نتيجة هذا البعد .

٣- البعد القبلي والمدني .

اهتم علماء الجرح والتعديل بالأبعاد القبلية والنسبة إلى المدينة وذلك لأهمية معرفة ذلك من جهات متعددة منها معرفة مكان السماع والرحلة والمعتقد وغيرها من الأمور المترتبة على معرفة تلك الجزئيات لذا اهتموا باسم القبيلة أو الولاء ونسبة الراوي إلى مدينته واسم المدينة يعبر عن الاتجاه المذهبي غالباً ، وفي بعض الحالات تعين مهنة الراوي ، وهو لا يحتاج إلى بيان الاحالات لكثرة ذلك وشهرته بين الأصول الرجالية المعتمدة وغيرها عند المسلمين جميعاً ، ذكر الحافظ العراقي أن معرفة الموالي من الرواة من المهمات لما له أثر في ترتب الحكم الفقهي ، وقد صنف في الموالي من الرواة أبو عمر الكندي وهو في المصريين وغيره المنسوبون إلى القبائل ومما يحتاج إليه معرفة الأوطان والبلدان للتمييز بين المشتركات من الأسماء ويميز بين من يقول باللقاء والسماع أو الاكتفاء بالمعاصرة فقط[1] وفي ترجمة الحارث بن حصيرة الازدي ذكر ابن عدي أنه كوفي وإذا

---

(١) فتح المغيث ، ص٣٤٧ ؛ الشهيد الثاني ، علم الدراية ، ص١٧٧ .

روى عنه الكوفيون فهو عامة رواياتهم في فضائل أهل البيت وإذا روى عنه عبد الواحد بن زياد والبصريون فرواياتهم عنه أحاديث متفرقة ثم قال : ((وهو أحد من يعد من المحترقين بالكوفة في التشيع))[١] ومن المكان قالوا بتدليس الاماكن فذكروا العراق ومنه الاعمش والثوري[٢] .

وقد يوثق الراوي فيما حدث به في بلد دون آخر أو عن أهل اقليم دون آخر ، وهو قد يرجع إلى السفر دون نقل كتبه معه لذلك قالوا في معمر بن راشد الازدي حديثه بالبصرة فيه اضطراب كثير لأن كتبه لم تكن معه وحديثه باليمن جيد ، ففرقوا بين المدن وطريقة التحديث[٣] ومع هذه الدقة لا تخلو هذه الأحكام من المؤثرات العقائدية والنفسية فلابد من البحث العلمي الموضوعي لكشف ملابسات التوثيق والتضعيف في نفس الراوي مع اختلاف المكان والزمان .

وكان الامام مالك يعتمد على أحاديث أهل المدينة أكثر من غيرها كما اعتمد ابن جريح على أحاديث المكيين[٤] ، وقد لا يعتمد على مرويات مصر دون مصر آخر لأسباب ودواع مختلف في الاختلاف في العدالة مثلاً لذلك بحث في الجزئيات الدقيقة لمعرفة الاعتقاد والانتماء .

ونقل الخطيب البغدادي رواية عن الامام البخاري قوله : ((رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام ، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر)) ولما سئل : ((يا أبا عبد الله بكماله ؟ ... سكت))[٥] .

---

(١) الكامل ، ج٢ ، ص٤٥٤ .

(٢) الجعبري ، رسوم التحديث ، ص٧٥ .

(٣) العبد اللطيف ، ضوابط الجرح والتعديل ، ص٧٦ - ص٧٧ .

(٤) الحسني ، دراسات في الحديث ، ص١١٤ - ص١١٥ .

(٥) تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٣٣٤ .

وسأل بعضهم ابن عقدة أيهما أحفظ البخاري أو مسلم ؟ فقال كان محمد عالماً وكان مسلم عالماً ثم قال : يقع لمحمد الغلط في أهل الشام وذلك لأنه أخذ كتبهم ونظر فيها فربما ذكر الرجل بكنيته ويذكره في موضع آخر باسمه ويظنهما اثنين وأما مسلم فقلما يقع له الغلط في العلل ، لأنه كتب المسانيد ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل[١] .

٤- البعد الاجتماعي وتوظيف المثل في النقد .

اختلفت الصياغات اللفظية في الجرح والتعديل من ألفاظ مخصوصة بالعلم متعارف بها عند الوسط العلمي إلى ألفاظ أكثر خاصية عند بعض العلماء النقاد فقد تكون هناك جملة من ألفاظ التجريح أو التعديل خاصة لا يستعملها إلاّ الناقد الفلاني أو هي مشتركة ، ولم يقتصروا على ألفاظ المصطلح عندهم بل تعدوا إلى جملة من الاستعمالات الاجتماعية المستساغة وغير المستساغة من الكلام أو ضرب الأمثال ، وربما تصدر من الراوي بعض الكلمات فيترك لهذا كما ترك حديث النضر ابن مطرق أو مطرف فقد سمعه يحيى بن سعيد القطان يقول : ((إن لم أحدثكم فأمي زانية)) فقد صرح يحيى بقوله : ((فإنما تركت حديثه لهذا))[٢] ، فقد ترك حديثه وتعرض للنقد بهذه اللفظة التي لا تليق بمحدث يحدث بحديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وهي اعتبارات اجتماعية وعرفية باستنكار العرف والاجتماع قبل أهل الاختصاص وبالأخص في المجالات الدينية لا يحسن أن يصدر منهم مثل هذا فهذا الجرح أخذ بعده الاجتماعي في التقويم ومن المقرر في هذا العلم أن أهل السفه من الخفة والطيش أو خلط الجد بالهزل أو عدم المبالاة اخلال في العدالة[٣] .

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٢ ، ص٥٨٩ ؛ الحسني ، دراسات ، ص١١٨ - ص١١٩ .
(٢) البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٧ ، ص٣٩٧ .
(٣) مرعشلي ، علم الجرح والتعديل ، ص٩٨ .

ذكر الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية) جملة من العادات الاجتماعية تسقط عدالة المحدث ويحكم النقاد بعدم الكتابة او التحديث عمن يرتكبها كالبول واقفا أو الركض أو التبذل والجلوس للتنزه في الطرقات أو اللعب بالشطرنج أو كثرة الكلام والامتخاط والقيء وغيرها من الممارسات الاجتماعية التي يرفضها النقاد من المحدث بالخصوص[1] .

ومن الشروط الاجتماعية في الراوي البلوغ فقد اختلفوا في اصطلاحهم في متى ينضج المحدث ويتحمل الحديث هل بعمر خمس سنين ؟[2] أو عشر أو عشرين أو ثلاثين ونهاية التحديث هل هي ثمانون أو مائة ؟ أو أنه يرجع إلى الحفظ والضبط والعدالة ولا يتحدد بعمر[3] وفصل القول الجعبري (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) في كتابه (رسوم التحديث) من أن شرط التحمل التمييز بفهم الخطاب لرد الجواب وقد يتمرس أولاً بالحضور وغالب سنه السبع وقول عياض خمس لرواية ابن الربيع فيقع نادراً[4] وقيل : اربع ذكر ذلك القاضي عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) في كتابه (الالماع) ثم نقل رواية اجتماعية في عرف البلدان عن موسى بن هارون تحدد الكتابة عند هذه البلدان فأهل البصرة يكتبون لعشر وأهل الكوفة لعشرين وأهل الشام لثلاثين ، ثم نقل ما يؤيد من قال بالعشرين[5] .

ومن أحكام النقد الواقعي الرؤية للواقع الاجتماعي فقد كان مذهب

---

(١) للمزيد ينظر : ص ١٠٨- ١١٤.

(٢) ابن دقيق العيد ، الاقتراح ، ص٣٢٢ ، فقد روى حديث محمود بن الربيع في صحة السماع لخمس وعلق عليه بأنه راجع إلى الاصطلاح عند المتأخرين ثم ذكر المعتبر وهو الأهلية من الفهم والتمييز .

(٣) الحاج حسن ، نقد الحديث ، ج١ ، ص٢٤٦ .

(٤) ص٩٧ .

(٥) ص٧٣ ، ص٧٤ .

الامام أحمد ابن حنبل في نقد الرجال وقبول الرواية قوله : ((لا أترك حديث محدث حتى يجتمع أهل مصر على ترك حديثه))[1] ، وهذا الإجماع يدل على القبول وإن تكلم النقاد في الراوي وقالوا عنه إلاّ أنه يقبل حديثه ويكتب بخلاف المتروك أو متفق على تركه ، ومجملها ظواهر اجتماعية يحددها الواقع الاجتماعي لكل بلد في قبول الراوي من عدم قبوله .

ومن الاستعمالات الاجتماعية المتعارفة ضرب الأمثال في تركيز أمر أو بيانه بصورة غير مباشرة وأكثر وقعاً في النفس من التصريح أو ما يسمى التلميح فهو ابلغ في الواقع الاجتماعي العرفي بين الناس بل يظل عالقاً في الأذهان أكثر من ألفاظ الجرح المتعارفة .

لقد وظف المثل في مدح الرواة وذمهم مما جمعه محمد علي قاسم العمري في كتابه (دراسات في منهج النقد عند المحدثين) . نذكره مختصراً[2] لاهميته :

١- أحدُ الأحدين :

هو مبالغة في المدح قاله الثوري بحق ابن عيينة وابن المبارك في النضر بن شميل وأبي داود في حاجب بن عمر الثقفي .

٢- اجرأ من خاصي الأسد :

وهو مبالغة في الاتقان والدقة فيه وهو من أعلى مراتب التعديل وقيل: هذا المثل بحق الدارقطني لما قرأ كتاب النسب على مسلم العلوي ولم يؤخذ عليه في ذلك لحن على ما فيه من الشعر والأدب وغير ذلك وهو أعلى مراتب التعديل .

---

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص٣٣٠ .

(٢) للمزيد ينظر : ص٢٩٣ - ص٣٠٤ .

٣- أخسرُ من حمالة الحطب :

وهو مبالغة في الجرح قاله يحيى بن معين بحق ابن أبي معشر وأبي الجنوب والنصر بن منصور .

٤- حاطِبُ ليل :

يطلق لمن يجمع الحديث من غير تقص ولا دراية بالرواية فهمّه الجمع لا أكثر قاله الدارقطني في محمد بن مروان القطان ، وقيل : كذلك في حق سعيد ابن بشير وهو مبالغة في الجرح ، وممن استعمله الشعبي في قتادة السدوسي ، والامام مالك في ابن جريح رغم أنهما من الثقات ، وربما قالا ذلك لمذهب كل واحد منهما في طريقة الرواية وجمعها .

٥- حديثُ خُرافة :

يطلق لمن يحدث بما لا أصل له أو بالأباطيل ومما قيل به إبراهيم بن أبي يحيى وقد كذبه النقاد ، ومن الغريب من باحث إطلاق ذلك قبل التحقيق فإن إبراهيم هذا قد اتفق على وثاقته علماء الرجال من الشيعة واختلف فيه عند نقاد علماء الرجال من السنة فقد وثقه الشافعي وابن الاصبهاني والعجلي في حين لم يصرح ابن عدي وابن عقدة برأي فيه واستبعد بعض منهم أن تكون أحاديثه منكرة[1] وضعفه ابن المبارك ومالك بن انس وابن معين وأحمد واتهم بالقدرية بمذهب جهم بل وبالكذب وفيه ضروب من البدع وغير ذلك[2] ، وقد ترجمه ابن عدي في الكامل بترجمة وافية طويلة ونقل الأقوال في نقده وذكر في آخر الترجمة : ((وهو من جملة من يكتب حديثه وقد وثقه الشافعي

---

(١) عزيزي وآخرون ، الرواة المشتركون ، ج١ ، ص٤٠ - ص٤١ .

(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١ .

وابن الاصبهاني وغيرهما))[١] وهذا يخالف قول العمري عندما نقل أنه كذبه النقاد ولم يفصل بين الذامين والمادحين وساق كلامه على اطلاقه يوهم الباحث أن الاتفاق حاصل على تكذيبه ولا وجود لرأي نقدي في صالحه يوثقه ولم ينقل قول الشافعي وبعض المحققين المعاصرين[٢] .

٦- حيّةُ الوادي :

وهو كناية عن شدة الدهاء والفطنة ويطلق في حق الرجل المنيع وهذا من ابلغ المدح وقد قاله ابن عيينة وفي وصف علي بن المديني .

٧- دقّك بالمنحاز دق الفُلفُل :

وممن استعمله ابن أبي عروبة في حق نفسه وهو من النقد الذاتي ويضرب في الالحاح على البخيل ، وقد أعجبه حفظه وقاله الامام ابن حنبل في حقه لما ورد الكوفة تأكيداً منه على شدة حفظه[٣] ومدى اتقانه ، ولكنه اختلط فمن سمع قبله فذاك صحيح ومن سمع بعده لا يعتمد عليه[٤] .

---

(١) للمزيد ينظر : ج١ ، ص٣٥٣ - ص٣٦٧ .

(٢) وقد رد الدكتور بشار عواد معروف ذلك في تعليقته على ترجمة إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى يمكن تلخيصها بالشكل الآتي :-

١- جاء تضعيفه بسبب الاتجاه العقائدي .

٢- كان عالماً فاضلاً شهد بعلمه من تكلم فيه .

٣- سوء علاقته بالامام مالك مع وجود المنافسة .

٤- أن الامام الشافعي لم ينفرد بتوثيقه .

للمزيد ينظر : المزي ، تهذيب الكمال ، تحق : بشار عواد معروف ، ج٢ ، ص١٩٠ .

(٣) ابن حنبل ، العلل ، تحق : وصي الله بن محمود عباس ، (الرياض : دار الخاني ، ١٤٠٨هـ) ، ج١ ، ص٤٢٨ ، وورد في الكتاب بدلاً من دق حب الفلل ، ج٣ ، ص١٤٨ ؛ وكذلك حب الفلفل في الطبقات لابن سعد ، ج٧ ، ص٢٧٤ .

(٤) ابن عدي ، الكامل ، ج٤ ، ص٤٥٠ .

٨- سِدادُ من عوز (عيش)[(١)] :

ويستعمل في معنى التعديل وهو يضرب في القليل الذي يسد الخلة ، ويقال لمن يكتب حديثه ولا يحتج به ، وذلك قول أبي بكر الأعين في سويد بن سعيد ابن شهريار وهذا المثل قد يراد به عند الاستعمال عبارة تعديل في أدنى المراتب التي تنفع في المتابعات والشواهد .

٩- عصى موسى تلقف ما يأفكون[(٢)] :

وهو من أبلغ الجرح وهو شبيه بالمثل حاطب ليل أي الجمع والكثرة همه بلا تمييز وممن قيل فيه هذا المثل : محمد بن عثمان بن أبي شيبة من قبل مطين وابن خراش[(٣)] ، وربما يفهم من المثل غير ذلك غاية المدح ، ولكن القرائن تدل على الجرح وعلامته التبادر إلى الأذهان .

---

(١) المزي ، تهذيب الكمال ، ج١٢ ، ص٢٥٢ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص٢٤٩ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١١ ، ص٤١٣ ؛ ابن حجر ، التهذيب ، ج٤ ، ص٢٤٠ فقد ورد بصيغة (سداد من عيش) .

(٢) تلقف ما يأفكون مأخوذ من النص القرآني في قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ سورة الأعراف : الآية ١١٧ .

(٣) ابن عدي ، الكامل ، ج٦ ، ص٢٩٥ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص٦٤٢ وجاء فيه : كذبه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وقال ابن خراش : كان يضع الحديث ، وقال مطين (محمد ابن عبد الله الحضرمي) : هو عصا موسى تلقف ما يأفكون ، وقال الدارقطني : يقال أنه أخذ كتاب غير محدث ، وأشار محقق الكتاب : أنه كتاب غير محدث به .

١٠- على يدي عدل[١] :

يضرب للميؤوس منه ويستعمل لنقد المجروح جرحاً ابلغه فهو بمرتبة : هالك وساقط فلا تقبل روايته بحال كما قيل : بمجموعة من الرواة لتضعيفهم مثل جبارة ابن المغلس[٢] وعمر بن حفص[٣] ومحمد بن خالد الواسطي[٤] ويعقوب ابن محمد[٥] ويبدو من استعمالات ابن أبي حاتم لها أنها دالة على الضعف لمن ينقد بهذا المثل .

١١- كلاهما وتمراً :

وهو يضرب في كل موضع خيّر فيه الإنسان بين شيئين وهو يريدهما معاً ، وأصله قول عمرو بن حمران الجعدي وكان يرى ابله ومعه زبد وقرص وتمر فسأله رجلاً قائلاً له : اطعمني من قرصك أو زبدك فقال له : كلاهما وتمراً أي وازيدك تمراً ، وممن استعمل هذا المثل في النقد يحيى بن معين ووجه نقده في مندل بن علي العنزي وأخيه حبان بن علي ولما سأله الدارمي أيهما أحب إليك ؟ قال : كلاهما وتمراً[٦] ، ولكنها ذكرت بألفاظ احدهما ما ذكرناه والآخر للسائل نفسه عثمان بن سعيد الدارمي قال :

---

(١) أصله من العدل بن سعد العشيرة وكان قد ولي شرط تبّع فكان تبّع إذا أراد قتل رجل دفعه إليه ، فقال الناس : وضع على يدي عدل ، ابن السكيت ، يعقوب ابن إسحاق الاهوازي ، ترتيب اصلاح المنطق ، تحق : محمد حسن بكائي ، (مشهد : الاستانة الرضوية ، ١٤١٢هـ) ، ص٢٥٦ .

(٢) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٢ ، ص٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص١٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٤٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢١٥ .

(٦) ابن عدي ، الكامل ، ج٣ ، ص٣٤٨ .

((واحسبني قلت أيهما اعجب إليك فقال كليهما كأنه يضعفهما))[1] ، وكلامه كأنه يضعفهما في اللفظين احب إليك أو اعجب إليك لا تدل على الضعف فإن مندل : ليس به بأس ، وحبان : صدوق فعلى اقل تقدير أنهما ليس بهما بأس ، كما ذكر ابن عدي أن أحاديث حبان صالحة وعامة حديثه افرادات وغرائب وهو ممن يحتمل حديثه ويكتب[2] ، وليحيى بن معين قول فيهما فقد نقدهم بقوله : ((حبان ومندل فيهما ضعف))[3] ، ويمكن جمع الأقوال لناقد واحد فإذا حصل التعارض لابد من البحث عن المرجحات أو آخر الأقوال للناقد .

ونقل الخطيب البغدادي بسنده عن ابن خراش الذي نقل رأي ابن معين فيهما وهو رأي آخر غير ما ذكر فقال عنه حبان بن علي ومندل بن علي صدوقان[4] وهذا يستدعي البحث عن أسس هذه الآراء النقدية ونقدها ، وقد ذكرهما النجاشي بقوله : ((مندل بن علي العنزي واسمه عمرو واخوه حيان (كذا) ثقتان رويا عن أبي عبد الله عليه السلام))[5] .

١٢- نسيج وحده :

وهو مثل يضرب في مدح الرجل المنقطع النضير وهو أعلى مراتب التعديل ، استعمله عبد الرحمن بن مهدي وفي وصف ابن المبارك[6] والامام أحمد في

---

(١) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٤٨ ، ص٣٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٤٨ .

(٤) تاريخ بغداد ، ج٨ ، ص٢٤٩ .

(٥) الرجال ، ص٤٢٢ .

(٦) ابن أبي حاتم ، الجر والتعديل ، ج١ ، ص٢٦٨ .

وصف عبد الله بن إدريس[١] هذا المثل ، وقيل : عمير بن سعد الانصاري نسيج وحده لقب به[٢] .

١٣- سليم الجنبة :

معناه سليم الأحاديث والطريقة ، وربما اختلفت تعابيرهم بين سالم الجنبة أو سليم الجنبة ، وقيل هذا لأحمد بن محمد بن عاصم[٣] ولعبد الله بن أبي عبد الله ابن خالد[٤] وغيرهما .

١٤- أحاديث بقية كن منها على تقية فإنها غير نقية :

وهي من الأقوال التي جرت مجرى الأمثال ، قال أبو حاتم : سألت أبا مسهر عن حديث بقية بن الوليد فقال : ((احذر أحاديث بقية وكن منها على تقية فإنها غير نقية)) ، ولكن له أحاديث صالحة وبعض رواياته يخالف بها الثقات ، فإذا روى عن أهل الشام فهو ثبت وإذا روى عن غيرهم خلط[٥] .

١٥- كان فسلاً :

الفسل وهو الرذل النذل لا مروءة له ، استعمله شعبة بن الحجاج في سيف ابن وهب التيمي وميمون البصري الكندي أي أنهما ضعيفان وأحاديثهما ضعيفة[٦] .

---

(١) ابن حنبل ، العلل ، ج١ ، ص٤٣٦ ؛ ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٥ ، ص٩ .

(٢) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٢٢ ، ص٣٧٢ ، ج٣٥ ، ص٥٦ .

(٣) الطوسي ، الفهرست ، ص٧٣ .

(٤) النجاشي ، الرجال ، ص٢١٩ .

(٥) للمزيد ينظر : ابن عدي ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٥٩ - ص٢٧٦ .

(٦) مقدمة كتاب الكامل في ضعفاء الرجال ، ج١ ، ص٥٤ .

١٦- جِمال المحامل :

أو جمازات المحامل أو ليس من أهل القباب ، واستعمله الامام مالك في عطاف ابن خالد بن عبد الله بن العاص ، تستعمل في التوثيق كما تستعمل في التجريح إذا سبقت بـ (ليس)[١] .

١٧- ما أشبه حديثه بثياب نيسابور :

استعمله إبراهيم الجوزجاني في تجريح وتضعيف إسماعيل بن عياش ، ويضرب في أهل نيسابور وبيعهم الثياب فيضعون أعلى الأثمان كي يغروا بها المشتري ولعلهم اشتروها بأبخس الأثمان[٢] .

١٨- في دار فلان شجر يحمل الحديث :

استعمله علي بن المديني بل هو من مفرداته في تجريح اثنين من الرواة عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة وخليفة بن خياط[٣] .

١٩- لا يكتب عنه إلاّ زحفاً :

من مفردات أبي حاتم الرازي واستعملها في خمسة من الرواة ، خالد بن إلياس أو اياس بن صخر بن أبي الجهم بن حذيفة لم يوثقه أحد من النقاد وعبد الحكم بن عبد الله القسملي لم يوثقه أحد واتهمه البعض بالوضع ، قال البخاري : منكر الحديث ، وعبد الخالق بن زيد بن واقد الدمشقي ضعفه النقاد ولم يعدله أحد منهم ، وداود بن عطاء المزني لم يوثقه أحد ، وحمزة بن نجيح

---

(١) مقدمة كتاب الكامل في ضعفاء الرجال ، ج١ ، ص٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٥ .

أبو عمارة يكتب حديثه زحفاً كسابقيه[1] .

٢٠- كان ممن اخرجت له الأرض افلاذ أكبادها :

استعمله ابـن حبـان في تجـريح الـرواة وقالـه في محمـد بـن عبـد الـرحمن البيلماني[2] .

٢١- قد عرفته :

استعملها عبد الله بن المبارك في عبد السلام بن حرب ، وهي تشير إلى التضعيف[3] .

٢٢- اتق حيات سلم لا تلسعك :

استعملها ابن المبارك في سلم بن سالم البلخي وكان يكذبه[4] .

٢٣- دجال من الدجاجلة :

استعمله الامـام مالـك في محمـد بـن إسـحاق صـاحب المغـازي والسـير ، واحتاط الأئمة والحفـاظ مـن المحدثين في قبـول هـذا التجـريح ، واسـتعمله ابـن حبان في محمد ابن أبي الزعيزعة[5] .

---

(١) مقدمة كتاب الكامل ، ج١ ، ص٥٦ .

(٢) مقدمة كتاب الكامل لابن عدي للمحققين وهي مقدمة علمية ذات فائدة كبيرة ، ج١ ، ص٥٧ ، ص٥٨ ، نقلت بتصرف .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٧ ، ص٥٨.

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٧ ، ص٥٨.

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٧ ، ص٥٨ .

٢٤- فلان يزرف الحديث :

قيل بتجريح محمد بن السائب بن بشر الكلبي أي يكذب[١] ، وقد فسر الزريف بالزيادة ، ومع هذا فله أحاديث صالحة[٢] .

٢٥- قد فرغ منه منذ دهر[٣] :

استعمله الجوزجاني في تجريح حفص بن سليمان الأسدي[٤] .

سادسا : الاتجاه العلمي .

وهو أهم الاتجاهات الذي يكشف عن غيره من الاتجاهات التي ذكرناها ، وعند دراسة التراث الإسلامي يكون هذا الاتجاه هو القدوة في الأبحاث العلمية والمعرفية الخالصة ، أن هذه الأبحاث التي لا يمكن أن تحيط بالنتاج الحضاري في هذا المجال إذ استوعب علم الرجال جزئيات المسائل الدقيقة فيما تخص الراوي والمروي وفيما يخص الأول هو الأكثر تفصيلاً بالبحث عن الاسم والكنية والقبيلة والمولد والوفاة والرحلة والسكن والاقامة ثم اللقاء والمعاصرة وذلك في علم الطبقات ومعرفة سماع الرواة وبلدانهم وأسرهم وميولاتهم والمدن ورواتها من المشاهير وغيرها من التفصيلات الدقيقة فيجد الباحث نفسه أمام معلومات هائلة ونتاج فكري هائل عند مختلف المدارس الإسلامية منذ النشأة حتى نهاية القرن الخامس الهجري تطور تطوراً هائلاً واستمر في التطور والبحث إلى يومنا الحاضر .

---

(١) مقدمة كتاب الكامل ، ج١ ، ص٥٧ ، ص٥٨ .

(٢) للمزيد ينظر : ابن عدي ، الكامل ، ج٧ ، ص٢٧٥ - ص٢٨٢ .

(٣) مقدمة التحقيق لكتاب الكامل في ضعفاء الرجال ، ج١ ، ص٦٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٦٩ .

أمام هذا النتاج من المصادر الأولية ومنها الأصول الرجالية التي احتوت مئات الآلاف من الأسماء وتفصيلات دقيقة واسعة مع وجود إجمال لبعضهم أو اهمال أو اعداد من المجاهيل لعدم معرفة وثاقتهم ومع هذا فان هذه المنظومة الفكرية تحتاج إلى إعادة قراءة واعية بهذا الاتجاه العلمي لكشف المنظومات غير الموضوعية والتي أدت إلى اختلال في الفكر الإسلامي نتيجة البناءات على الأسس الهشة مما أدى إلى تصدع في البنية الفكرية وتعرض الفكر الإسلامي إلى هزات نقدية داخلية وخارجية مستمرة إلى اليوم بنقد المسلمات والثوابت ليصبح العلم بلا رأس مال فلا يثبت ثابت حتى في المسائل الأخلاقية بين الشعوب فكل شيء متغير ، حتى النص القرآني فهو نص تاريخي انتهى أمده أو أنه نتاج بشري وغيرها من القرارات التي بنيت على أسس هشة كانت متأثرة بالاتجاهات التي مر ذكرها ولو كانت الافكار معاصرة فهي لاتخلو من المؤثرات ، فلابد من البحث عن الأسس المنهجية لوقاية هذه المنظومة التقويمية والوصول إلى التقويم الموضوعي من بين تلك التقويمات المتأثرة بالاتجاهات التي غيّرت الجرح إلى تعديل أو بالعكس ، أن معالجة علماء النقد لكل التلاعب في السنة النبوية بطريقها الأول كانت له الآثار الكبيرة على الفكر الإسلامي ولكن إذا كشفنا عن هذا التلاعب الخطير في التقويمات الرجالية وأن بعضها لم يكن إلاّ متأثراً ، يمكن إيجاد الأسس في التقويم العلمي الذي اعتمده العلماء من النقاد وكانوا يحرصون كل الحرص على سلامة ايصال السنة النبوية الصحيحة إلى الأجيال بعدهم فقد بيّنوا لنا أدق التفاصيل عمن يعمل مع السلطة أو يأخذ الأجرة أو الجرح المفسر أو البناء على العدالة أو رد جرح الاقران أو المختلف بالعقائد وغيرها من المعالجات العلمية يمكن كشفها بالنظر إلى مشاريع علماء النقد الرجالي ومدى نياتهم في حفظ العلم وتبليغه بإيجاد القواعد لمواضيع عامة وكلية في الجرح أو في التعديل وإن لم يصرحوا بها لظروف واقعية واختلاف في التيارات السياسية السائدة

آنذاك ، لذا لا يصح قول جورج طرابيشي على اطلاقه بأن علم الرجال علم ايديولوجي بقدر ما تعرف الايديولوجيا بأنها وعي غير مطابق لواقعه[١] ، وبالتنقير المعرفي يتضح لجورج طرابيشي مدى استغلال الاتجاه السياسي وترويجه لما يوافق وما لا يوافق فإن هذه المنظومة لم تتحرك للرد والقبول إلاّ بمحرك يمتلك المؤهلات المادية والأهداف والغايات في الوصول فكل ظاهرة تحركها عوامل لم تسلط عليها الضوء ويبقى الكلام على الظاهر كأنه مسلم ، هذا العلم الاسقاطي كما عبّر طرابيشي بين المطابقة وعدمها أوجده السلطان الحاكم آنذاك باسم الدين وشرعيته الزائفة يضعها الراوي في قلب القيم الأخلاقية عند الحاكم واستغلال ذلك لرد خصومه واسقاطهم بنظر العامة ، ولأهميته استغل استغلالاً بشعاً فأصبح ايديولوجي يسوق لمفاهيم الحاكم وإرادته ، ورغم ذلك لا يمكن إطلاق المنظومة برمتها إلى الخط الايديولوجي ، لأن الخط والاتجاه العلمي متأصل فيه أصلاً وإن شابه التشويش والضبابية وذلك لكثرة ما تداخل من إيجاد ثقافة الضد أمام المعروف المتداول كما حدث في الوضع المبرمج أمام المعروف ما يضاده وهو يخلق ثقافة عدم المسلم به وهو ما تنامى من شعور في الحركة العلمية المعاصرة .

ولو نسأل طرابيشي لماذا انقلب علم الرجال من علم متبوع إلى تابع ؟[٢] فقد حكم على المنظور الظاهري ولم يتكلف البحث في التنقير المعرفي لكشف التحول الخطير من المتبوعية إلى التابعية ، وما هي الاتجاهات التي غيّرت وحوّلت المنظومة المعرفية إلى منظومة تعتمد التسويق الايديولوجي ، وبعد حذف المؤثرات المختلفة يظهر بوضوح الخط المعرفي في أصل وجود السند والاسناد وجزئياتهما المفصلة تفصيلاً دقيقاً قد لا يوجد في غيره من العلوم

(١) من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث ، (بيروت:دارالساقي،٢٠١٠م) ، ص٥٩٦ .

(٢) من إسلام القرآن ، ص٥٩٧ .

بهذا التركيز والعمق في جميع مفاصل المنظومة التي فكّر فيها العالم والمصلح قبل الحاكم الذي يغير المعادلة والظاهرة لصالحه فتطغى الأشياء التي يسوقها وتضييع الحقائق أو الأسباب التي من اجلها وضعت الافكار والقواعد والأسس ، ولمعرفة ذلك لابد من كشف الدواعي والاتجاهات والدوافع لكل ظاهرة بتاريخ النشوء والأسباب ومراحل التطور وإزاحة المدخولات إلى هذه الظاهرة بمنهج البحث عن العناصر القريبة والعناصر البعيدة التي استقربت نفسها وتحكّمت وصادرت أصل وجودها ، اقصد التقصي والتنقير في أصل الظاهرة الاساندية والسندية لا الحكم الظاهري السطحي فإن التعامل مع النتاج الحضاري ليس بالعمل الهين كما يتصور من يدّعي الفكر والبحث العلمي الموضوعي فلابد من دراسة الظواهر بتجرد واندفاع لمعرفة الحقيقة المعرفية أو الوصول إلى الأقرب منها .

هذه المنظومة من جدلية الجرح والتعديل مع المؤثرات يستكشف منها العملية والعلمية وإن تداخلها الوضع إلاّ أنه بالبحث والتنقير يظهر الاتجاه العملي التقويمي في الأصول النقدية الرجالية وفي غيرها .

يظهر من التتبع في مفاصل هذا العلم أن سيرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم في تحديد مفاهيم هوية وشخصية المسلم بثقافة الإسلام هي الخط الحضاري المميز لهذه الشخصية فقد اقرّ كثيراً من المفاهيم لتقوية القيم الأخلاقية في القول والفعل فالصدق مثلاً يقابله الكذب وهو مذموم غير ملائم مع الشخصية الإسلامية ولكنه مورس كثيراً وفي عهده لذا حذّر المسلمين من هذه الشخصية التي طبعت بطابع نفسي مرفوض في البناء الشخصي للهوية الإسلامية ومنه انطلق الأئمة عليهم السلام في التحذير من هؤلاء والأشد في نقل أخبار النبي صلّى الله عليه وآله وسلم واخبارهم ، ولذا حددوا صفات الراوي واعتمد عليه أصحابهم من كل الطبقات بعدهم ، وذلك لخطورة نقل

النص الشارح المفسِّر للنص النازل وهي منظومة الشريعة بكاملها عن هذا الطريق .

لقد تنبّه نقاد الأصول الرجالية إلى هذه الخطورة فنقلوا بشروط وصفات محددة في الناقد للرواة وإن كان اغلب الأصول هي عبارة عن نقل تاريخي عن الآراء النقدية التي سبقت عصورهم وإنما ترجم إليها لفقد تلك الأصول المؤسسة واستيعاب هذه الأصول لما ذكر ، تعتمد المدرسة الشيعية في اسنادها الانتهاء إلى المعصوم من النبي أو الامام وإنما أكثروا من الامام للوثوق بنقله إلى أقصى درجة وأن تداخل الوضع عليهم ولكن يمكن كشفه حسب القواعد الموضوعة لكشف السند والمتن ، هذه المنظومة بيّنها الامام الصادق عليه السلام في بيان اتصال سنده بالنبي عن طريق آبائه وأجداده وأن نقله للرواية عن هؤلاء المتفق عليهم في الوثاقة والضبط والعدالة لا ينكره أحد من المسلمين ضمن الاتجاه العلمي[1] وبهذا ، فلا قيمة لمن يذكر قطع أسانيد الأئمة بعد بيان أصل مصادر رواياتهم والطريق إليها فالرواية المنقولة مباشرة عن أحد الأئمة لا يظن بها الرفع أو الارسال لأنها متضمنة الطريق بعد بيان وجه الاتصال وكشف مصدر المعرفة يبقى اعمال القواعد الموافقة لأصل النظرية أما عدم السماع لمثل هذه الروايات ثم ردها ورد سندها غير موضوعي لأن الاتجاه السياسي قام بعملية تهميش واضحة باعتباره جهة معارضة غير مسموح بنشر أحاديثها التي قد تكون في تصور السلطة وتابعيهم أنها من المنكرات أو الغرائب أو حتى الأساطير أو عبارة غير محفوظة ، ومن نظر بانصاف إلى تقويمات الكوفيين يتلمس ذلك واضحاً بعد تحديد اتجاهات الحاكم وموضعه واتجاهات المعارضة وموضعها ، فقد حددوا بالرؤية النقدية المناطقية وانتمائها .

---

(١) الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٥٣ .

ويـذكر الامـام الصـادق عليـه السـلام سـنده بالأسمـاء لتركيـز ثقافـة مـدى الاتصـال بالرسـالة وينبوعهـا الأصيل وهـو تصـريح في الواقـع ومعلـوم ضـمناً عندما ينقل الامام عن النبي مباشرة ، ولكنه قد يـذكر الطريـق بتمامـه لرفـع مـا يختلج في قلـب السـامع أو التنبيـه علـى أن مصـدره الوحيـد عـن طريـق واحـد يتصل بصاحب الرسالة[1] ، أن رواة الأحاديث عـن هـذا الطريـق المتفـق علـى رواتـه ولا يقبـل فيهم الجرح لهو اسـلم الطرق للوصـول إلى المصـدر الأول ، ولكـن بعـد اعمـال القواعـد المعرفيـة وإزاحـة العناصـر البعيـدة مـن المتـأثرين بالاتجاهات التي ذكرناها ، وعلى هذا يكون سندهم أعلى الأسانيد في المنظومة الحديثية ، ويمكن كشف الاتصال عبر ثلاثة قرون عبر هذه السلسلة من الأئمة فتصبح الأسانيد وقد أحكمت فهي الطريق الوحيد بل الأوحد لولا الاتجاهات السياسية وغيرها التي اضعفت وهمشـت الطريقـة المثلى في اسـتمرار الاتصـال بنفس النبي كحامل للنص النازل مع النص الشارح حملته هذه السلسلة المتفق علـى وثاقتهـا وضـبطها وحفظهـا وامانتهـا لاقـربيتهم وخصوصـياتهم الرسـالية المعروفة واتجاهـاتهم المعرفيـة ، ويمكـن كشـف المـدخولات فيهـا بسـهولة بخـلاف المنظومة السنية التي تعتمد الطبقات للوصول إلى أساس الرواية ولما يرد مجهول تضعف إلاّ الطبقة الأولى تسلم من الجرح ، في حين أن المنظومة الشيعية تعتمـد المروي السـندي حتـى القـرن الثالـث بسلسـلة معروفـة مـن الائمـة تنتهـي الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ولاجود للمجاهيل فيهم أبداً اذا قصـدنا منتهى السـند وهـو المعصـوم عندهم الـراوي عـن ابائـه واجـداده ، وفيهـا قـول واحد عدول ثقات من احفظ الناس وأضبطهم بالإجماع بـين المسلمين إلاّ مـا شذ فلا يقبل قوله في إمام من الأئمة .

فمن الانصاف ذكر الإسناد عبر هـذه القـرون بسـند معتبر فمـثلاً لـو اخـذنا

---

(١) المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ج٢ ، ص٢٢٥ .

الرواية عن الامام الحسن العسكري عن آبائه وأجداده فلا يتخلل ذلك من الضعاف أو المقدوح فيهم بأي لفظ من ألفاظ الجرح في أي أحد منهم ، ولم يتطرق النقاد لجرحهم أو التشكيك بمصداقيتهم ، فنقل الرواية بهذا الشكل يحتاج إلى دراسة معرفية وإبراز الجانب الايجابي المشرق لحفظ السنة النبوية .

كان الأئمة من كبار النقاد لحملة الآثار منذ عهد الرسالة ونشأة علم الجرح والتعديل الذي وضع قواعده وأسسه الأولية الامام علي وتبعه أولاده من الأئمة فقد وثقوا وجرحوا فمن وثقاه أخذ حكمه الواقعي ومن جرحاه كذلك ، وهو المنهج المعرفي المبحوث عنه ولكن لا يمكن إلغاء أو تهميش أو اقصاء دور أئمة النقد والخط المعرفي في المدونة الرجالية الواسعة التي استوعبت المفردات الرجالية الكلية والجزئية ووصلت إلينا لنقرأها قراءة واعية بالبحث عن المشتركات الفكرية بين المسلمين بلا اقصاء أو تهميش أو إلغاء أو تسقيط الآخر ، ولابد من الانفتاح على هذا النتاج الفكري الهائل الذي لازال الكثير منه مخطوطاً في مكتبات العالم غير مسموح النظر به لاعتبارات وموانع ايديولوجية .

ومن الاتجاه العلمي ما ذكره ابن عدي في ترجمة الحارث بن حصيرة مع أنه من المحترقين بالكوفة في التشيع وعلى ضعفه يكتب حديثه[1] ، وليس الكلام هنا عن الاختلاف في العقيدة أو غيرها لأن الكلام قد مر ولكن الكلام كل الكلام عن الاتجاه العلمي بعيداً عما ذكرنا فيكتب حديثه وينظر حتى يظهر موافقته أو مخالفته لأصول النظرية الإسلامية كنظام حياة لهذا الإنسان مع الإيمان بواقعه كما وضح ذلك النص القرآني وما يفسره من نصوص السنة المروية عن طريق الرواة .

---

(١) الكامل ، ج٢ ، ص٤٥٤ .

ومن النقد ما نقل عن وكيع بن الجراح الكوفي (ت١٩٧هـ/٨١٢م) من أنه لم يقبل الرواية عن أبيه ما لم يكن مقروناً بغيره إلاّ نادراً[١] ، وكان يسأل عن الشيء الذي لا يعرفه غيره فعندما تأخذه الحيرة أو الشك يسأل عنه غيره مع ما له من العلم والمعرفة ، فقد عبر عنه الامام أحمد بن حنبل : ((ما رأيت أحداً أوعى للعلم منه ولا أحفظ ... ما رأيت وكيعاً شك في حديث إلاّ يوماً واحداً فقال : أين ابن أبي شيبة ؟))[٢] ، وربما جاءت استقلاليته العلمية بابتعاده عن الاتجاه السياسي كما صرح الامام أحمد بن حنبل من أن وكيعاً لم يتلطخ بالسلطان[٣] ، وهي إشارة على استقلاله العلمي وحفاظه على مركزه بين العلماء ، ويبدو أن ثقافة النقد ونقده لم تترك المجال الفكري والعلمي لسيطرة الايديولوجيا، فقد نقل عن الامام أحمد بن حنبل ما يخالف الحديث الذي ذكرناه في وكيع فقد نقل عنه : ((اخطأ وكيع بن الجراح في خمسمائة حديث))[٤] ، وضعف أبي داود السجستاني صاحب السنن المتوفى ابنه عبد الله بن أبي داود (ت٣١٦هـ/٩٢٨م)[٥] ، وقال الدارقطني عن عبد الله ابن أبي داود أنه ثقة كثير الخطأ ، وتكلم فيه أبوه وإبراهيم بن ارومة ، ومع هذا فإن التضعيف أو بيان ذلك والاعتذار عنه في بعض الكتب يحتاج مزيد عناية[٦] ، أن تصريح مثل : ((ابني عبد الله كذاب)) وقول ابن صاعد : ((كفانا ما قال أبوه فيه)) وهذا التقويم قد أخذ مأخذه بين النقاد ، وربما ذكر

---

(١) العمري ، دراسات ، ص٣٢ .

(٢) ابن حنبل ، العلل ، ج١ ، ص١٥٢ .

(٣) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٩ ، ص٣٧ .

(٤) ابن النجار البغدادي ، أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن ، كتاب الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي ، تحق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ) ، ص١٠٤ .

(٥) العمري ، دراسات ، ص٣٢ .

(٦) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٢ ، ص٧٧٢ .

التضعيف من أن عبد الله يطلب القضاء وسماه أبوه بلاء ، ونسب إلى النصب إلاّ أنه اظهر بعد ذلك فضائل الامام علي ثم تحنبل[١] ، مع هذا فقد تحتاج هذه التقويمات إلى معرفة الأسس والأسباب الموجبة للتضعيف فإذا كانت من الاختلاف بشتى صنوفه فيحتاج إلى وقفة وتأمل ومع ذكر التضعيف لأبي بكر عبد الله بن أبي داود ، قال عنه ابن عدي : مقبول عند أصحاب الحديث[٢] .

ومثل هذا الاتجاه له نماذج وأمثلة كثيرة فعلى سبيل المثال لا الحصر لما سئل علي بن المديني عن أبيه قال : ((سلو عنه غيري ، فاعادوا المسألة فأطرق ثم رفع رأسه فقال : هو الدين أنه ضعيف)) ، ومثله في وكيع بن الجراح في تضعيف والده لكونه على بيت المال يقرن معه آخر إذا روى عنه ، وأبو داود قد جرح ابنه بلفظ صريح : ((ابني عبد الله كذاب)) ، وأن السخاوي قد بذل جهده في تأويل هذا الجرح ، وغير ذلك من الأمثلة[٣] وهذه النصوص إشارات واضحة إلى أن هذا التراث النقدي يحتاج منا قراءة معاصرة تجديدية في كشف الاتجاه العلمي والاستفادة منه في البناء الحضاري المعاصر .

ونقل السخاوي أن الخوف من الاستبداد السياسي والتعصب الديني ربما كان هو السبب في اعراض أهل الجرح والتعديل عن كشف أحوال الرواة وهو يشبه التقية من السيف والضرب بل هو ما زال في كل دولة قائمة يصف المؤرخ محاسنها ويغضي عن مساوئها[٤] ، وهذا الذي ذكره يبين أثر الاتجاه السياسي في علماء الجرح والتعديل بسكوتهم عن الرواة مداراة وخوفاً وتقية من اضطراب الأحوال السياسية وتشعبها واختلاف اتجاهاتها الفكرية والمذهبية .

---

(١) ابن عدي ، الكامل ، ج٥ ، ص٤٣٥ - ٤٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٤٣٧ .

(٣) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، ص١٢٠ - ص١٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٢٩ .

إن آفة المجروحين تكفير الناس بعضهم لبعض وهو موجود قديماً وحديثاً وهي عبارة السخاوي في كتابه (الإعلان بالتوبيخ)[١] ، فإذا علمت المنافسة والاختلاف وغيرهما من الأمور غير الموضوعية يجب الاتجاه إلى صوب العلمي المعرفي ، وقد نهى الامام الشافعي استعمال لفظ كذاب فقد رد قول المزني وقد سمعه يذكر راوياً ويصفه بالكذاب ، فقال له : ((يا أبا إبراهيم اكس الفاظك أحسنها ، لا تقل كذاب ، ولكن قل حديثه ليس بشيء))[٢] .

وكشف الامام البخاري عن منهجه في النقد عندما عوتب على كتابه التاريخ في الرجال ، قال : ((إنما روينا ذلك ولم نقله من عند أنفسنا))[٣] ، ويظهر ذلك في تتبع ألفاظه في الجرح والتعديل ، وفي الجرح بالخصوص يستعمل النقل عن غيره غالباً فيقول : سكتوا عنه ، فيه نظر ، تركوه ونحو ذلك وربما يقول : كذبه فلان أو رماه فلان بالكذب ، ونادراً ما يقول : كذاب أو وضاع[٤] ، وعن ايوب السختياني (ت١٣١هـ/٧٤٨م) انه نقد راو فقال : ((هو يزيد في الرقم))[٥] ، هذا الاسلوب في النقد غير المتشنج يبدو اقرب للموضوعية من النقد اللاذع الذي يظهر منه التعصب الواضح أثر المخالفة فيتجه اتجاهاً سلبياً في النقد ، ولم نجد للنجاشي أي أثر للاختلاف مع يحيى بن سعيد القطان رغم كلامه في شأن الامام الصادق فقد ذكره في رجاله بالثقة الراوي عن الامام الصادق وذكر سنده إليه[٦] ، وعلى هذا يكون الناقد العلمي متحرزاً عن الأهواء والاتجاهات حتى يستطيع أن يحكم بما يرضي الله

---

(١) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، ص١٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٩٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

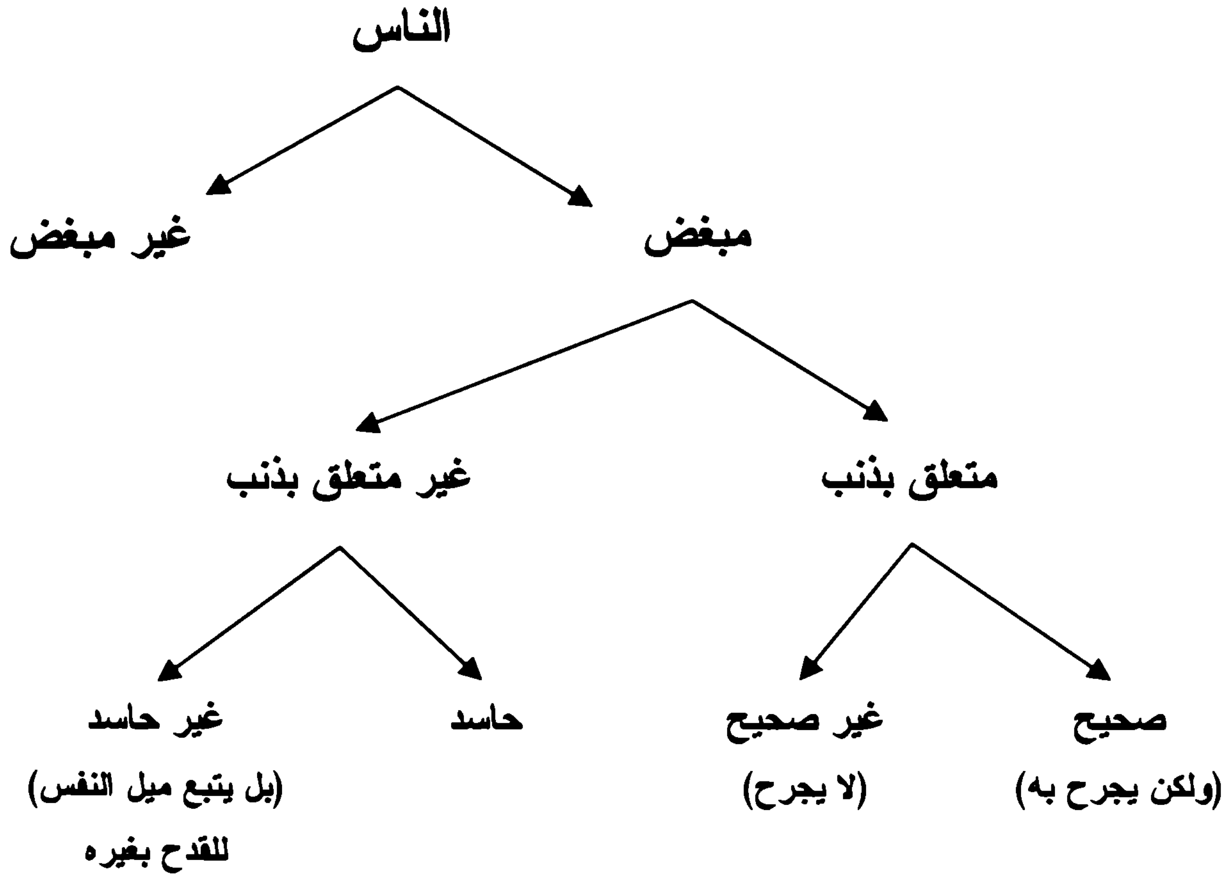
(٦) ص٤٤٣ .

تعالى لأن العواطف والغرائز والمؤثرات تتجه بالناقد كما قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا[1]

مخطط التردد في قبول الجرح

كما ذكره صاحب المعالم حسن بن زيد الدين العاملي (ت١٠١١هـ)



وعلى هذا فالتهمة شائعة ولا يحصل بازائها في جانب المادحين فالسكون إليهم ما لم يحصل معارض راجح والسكون إلى القادحين ما لم يحصل معارض مرجوح[2] .

---

(١) الشعر ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ولم يذكر قائله ، ص١٢٣ ؛ والشعر لعبد الله ابن معاوية بن جعفر المعروف بالطالبي ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢١٩ .

(٢) التحرير الطاووسي ، ص٢٧ .

الفصــل الـرابـع

مقاربات في نظرية نقد النقد

عند المحدثين في الإسلام

نظرية نقد النقد

قسم علماء أصول الفقه الأوامر الإلهية إلى :

١- أوامر مولوية .

٢- أوامر إرشادية .

والأول هو عبارة عن النص بكل أشكاله الذي يمتلك السلطة على المكلف التابع له ، وهذا النص يحتاج إلى بيان وتفسير وقد يحتاج إلى تأويل وهي ممارسات عقلية في الاختيار والانتقاء إذا تعددت القراءات حوله بتعدد اللحظات ، وهناك اتفاقيات اجماعية حول الكثير من النصوص القرآنية إلاّ أن توسع الجزئيات على حساب المفاهيم الكلية لدواع معروفة أغلبها اتجاهات مختلفة ذكرناها في التقويمات النقدية للرجال أو لمجرد المخالفة مع البعض وأغلبه من الاتجاه السياسي في عصور الإسلام والنزاعات الكلامية حول الامامة والخلافة وعلاقات الخليفة مع الأمة ، استغل هذا النص في بناء هذا الاتجاه أكثر من الاستفادة من بناء وحدة الأمة المتمحورة حوله ، فإن فهم النص شيء والعمل به شيء آخر فهو نسبي في حالة المطابقة ، فيظل النص له سعة شاملة ولكن مديات التطبيق نسبية ، هذا في المجال النقلي للنص لكن يتداخل العقل في اختياره وقبول نوع التفسير أو التأويل على مستويات متفاوتة كتفاوت الناس بعضهم من البعض الآخر ومن هنا جاءت نظرية استمرار النص عند الشيعة الامامية لأن النص عندهم لا يقبل التردد والاحتياط والشك والحيرة في تفسير النص عند الامام المعصوم فاحتاجت الأمة إليه منعاً للاختلاف في قانون الشريعة ودستورها ومع وجود النص النازل والنص الشارح المترابط عنه بلا

انفكاك لا يعني إلغاء العقل في الاختيار والاتّباع ، فرؤية الشيعة الامامية هي عبارة عن مراعاة النص والمعصوم ، في حين أن غيرهم يعتقدون بالنص والسلف(١) ، وبالتنقير المعرفي الاتفاق أو على الأقل هناك مقاربة واضحة عندهم في الكليات التي تحكم المنظومة الفكرية والعلمية الإسلامية ، مع الاحتفاظ بالهويات المتشكلة أثر تفسير النص والاعتماد على حملته مع هذا يجب مراعاة من هو اقرب من فهمه للنص ، وهي حالة نفسية اجتماعية في معرفة الأشياء العامة وحاجات الإنسان إلى عالمه الذي يعيشه المادي والفكري قال تعالى : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾(٢) ، والآيتان تشير الى منهج عقلي يتبعه المؤمن وهو مطلق في الحياة المادية والمعنوية ، وفيهما تحفيز للجهاز العقلي في وجوب النظر والاستدلال وإقامة الحجج والبراهين العقلية على المبادئ والأمور قبل التمسك والأخذ بها(٣) ، ومنه يتضح أن العقل هو العنصر المخاطب وإليه النص وله الاختيار ، اما وجوب الاتباع للامام أو للسلف ليس على نحو الجبر والاكراه في الاختيار ولكن الضرورة العقلية تقول باتباع الاحسن مع ارشاد النص أو أمره بالممارسة الفعلية للنص مع آثاره ، وهنا لابد من اختيارات العقل في نقد من ينقل عن الامام أو السلف مع الاتفاق على أنهما من النص الشارح ، ومع أن الأوامر الإلهية لأجل وجود الإنسان وتقويمه يبقى للاختيار العقلي مجاله الواسع فقالوا أن الأمر المولوي هو الصادر من الشارع بداعي

---

(١) للمزيد ينظر : جدعان ، رياح العصر قضايا مركزية وحوارات كاشفة ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٢م) ، ص٢١٩ - ص٢٤١ .

(٢) سورة الزمر : الآية ١٧ - ١٨ .

(٣) للمزيد ينظر : المظفر ، عبد الحسين عبد الله ، الشافي في شرح أصول الكافي ، (بيروت : مؤسسة التاريخ العربي ، ١٤٣٢هـ) ، ج١ ، ص٧٦ - ص١٢٢ .

البعث والتحريك[١] .

أما الأوامر الارشادية وإن جاءت كنصوص إلاّ أنها على نحو الارشاد والتنبيه إلى ما يدركه العقل وفائدته متمحضة في الارشاد[٢] ، وهنا حمّل النص العقل في الاتباع وأسس لثقافته وبيان مسارات اختياره ، لشؤون حياته العامة ، فالإنسان ينقد هذه الاختيارات ليصل عبر تقليب النصوص وتفسيرها إلى أحسنها واقومها للمنهج الذي يتبعه فلا حواجز وموانع أمام هذه الخيارات .

إن العقل له الدور في القسمين لذا نقل عن الامام الكاظم قوله : ((إن لكل شيء دليلاً ، ودليل العقل التفكر ...)) ، إشارة إلى النشاط الفكري والبحث العلمي[٣] ، إن أهم ممارسة للفكر هو النقد ونقد النقد ، وقد اهتم الإسلام بمنظومته بالنشاط النقدي الإصلاحي في ضوء التنظير والممارسة الفعلية ، وارسى قواعد النقد الإصلاحي بأعظم ممارسة في الشريعة الإسلامية وهي عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما هي إلاّ لون من ألوان النقد الاجتماعي وقوة للأواصر بين المسلمين ولا يمارس ذلك إلاّ لمن يعرف المعروف ويعرف المنكر لأن الممارسة بنائية إصلاحية نقدية للأقوال والأفعال فلا يمارسها من لم يعرف ذلك .

وقد عرفت الحضارة الإسلامية منذ تدوين الحديث الشريف والتاريخ السردي للسيرة النقد وذلك عن طريق الثقافة التي زرعها النص النازل في أبناء الإسلام ، فنشطت ثقافة نقدية سندية متينة ونقدية للممارس للنقد فعلاً لاظهار الممارسة النقدية السليمة من غيرها ، وكل يظهر ما عنده وفق قواعد

---

(١) صنقور ، محمد صنقور علي ، المعجم الأصولي ، (قم : منشورات نقش ، ١٤٢٦هـ) ، ج١ ، ص٣٣٧ - ص٣٣٨ .

(٢) صنقور ، المعجم ، ج١ ، ص٣٣٠ - ص٣٣٣ .

(٣) المظفر ، الشافي ، ج١ ، ص١٠٧ - ص١٠٩ .

واسس تلك الثقافة ، ولكن لا يتحول النقد ونقده إلى فوضى عارمة واضطراب فكري بفقد رأس ماله ، إذ اصبح هذا المفهوم في الحضارة الغربية اليوم لم تعد له هناك ثوابت على الإطلاق إلاّ التغيّر نفسه وانتهى الأمر إلى النسبية والشكية واللا إدارية والعدمية[1] ، ان العلمية والتقنية لآليات البحث العلمي والتي لم تكن توجد عند الباحثين والدارسين والراحلين في طلب العلم آنذاك أي منها ولو وجدت في اعصارهم لاستخدموها خدمة للعلم ومن المستغرب قول بعض المحققين وهو ينبه بغض الطرف عما حصل من نقد بين الاعلام وعدم النظر في كلامهم فيما بينهم وإذا استطعت فأول الكلام ثم قال : ((واضرب صفحاً عما شجر بينهم فانك إذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك فالقوم أئمة اعلام ولاقوالهم محامل وربما لم يفهم بعضها ، فليس لي ولك إلاّ الترضي عنهم والسكوت عما جرى بينهم كما يفعل فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين))[2] ، يستغرب الباحث لمثل هذا الكلام فإن علماء النقد من المتقدمين هم الذين زرعوا فينا ثقافة النقد البناء والفهم الصحيح بل أن النص القرآني صاحب الحقيقة المطلقة أمرنا بالتدبر واعمال العقل في الاختيار ، ولم يأمر بالسكوت .

إن منهج النقد الإسلامي في منظومة الرجال المتشعبة تؤسس لثقافة فكرية نقدية عبر عنه بعض المنهاجيين الغربيين - أي منهج الجرح والتعديل - بالنقد الخارجي وهو يمثل المرحلة الأولى في فحص الوثيقة التاريخية ، وهذا النقد على صرامته لا يتعدى مستوى الظاهر ، وقد رد ذلك عبد الله العروي بقوله : ((أن المحدثين المسلمين لا يمتنعون دائماً من النظر في المتن))[3] أن منهج نقد

---

(١) حنفي ، فلسفة النقد ، ص١٩ - ص٢١ .

(٢) مقدمة الكامل لابن عدي ، ج١ ، ص٤٠ .

(٣) العروي ، عبد الله ، مفهوم التاريخ الالفاظ والمذاهب ، المفاهيم والاصول ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م) ، ص٢٠٩ .

الإسناد هو أعلى قيمة للتوثيق وارجاع المتن لقائله ولا غرابة في التعميم في أمة كانت تعتمد التوثيق عن طريق اعتباره في الحديث والتاريخ والأدب ، يذكر العروي : ((عمموا منهج التعديل وتمادوا في التعميم إلى حد أنه اصبح مدعاة للسخرية كما هو الحال في كتب الجاحظ والتوحيدي ...))[١] .

إن الحكم بالسخرية بنظرتنا اليوم وليس في ظرفه إذ لا فائدة من هذا التوثيق بعدما ظهرت المناهج الجديدة والمعاصرة والمدارس النقدية الكثيرة ولكنها كانت ثقافة عصرهم وهم لا يثقون بدون الإسناد بل ينسب إلى الانتحال بدونه وقد تأثر بهذا النقد الخارجي أهل اللغة فكانوا يمارسون الجرح والتعديل والآراء النقدية في الرواة للشعر والمفردات اللغوية فلم يقبلوا جرح الأقران فيما بينهم مثل جرح نفطويه (ت٣٢٣هـ/٩٣٤م) لابن دريد (ت٣٢١هـ/٩٣٣م) حيث كانت بينهما منافرة[٢] وغيرها من المسائل اللغوية والنحوية والأدبية وفي أغلبه متأثراً بمنهج ونقد المحدثين ، أما التاريخ فهو الوجه الآخر للحديث والملتصق به لكنه عنى بترتيب الأوليات[٣] ويؤيد عبد الحميد العبادي تلك العلاقة بين التاريخ والحديث بل اكد أن التاريخ ابتدأ فرعاً من علم الحديث[٤] .

فقد اشتركا الحديث والتاريخ في الاهتمام بالسند ونقده واختلفت الطرق إلى المتن أو الواقعة وانصب النقد على سلسلة النقلة من عدة وجوه وتوالى النقد على النقد وتمحيص هؤلاء النقلة في البحث عن عدالتهم ووثاقتهم مما

---

(١) العروي ، مفهوم التاريخ ، ص٢١٣ .

(٢) للمزيد ينظر : حمادي ، محمد ضاري ، الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية ، (بيروت : مؤسسة المطبوعات العربية ،١٤٠٢هـ) ، ص٢٠٩ - ص٢٣٩ .

(٣) العروي ، مفهوم التاريخ ، ص٢١٢ .

(٤) العبادي ، عبد الحميد ، علم التاريخ لهرنشو ، ضمَنه المترجم فصلاً اسماه (إلمامة بالتاريخ عند العرب) ، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م) ، ص٦٥ .

ربط قيمة الحديث أو الرواية بمنزلة المحدثين أو الرواة ، وهذا الاتجاه ولد في فترة مبكرة نظرة نقّادة إلى الرواة أو مصادر المعلومات[١] فكثر النقد للرواة بحيث أن الراوي الواحد قد تصدر بحقه عدة أحكام نقدية مختلفة حتى بين الكبار ممن يؤخذ قوله أو قد يصدر من الناقد أكثر من رأي نقدي متناقض ، وهو منهج عرفه المحدثون لتتبعهم حالة الراوي منذ الولادة حتى الوفاة ، فإن تغيّرت حالة الراوي يؤدي إلى تغير النقد فشرحبيل بن سعد الانصاري (ت١٢٣هـ/٧٤٠م) مثلاً وصفه سفيان ابن عيينه بأنه يفتي ولم يكن بالمدينة أحد اعلم بالمغازي منه ، ولم يكن أحد اعلم بالبدريين منه[٢] ، ولكنه عندما ظهرت مخالفته لأصول التحديث واجه النقد بالتضعيف وعدم الرواية عنه ، يقول يحيى بن معين : ((سئل محمد بن إسحاق عن شرحبيل بن سعد فقال : نحن لا نروي عنه شيئاً))[٣] ، وسبب تضعيفه أصابته حاجة وفقر فكانوا يخافون إذا جاء إلى الرجل يطلب منه الشيء فلم يعطه أن يقول لم يشهد أبوه بدراً ، وقال عنه الامام مالك : ليس بثقة[٤] ، ولهذا فعلى الباحث في النقد الرجالي أن يتابع حركة الراوي في سيرة حياته ومدى استقامته واستمرارها وديمومتها حتى يبقى النقد الذي نقده به النقاد لا يتغير وفقاً لاعتبارات العدالة والضبط والحفظ وما يلحق بهما من آثار نفسية قد تحدث تبدلاً للرأي النقدي الأول تناقضه أو تعززه ، كما حصل لشرحبيل بن سعد الذي ربما ادخل في قائمة البدريين ممن ليس منهم لسد حاجته المادية وهنا تكمن خطورة التعامل

---

(١) الدوري ، عبد العزيز ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥م) ، ص١٩ .

(٢) ابن عدي ، الكامل ، ج٥ ، ص٦٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٦٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٦٥ .

مع النص[١] .

واختلفت المناهج النقدية كما ذكروها فقد يكون الراوي ثقة عند أحد غير ثقة عند غيره وهذا يستدعي البحث أكثر عن الجرح وأسبابه ودواعيه فمثلاً محمد بن مسلم الثقفي وهو من كبار علماء الامامية وردت نصوص في توثيقه من الامام الصادق عليه السلام مع أمانته في النقل فقد سأل عبد الله بن أبي يعفور الامام الصادق عن رجل يمكن الرجوع إليه في المسائل التي يتوقف فيها فقال : ((فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فإنه قد سمع من أبي وكان عنده وجيهاً)) ومما يدل على الاقربية من الامام وعلو مقامه عنده تكرار سؤاله الامام عن الأحاديث فنقل عنه : ((ما شجر في رأيي شيء قط إلاّ سألت عنه أبا جعفر عليه السلام حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث ، وسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ستة عشر ألف حديث))[٢] ، ومع أنه وردت روايات ذامة له وروايات مادحة وروايات ليس فيها ذم أو مدح ، ذكر السيد الخوئي أن الروايات الذامة ضعيفة أو أنها محمولة على التقية آنذاك أو خوفاً من الحساد[٣] أو الغلاة ، ولا اعتبار للنقد التجريحي له بعد توثيقه من كبار النقاد الذين يعتمد على قولهم عند الامامية ، وقد عبر عنه علي بن المديني بقوله : ((كان صالحاً وسطاً))[٤] ، ووثقه ابن معين[٥] ومن الغريب أن يتحول النقد إلى العصبية فبعد توثيقه من قبل يحيى بن معين في نص آخر قال :

---

(١) ناجي ، نقد الرواية ، ص٣٢ .

(٢) للمزيد ينظر : الطوسي ، الاختيار ، ص٢٣٨ - ص٢٥٤ .

(٣) الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج ١٨ ، ص ٢٦١.

(٤) المديني ، علي بن جعفر ، سؤالات ابن أبي شيبة ، ص١٣٦ .

(٥) الدارمي ، عثمان بن سعيد ، تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن أبي زكريا يحيى بن معين في تجريح الرواة وتعديلهم ، تحق : أحمد محمد نور سيف ، (دمشق : دار المأمون للتراث ، بلا) ، ص١٩٧ ؛ ابن عدي ، الكامل ، ج٧ ، ص٢٩٣ .

لا بأس به ثم فضّل سفيان بن عيينه بتفضيل غريب بأنه اثبت منه ومن أبيه ومن أهل قريته ...))(١) ، ووثقه العجلي في كتابه الثقات(٢) هذا النقد بمجموعه يدل على قبول روايته وكتابة حديثه ولا إشكال في ذلك ولكن نسبة المرويات التي تدخل في المجموعات الحديثية منتقاة وهو منهج عند الجميع في مصادرهم الأولية ، هذه الانتقائية لا يكاد يخلو منها أحد ، وممن ضعفه جداً الامام أحمد بن حنبل وقال : ((ما اضعف حديثه))(٣) ، وبعد أن استعرض ابن عدي الأقوال النقدية أعطى رأيه النقدي بكل موضوعية وقال : ((هو صالح الحديث لا بأس به ، ولم أر له حديثاً منكراً))(٤) ، ومن الغريب أن ابن عدي لم يرو له عن الامام الباقر أو الامام الصادق أي حديث وله منهما (٤٥) ألف حديث كما هي رواية الكشي المذكورة ، وذكر أن لمحمد بن مسلم : ((غير ما ذكرت أحاديث حسان غرائب))(٥) ، إذاً أين بقية الروايات ؟ .

إن المنهج العلمي يقتضي النظر في الجميع إذا كان النقد في ضوء المروي وهي منهجية اعتمدها العديد من النقاد وليس النقد في ضوء الراوي ومؤهلاته الأخلاقية والعلمية كمقياس للقبول أو الرد ، وهم يتكلمون على توافق فيما بينهم في العدالة والضبط والحفظ فالأول منهج أخلاقي يتجسد بالآثار الخارجية للسيرة الذاتية للراوي والثاني والثالث مؤهلات نبوغية تتضح بالمقارنات مع متون أخرى من الزيادة أو النقيصة أو النقل بالمعنى أو غيرها من الأمور الكاشفة عنهما .

---

(١) الدارمي ، تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي ، ص٦١ .

(٢) ج٢ ، ص٢٥٤ .

(٣) ابن حنبل ، العلل ، ج١ ، ص١٨٩ ؛ ابن عدي ، الكامل ، ج٧ ، ص٢٩٢ .

(٤) الكامل ، ج٧ ، ص٢٩٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص نفس الصفحة .

ولأخذ نماذج من الممارسات النقدية ونقدها ، كان العلماء يقررون أن الجرح والتعديل مشروع لتحقيق الحق وإبطال الباطل كالشهادة[1] لذا حذروا الممارس للنقد فليخشى الله سبحانه وتعالى فعليه التثبت لخطورته ، ثم أكدوا أنه عثر فيه جماعة[2] ، وأحسن ما قيل هو أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه ونسب هذا القول للنسائي[3] ، وهذا القول من أجمل أقوال المقاربات في نقد النقد فإن معيارية الأقوال النقدية لا تكاد تنطبق تماماً للاختلاف في درجات التوثيق ودرجات التجريح وجمع الأقوال الذامة والمادحة والساكتة قد يؤدي إلى نقد لنقدهم هو اقرب إلى الصواب إذ ينتفع في كثير من الأحاديث التي حملها هؤلاء النقلة ولكن ظهور النقد غير الموضوعي ثم تبعه نقلة لهذا النقد كما هو بلا تمحيص ولا تدقيق أدى بالتالي إلى تشويه الصورة النقدية لدواع واتجاهات غير واضحة للوهلة الأولى .

أكد القاسمي على ممارسة نقدية موضوعية وهي أن المحقق عليه أن لا يكتفي في احوال الراوي النقدية على المختصرات في أسماء الرجال بل عليه الرجوع إلى المطولات التفصيلية لعقد المقارنات في جرحه وتعديله ، وليتق الله الجارح[4] وقد أيّد بعض الامامية هذا القول في نقد هذه النقود المتضاربة والمتباينة والمختلفة بين ثنائية الجرح والتعديل من أعمال النظر والاجتهاد والموازنة ويعد هو الأساس في التقديم والترجيح[5] ، وبرغم حصول النقد في كثير من الرواة وجرحهم بسبب الاختلاف العقائدي أو الدخول في أمر الدنيا أو للتحامل وقد مر أسباب ودواع كثيرة أغلبها لم يسلم بها ونقدت وردت

---

(١) الجعبري ، رسوم التحديث ، ص١٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣٦ .

(٣) القاسمي ، قواعد التحديث ، ص١٨٨ ، الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١١٠ .

(٤) القاسمي ، قواعد التحديث ، ص١٨٨ .

(٥) العاملي ، بحوث في فقه الرجال ، ص١٣٩ .

مرة أخرى لأنه لا أثر للتضعيف مع الصدق والضبط[1] .

إن الباحث المدقق لمنظومة النقد الرجالي يجد في مصنفاتهم الكثير ممن رمي بالبدعة وبالخصوص أنه شيعي أو خارجي أو ناصبي أو غير ذلك ، وقد يكون تقولاً وافتراءا ومما يدل عليه أن كثيراً ممن رُمى بالتشيع من رواة الصحيحين لا تعرفهم الشيعة أصلاً[2] ، ويذكر القاسمي من أنه تتبع كتابا الكشي والنجاشي وممن رمى بالتشيع ممن خرج لهم الشيخان وهم خمسة وعشرون إلاّ راويين وهما ابان بن تغلب وعبد الملك بن أعين ولا وجود للبقية في ذينك الكتابين ذكراً وبهذه المعيارية المقارنة يقرر القاسمي من أنه حصل على فائدة علمية ومعرفية هامة[3] ، ومما أشار إليه القاسمي هو أن المصنفات في الجرح والتعديل منها مختصرات ومنها مطولات ثم قال : ((وليس الوقوف عليها [المطولات] لذي الهمة بعزيز))[4] .

إن الناظر لكتاب الجرح والتعديل وطبقات النقاد وممن مارسوا النقد منذ نشأته إلى نضوجه وتكامله في القرن الثالث والرابع والخامس لقربهم من الرواة ومعرفة ذلك بالمشاهدة أو السماع أو النقل والوجادة في مصنفات نقدية سبقتهم يجد أن عملية نقد النقد وعدم الاكتفاء بأقوال الذين سبقوهم إلاّ بما فيه الإجماع هي سائرة إلى اليوم ، فإن علم الجرح والتعديل ومعرفة ذلك من مهمات الدخول إلى المتون النصية للمنظومة الحديثية التي بني عليها أساس الفكر الإسلامي ، ولا يقال أن علم الجرح والتعديل قد انتهى أمده لأن

---

(١) القاسمي ، محمد جمال الدين ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، تحق : محمد بهجة البيطار ، (دمشق : دار احياء الكتب العربية ، ١٣٨٠هـ) ، ص١٩٣ .

(٢) القاسمي ، قواعد التحديث ، ص١٩٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٩٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ص١٩٩ .

الخوض فيه لا فائدة منه بعد أن استحكم في القرون الخمسة من عمر الحضارة الإسلامية ، فلنا أن نقرر أنه نشط بقوة في القرن السابع والثامن والعاشر وحتى عصرنا الحاضر في الجمع والتبويب والمقارنة واكتشاف أسباب الجرح ودواع التعديل واختلفت المناهج في اعتماد قواعد جديدة في البناء المعرفي لهذه المنظومة .

ومن نقد النقد ما ذكر من أخبار تفسر الجرح ولكنه بعد تفسيره لا يسقط العدالة كما جاء في النقد لعامر بن صالح طعن فيه يحيى بن معين لأنه رآه يسمع من حجاج ، وحجاج كان يسمع من هشيم فاعتبر ذلك عيباً ، يسمع الرجل ممن هو اصغر منه وأكبر ، ونقد صالح بن أبي الاخضر فقيل أنه سمع وقرأ وكان لا يميز القراءة عن السماع ، وحدث شعبة عن رجل بنحو عشرين حديثاً ثم قال لتلامذته امحوها ، قلنا له لِمَ ؟ قال ذكرت شيئاً رأيته منه ، فقلنا اخبرنا به أي شيء هو ؟ قال : رأيته على فرس يجري ملء فروجه[1] ، وقيل لشعبة : لم تركت حديث فلان ؟ قال رأيته يركض على برذون ، وترك حديث احدهم لأنه يبول قائماً وغيرها من خوارم المروءة كالتبذل والجلوس للتنزه في الطرقات والأكل في الاسواق وصحبة الارذال وغيرها ، أو اللعب بالشطرنج ، قال شعبة لقيت ناجية الذي روى عنه أبو إسحاق فرأيته يلعب بالشطرنج فتركته فلم اكتب عنه ثم كتبت عن رجل عنه ، ولكنه رجع شعبة وروى عنه بواسطة ويبدو أنه ظهر له صدقه[2] ، وهذا النص يشير إلى أن النقد بالجرح أو التعديل خاضع لاعتبارات توفر الشروط التي وضعوها للتقويمات فإن اخطأ الناقد في نقده يمكن أن يرجع فيه ، وكذلك اغلب الآراء النقدية يمكن إجراء البحث التنقيري لاكتشاف ما لا يسقط عدالته أو وثاقته في بعضها ومثال ذلك

---

(١) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١١٠ ، ملء فروجه : يعني الاسراع في العدو للفرس .

(٢) المصدر نفسه ، ص١١٠ - ص١١١ .

كثير كسماعه آلات اللهو أو أنه كان كثير الكلام أو من أين أتيت بكثرة الأحاديث أو أنه أكثر منها أو امتحان حفظ الراوي أو امتخط أو بزق[١] وغيرها من النقود التي نقدت بأنها لا تخرج الراوي عن العدالة وتضعّفه ، وكلامنا هنا عن ممارسة نقد النقد عند علماء الجرح والتعديل واختلافهم في نقد الرجال ثم نقدها من غير الناقد الأول كما حصل لغالب بن خطاف القطان وثقه ابن معين والنسائي وعبر عنه ابن حنبل بثقة ثقة وذكره ابن عدي في الضعفاء[٢] ونقده بقوله : ((وغالب الضعف على أحاديثه بين))[٣] وهذا النقد يخالف ما نقده غيره وقد يقع من ناقد واحد مثل رأي يحيى ابن معين في شجاع بن الوليد السكوني فمرة وثقه وأخرى وهّنه وهو محمول على اختلاف الأحوال[٤] ووقع الشيء نفسه للنسائي في هدبة بن خالد القيسي قواه مرة وضعفه أخرى ، وهذا البحث الذي يتناول اجتماع الجرح والتعديل في الراوي الواحد من البحوث الواسعة والمتشعبة[٥] والتي تحتاج إلى دراسة مفصلة لا يسعها هذا المقام ، ويمكن الاشتغال بموسوعة تتكفل بيان الاختلافات في الأحكام وتترجم للنقاد الذين لهم في واقع المنظومة النقدية نقد.

لا يتركز البحث في أساس عملية النقد الرجالي والحاجة إليها وأسباب نشوؤها لأن هذه المنظومة مبنية على تفحص الخبر والرواية ونقد ناقلها ونقد نصها من طرف ثم تجرى عملية أخرى في نقد لهذا النقد لبيان صحة ما جاء فيها وهكذا استمرار عملية النقد الرجالي أو نقد هذه المنظومة والبحث عن اسسها التقويمية وعدم تقبلها مسلمة كما فعل المتقدمون اذ ظهرت كتب العلل

---

(١) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص١١٠ - ص١١٤ .

(٢) مرعشلي ، علم الجرح والتعديل ، ص١٥٦ - ص١٥٧ .

(٣) ابن عدي ، الكامل ، ج٧ ، ص١١٢ .

(٤) مرعشلي ، علم الجرح والتعديل ، ص١٦٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٦٧ .

عندهم : وهي عبارة عن سلسلة من الممارسة النقدية للأسانيد والمتون وبيان العلل القادحة في السند أو في المتن أو عرض الكتب المدونة على الأئمة عليهم السلام أو بيان علل الأحكام بعد التأكد من صحة الناقل ، أن المنظومة الشيعية لعلم الحديث هي تابعة لرؤية الامام وأقربيته من النص مع بيان كل إمام أصحابه الثقات وتقريبهم وابعاد أصحابه المنتفعين أو المنحرفين عنه مثل الغلاة الذين لعبوا دوراً واضحاً ومتميزاً في تخلخل هذه المنظومة إذ وضعوا الأحاديث وحرفوا المتون وكذبوا على الأئمة وربما تداخلت الأحكام النقدية على المنظومة الشيعية بأنها تملك الأحاديث ولكنها كلها كذب وموضوعة وقد انطلت هذه السطحية في الأحكام على كبار العلماء من المتقدمين والمتأخرين ولم يلتفتوا إلى أن الشيعة الامامية تحارب الغلو والغلاة وتنعتهم بأشد النعوت أو ما تسميه بالنقد اللاذع ، وحتى يحسنوا انفسهم وضعوا الأحاديث عن الثقات فالكثير من رواة الأئمة والمقربين عندهم جاءهم النقد والتضعيف من جهتهم كالمعلى بن خنيس الذي روى عنه الثقات كجميل بن دارج وهشام بن سالم وإسحاق ابن عمار وغيرهم وضعفه ابن الغضائري ولكنه ذكر أن الغلاة يضيفون إليه كثيراً وتبعه في التضعيف النجاشي ونقده بأنه : ((ضعيف جداً ، لا يعول عليه)) ، ومن وثقه البرقي صاحب الطبقات ، والطوسي ، وقتل بتهمة المشاركة في ثورة محمد ذي النفس الزكية ، وضعفته المنظومة السنية برواية انفرد بها الفضيل بن مرزوق وقد تضاربت الآراء النقدية فيه وروايته عن المعلى وتهمة الغلو ضعيفة بضعفه - ابن مرزوق - أن مشكلة الأحاديث الشيعية ورواياتها قد اخترقت من الغلاة رغم محاولات الأئمة وأصحابهم منع هذا الاختراق ولكن بعض الاتجاهات السياسية كانت تغذي مثل هذه التيارات ضد المعارضة[1] ، والكثير من الرواة قد يتعرضون للتضعيف من هذه الجهة

---

(١) الربيعي ، بحث (تحقيق حال المعلى بن خنيس) ، مجلة المبين ، العدد الثالث ، ص٢٨٧ - ص٣٠٢ .

سواء في المنظومة الشيعية أو السنية أو غيرهما من المسلمين ومرجع أحاديثهم ومن يرجع إلى تراجم رجال الخوارج يجد النقد والدفاع عن مواقف وروايات هؤلاء من الطبقة الأولى كعبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير السعدي ومن الطبقة الثانية عبد الله بن اباض وعمران بن حطان وغيرهم(١) ونجد ذلك في طبقات المعتزلة وتأصيل اعتقادهم ورواياتهم فعد من أوائل طبقتهم الامام علي عليه السلام ونقلهم المحاورة بينه وبين الشيخ الذي سأله عند انصرافه من صفين أكان المسير بقضاء الله وقدره ؟(٢) ، وكذلك بقية المنظومات الإسلامية من الزيدية والاسماعيلية ، فإن دراسة هذا التراث بنظرة نقدية تقويمية شاملة تنحى للجانب المعرفي المحض والبحث عن مشتركات قاهرة ومفترقات قاهرة يمكن الوصول بها الى المقاربة وفق المشترك المستقر ورفض المفترق المتزلزل ، وقد لاقى النقد والنقد المضاد أرضاً خصبة منذ النشوء والتكوين ولكنه ارتكز على طغيان الهويات الجزئية على حساب الهوية الجامعة التي يدعي الكل الانتساب إليها ، فكان النقد يهدم ولا يبني من تجريح وتعديل مصلحي بين الهويات المصطنعة ولكنه لا يعدم من النقد البناء الذي احتفظ بأصالته وأصل تكوينه فرفض النقد المصلحي وأزاح الستار عنه وهذا الخط المعرفي أشار إليه الأئمة عليهم السلام وأوجبوا الرجوع إليه في النقد البناء واعتماد الرواة ضمن الصفات المشهورة مع عدم التبرير السياسي أو الدخول معه وقد حذر النقاد من حبائله وذكروه في مصنفاتهم الرجالية وشخصوا ممن تعامل معه بايجابية ممن لم يتعامل ، ونفهم من هذا الإصرار الحفاظ على الخط المعرفي في الإسلام صوناً له من التأثر بالاتجاهات غير الموضوعية .

---

(١) للمزيد ينظر : الدرجيني ، أبو العباس احمد بن سعيد ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، تحق : إبراهيم طلاي ، بلا معلومات ، ج٢ ، ص٢٠٠ - ص٢٣٢ .

(٢) ابن المرتضى ، احمد بن يحيى ، كتاب طبقات المعتزلة ، عنيت بتحقيقه : سوسنه ديفلد - فلزر ، (بيروت : دار المنتظر ، ١٤٠٩هـ) ، ص٩ - ١١ .

إن نظرية نقد النقد قد عرفها علماء الجرح والتعديل ، وقد مارسوها في منظوماتهم الفكرية ووصلت إلينا وإن شابها بعض التشويه ولكنها تبقى أروع ما جاء به الفكر الإنساني في رسم معالم الطرق الصحيحة للنقد وأساس ذلك التمييز بين الغثُ والسمين والكاذب والصادق والتضليل والتبديل والخلط والتحريف وهؤلاء النقاد لهم الحق في التدقيق والتحري والتبصر في التراث فينخلون الآثار ويتكلمون في مراتب الجرح والتعديل لنقد الأسانيد بحسن التأهيل[١] ، ولكن هذه الممارسة النقدية قد تختلف ما عليه اليوم في نظرية نقد النقد من البناء والهدم وتوالي ذلك البناء ثم الهدم فلا يبقى أصل ثابت يرجع إليه فالتغيّر صفة الافكار المعاصرة بنفي الثابت وهو ضياع باسم الحداثة لرأس المال العلمي فلا كلام في التغير التقني بعالم الأشياء المادية والصناعات التقنية فهي تحتاج إلى التحديث والاستمرار والديمومة في حين أن الفكر فيه الثابت الذي يرجع إليه وفيه المتغيّر الذي يتجدد بتعدد القراءات ومطلوبية المعاصرة حتى في تغيّر ضرب الأمثلة إذ الواقع يحكم بالتغير في نقد الأفكار ، ويكون النقد موجه ضد الإضافات الملحقة بالعقيدة مثلاً وليس إلى العقيدة نفسها والنظر فيها[٢] ، فقد كانت جدلية الديني والسياسي والعلاقة بينهما فيمن يوظف الآخر وهل السياسي يوظف الديني أم بالعكس ؟ ، ويبدو أن السياسي وظف الديني واستثمره لصالحه لأنه أقوى منه أسلحة[٣] ، لذلك حذر النقد الرجالي المحدث أن يعمل للسلطان بل هو قادح لعدالته وحتى لو أخذ اجرة غير مبررة تسقط عدالته كل ذلك لايجاد خط معرفي بعيداً عن

---

(١) للمزيد ينظر : مرعشلي ، علم تخريج الحديث وبيان كتب السنة المشرفة ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٢٩هـ) ، ص١٩٩ - ص٢٠٧ .

(٢) خُلال ، مصطفى ، الحداثة ونقد الادلوجة الأصولية ، (القاهرة : رؤية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧م) ، ص١٨٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص٢١٤ .

الايديولوجيا وهو قريب ما تدعو إليه الحداثة بجميع مقولاتها التي يستوعبها الفكر الإسلامي الأصيل[١] أما أن الأصولية ترفض النقد[٢] فلا ينعكس ذلك على الجميع فإن المنظومة الشيعية لا تقر في مدوناتها الحديثية بعنوان الصحيح ولا حتى المنظومة السنية المتقدمة تؤمن بهذا ولكنها ثقافة تكونت بعد عصور التدوين وربما غذيت من السياسي في توظيفه للديني ، فإن النقد ونقده قد مارسه علماء الجرح والتعديل برفضهم التقديس إلاّ للحقيقة ومع امتلاكها لا يترتب الأثر على من لا يملكها واوضح الأمثلة الأئمة عليهم السلام ومع هذا لم يسلموا من النقد بل أن كبار أئمة المذاهب قد نقدوا وضعفوا ولم يترتب على ذلك أي أثر إلاّ نقد هذا النقد ومقارعة الحجة بالحجة ، أن النقد يصنع الحوار وينتج المعرفة ويحرك الفكر ، لكن ليس على نحو التطرف في استعماله حتى يشمل الجميع بلا استثناء لأن الاعتدال يعارض ذلك .

وقد انبهر بعض المفكرين المعاصرين من تناول النقد وتطرف في استعماله إلى إثارة التوجه إلى النص القرآني في أسسه وتكوّنه وليس النقد في تأويله وتفسيره فادعى بشريته وامديته المنتهية بالرؤية التاريخية والتفريق بين الخطاب الشفوي والمدون الرسمي[٣] وهو انبهار بما جاء عن الفكر الغربي في نقده للمقدس الديني حذو القذة بالقذة من دون الالتفات إلى الاختلاف الثقافي بين الفكر الإسلامي والغربي والكل له منظار جزئي وكلي.

---

(١) للمزيد ينظر : المرجع نفسه ، ص١١٣ - ص٢٠٨ ، المقولات الذي ذكرها من الإنسانية والخلقية المجتمعية ومفهوم العمل والتعليم والمقاولة والديمقراطية والفعل الثقافي وغيرها ، وهي مستوعبة بنظري في الفكر الإسلامي الأصيل إذا ابعدنا منها الأدلجة في تصدير المفاهيم فالعقل الإسلامي قادر على النهوض والتحديث بما يملكه من قدرات ستراتيجية في المركز والثروة والفكر .

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٢١ .

(٣) بلقزيز ، عبد الإله ، قراءات في مشروع محمد اركون الفكري ندوة فكرية ، (بيروت : منتدى المعارف ، ٢٠١١م) ، ص٤٨ ، ص٤٩ .

يشعر الباحث وهو يتصفح التراث الرجالي في أصوله الرجالية النقدية انه امام موسوعات كبيرة وجهد عظيم منذ التكوين لهذا المشروع الذي يهتم بالراوي وأحواله والآراء النقدية التي قيلت بحقه مع ضبط اسمه وكنيته ولقبه أو ألقابه وقبيلته ومدينته والبلدان التي رحل إليها وشيوخه الذين روى عنهم الأحاديث وتلاميذه واحصاء رواياته فظهرت المسانيد ، كانت هذه المصنفات الكثيرة هي الأوسع ممن ألف في العلوم الأخرى ونصيب الجرح والتعديل المئات من المصنفات واحصاء الرواة وتمييز المشتركات وبيان الطبقات بل التصنيف في الثقات والضعفاء وما يجمع بينهما أو التصنيف في المتروكين والمجهولين والكذابين وإلى قائمة تتناول الصفات والأحوال الداخلة في ما يخص الراوي ، بل أن هذه المنظومة قد استوعبت المعلومات المتعلقة بأحوال الراوي ونقده وإن كان هناك بعض المجاهيل ، ولكن يمكن بيان بعض أحواله بالرجوع إلى كتب الأحاديث وكتب العلل وكتب المصطلح أو الرجوع إلى الرواية التاريخية لجمع المعلومات عن الراوي الذي فقدت بعض المعلومات عنه أو عن الحكم عليه أوله .

إن مراجعة الآراء النقدية في الراوي المبحوث عنه في جميع كتب المسلمين يعطي صورة واضحة بعد موازنة الآراء ونقدها والتعرف على أسس النقد التجريحي أو التعديلي في هذه الجدلية بين الجرح والتعديل للخروج بحكم نقدي موضوعي ، فقد ردت بعض الآراء النقدية وأوهم الكثير في تحديدات المترجم له أو اعتماد المنهج الروائي ومعرفة المناكير من مروياته ثم الحكم عليها والكثير الكثير من النقد ونقد هذا النقد مما يؤصل وجوده في الفكر الإسلامي وأصالته بثقافة الإسلام المركوزة بأساليب ومراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمانة والصدق كلها عوامل تؤصل هذه النظرية والعمل بها بشكل واسع في منظومة علم الرجال وبالأخص علم الجرح والتعديل ، فقد نقل عن

يحيى بن معين قوله : ((أن للعلم شباباً ينتقدون العلم))[1] .

مقاربات في نظرية نقد النقد :

بعد أن تكلمنا عن أصالة نقد النقد في التراث الإسلامي بشكل عام والرجالي النقدي بشكل خاص ، والنتاج النقدي في مصنفات الأصول الرجالية وغيرها بل المنظومة بأجمعها تهيأت أرضية خصبة لممارسة النقد ونقده ، فقد تناولت كتب التواريخ التي تعنى بالتراجم ونقل المعلومات عن الراوي ومن ضمنها الآراء النقدية بين النقاد وممن يؤيد النقد أو يرفضه بنقد آخر وسميت المصنفات بالتاريخ الكبير والصغير والأوسط وتاريخ فلان وطبقات فلان بشتى الصنوف تمارس عملية الجرد المعلوماتي عن هؤلاء الرواة بالبحث والتنقيب وحتى تواريخ المدن هي عبارة عن تراجم الرواة تتضمن الآراء النقدية كتاريخ بغداد وتاريخ دمشق وتاريخ قم وغيرها الكثير وهذه المنظومة تحتوي تراثاً إسلامياً ضخماً لا مثيل له في الحضارات الأخرى .

لدراسة المقاربات في هذه المنظومة لابد من تحديد مفاهيم مشتركة وضعت كشروط متفق عليها في قبول الراوي ومن عدم توفرها رفض الراوي أي نقده بما يستحق ، أن البحث عن الاستحقاق النقدي هو صلب موضوعنا بعيداً عن كل الاتجاهات التي أدلجتها السياسة أو التعصب أو غير الموضوعية الداخلة في اقصاء الراوي ضحية لتلك الموضوعات التي ذكرناها .

وضع النقاد عدة شروط تكاد تكون متطابقة بين جميع المسلمين فاتفقوا بالإجماع على المفهوم واختلفوا في المصاديق وإن اتفقوا في بعضها على نحو الجزئية فالعدالة والضبط والحفظ هي مفاهيم في مدرسة الفكر الإسلامي عند علماء الحديث والجرح والتعديل يبحثون عنها ليقوموا الراوي التقويم العلمي

---

(١) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص٣٦ .

الصحيح وهذه هي الأسس المنهجية التي ساروا عليها كمفاهيم كلية منطبقة مع إرادة علماء الجرح والتعديل عند المسلمين جميعاً ولكنهم اختلفوا في تشخيصها في ضوء مذاهبهم الخاصة فخرجت من المفهوم العام إلى المفهوم الجزئي ثم إلى المصداق الجزئي فالعادل عند فرقة غير عادل عند فرقة أخرى بل قد ينقد بالكذاب والمغالي والمتشيع والعامي والخارجي والاشعري والحنبلي والشافعي والزيدي والمالكي والاسماعيلي وغيرها من هذه الفرق والمذاهب والكل يعتقد العدالة في الراوي والحفظ والضبط ولكن بنحو الجزئية إلاّ في النادر فلكل فرقة ومذهب رواته العدول ونادراً ما تتخلل رواته ومنظومته السندية بما يوافق أسس مذهبه فيأخذ منه كالمشتركات في المنظومة بين المسلمين أي الرواة المشتركون وهم قلة بالنسبة لعدد الرواة عند المسلمين[1] وذلك لاختلافهم في تشخيص مفهوم العدالة بين المفهوم كمفهوم والمصداق الخارجي له .

وسنذكر هذه المفاهيم الثلاثة والاختلافات في مصاديقها بالنظرات الجزئية وليس في المعنى العام للمفاهيم إلاّ ما ندر .

أولا : مفهوم العدالة.

إن النقد ينصب بالبحث عن هذا المفهوم وهو من أهم الوجوه التي يطعن فيها الراوي ولكن الاختلاف الشديد في مصاديق هذا المفهوم ما يتعلق به كان مثار جدل بينهم ، والعدل هو المسلم البالغ العاقل السالم من أسباب الفسق أي ارتكاب الكبيرة أو الإصرار على الصغيرة وخوارم المروءة[2] هذا التعريف تؤيده جميع المدارس الفكرية في الإسلام ، بل أن المتقدمين من العلماء قد

---

(١) للمزيد ينظر : عزيزي ، وآخرون ، الرواة المشتركون بين الشيعة والسنة ، وهي بادرة جميلة نحو الاتجاه المعرفي .

(٢) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص٢٣ - ص٢٤ .

ميزوا بين قبول الرواية وقبول الشهادة وتساهلوا في قبول الرواية ومقتضى القبول إحراز عدم الكذب في النقل وهو العمدة في القبول والحكم بالصدق فإذا احرز ذلك اطلق على هذا الراوي لفظ الثقة ، وقد صرح الطوسي في كتابه (العدة) بأن الثقة هو المتحرز في الرواية عن الكذب وإن كان فاسقاً بأفعال الجوارح فإنه لا يوجب رد خبره ، لأن العدالة المطلوبة في الرواية حاصلة فيه والفسق في الجوارح يمنع من قبول شهادته[1] وتقبل رواية المخالف لأصل الاعتقاد بل أن توجيه الامام الصادق عليه السلام كمنهج تقريبي بين المسلمين دعا أصحابه بالرجوع إلى روايات الامام علي عليه السلام عند المسلمين للعمل بها عند فقدان الادلة في الأحكام الضرورية ، فلا ترى الشيعة الامامية التحرز أو حالة الاقصاء لمجرد المخالفة ، فقد نقل الشيخ الطوسي في كتابه (العدة) هذه الرواية وهي مهمة جداً في التعبير الصادق عن منبع هذه الأحاديث والمصدر الوحيد هو الرسول صلّى الله عليه وآله فوحدة المصدر وحدة المصير ووحدة الهدف والغاية بعيداً عن وضع الجزئيات والتحليق بها فوق الواقع حتى يمتنع الاجتماع الموافق للنص القرآني في الاعتصام ، قال الامام الصادق عليه السلام : ((إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها فيما رووا عنا ، فانظروا إلى ما رووا عن علي عليه السلام فاعملوا به))[2] ، وهذا النص المهم يؤكد على عدم الانغلاق وثقافته وإزاحة ثقافة التعميم الحكمي على آراء المسلمين ونقدهم وقبول رواياتهم وأن تشخيصه لروايات الامام علي عليه السلام هو تعبير عن الموافقة لآراء هذه المدرسة لأن غيره قد تكون من خصائص مدارس إسلامية مختلفة لها خصوصيات في التعامل مع الراوي والمروي ، وبالمقابل كانت روايات حفص بن غياث وغياث بن كلوب ونوح

---

(١) العدة في أصول الفقه ، ج١ ، ص١٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٤٩ .

ابن دراج وإسماعيل بن أبي زياد السكوني وغيرهم من العامة عن الأئمة عليهم السلام وكذلك من رواة الفرق الشيعية المخالفة للامامية مثل الفطحية كعبد الله بن بكير وغيره ، والواقفة كسماعة بن مهران وعلي بن أبي حمزة وعثمان ابن عيسى وبنو فضال والطاطريون - من بيوتات الشيعة العلمية نسبة إلى ثياب تسمى الطاطرية - وميزت الامامية بين حال الاستقامة وحال الغلو فعملت بروايات حال الاستقامة مثل روايات أبي الخطاب محمد بن أبي زينب في حال استقامته وتركوا ما رواه حال تخليطه وغير ذلك من الغلاة والتمييز بين حال الاستقامة وحال الغلو(١) .

كان منهج الامام الصادق عليه السلام يدعو إلى الجمع والاعتصام ومما أثر عنه قوله : ((الاستقصاء فرقة))(٢) ، وهذا يعني أن الاختلافات لا تؤثر في اعتماد الرجال ونقلهم الأخبار وهو يؤسس لنظرية الثقة في المنظومة الرجالية والبحث عنه لاعتماد أقواله النقدية ونقله الأخبار ، وكان الامام يدعو إلى المناقشة والنقد لحملة الآثار والآثار نفسها فقد نقل عنه : ((ما جاءكم عنا من صواب وحق فنحن قلناه فارووه عنا ، وما جاءكم من باطل ينسب إلينا فادفعوه واعلموا أنه كذب وافتراء علينا))(٣) ، وهذا النص يشير إلى تمييز الكاذب للناقد بل هو تحفيز للنقد مثل هذه الروايات وحملتها وعزل الناقل الكاذب الفاقد لمرتبة العدالة أو الوثاقة لذا عرف بعض العلماء العدالة بالمعنى الأخص بنظر الشيعة الامامية : ((هي كون الرجل عدلاً على مذهبنا)) وبالمعنى الأعم : ((هي كون الرجل ذا ملكة وإن لم يكن إمامياً بأن كان عدلاً

---

(١) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٤٩ - ص١٥٢ .

(٢) ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص٢٢٩ .

(٣) القاضي النعمان المصري ، المجالس والمسايرات ، تحق : الحبيب الفقي وآخرون ، (بيروت : دار المنتظر ، ١٩٩٦م) ، ص٧٨ .

في مذهبه))[1] وهذا التقسيم منطقي فإن كل فرقة ومذهب تعتقد بعدالة رواتها وتنفي ربما عدالة غيرها فيكون هذا التقسيم وجيه بل واقعي ، وممهد لأرضية الحكم له أو عليه ، وهو حاصل في التجريح والتعديل لهؤلاء الرواة الذين يحملون جملة من هذه الصفات القريبة من مصطلح العدالة أو الوثاقة أو هم أبعد منها في المذهب أو الاتجاه والحكم يأتي في ضوء ذلك .

قال بعض المعاصرين أن المحدثين قد أطلقوا كلمة مأمون على من يوثق بدينه دون النظر إلى ضبطه واتقانه[2] وهو يقارب مفهوم الثقة في المنظار الشيعي ، ذكر الخطيب البغدادي ما يقارب هذا المعنى عن بعض أهل العراق يكفي في قول المعدل : ((لا أعلم إلاّ خيراً كان ذلك تعديلاً))[3] ، وقد قال بعضهم أن الجرح والتعديل خاضع لقبول الشهادة أو ردها فيتعدد المزكي لمن يتشدد في النقد ، وهذا الموضوع مفصل في اغلب كتب المصطلح لا حاجة لذكره هنا .

إن الناقد والراوي المشهور لا يحتاج إلى تزكية ولكن يبحث عن المجاهيل أو ممن اشكل أمره ، وتزكية المعدل لا تزيد أي إضافة للمشهور فما هي إذاً الحاجة للتعديل أو التجريح ؟[4] ، أما قبول غير المشهور منهم فالعبرة بصدق الراوي وأمانته والثقة بدينه وخلقه ، ويبدو أن التنظير لاقسام البدعة جاء متأخراً عند النقاد من المتأخرين وإلاّ أن الامام البخاري قد روى عن ابن حطان وهو من أكبر الدعاة إلى البدعة[5] ، وقد شاع التشيع بين التابعين

---

(١) جديدي ، محمد رضا نزاد ، معجم مصطلحات الرجال والدراية ، اشراف : محمد كاظم رحمان ، (قم : دار الحديث ، ١٤٢٢هـ) ، ط١٠١ - ص١٠٣ .

(٢) فتاح ، المعجم الاصطلاحي ، ص٥٣ .

(٣) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٨٦ - ص٨٨ .

(٥) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص١٢٢ - ص١٢٣ .

وتابعيهم لذا قالوا لو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة[1] ، وكل هذا كان في مرحلة التأسيس من حيث النظر إلى الناقل الثقة من دون التقوقع في ذات البدعة أو التكفير فقد نقلوا عن الرافضة وغيرهم ممن يختلفون مع الناقد والمحدث في أصول الاعتقاد بلا حساسية فيما بينهم إلاّ اعتماد النقل الصحيح عمن ينقله وهو خاضع للنقد في الإسناد والمتن وواقع في المصنفات الحديثية لجميع المسلمين ولذلك يجمع الشيعي روايات عن غيره لاثبات دعواه والآخر من الشيعي أيضاً ، وغيرهما يبحث عن المشتركات وهو حاصل فالاتفاق في النقل بعناصره المشتركة موجودة ونكرانه مكابرة صريحة .

وهذا الإجماع أو الاتفاق أو الصراحة في النقل يقوّي الاتفاق والمقاربة بين مختلف الآراء المتبعة بين المسلمين وجمعها أولى من طرحها بعد التأمل فإن من يتبع ذلك في ظاهر ألفاظهم في الجرح والتعديل لا يفهم أقوالهم وأغراضهم فإن فهم ذلك يحتاج المعرفة الشاملة لأحوال المحدثين حتى ينزل الألفاظ منزلها[2] العلمي ويحصل على النتائج المعرفية ويستفيد من ذلك طرق النقد ومفاصله في تاريخ الافكار والتنقير المعرفي في أصل وأسس التكوين للمفاهيم والنظريات .

والأكثر يجملون في التعديل ويفصلون في المطولات عن الجرح القادح في العدالة وابلغ ما قالوه كذاب ووضاع وهي أوصاف لا تتعدى حقيقة واقع الراوي[3] ، ومن الأقوال العلمية القاعدة التي ذكرها ابن عبد البر : ((كل حامل علم معروف العناية به فهو عدل محمول أمره على العدالة حتى يتبين

---

(١) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص١٢٣ .

(٢) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ص٣٠ .

(٣) العمري ، دراسات ، ص٣٣ .

جرحه)) نقل ذلك ابن كثير في كتابه (اختصار علوم الحديث)[١] ، ونقل عن الشافعي أنه لا يقبل ممن يستحل الكذب وهم الخطابية لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم ولكنه لم يقسم البدعة ويقبل من أهل الأهواء ،وقد خرج الامام البخاري لمن قيل له من أهل البدعة والأهواء[٢] .

وبعد نقل جملة من النصوص يتضح أن عبارة الثقة التي نقلوها في ألفاظهم النقدية دالة على ما هو أعم من العدالة المصطلح عليها مع اعتبارها إن وجدت في الراوي ولكن مفهوم الثقة وهو الذي لا يكذب في النقل كاف في الاعتبار وهو ما تراه موجوداً في أسانيد الصحاح والأحاديث في هذا التراث ولم ينظروا إلى البدعة كما هو اليوم أو عند المتأخرين لذلك كان رأي الامام الشافعي مناطه الكذب فلو أن الخطابية لا يستحلونه لقبل منهم الرواية كما قبل الامام البخاري عن الداعية عمران ابن حطان وغيره .

فلو تتبعنا الرجال ونقادهم لوجدنا أن الثقة في الرواية يؤخذ عنه ويروى عنه بعيداً عن تهمة البدعة فهذا عباد بن يعقوب أبو سعيد الراوجني الكوفي (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) وردت بشأنه تعبيرات من قبيل : شيعي صدوق أو كان رافضياً أو داعية إلى مذهبه ، ثقة في روايته متهم في دينه ، وأغلبية رجال النقد اعتبروه من الشيعة إلاّ الشيخ الطوسي اعتبره من أهل السنة ولكن رد هذا القول من المتأخرين ومتأخري المتأخرين والمعاصرين روى عنه رجال الشيعة وكذلك الامام البخاري وابن ماجة وابن أبي داود وأبو حاتم[٣] ، ومع رواياته في ذم معاوية واتهامه بالرفض والشيعية فقد رووا عنه فيدل أن المعيارية في ذلك الثقة والعدالة بالمعنى الأخص في مذهبه والدعوة إليه وهذا لا يمنع عند

---

(١) ص٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٩ .

(٣) عزيزي ، الرواة المشتركون ، ج١ ، ص٥٣٠ ، ص٥٣٢ .

المتقدمين وهو مانع عند المتأخرين الذي تشدّدوا بعض الشيء واتهموا من خالفهم بالكذب الملاصق والملازم للشيعة مثلاً خلافاً للعلماء النقاد من المتقدمين منهم ، وقد أخرج علماء الشيعة كما قلنا إذ بنوا على مفهوم الثقة الذي لا يكذب في الرواية كما مر اعتبار الشيخ الطوسي له .

ويتلخص مما مر أن المدار على القبول والرد حول مصاديق الكذب وعدمه فينقده النقاد حول هذه الخصلة فهي المحور إذاً وبعد تخليص الراوي من جملة من الصفات الملحقة به فيكون الضابط الأول توفر العدالة أو الوثاقة بمعنى عدم الكذب يصح أن نتقارب كثيراً ، وهما من مكملات الشخصية وممن بحث في ذلك علم النفس الشخصي .

ثانيا : الضبط .

وهذا الشرط هو في الحقيقة نقداً للراوي لمعرفة مدى قدرته على أداء ما حمل وهو في الأصل نقداً داخلياً وخارجياً أي للراوي والمروي والعلاقة بينهما هي القيمة النقدية التي يحصل عليها الراوي للتقويم والمقوم يعلن ضبطه إذا توفر لديه هذه الصفة المشروطة لتعديله ، وصفة الضبط هي الحفظ والاتقان من غير زيادة أو نقيصة للمتون وهو قسمان[1] :

١- ضبط صدر : وهو الحفظ عن ظهر قلب إذ يمكنه استحضار ما سمع متى شاء .

٢- ضبط كتاب : وهو الصيانة والمحافظة على أصله من دون تغيير سواء التعمدي كالتلاعب والتزوير أو بغير قصد كالتلف والتمزق والبلل الذي يطمس الكلمات .

---

(١) فتاح ، المعجم الاصطلاحي ، ص١٩٦ - ص١٩٧ .

ولا يطلب من الراوي ألا ينسى أو يشك إنما المطلوب الاتقان في التحديث وهو المقصود من الضبط .

ويعرف ضبط الراوي : بأن تعتبر روايته برواية الثقات المعروفين بالضبط والاتقان ولا يضر النادر من المخالفة[١] من خلال المقارنة بين المسموعات ومدى حفظ وضبط النصوص من غير زيادة أو نقيصة والمتصف بالضبط هو ضابط نال رتبة التوثيق والمدح لأنه غلب اتقانه على سهوه[٢] ، أن مناط وصف الصحة هو اجتماع وصفي العدالة والضبط في جميع رواة الحديث[٣] وإذا توفرت حكم النقاد بالتعديل دون التجريح .

ومع هذا يعرف الضبط بالمقارنات والاشباه والنظائر مع بيان حدود الخطأ وحدود الغفلة والوهم ويذكرون العلماء صفات ومراتب للعدالة والضبط ويحصل من تركيب بعضها مع البعض الآخر مراتب مختلفة في القوة والضعف وهو موضوع يحتاج إلى وقفة وتأمل والأخذ بالاعتدال لمعرفة صواب كل فريق[٤] ، ويمكن الرجوع للكتب العلل لتمييز مقدار الضبط عند الراوي للحكم له أو عليه ، لأن معرفة الحديث بمنزلة معرفة الذهب والشبه ، فإن الجوهر إنما يعرفه أهله وليس للبصير فيه حجة[٥] ، ومن تعليقات كتب العلل وهي مهمة جداً لأنها تنقد السند والمتن وهو ما يعرف بالنقد الخارجي والداخلي ، لأنه بعد الفحص لابد من الإقرار بوجود الخطأ والكذب أدى

---

(١) جديدي ، معجم مصطلحات ، ص٩٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٩١ .

(٣) صاحب المعالم ، منتقى الجمان ، تحق : علي أكبر الغفاري ، (قم : جماعة المدرسين ، بلا) ، ج١ ، ص٨ .

(٤) أبو رية ، اضواء ، ص٢٧٥ .

(٥) ابن أبي حاتم ، كتاب العلل ، تحق : أبو علي النظيف ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٧هـ) ، ج١ ، ص١٣ .

بالضرورة لقيام النقد[1] ، وقد توسع الفكر الغربي في مسألة النقد وسميت عصور النهضة بعصر النقد ومن ثم نقد النقد في حين أن المنهج الإسلامي عرف ذلك مبكراً وما كتب العلل إلاّ عبارة عن فحص النص والحكم عليه فقد نقل عن أبي زرعة في بعض الروايات معلقاً على السند أولاً فقال اخطأ فلان ثم صحح المتن وذكر طرقاً أخرى[2] وفي كتاب (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية) لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) أقوال النقاد بعد إيراد الأحاديث وبيان العلل في الأسانيد وبعض المتون من الخطأ والوضع والوهم والكذب[3] .

إن نقد الراوي في حفظه وسماعه وكتابته لهو من الدقة بمكان أن يؤسس في التاريخ الحديث والمعاصر فحص الوثيقة التاريخية وبيان حدود الخطأ والصواب بعقد المقارنات بين الأقوال والآراء النقدية والموازنة بينها وتشخيص مصداقية هذه الآراء وانطباقها في خطوط الإسلام التأسيسية والموافقة مع المنهج القرآني ومدى أقربية ذلك منه .

ومعرفة الضبط عند الراوي مسألة مهمة جداً قد تكون أعلى قيمة من معرفة العدالة لأن عدم الضبط يحتمل الوهم والخطأ والكذب غير المتعمد وهو قد يحدث في سلسلة السند وفي المتن من الزيادة أو النقص أو تغير كلمة غريبة ويعرف ذلك بالتدقيق والنقد من علماء الجرح والتعديل بكشف العلل القادحة من عدم الاتصال أو الرفع أو التدليس أو الوضع من قبل الراوي أو

---

(١) لانجلو وسينوبوس وبول ماس وامانويل كنت ، النقد التاريخي ، تر : عبد الرحمن بدوي ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٣م) ، ص١٢١ .

(٢) ابن أبي حاتم ، كتاب العلل ، ج٢ ، ص٣٢١ .

(٣) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، العلل ، تحق : خليل الميس ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ) ، وهو من جزأين .

قلب الأسانيد متعمداً مثلاً أو اخفاء الضعفاء وهو تدليس الشيوخ وغيرها من الأشياء الناتجة من عدم الضبط عند الراوي ، ما ذكروه من ضوابط اغلبها حسي أو صفات نفسية في عدم الضبط كالنعاس في مجلس السماع لذلك قالوا من عرف بذلك يجرح ولم تقبل روايته .

قد يكون الراوي ضعيفاً لكثرة غلطه ولكن يمكن الاستشهاد به للاعتبار والاعتقاد ، فإن تعدد الطرق وكثرتها يقوي بعضها بعضاً حتى يحصل العلم بها وقد يكثر الغلط عند الكبار مثل عبد الله بن لهيعة فقد احترقت كتبه فصار يحدث من حفظه فوقع في حديثه غلط كثير ، وقد كتب الامام أحمد حديثه للاعتبار وقد يحصل أن الناقد يكذب الراوي ثم يأخذ منه مثل الثوري عن الكلبي ولكنه ينهى عن الأخذ عنه وعلله بأنه يعرف ذلك(١) ، وقد يحصل الاشتباه في السند أو المتن لذلك استدرك النقاد ذلك وكانت لهم جهود كبيرة حتى في كتب الصحاح وغيرها فقد كانت للقاضي عياض جهود علمية في متابعة كتاب الموطأ والصحيح للبخاري والصحيح لمسلم في جملة من الأمور المتعلقة بضبط الرواية من جهة المتن وهو ما يسمى عند الحفاظ بعلم الاطراف فيما بتر من الحديث أو وهم فيه أو فيه علة أو ما لا يتم الكلام إلاّ به(٢) .

يبدو أن منهج المحدثين في المراحل التأسيسية كان نقداً متكاملاً لا يفصل الإسناد عن المتن ، ولكنه بدأ ينحى منحى الفصل في عهد الحاكم النيسابوري ويتضح منهجه في المستدرك فقد تردد عنده صحيح على شرطهما ولم يخرجاه أو صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجه أو على شرط مسلم ولم

---

(١) ابن تيمية ، علم الحديث ، ص٢٢ .

(٢) الترابي ، البشير علي حمد ، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية ، ص٢٢٤ وما بعدها .

يخرجه[١] ، ولكن يمكن القول أن الغالب في ضبط هذه المنظومة هو الإسناد وقد تنبه الحاكم لذلك فإن التقسيمات والنقود اكثرها موجّه إلى الرواة حتى كتب العلل أكثر ما تتوجه نحو صحة وضبط السماع والتحديث وهو ما يشبه منظومة رقابية على سلسلة الأسانيد لكشف الوضاع والمدلسين والمجهولين والمهملين وغيرها مما يخص ضبط السماع أكثر من مناقشة المتون الواردة ولو ناقشوا المتون لم تصل إلينا متون اسطورية وإن صح سندها ، ويبدو أن اهتمام الحاكم في الرد على الامام البخاري ومسلم لأنهما قد اهتما بالأسانيد أكثر من اهتمامهما في المتون والزمهما بالشروط من المعاصرة واللقاء وغيرهما فاخرج الكثير على شرطيهما .

ومن ألفاظ النقد الموجه نحو الأحاديث من ناحية عدم ضبطها لوجود خلل في النقل فقد يسميه احدهم منكراً والآخر شاذاً والثالث غير محفوظ وقد كان النقاد يختبرون هؤلاء سواء كانوا ثقات أم غير ثقات فإن كثر عليهم اطلقوا عليهم أنهم ممن يروون المناكير أو على الواحد منهم منكر الحديث[٢] .

أما قولهم فيه زيادة يعنوّن ما تفرد به ثقة واحد عن مجموعة من الثقات بالسند نفسه أو زاد في المتن زيادة لم يذكرها الثقات الآخرون الذين رووا الحديث بالسند نفسه أيضاً[٣] ، ومن الغريب من بعض المعاصرين نفيه القدرة على تصحيح أو تحسين الأحاديث إلاّ بامتلاك أدوات النقد التي كانت عند المتقدمين ثم قال : ((وهيهات !! فلا يحل اليوم أن نصحح ما أعله المتقدمون

---

(١) المحمدي ، عبد القادر مصطفى عبد الرزاق ، الشاذ والمنكر وزيادة الثقة موازنة بين المتقدمين والمتأخرين ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٦هـ) ، ص٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٤ - ص٥ .

(٣) المحمدي ، الشاذ والمنكر ، ص٥ - ص٦ .

أو نعلل ما اتفقوا على تصحيحه)) ثم فسح المجال للترجيح فقط[١] ، وفي موضع آخر يقرر أن كل شيء فيه اختلاف ينبغي أن تعاد دراسته بموجب مناهج البحث العلمي الحديثة التي وفرتها الوسائل الحديثة وخاصة الحاسوب فتكون البحوث ذات استقراء تام ولكنها لا تنتقص من صنيع أئمة النقد وإنكار جهود المتأخرين ثم قال : ((فلو قدر للحافظ ابن حجر العسقلاني أو السخاوي مثلاً الحياة في مثل هذه الظروف واتيحت لهم مثل هذه الوسائل فإنهم بالتأكيد سيتعلمونها ويستخدمونها في خدمة علم الحديث ...))[٢] ، وفي الواقع أن العلم ليس حكراً لفئة دون أخرى ولا لزمان دون زمان ولا لطائفة دون أخرى ولا لأمة دون الأمم الأخرى فالعلم بابه مفتوح لمن وفقه الله إليه وقصد فيه النفع والاخلاص ، ولا أدري كيف لا يحل لاحد النظر في وسائلهم وأدواتهم بعد تطور الزمان وتغيّر الاحوال واصبح نتاجهم وآرائهم محل نظر وتأمل في بعضها وهم لم يدّعو العصمة لأنفسهم بل أن المعرفة والعلم والتدبر والأخذ بالأحسن ورد الأقوال وقبولها هي ثقافة الأمة وتراثها الحضاري هو النقد البناء والبحث عن الحقيقة من مكملات الشخصية الإسلامية ولا اعتقد هذا التحريم كما لا يعتقده الباحث عن الأسس الصحيحة في التقويمات الرجالية ولكل رأيه المحترم أن الباحث العلمي يبحث عن الحقيقة أو الأقرب منها ليعتقدها ويجعلها المنهاج العلمي له .

قد يحكم النقاد على الحديث مضطرب فيوجب ضعفه لاشعاره بعدم الضبط لأنه شرط في الصحة والحسن إلاّ في حالة واحدة هي الاختلاف في اسم الراوي أو اسم أبيه أو نسبته وكان ثقة فيحكم للحديث بالصحة أو الحسن[٣]

---

(١) المحمدي ، الشاذ والمنكر ، ص٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص١٠ .

(٣) عجاج الخطيب ، المختصر الوجيز ، ١٥٤ ؛ جديدي ، معجم مصطلحات ، ص١٦٢ .

والاضطراب موجب ضعف الحديث لاشعاره بأنه لم يضبط وهو قد يقع في المتن أو في الإسناد أو من راو واحد أو بين رواة له[١] وقد يقع الاضطراب في دلالة الرواية مع ذكر المتن فيكون اشد اضطراباً[٢] ، وقد ميز الترمسي (ت١٣٢٩هـ/١٩١١م) بين الاضطراب في السند والاضطراب في المتن فالأول حكم المحدثين والثاني حكم المجتهدين[٣] ، ومن الغريب الحكم النقدي لأحاديث العقل فقد نقل ابن قيّم الجوزية (ت٧٥١هـ/١٣٤٩م) في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) قوله : ((وقال أبو الفتح الازدي : لا يصح في العقل حديث قاله أبو جعفر العقيلي وأبو حاتم بن حبان))[٤] وهو غير صحيح فإن النص القرآني أشار إليه وحذر من عدم استعماله بل أكد عليه بالامر الارشادي كما مر ، ووردت روايات كثيرة في كتب الشيعة الامامية عن نصوص الأئمة الصريحة والصحيحة وهي مضبوطة عندهم في العقل[٥] .

ولأسباب العلل في الأسانيد ذكروا عدة مفاهيم تحصل بها العلة كالتصحيف والقلب فهو يقع في الاسم كسبق الذهن القلم مثلاً في أحمد بن محمد بـ محمد بن أحمد والحسن بن علي بـ علي بن الحسن ، وقلب الواسطة مثل كتابة اسم الراوي بعد اسم شيخه فيوهم أن طبقته اقدم من طبقة شيخه أو علة الزيادة أي تكرار الاسم فيتخيل أن الاسمين عبارة عن شخصين أو إيراد الكنية فيوهم أنها لراوٍ آخر أو النقص الذي يقع بسهو النساخ أو سهو المصنفين أو نسيان بعض أصحاب الأصول والكتب من يوم تأليفها فحصل

---

(١) الزركشي ، النكت على مقدمة ابن الصلاح ، ص٢٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٢٥ .
(٣) الترمسي ، منهج ذوي النظر ، ص٩٩ .
(٤) ص٦٥ .
(٥) لمعرفة ذلك يمكن الرجوع إلى أصول الكافي في بداية مفتتح الجزء الأول عن جنود العقل والجهل فليراجع .

النقص بعد نسيان الواسطة[١] .

وبعد استعراض مفهومي العدالة والضبط يتضح أن المنهج المقارباتي هو اعتماد الثقة كمفهوم يتحدد باستعراض سيرته في كتب التراجم عند المؤرخين والآراء النقدية له في المنظومة الرجالية بدون استثناء لمنظومة دون أخرى لأن ابعاد منظومة نقدية يعني عدم التكامل المعرفي مما يولد النقص وبالتالي عدم موضوعية النقد على الرواة .

ثالثا : الحفظ .

إن الفرق بين الحفظ والضبط ، أن ضبط الشيء : شدة الحفظ له ، لئلا يفلت منه شيء[٢] ، والحافظ عند المحدثين العارف بالسنن البصير بالطرق والمميز للأسانيد يحفظ ما أجمع عليه وما اختلف فيه[٣] ، وقد يصاب بعض المحدثين بسوء الحفظ فينقد بلفظ سيء الحفظ ومن نقد بهذا النقد وإن كان صدوقاً ضابطاً قد توهم أوغلط ويكشف ذلك علم من أهم العلوم في هذا المجال هو علم علل الحديث[٤] .

وقسم بعض الباحثين سوء الحفظ إلى قسمين :

١- ملازمته له : أي من كان صدوقاً سيء الحفظ ففي حديثه ضعف ويزول ضعفه بكونه اثبت ممن يروي عن شيخ معين إذا كان ملازماً لذلك الشيخ ، وإزالة ضعفه بهذه القرينة ن وبقرينة أنه سمع من شيخه

---

(١) للمزيد ينظر : درياب ، نصوص الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٧٢ - ص٧٥ .

(٢) فتاح ، المعجم الاصطلاحي ، ص١٩٦ .

(٣) جديدي ، معجم مصطلحات ، ص٥١ .

(٤) الكردي ، إسماعيل ، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث ، (دمشق : دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات المطبعية ، ٢٠٠٨ م) ، ص٨٢ .

المختلط بعد اختلاطه يزداد ضعفه .

٢- لم يكن ملازماً له : بل طارئاً للكبر أو لذهاب البصر أو لاحتراق كتبه أو لا أنه رجع إلى حفظه فساء حفظه ، ويعرف هذا بالاختلاط[١] .

ويحكم النقاد في حالة الاختلاط بالتمييز بين الأخذ عنه قبل اختلاطه وبعد اختلاطه فيقبل في الحالة الأولى ويرفض في الثانية وإذا اشكل التحديث في أنه أخذه قبل اختلاطه أم بعده فيتبع الثانية ، أما إذا كان المختلط نفسه قد حدث به بعد الاختلاط أو أنه لم يتميز فهذا يمكن أن يتقوى بالمتابعة أو الشاهد ليرتقي بذلك مرتبة الحسن لغيره ، وهناك ضوابط لموضوع الاختلاط وله علامات وما ورد في الصحيحين من أنهم رووا عن بعض المختلطين أما هو قبل الاختلاط أو بعده بما يتوافق مع غيره أو يوافقه عليه الثقات ويخرج في المتابعات أو مقروناً بغيره وما اخرجه الامام البخاري من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة فأكثره من رواية من سمع منه قبل الاختلاط ولكنه اخرج عمن سمع منه بعد اختلاطه كمحمد ابن عبد الله الانصاري وروح بن عبادة وابن أبي عدي ولكنه انتقى ما توافقوا عليه وكذلك ما أخرجه البخاري عن سهيل بن أبي صالح السمان[٢] ، وسعيد بن أبي عروبة من الثقات حدث عنه الأئمة ومن سمعه منه قبل الاختلاط صحيح وبعده لا يعقد عليه وحدد زمن اختلاطه في سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م[٣] .

نقل أن عبد الرحمن بن مهدي كان لا يترك حديث رجل إلاّ رجلاً متهماً بالكذب أو رجلاً غلب عليه الغلط ونقل عن الثوري أنه إذا كان الغالب على

---

(١) العبد اللطيف ، ضوابط ، ص١٣٦ - ص١٣٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص١٣٧ - ص١٤٠ .

(٣) ابن عدي ، الكامل ، ج٤ ، ص٤٤٦ - ٤٥١ .

الرجل الحفظ فهو حافظ وإن غلط وإن كان الغالب عليه الغلط تُرك[١] .

هذه هي الشروط التي وضعها علماء الجرح والتعديل كمنهج للحكم على رجال الرواية من عدالة وحفظ وضبط ومن اتصف بها مهما كانت عقيدته يقبل عند النقاد هو منهج عند المتقدمين ، وإن استغل بعد ذلك إلاّ أن الباحث يستكشف مبلغ الأمانة وعدم الاقصاء حتى من المختلطين فحددوا زمانهم وميزوا رواياتهم قبله وبعده حتى ينقدوا بالنقد الموضوعي وهذا هو ديدن المتقدمين الذين ينظرون بالنظرة الكلية دون الجزئية التي استحكمت مع الاسف عند المتأخرين ومتأخري المتأخرين فاقصوا الفرق والمذاهب وسوقوا لهذه الثقافة التي تفرق ولا تجمع ولم ينظروا إلى المشتركات في هذه الحضارة الأصيلة التي استوعبت شعوب الأرض بسماحتها وانسانيتها .

إن المنهج المعتدل هو المنهج الذي يعتمد عند الباحثين المنصفين والذي كان عليه أهل الأصول الرجالية فهذا الامام ابن عدي في كتابه المهم (الكامل) يذكر ابن عقدة ويصفه بأنه صاحب معرفة وحفظ ومقدم في هذه الصناعة وكان مقدماً في الشيعة ولم أجد بداً من ذكره ثم يقول : ((لأني شرطت في أول كتابي هذا أن اذكر فيه كل من تكلم فيه متكلم ولا احابي ولولا ذاك لم اذكره للذي كان فيه من الفضل والمعرفة)) ثم ذكر من يحمل عليه ويذمه[٢] ولكنه بمنهج علمي وبلا تحامل بل اعتذر لذكره هنا أي في الضعفاء وهذا هو منهج المتقدمين فاغلبه مبني على أسس العلمية ، فإن المنهج الأخلاقي كان يسود أصحاب هذه الأصول وما قاموا به وخلفوه من نتاج فكري متميز يدعو إلى الإجلال والإكبار بخلاف ما نقرأه اليوم من تسقيط وإقصاء وتهميش لمثل هذه الكتابات ذات المنهج الأخلاقي الملتزم وإن

---

(١) فتاح ، المعجم الاصطلاحي ، ص٢٣١ .

(٢) ج١ ، ص٣٣٨ - ص٣٣٩ .

اختلفنا في الرؤية النقدية أو في الاعتماد على هذا الراوي دون ذاك .

كان أئمة النقد وأصحاب جمع الأحاديث يروون عمن ضبط وحفظ سنده ومتنه وكان من أهل الثقة ولا يضر الاختلافات العقائدية إلاّ أن ذلك يبدأ مع اتجاهات السلطة ويشتد مع تشددها ، لذلك نجد المشتركات واضحة في الرواية مع مختلف الاتجاهات فالناظر إلى مسند الامام أحمد أو الصحاح الستة أو غيرها من كتب الحديث لا تميز بين الراوي إلاّ من خلال بيان النقد في كتب الجرح والتعديل أو كتب التراجم ولكننا يمكن أن نجد الشيعي والرافضي والخارجي والزيدي والأشعري والمعتزلي في سياق واحد في الرواية والأخذ من هؤلاء في الأبواب الفقهية وغيرها ، هذا التراث الجمعي هو الذي يجب أن يقرأ وبقراءة الأسس نتعرف على حجم الاقصاء والتهميش بعد ذلك عند المتأخرين ومتأخري المتأخرين والهجوم على الشيعة بثقافة تعميمية أنهم اكذب الناس ، ونظرة في آراء بعض المعاصرين إذ يقول : ((فلا يجوز لنا أن نأخذ برواية الرافضي الكذاب الذي ديدنه الكذب ودينه وضع الحديث والطعن في الصحابة والغلو في آل البيت وعبادتهم من دون الله فوالله لم نر أحداً اشهد بالزور من الرافضة عليهم من الله ما يستحقون)) ثم يذكر من هو الرافضي ومن هم الرافضة ويصف أصلحهم أنهم أصحاب زيد بن علي الذين تركوه ويحاربون بالخشب وسموا بالخشبية فليس ثمة قتال بالسيف حتى يخرج المهدي المنتظر الذي دخل السرداب وهم الامامية ثم يذكر كفرهم ويقسّمه إلى ثلاثة أنواع :

١- عبادة آل البيت .

٢- تكذيب الله سبحانه وتعالى في تزكية الصحابة .

٣- تكذيب الله سبحانه وتعالى في أن القرآن محفوظ .

ووصل إلى نتيجة أنهم أكذب الطوائف[1] ولم أجد أنه أحال تعريفهم وبيان حالهم لأي مصدر من مصادرهم ، هذا المنهج المتطرف في أخذ المعلومات وتحشيدها بهذا الشكل ومن ثم تسويقها على أنها دراسة ميسرة لطلاب العلم الشرعي كما ذكر في مقدمة كتابه ، هذا المنهج الذي أتى به يخالف منهج المتقدمين من كبار العلماء كالامام أحمد بن حنبل والامام البخاري وعلماء الجرح والتعديل كابن أبي حاتم وابن حبان وابن عدي وغيرهم فقد صرحوا بأنه لا يمكن اسقاط أحاديث البصرة للقدر أو الكوفة للتشيع وعبروا لذهب العلم والآن نخالف اقوالهم وآراءهم النقدية فكم من رافضي اثبتوا روايته كما ذكرنا ذلك بالنسبة لابن عقدة وغيره ، ويبدو من مقارنة المناهج الأساسية والمناهج الثانوية نجد الاختلاف واضحاً بين المنهجين من ناحية التوازن والاعتدال والموضوعية وأن تأثر بعضه كما ذكرنا بالاتجاهات المختلفة ولكن لأسباب تاريخية معروفة ونحن اليوم نبحث عن المشتركات الكلية ونبتعد عن مثل هذا التسقيط الواضح الأهداف والغايات وغير العلمي بعدم وجود إحالة واحدة ولكنها تهم تلو التهم بلا أي حسنة ، في حين نقلنا كلام ابن مدي في ابن عقدة فتأمل .

ومع شيعية ابن عقدة فقد كان من شيوخ الدارقطني واخذ منه عشرين حديثاً[2] بل أخذوا علماء الجرح والتعديل أقواله النقدية التي تبنى عليها الأحكام وهي موجودة في كتبهم المعتمدة لمن يريد المراجعة ، ونقل ابن حجر في كتابه (لسان الميزان) هذه الحادثة في حبس ابن عقدة لانكاره على ابن صاعد الذي اخطأ في اسناد حديث وكان الحكَم على هذه المناقشة لابن أبي

---

(١) فتاح ، المعجم الاصطلاحي ، ص١٣٩ - ص١٤٢ .

(٢) الدارقطني ، علل الدارقطني ، تحق : محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، (الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥هـ) ، ج١ ، ص٥٩ من مقدمة المحقق .

حاتم فقد كتبوا إليه في هذا الانكار من ابن عقدة على ابن صاعد في الإسناد لحديث رواه فنظر وتأمل فإذا الصواب مع ابن عقدة فكتب إلى الوزير بذلك فاطلق ابن عقدة وعظم شأنه[1] ، ولم يحكم ابن أبي حاتم بهواه بل حكم بما تملي عليه عقيدته الأخلاقية والموضوعية ونحن بأمس الحاجة لمثل هذه الروحية اليوم .

فقد أصل ابن أبي حاتم منهج نقد النقد الموضوعي ، وما كان من ابن عدي من عدم المحاباة هو منهج المتقدمين وآراؤهم النقدية ولم يعر أية أهمية للاختلاف العقائدي ولم يتهم ابن عقدة بالكذب لأنه شيعي أو أنه يعبد أهل البيت أو أنه يكذّب الله تعالى ، لم تكن في الحقيقة هذه اللغة لغتهم ، وهذه اللغة في النقد عند المتقدمين حتى عند من هو متشدد منهم موجودة .

وتوثيق النجاشي ليحيى بن سعيد القطان مع ما قاله في المساس بالامام الصادق عليه السلام لم يلتفت إليه لأن المساس بالامام لن يؤثر ولا يمكن أن يؤثر في الأئمة عليهم السلام ولا النقاد الكبار من المحدثين ، ولو تتبعنا الخط المعرفي في هذه المنظومة وعرفنا من هو اقرب إلى الحديث وروايته والتدارس فيه يتضح للباحث أهمية هذا الخط المعرفي الذي تراكمت عليه الاختلافات التاريخية ، فلكي تجلو الصورة لابد من ازاحات كثيرة لمناهج التعصب التي لا ترى للخصم أي حسنة وترى كل الحسنات لها من دون أي سيئة .

لقد كان طلب الحديث وحفظه من محدثه ، يكلف المحدث الجهد المادي والمعنوي فقد رحل في طلبه اغلب المحدثين إن لم نقل جميعهم وتحملوا عناء هذا الجهد فقد سار جابر بن عبد الله الانصاري إلى مصر يسأل عقبة بن عامر

---

(١) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج١ ، ص٢٦٣ .

عن حديث واحد[1] ونقل عن سعيد بن المسيب قوله : ((إن كنت لاسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد))[2] ، والحفظ سمة من سمات هذه الحضارة إذ تعتز بذلك فلذلك كثر الحفاظ للنص القرآني وللحديث الشريف وهذه الخاصية حفظت ونقلت التراث والفكر الإسلامي عبر الأجيال لوجودهم في كل الطبقات حتى عصرنا اليوم وإن غلب حفظ القرآن على الحديث ، ولفظة حافظ أو حسن الحفظ أو سيء الحفظ من ألفاظ الجرح والتعديل وتطلق على الرواة لتميّز بينهما في هذا المفهوم اختلف علماء الامامية في هذا هل أنه يفيد الترجيح أو أنه مدح ؟ ، ويبدو أن المتقدمين منهم يطلقونه لإرادة مدح الراوي[3] ، لذا يقولون : كان من حفاظ الحديث أو أحد الحفاظ والناقدين للحديث ، ولكن هل يلازم الحافظ الناقد ؟ ، يكون الجواب بالايجاب لأن الحافظ عندما يسمع غيره أو ينقل له فهو بلا شك ولا ريب يقوم بعملية نقد لعناصر المسموع .

وقد يطلق الحافظ ويلحق به الثقة وهذا فيما يبدو أن مطلق كلمة الحافظ لا تدل على الثقة إلاّ إذا الحق به لفظ الثقة (الحافظ الثقة) ، ووضع علماء الحديث عدة شروط لمعرفة الحافظ : منها الشهرة بطلب الحديث والسماع المباشر والمعرفة بالطبقات والمراتب والآراء النقدية والتمييز بين الصحيح من السقيم وانه يستحضر الكثير من المتون بل ذهب البعض إلى تحديد عدد ما يحفظه الراوي من الأحاديث[4] ونقل عن الحاكم النيسابوري أن من الحفاظ

---

(١) الخطيب البغدادي ، الرحلة في طلب الحديث ، اعتنى به : راشد مصطفى الخليلي ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٢٧هـ) ، ص٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٥ .

(٣) المامقاني ، مقباس الهداية ، ج١ ، ص٤٤٨ ؛ دریاب ، نصوص الجرح والتعديل ، ج١ ، ص٤١٨ .

(٤) فتاح ، المعجم الاصطلاحي ، ص١٠٠ .

من يحفظ خمسمائة ألف حديث[١] وقد كانت الأرقام متفاوتة في الحفظ قد تصل إلى سبعمائة ألف حديث وقد تقل إلى سبعين ألف حديث فهي تعود إلى جهد المحدث والطالب الحديث ومدى ذاكرته في الحفظ وتقبله ، لكنه يشار له بالبنان لمن يمتلك هذه السعة من الحفظ ويهاب لأنه حافظ وناقد[٢] ، وبلا شك أن لفظ ومفهوم حافظ له مرتبة عليا لا تقل عن مرتبة العدالة والوثاقة والضبط ، إلاّ أنه فيما يبدو قد تجاوز عليها لأسباب معروفة واتجاهات مختلفة وذلك لكثرة الحفاظ ولكنهم على مذاهب واتجاهات متعددة أيضاً فكل مدرسة ترفع من شأن حفاظها ثم أن الحفاظ يكثر بينها النقد على الأسانيد والمتون بما يحفظون من شيوخهم ، وانتشارهم في البلدان ، قال أبو داود في عبد الله بن محمد النفيلي : ((لم أر احفظ منه))[٣] .

إن مفهوم الحافظ بلا قيود في هذا التراث النقدي يشير إلى المقاربة النقدية ويمكن العمل على هذه المقاربة بل أن مفهوم الحافظ يرجع إلى وحدة المصدر ، وأن حفظه لمروياته المتعلقة باتجاهه الخاص وربما ميّزوا الحفاظ لمنزلتهم ولكنهم لم يقوموا بدراسة مقارنة لمروياتهم ومدى تطابقها مع وحدة المصدر وأسس النظرية الإسلامية وبناءها الحضاري ، فالعمل الفردي اوقع الأمة في الجزئيات إذ أنها لم تنقل العلاقات بين الفرد والجماعة والأمة ، أن حفظ هذه المنظومة تحتاج إلى قراءة جديدة معاصرة في المقارنة والتحديد والازاحة لما نقلوه الحفاظ والآراء النقدية حولهم ويمكن أن تشمل هذه القراءة توجهات هؤلاء الحفاظ لمثل هذه الارقام الكبيرة ، ونقل الآراء النقدية ومن ثم نقدها للوصول إلى الخط المعرفي لما يروّنه ومدى أمانتهم في نقل المتون والطرق

---

(١) الحاكم ، المدخل في أصول الحديث ، ص١٥١ .

(٢) الحاكم ، المدخل ، ص١٥١ - ص١٥٢ .

(٣) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، ص٣٤٢ .

ومن ثم يظهر بلا شك ولا ريب الاتجاه العلمي الموضوعي .

قال ابن أبي حاتم الرازي في مقدمة كتابه (الجرح والتعديل) : ((وجب أن نميز بين عدول الناقلة والرواة وثقاتهم وأهل الحفظ والثبت والاتقان منهم وبين أهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب واختراع الأحاديث الكاذبة))[١] ، ثم عزل من تعتريه الغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط والسهو والاشتباه[٢] ، ويمكن معرفة ذلك اليوم بالمقارنات بين الآراء النقدية أو النظر في المتون المنقولة للراوي في مروياته أو كتبه بعملية تصنيفية في مرويات كل راو حسب المواضيع التي وصلت إلينا لتنقية هذا التراث من تلك الصفات المذكورة .

مقاربات في الأسس النقدية ونقد النقد :

كانت الأسس النقدية في لحظات الانطلاق والتكوين عند أهل المعرفة ايقاف حركة الوضع السياسي واعتماد رجال الرواية الثقات وممن يؤمن على نقله فنقد الرواة على أسس معرفية من العدالة والضبط والحفظ هو الخط المعرفي وبه يستقيم النقد الموضوعي ، وفي البحث التنقيري يمكن إبراز هذا الخط في النقد واضحاً في المنهج النقدي كأساس .

ذكر السخاوي المتكلمون من الرجال من الطبقة الأولى إلى عصره واستعرض الأسماء مع القوة والضعف في الحديث وأسبابهما ، فلما طال الإسناد احتيج إلى نقد كل راوٍ في السلسلة ، فاختلفت الآراء النقدية بل ربما تضاربت عند أئمة النقد فنتج عنها حركة اجتهادية كحركة الفقهاء الاجتهادية ، كاجتهاد يحيى بن معين في الرجال ، ومن الغريب نقد السخاوي لمحمد بن

---

(١) ج١ ، ص٥٣ .

(٢) السخاوي ، الإعلان ، ج١ ، ص٥٤ .

عثمان بن أبي شيبة بقوله : ((ضعيف لكنه من أئمة هذا الشأن))[1] ، وهذه النصوص عندما يتأمل فيها كحركة اجتهادية تحتاج إلى البحث عن الأسس الاجتهادية ومدى مطابقة الاجتهاد للأسس العلمية في النقد وتقويم الرجال ، هنا يرد الكلام النقدي لابن أبي شيبة فكيف يكون إماماً من أئمة النقد وهو ضعيف ؟ ومن المعلوم أن الناقد يحكم على المادة العلمية فكيف يحكم مع ضعفه ، وخلص السخاوي بعد استعراضه للنقاد بأن هذه الممارسة النقدية التي تحكم بالجرح والتعديل وتوهن وتصحح إذ ميّز بين المتقدمين والمتأخرين فالأقدمون بنظره اقرب للاستقامة وأبعد عن الملامة ممن تأخر[2] وبهذا التقويم يقرر السخاوي أن منهج المتقدمين من النقاد اقرب للاستقامة وأبعد عن الملامة أي المنهج غير الموضوعي في عرفنا اليوم في حين أن منهج المتأخرين يغرق في الجزئية وإبعاد عناصر المخالفة بالتشدد نوعاً ما .

كان منهج ابن عدي اقرب للاعتدال في تقويم الرجال وهو وإن أسماه الكامل في ضعفاء الرجال لكنه عدل الكثير من الرواة بعد النظر والتأمل في روايته وهو منهجه في النقد فمنهم الضعيف والمختلف فيه أي جرحه البعض وعدله البعض الآخر ، ويمكن الخروج بمجموعة كبيرة من الثقات الذين عدلهم ابن عدي في كامله بعد مراجعة مروياتهم واصدار حكمه النقدي عليهم ثم القيام بالموازنة بين الأقوال النقدية لغيره وترجيح احدهما فان ابن عدي سلك المسلك العلمي في الترجيح الاجتهادي لذا صرح : ((ومرجّح قول أحدهما مبلغ علمي من غير محاباة)) وهي ممارسة لحالة نقد النقد وهو المنهج الموضوعي بعد التأمل والفحص ، يقول ابن عدي : ((فلعلّ من قبح أمره أو حسنه ، تحامل عليه أو مال إليه)) ، وهذا النص يشير إلى المنهج

(١) للمزيد ينظر : السخاوي ، الإعلان ، ص٣٣٨ - ص٣٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٥٣ .

العلمي في قضية الرأي النقدي لابن عدي بعد رفع الاتجاهات المختلفة من التحامل أو الميل على الراوي أو له لأن النقد من أحكام المجتهد في هذا العلم ، والحكم يجب أن يكون خال من التحامل أو الميل حتى يكون علمياً غير خاضع للمؤثرات الاجتماعية أو النفسية أو غيرها من المؤثرات وهو ما تتفق عليه المدارس الحديثية في الإسلام بلا أدنى تردد .

إن منهج ابن عدي في النص الروائي واستعراض مرويات الراوي أو ما يلحقه بهذه الروايات أو من أجلها جرح لهو المعيار العلمي للحكم على الرواة من دون التسليم التام بأقوال النقاد والبناء عليها ، وبعد هذا الجهد من الموسوعة الرجالية الكبيرة يقرر ابن عدي حكمه النقدي لمن لم يذكر فيها فيقول : ((ولا يبقى من الرواة الذين لم اذكرهم إلاّ من هو ثقة أو صدوق وإن كان ينسب إلى هوى وهو فيه متأول))[١] وهنا قد أعطى صورة واضحة لمن لم يذكره في موسوعته الرجالية هذا المنهج يقرّب كثيراً بين الآراء النقدية ذات المنهج العلمي المعرفي والموضوعي .

ومما ذكره ابن أبي حاتم في المقاربة العلمية في نقل الأقوال عن أهل المعرفة وممن اشتهر بهذا العلم النقدي ، ومع وجود التناقض في الأقوال النقدية عولجت بالحكم الفصل وممن لم يحكم عليهم بأي رأي نقدي فهم من المهملين من الجرح والتعديل رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم إن وجد بعد ذلك[٢] ، ورفع التناقض هو نقد النقد وهي مقاربة منهجية مع الاعتماد على ذوي الاختصاص في هذا العلم وتقديم هذا المنهج على غيره من المناهج ثم ذكر أن بعض من اهمل لم توجد له من الجرح والتعديل نصيب فلذلك لم يلحق بهم أي حكم وهو منهج علمي موضوعي مقارب .

---

(١) للمزيد ينظر : ابن عدي ، الكامل ، ج١ ، ص٧٨ - ص٧٩ .

(٢) الجرح والتعدل ، ج١ ، ص٣٢٤ .

ومن المنهج المقارباتي نقد الرجال وما يحملون من روايات وكان هذا المنهج هو المتفق عليه بين المسلمين على مختلف اتجاهاتهم وميولاتهم فكانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام قد أشاروا لأصحابهم وثاقة رجال الرواة عنهم بل عرضت عليهم الكتب الحديثية وأعطوا رؤيتهم حولها ووازنوا بين ما موجود في واقع الأمر آنذاك من تراث حديثي دوّنه أصحابهم[١] .

إن هذه المنظومة النقدية وقع فيها اضطراب واضح في التوثيقات والتضعيفات فقد وقع عند النجاشي والطوسي[٢] بعض الاضطراب في تعارض الجرح والتعديل وخلو ذلك في أكثر موارده من النقد واستعلام حال الراوي في اغلب كتب الرجال عند الشيعة الامامية ، فرجال الشيخ الطوسي مثلاً لم يفد فائدة تامة لعلم الرجال في مجال النقد[٣] ، ولكنه يفد فائدة تامة في علم الطبقات وتشخيص الرواة بهذه المعرفة ثم البحث عن روايات الراوي المراد معرفة درجة وثاقته بالمقارنات مع غيره إذا حصل اتفاق في الطرق إلى متن واحد ، أن العملية النقدية هي المنهج الذي يجب أن يتبع وإن كان ديدن المتقدمين هو هذا المنهج إلاّ أن المتأخرين ومتأخريهم قد جمدوا واكتفوا بالتقليد متأثرين بالاتجاه السياسي الذي احكم حلقاته حول تقديس الأشخاص والكتب لغرض ديمومة الشرعية المزيفة للحكم ، أن المنظومة النقدية عند المتقدمين هي التي صنعت وانتجت هذا التراث العلمي والفكري وخلقت الحوار والنقد ونقد النقد للوصول إلى أصح الأحكام وأقربها إلى الصحة والحقيقة ولم تتوقف الحركة النقدية إلاّ عند النص القرآني لا تفسيره الذي خضع للنقد والتفسير والتأويل والآراء بالاختلاف في فهم معانيه بل

---

(١) أبو الهدى الكلباسي ، سماء المقال ، ج١ ، ص٢٣ ، ص٢٤ ، ص٢٥ .

(٢) للمزيد ينظر : المرجع نفسه ، ج١ ، ص١٥٩ - ص٢١٢ .

(٣) المحسني ، بحوث في علم الرجال ، ص١١٩ .

يمكن أن يقال أنهم اختلفوا إلى مستويات عديدة لفهم النص القرآني وجرى النقد في هذه المفاهيم أما كتب الحديث فهي الأخرى قد تعرضت للنقد في السند والمتن ولم يسلم منها أحد فكتب الحديث عند الشيعة الامامية الأربعة أو الستة قد تعرضت للنقد في رجالها ومتونها من الكثير من المتقدمين والمتأخرين واختلفت الآراء حولها بين الأصوليين والاخباريين عند المتأخرين ونفوا قطعية صدورها عن المعصوم ولم يقروا بكتب صحاح هذا هو رأي الأصوليين من الامامية بخلاف الاخباري الذي يعتقد بصحة جميع ما في الكتب الاربعة وربما ظهر بين الاتجاهين اتجاه وسط يجمع بين العمل الأصولي والعمل الاخباري بعدم مناقشة السند والقول بالاطمئنان والوثوق .

وتعرضت المنظومة السنية للحديث مثلما تعرضت المنظومة الشيعية فقد نقد كتابا البخاري ومسلم منذ تأليفهما إلى اليوم من مجموعة من النقاد وإن آمن بصحة ما جاء فيهما جماعة موازية للذي نقدهما وهذا المسار يقارب المسار عند الشيعة الامامية وآراءهم في كتبهم الحديثية .

وممن نقد الكتابين أئمة الحديث الدارقطني في بيان كتابه (الاستدراكات والتتبع) في مائتي حديث مما في الكتابين ولأبي مسعود الدمشقي (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) استدراك عليهما ، ولأبي علي الغساني الجياني (ت٤٩٨هـ/١١٠٤م) في كتابه (تقييد المهمل وتمييز المشكل) استدراك أكثره على الرواة عنهما وفيه ما يلزمهما ، وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره[1] من الخط الجمودي لرد هذه النقود والإجابة على الإشكاليات وقد انصف ابن حجر في مقدمة فتح الباري إذ أورد جميع ما تعقبه النقاد الحفاظ العارفون بعلل الأسانيد المطّلعون على خفايا الطرق وليست كلها قادحة بل أكثرها يمكن الإجابة عنها

---

(١) الكردي ، نحو تفعيل ، ص٧٤ - ص٧٧ .

وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير الجواب عنه فيه تعسف[١] ، وفيه انهاء لحركة النقد ونقده عند المحدثين أصحاب الأصول وغيرهم .

وهـذا التفصيل ينفـي قـول القائـل بصـحة جميـع مـا في الكتـابين ، ومـن الناقدين الإمام الطحاوي (ت٣٢١هـ/٩٣٣م) وهو قريـب مـن عصـر الامامين البخـاري ومسلم ففـي حديث القضـاء بالشـاهد واليمين فقـد رد حـديث ابـن عباس وقال منكر : ((لأن قيس ابن سعد لا نعلمه يحدث عن عمرو بن دينار بشيء فكيف يحتجون به في مثل هذا))[٢] ، وجملة اعتراضات على ما جاء في الصحيحين بعضها مـن داخـل المنظومـة السـنية وبعضـها مـن خارجهـا وأهمهـا اعـتراض الاماميـة بعـدم النقـل عـن أئمـة أهـل البيـت مثـل الامـام الصـادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري وكان معاصراً للبخاري ومسلم ولم يـرو عـن أولاد الحسـن وهـم مجموعـة كبيرة مـن الـرواة والمحدثين والنقـاد والحفـاظ[٣] ، لقـد انقسـم أصـحاب المنظومـة السـنية إلى قسـمين قسـم ينفـي ويـرفض الانتقـاد ويـدعي الإجمـاع علـى صـحة مـا في الصـحيحين بقـولهم : ((وجفت الصحف ورفعت الأقلام عن أحاديث الصحيحين وإلاّ كانت الأمة باتفاقها على صحة الصحيح قد ضلت عن سواء السبيل))[٤] ، هـذه الـدعوة ردها من المعاصرين الالباني وانتقدها بشدة ونفى القول من روى لـه البخـاري فقد جاز القنطرة فذكر أنه لا يلتفت إليه أهـل التحقيـق وتبادلـت هـذه المدرسـة القائلـة بصـحة الانتقـاد والرافضـة لـه بـدعوى الإجمـاع مجموعـة مـن المؤلفـات موجودة في المكتبة الإسلامية فلما ضعف الالبـاني عـدداً مـن أحاديـث صـحيح

---

(١) ص٣٨٠ .

(٢) الطحاوي ، أحمد بن محمد بن سلامة الازدي الحنفي ، شرح معاني الآثار ، تحق : محمد زهري النجار ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٦هـ) ، ج٤ ، ص١٤٥ .

(٣) أبو رية ، أضواء ، ص٣١٠ .

(٤) الكردي ، نحو تفعيل ، ص٩٦ .

مسلم رده محمود سعيد بكتاب اسمه (تنبيه المسلم إلى تعدي الالباني على صحيح مسلم) ورد عليه بعض تلامذة الالباني بكتاب اسمه (دراسات في صحيح مسلم - كشف المعلم بأباطيل كتاب تنبيه المسلم)[١] ، ومجمل القول أن التراث الحديثي ورجاله عند المسلمين خضع عند المتقدمين إلى النقد والانتقاد في الرواة والمتون بلاد أدنى دعوة لصحة جميع ما جاء في كتبهم ، ويبدو أن دعوى الصحة وجفاف الاقلام عن التحدث عن المصادر الأولية جاءت متأخرة فعند الامامية جاءت بظهور الاخبارية في القرن الحادي عشر الهجري وادعائهم بقطعية صدور الكتب الاربعة فلا يجوز المقارنة في أسانيدها ومتونها ، وعند السنة جاءت عن طريق الإجماع على صحة المتون والاسانيد وممن وقع في اسانيدهما فقد جاز القنطرة ، فإن اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين من لوازمه تعديل رواتهما وذكر ابن حجر مجموعة ممن طعن فيهم من أئمة النقد وهم من رجال ورواة البخاري ذكر مفصلاً الآراء النقدية حول كل أحد منهم[٢] ، وهو منهج المتقدمين وبه انتجوا هذا التراث العظيم من الموروث العلمي والفكري ، ويصرح بهذا المنهج ابن عدي في مقدمة كتابه بقوله : ((وأنا ذاكر اساميهم ومبين فيهم الوجه الذي استحقوا به قبول قولهم في رواة الأخبار ، وذاكر في كتابي هذا كل من ذكر بضرب من الضعف ومن اختلف فيهم ...))[٣] ، هذا الاستقراء في نقل الآراء وتمحيصها والخلوص إلى رأي نقدي يعد من أقرب ما قاله أهل الموضوعية في الحكم على الأشياء بل هو المنهج العقلي الذي اتبعه علماء النقد الرجاليين ، وقد صرح ابن حبان بقوله في ممارسة النقد : ((وانه لا سبيل إلى معرفة السقيم من الصحيح ولا صحة إخراج من الصريح إلاّ بمعرفة ضعفاء

---

(١) الكردي ، نحو تفعيل ، ص٩٥ - ص٩٧ .

(٢) للمزيد ينظر : ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ص٣٨١ - ص٤٧٩ .

(٣) الكامل ، ج١ ، ص٧٨ .

المحدثين وكيفية ما كانوا عليه من الحالات ...))[1] ، وعلى هذا لا يمكن ايقاف الحركة النقدية بعدما عدت من مناهجهم ولـن يقرروا ايقـاف ذلـك بـنص مـن المتقدمين ولو كان منهم ذلك لجمدت الحركة العلمية وانتهـى دورهـا ولا يمكـن قبول التوقف والجمود والتقليد من أي مصنف وعالم ينشـد المعرفة والوصـول إليها .

وعلى هذا الذي قدمناه يمكن أن تناقش دعوى الإجماع والقطعية لينفتح بـاب النقـد البنـاء علـى مصـراعيه في المنظومـة التراثيـة الضـخمة الـتي هيـأت الأرضية من المعلومات القيِّمة فإذا جمدنا قد أوقفنا تراثنا بايدينا واوقفنا جهود هؤلاء النقاد من البحث والتقصي والاستقراء بنوعيه في الكم الهائـل والعمـل الدؤوب في المعلومات التي أوردوها عن الرواة والآراء النقدية لكل راو دخل في منظومة الإسناد وإنما اليوم لم نعرف معلومـات عـن بعضـهم لفقـدان اغلـب التراث من التداول لأسباب عدة تاريخية أو إجرائية لوجوده في بعض المتاحف العالمية .

يخيل إلي أن ممارسة العملية النقدية لهذا التراث بما فيه مـن معلومـات قيِّمـة تعيد الحركة العلمية وتنهض بـالتراث مـن جديـد إذ احتـوى هـذا الـتراث علـى معلومات دقيقة أو غاية بالدقة في تحديد الـراوي وبلـده ونسـبه وألقابـه وكنيتـه وقبيلته وانتمائه المذهبي وطريقـه الروائـي والآراء النقديـة فيـه ومهنتـه وعبادتـه وزهده وموقفه الدنيوي وحالته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واستمراره في الصلاح والتقـوى أو انحرافـه ومروياتـه ومواضـيعها العقائديـة أو الفقهيـة أو التاريخية ورأي النقاد فيه وفي مروياتـه ومـدى حفظـه وضـبطه ووثاقتـه وعدالتـه والمقدار العددي لمروياته وهل هو مكثر أو مقل يروي عن الثقـات أو الضـعفاء والمجاهيل ودرجة مروياته ينفرد بها أو يتابع غيره فيها زيـادة أم لا ، ولا اعتقـد

---

(١) للمزيد ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص٧ – ص٨ .

مما في هذه المنظومة من معلومات غاية في السعة أن يوجد لها ما يماثلها في الحضارات الإنسانية ، ويمكن الاستفادة من هذا التراث بفتح الحوار النقدي البناء بنقد هذا التراث الرجالي وهي عملية إحيائية لما اعتمدوه من منهج نقدي لهذه الشخصيات فيكون ما نقوم به نقد ما قرّروه من نقد .

إن إزاحة دعوى الإجماع والقطعية كما قرّره بعض العلماء لهو المنهج النقدي الذي يقارب بين المناهج كثيراً ، وينهض برد الإشكاليات السندية في مجمل الأحاديث النبوية عند المسلمين ، وموازنة الآراء النقدية الرجالية واعتماد الراوي الثقة غير المقيد إلاّ بما يجرحه ويضعفه حقيقة فلا الناقد له سلطة حكمية عليه حتى لا يناقش ، بل كل الآراء خاضعة للنقد ونقد النقد حتى تثبت صحتها إلاّ الناقد المعصوم بنظر الامامية فإذا ثبت نصه تثبت الوثاقة أو الحسن ، ولكن كيف يمكن احرازها ؟ قالوا بالوجدان ولكنه غير متحقق في زماننا ، أما الرواية المعتبرة فهي موجودة[١] وهنا يتحقق بالمقاربة أهمية النقد والنقد المضاد البناء وأن أي عملية اتكالية بعيدة عن هذه الممارسة قد تعطي نتائج تقليدية جمودية لا تنفع الفكر وتطوره وتجديده أن إعادة قراءة المنظومة الرجالية وفرز الرواة والآراء النقدية لهم أو عليهم ثم تعيين بعض المجاهيل أو الرواة التي صنعتهم السياسة والاتجاهات المختلفة ومعرفة الوضع في الرجال والمتون[٢] ، باعتماد تجديد الفكر بالقراءات الواعية بما يوافق النص القرآني بعد سلامة الطريق إلى المتن .

---

(١) للمزيد ينظر : الخوئي ، معجم ، المقدمة ، ص٣٩ - ص٤٠ .

(٢) للمزيد ينظر : العسكري ، مرتضى ، خمسون ومائة صحابي مختلق ، (بيروت : دار الزهراء ، ١٤١٢هـ) ، والكتاب من جزأين وهو يهيء لقراءة جديدة في هؤلاء الرجال حملة التراث ومدى واقعية وجودهم بعد التشكيك بهذا العدد منهم وعوامل الوضع في الواقع قد اعترف بها الزنادقة والوضاع ومن له مصلحة خاصة .

المشتركات النقدية :

إن جميع هؤلاء الرواة يشتركون بحمل حديث رسول الله صلَى الله عليه وآله وسلم على اختلاف مذاهبهم وميولاتهم وحتى لغاتهم وهذه الروايات في متونها مشتركة بالمواضيع في العقيدة والفقه والتفسير والنقد والتاريخ بل الفكر الإسلامي باجمعه فيه هذا المشترك ، وباعتبار هذا النص الشارح للنص النازل ولنظرية الإسلام بالقول والفعل والتقرير ، فالمسلمون يشتركون في هذا كما يشتركون في الرواة ومن ثم يشتركون في النقد وقد تتطابق أحكامهم النقدية على الرواة أو تختلف قليلاً أو تتعارض تماماً ، ومن مراجعة مدى التطابق وجدنا أن مجموعة من الرواة بين الفريقين تم الاتفاق على مصداقيتهم ووثاقتهم وهو أعلى مراحل المقاربة والغريب أنه قد يحصل التطابق والاقرار في الحكم النقدي ولكن تحصل انتقائية في اختيار المواضيع وقد تكون لهذه الانتقائية بعض المبررات بما يخص الاتجاه وما يتعلق به ، وهناك نماذج مهمة تم الاتفاق عليها والحكم بالجرح أو التعديل من قبل النقاد ، ومن هؤلاء الرواة ما عدا أئمة المذاهب والاعلام الذين اشتهروا بالعلم والطلب والتقدم على أقرانهم ، فهم بالاتفاق علماء لهم رأيهم يتفق ويختلف كجزئيات وهوية لذواتهم ، فإن الاشتراك بين الجميع في الكليات ، فالجزئية هوية يحتفظ بها كل فضاء يجول به الراوي والناقد ، ومن أهم ما اتفق عليه بالاتفاق العام كالآتي :

١ـ أبان بن تغلب (ت١٤١هـ/٧٥٨م) :

وثقه ابن سعد ، وعبر عنه : ((وكان ثقة روى عنه شعبة))[1] ووثقه الامام أحمد بن حنبل فقد جاء في كتابه العلل : ((سئل عن ابان ابن تغلب وزياد ابن خيثمة فقال ابان ثقة كان شعبة يحدث عنه ، قيل له : أبان وادريس

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، ج٦ ، ص٣٦٠ .

الاودي ، قال : أبان أكثر))[١] ، وذكره الامام البخاري في تاريخه الكبير بلا نص نقدي إلاّ أنه ذكر : ((ابان بن تغلب الكوفي سمع الحكم وفضيل بن عمرو وأبا إسحاق الهمداني روى عنه شعبة وابن عيينة وحماد ابن زيد))[٢] ولم يذكر أنه روى عن الامام زين العابدين والامام الباقر والامام الصادق مع اختصاصه بالامام الباقر والصادق عليهما السلام .

ومن الغريب ذكره في ضعفاء العقيلي مع اشارته لبعض المطاعن له ولكن ختم كلامه بأنه له أدب وعقل وصحة حديث إلاّ أنه كان فيه غلو في التشيع[٣] ، هذا الاتجاه العقائدي هو الذي أدى بالعقيلي إلى ذكره في الضعفاء وجرحه وإلاّ أن ابن سعد والامام أحمد قد وثقاه قبله ولم يهتما للعقيدة التي يحملها لأنها من خصوصياته أما نقله للحديث فصحيح لا يكذب وصدوق .

أما ابن أبي حاتم فقد نقل الأقوال النقدية وأكد على من نقده ووثقه فقد نقل توثيق ابن حنبل ويحيى بن معين ، ورأي عبد الرحمن بن الحكم بن بشير بأن لابان صحة حديث وأدب وعقل ثم قال : ((سمعت أبي يقول : ابان ثقة صالح))[٤] ، ولم يذكر قضية التشيع فهو هوية الشخص لا علاقة له بالصدق والكذب في النقل وهو منهج المتقدمين من النقاد .

أما ابن حبان فقد ذكره في كتابه (الثقات)[٥] ، ثم ذكره في (مشاهير علماء الامصار) ، واعطى رأيه النقدي فيه ، وقال عنه : ((ابان بن تغلب

---

(١) ج٣ ، ص٢٨٤ ؛ وورد أكبر بدلاً من أكثر ولعله الصحيح ، ابن شاهين ، أسماء الثقات ، ص٣٩ .

(٢) ج١ ، ص٤٥٣ .

(٣) ضعفاء العقيلي ، ج١ ، ص٣٦ .

(٤) الجرح والتعديل ، ج٢ ، ص٢٩٦ .

(٥) ج٦ ، ص٦٧ .

القارئ من خيار أهل الكوفة))[1] ، ونقل الأقوال النقدية ابن عدي في كتابه (الكامل) ، وأول هذه الأقوال قول السعدي الذي اتهم ابن تغلب بأنه : ((زائغ مذموم المذهب مجاهر)) وهذا النقد غير الموضوعي قد خالف كبار النقاد فيه ، وقد أعطى ابن عدي حكمه النقدي فيه ورد على السعدي بتخريج كلامه المتقدم فقد جاء ما نصه : ((ولابان أحاديث ونسخ وأحاديثه عامتها مستقيمة إذا روى عنه ثقة ، وهو من أهل الصدق في الروايات وإن كان مذهبه مذهب الشيعة وقول السعدي مذموم المذهب مجاهر يريد به أنه كان يغلو في التشيع لم يرد به ضعفاً في الرواية وهو في الرواية صالح لا بأس به))[2] ، وذكره ابن شاهين في كتابه (تاريخ أسماء الثقات)[3] ، وذكره المزي في كتابه (تهذيب الكمال) وذكر أنه روى عن جعفر ابن محمد الصادق واستوعب الأقوال النقدية من مختلف النقاد الذين سبقوه وأعاد الكثير منها ومنها قول السعدي وتحامله مخالفاً أقوال كبار النقاد عنه بالوثاقة والصلاح ، وقال : ((روى له الجماعة إلاّ البخاري))[4] ، وقد تعرض الذهبي لترجمته فلم يذكر كما ذكر المزي أنه روى عن الامام جعفر بن محمد الصادق مع أنه إذا ذكر ابان ذكر الامام وأقر الذهبي بأنه : ((صدوق في نفسه ، عالم كبير وبدعته خفيفة لا يتعرض للكبار ...))[5] ، وفي كتابه (ميزان الاعتدال) قال عنه : ((شيعي جلد لكنه صدوق ، لنا صدقه وعليه بدعته)) ، ثم ذكر توثيقات ابن حنبل وابن معين وأبي حاتم ، ثم قال وأورده ابن عدي ونقل

---

(١) ابن حبان ، الثقات ، تحق : مرزوق علي إبراهيم ، (المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١١هـ) ، ص٢٥٩ .

(٢) ابن عدي ، الكامل ، ج١ ، ص٣٨٩ .

(٣) ص٣٩ .

(٤) ج٢ ، ص٦ .

(٥) سير اعلام النبلاء ، ج٦ ، ص٣٠٨ .

قوله : ((كان غالياً في التشيع))[١] ولم يقل ابن عدي ذلك كما نقلناه فليس القول قوله بل تخريج رأي السعدي فيه لذلك قال ابن عدي : ((وقول السعدي مذموم المذهب مجاهر يريد به أنه كان يغلو في التشيع لم يرد به ضعفاً في الرواية وهو في الرواية صالح لا بأس به)) ثم أن الذهبي اشكل على نفسه وأجاب من أنه ، كيف ساغ توثيق مبتدع وحد الثقة العدالة والاتقان ؟ ، فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة ؟ ، ولتخريج ذلك قسّم البدعة إلى قسمين صغرى وكبرى ، والأولى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو فقال عنها : ((فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة))[٢] ، وهذا الرأي النقدي في غاية الدقة العلمية ، فإن الذهبي قد استقرء أحوال الرجال إلى عصره ، إذ عبر عنه السخاوي بأنه : ((من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال))[٣] ، وبهذا يكون الذهبي قد وصل إلى قناعة أن التشيع قد انتشر في الطبقة الثانية والثالثة وهم حملة الآثار عن الصحابة إلى متأخريهم من الرواة ، وهذا الذي ذكره هو منهج المتقدمين من النقاد الذين كثيراً ما ينقدون المرويات دون الرواة ، وهو من اعظم المشتركات النقدية لو درسنا ذلك بامعان وانصاف لخلص هذا التراث من التشنج والانفعال ولعرف المدخول التعمدي والمدخول من غير قصد لأن الرواة هم الذين نقلوا هذه المتون وربما تلاعبوا في نصوصها وأسانيدها لذلك جاءت أهمية دراسة علم الرجال في الفكر الإسلامي ، بل اصبح الآن ضرورة ملحة في كشف الواقع الفكري وإزالة وإزاحة التراكمات التاريخية على النص من قبل هؤلاء الرواة فيجب كشف حالة الرواة كشفاً موضوعياً هادفاً بنّاءً ليصفو لنا فكراً ناصعاً تنهض

---

(١) ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٦ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٦ وما بعدها .

(٣) الإعلان بالتوبيخ ، ص٣٥٤ .

الأمة في إعادة حضارتها ومواكبة العالم المعاصر في الفكر والعلم والتقنية ، أن علم الرجال يحتاج اليوم إلى قراءة جديدة واعية ربما تسقط بقراءته العديد من الأسماء اللامعة بالبحث عن المشتركات والكليات الجامعة بين المسلمين وبالخصوص أن فكرهم مصدره النقل والعقل .

أن ما قاله الذهبي في البدعة الصغرى قد شمل طبقات النقل الأساس لكل هذه الأحاديث فلو قمنا باحصاء لطبقة التابعين وتابعيهم فنجد أن هذه البدعة قد انتشرت في أوساطهم ولو جرح هؤلاء لانتهى النص الشارح بل لذهب النقل مما يؤدي إلى مفسدة بينة كما قال .

ثم ذكر البدعة الكبرى وهي الرفض الكامل والغلو فيه والنيل من الصحابة وابان ابن تغلب لم يكن منهم ، فالنقد الذي ذكره الذهبي كان سائداً في الطبقة الأولى وهو مدون في تاريخهم لا يسلم منه أحد من الصحابة فيما بينهم أو التابعين أو تابعيهم إلى يومنا هذا ، ثم أشار الذهبي إلى الواقع الاجتماعي وانقسام المسلمين إلى أقسام منها التشيع الذي يكفر الصحابة بنظره فحكم بكفرهم وقال من يتكلم بهؤلاء السادة من الصحابة وقد عينهم ((فهذا ضال معثر))[١] ، مع أنه تكلم بعضهم في بعض ونحن ندرس التراث كما هو ونحلل نصوصه لمعرفة الحقيقة ، لا يمكن دفعه وتخريجه اليوم في البحث الموضوعي والبحث عن المشتركات مع أن مجتمع الصحابة لا يدعي لنفسه القداسة ولا حتى العصمة إذ انتقد بعضهم بعضاً علانية وعلى رؤوس الاشهاد بل سب بعضهم بعضاً على أعواد المنابر وما صرح به ابن العربي صاحب العواصم من القواصم من أن ذلك جائز لهم ومحرم على غيرهم إذ لا سند له في هذا الادعاء من النصوص إلاّ بليّ أعناقها وعبر باب التمحل[٢]

---

(١) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٥ .

(٢) عبد الكريم ، خليل ، شدو الربابة بأحوال مجتمع السفر الثاني الصحابة والصحابة ، (القاهرة : سينا للنشر ، ١٩٩٧م) ، ص١٩ .

والتخريجات ومحاولات موافقة العقل الجمعي غير صحيحة فإن الحق احق أن يتبع ومنهج التابعين وتابعيهم والمتقدمين من العلماء هو أقرب إلى الصحة وأبعد عن الملامة كما نقل عن السخاوي أو أن الاقدمين اقرب الاستقامة [1] من المتأخرين ومتأخريهم ، أن رأي الذهبي يتفق مع المنهج المتقدم عند نقاد الرواة وتشخيص الورع والتقوى والزهد والصدق بعيداً عن البدع في نظر الخصم لأن الخصم ينظر للآخر بأنه مبتدع ، لكن يمكن معرفة ما ينقله بالمقارنات والمشتركات والنظرة الكلية والتخلي عن لغة المخالفة العقائدية أو العقد الموروثة التاريخية وحمل الرأي على المعاداة لأن حمل الرأي على المعاداة يسبب التقوقع والنقص والتكابر في سماع الرأي الآخر وإن كان سديداً كما نراه اليوم في إلغاء واقصاء وتجاهل بعض الطوائف لغيرها .

إن رفع هذا الاتجاه المذهبي يستقيم الخط العلمي المعرفي كما رفع الذهبي بتخريجه البدعة الصغرى التي لا تضر ، والحق أن ما يسمى بالبدعة الكبرى أيضاً لا تضر الآخر إذا لم تكن منهجا اسقاطيا أو تهميشيا للآخر ، ولذلك صرح ابن حجر أن التكلم في ابان بن تغلب انحصر في التشيع ولا وجود للمشترك بين المحدثين من العدالة والضبط والحفظ وغيرهما لذا قال : ((ثقة ، تكلم به للتشيع))[2] ، وفي (تهذيب التهذيب) بعد أن نقل قول ابن عدي علق على نقله بقوله : ((هذا قول منصف)) فقد قوّم ابن حجر ما وصل إليه ابن عدي في نقده لابان بن تغلب ، ثم رد قول الجوزجاني بتعبير يشير إلى عدم انصافه في نقد ابان والكوفيين بقوله : ((وأما الجوزجاني فلا عبرة بحطه على الكوفيين)) ثم فصل القول في التشيع وحسب رأيه في عرف المتقدمين[3] ، واتفق أصحاب السنن الأربعة - لأبي داود والترمذي وللنسائي ولابن ماجة -

---

(١) الإعلان بالتوبيخ ، ص٣٥٣ .

(٢) التقريب ، ج١ ، ص٥٠ .

(٣) تهذيب ، ج١ ، ص٨١ .

في الرواية عنه فقال الذهبي بعد أن نقل الاتفاق : ((أبا بن تغلب القارئ عن عكرمة والحكم ، وعنه شعبة وابن المبارك وعدة ، ثقة شيعي مات ١٤١))[١] .

وذكره الكشي في كتابه الذي اختصره الشيخ الطوسي في عدة روايات فيها النص في الامام على عدالته ومنزلته العلمية فقد ذكر عند الامام الصادق اسمه في محفل عند الامام فقال : ((رحمه الله أما والله لقد اوجع قلبي موت أبان))[٢] ، وأوصى أصحابه بالرجوع إليه لقوله : ((فإنه قد سمع مني حديثاً كثيراً فما روي لك عني فارو عني))[٣] وترجم له النجاشي بقوله : ((عظيم المنزلة في أصحابنا لقي علي ابن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام روى عنهم وكانت له عندهم منزلة وقدم ... وكان ابان إذا قدم المدينة تقوضت إليه الحلق واخليت له سارية النبي صلّى الله عليه وآله))[٤] .

إن أبان في نص النجاشي قد عرّف الشيعة لقوله لاجلسائه : ((اتدري من الشيعة ، الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله اخذوا بقول علي عليه السلام وإذا اختلف الناس عن علي اخذوا بقول جعفر ابن محمد عليه السلام))[٥] ، وهذا القول قد يخالف من يقول في التكفير للصحابة وسبهم من قبل الشيعة ولكن في هذا النص يميز الشيعة عن غيرهم في أنهم يأخذون بالمشترك ولا يترددون ولكن عند الاختلاف يقدمون قول علي على غيره ثم يذكر واقعه وحلقة الامتداد إلى علي هو جعفر بن محمد الصادق عند الاختلاف في المرويات عن علي حتى يمكن رفع الوضع عليه بعدة روايات

---

(١) الكاشف ، ج١ ، ص٢٤ .

(٢) الاختيار ، ص٣٩٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٩٦ .

(٤) الرجال ، ص١١ - ص١٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٢ .

حتى من خصومه فليرجع إلى ابنائه فهم اعرف من غيرهم بما ورد عن علي عليه السلام ، وقد نبه الإمام الصادق عليه السلام بفضل ابان بن تغلب فقد أمر ابان بن عثمان الاحمر بالرواية عن ابان بن تغلب بقوله عليه السلام : ((إن أبان بن تغلب روى عني ثلاثين ألف حديث فاروها عنه))[1] ، وهو أيضاً تأكيد على قيمة السند وأهميته في علم الحديث .

ووصفه الطوسي بالثقة والجليل القدر وعظيم المنزلة كانت له حظوة عند الأئمة عليهم السلام[2] وعده من أصحاب الامام علي بن الحسين عليهما السلام[3] ومن أصحاب الباقر عليه السلام[4] ومن أصحاب الصادق عليه السلام[5] ، وهو ممن كتب على أصول الشيعة الامامية كما ذكر له ابن النديم (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) في كتابه (الفهرست) فقد أشار إلى كتابه من الأصول في الرواية على مذهب الشيعة[6] وبعد هذا التنقيب المعرفي اتضح لنا أن جرحه بسبب العقيدة مع الاتفاق على صدقه ووثاقه ، فإذا أزلنا وأزحنا هذا النقد المتأثر يخلص إلينا وثاقة هذا الرجل ويمكن الاعتماد على قوله بعد النقد والفحص والتأمل والرجوع إلى قواعد متن الحديث وسلسلة اسناده وممن روى عنه أو هو ممن روى منه ، ويمكن دراسة الرجال بالنظر إلى الانتقادات الموجهة إليهم بعمل موازنة بين الآراء الناقدة ومن ثم يمكن الوصول إلى المشتركات النقدية لكي تكون مسار عمل للمفكر الواعي الباحث عن الحقيقة أو الأقرب منها باعتماد هذا المسلك المعرفي .

---

(١) الرجال ، ص١٢ .

(٢) الفهرست ، ص٥٧ .

(٣) الرجال ، ص١٠٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٢٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٦٤ .

(٦) أبو الفرج محمد بن اسحق ، الفهرست ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ) ، ص٣٠٨ .

٢ـ حفص بن غياث بن طلق القاضي (ت١٩٤هـ/٨٠٩م) :

كان عبد الرحمن بن مهدي لا يقدم بعد الكبار من أصحاب الاعمش غير حفص ابن غياث[1] ، وقيل : ليحيى بن سعيد القطان ما تقول في بكير بن عامر فقال : كان حفص بن غياث يتركه وحسبه إذا تركه حفص[2] ، وهذا النص يشير إلى مستوى النقد المقبول عند كبار النقاد ويبين منزلة حفص بين النقاد ، وقد نقل عن الامام أحمد بن حنبل أيضاً أنه نقل نقده في أبي سهل محمد بن سالم الذي أخذ كتب أخيه يحدث عنها هذا ما قاله حفص بن غياث[3] ، وقال عنه ابن حنبل : له عقل ووقار وهيأة ما يكاد يتكلم حتى يُسئل[4] ، ترجمه البخاري في تاريخه ولم يذكر له أي لفظ نقدي سوى أنه سمع الاعمش وسمع منه ابنه عمر[5] ووثقه العجلي وقال : ثقة مأمون فقيه وكان على قضاء الكوفة وكان وكيع ربما يسأل عن الشيء فيقول : اذهبوا إلى قاضينا فسلوه وكان سخياً عفيفاً[6] وممن وثقه يحيى بن معين ، وقال عنه ابن نمير : ((حفص بن غياث كان اعلم بالحديث من ابن إدريس)) وقال أبو زرعة : ((حفص بن غياث ساء حفظه بعدما استقضى فمن كتب عنه من كتابه فهو صالح وإلاّ فهو كذا)) ، وله منزلة كبيرة عند وكيع فقد تعجب من حديث رواه احدهم بمجلسه فاستفهم من قائله ، فقيل له حفص بن غياث فقال : ((إذا جاء به أبو عمر فأي شيء نقول نحن ؟))[7] وكانت تشد إليه

---

(١) أبو داود ، سؤالات الآجري ، ج٢ ، ص٢٨٩ .
(٢) ابن معين ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٣١ .
(٣) ابن حنبل ، العلل ، ج١ ، ص٢٩٢ ، ص٥٦٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٨٣ .
(٥) التاريخ الكبير ، ج٢ ، ص٣٧٠ .
(٦) الثقات ، ج١ ، ص٣٠٨ .
(٧) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٣ ، ص١٧٣ .

الرحال في طلب الحديث فقد رحل الشاذكوني إليه من الكوفة وكتب عنه ثم رحل إلى البصرة وعوتب لحديث عن حفص لم يأخذه عنه فرجع إليه وهو حديث عن جعفر بن محمد عن أبيه عن أبي سعيد الخدري[١] .

وذكره ابن حبان في كتابه (الثقات)[٢] ، وفي كتابه (مشاهير علماء الأمصار) قال عنه : ((كان يهم في الاحايين))[٣] ، وله مواقف نبيلة في القضاء فقد ولي القضاء في بغداد ثم الكوفة وكان صلباً في أحكامه حتى مع المقربين للسلطان ، وكان فقيراً حتى قيل : ((ختم القضاء بحفص بن غياث)) ، وقال يحيى بن سعيد القطان بحقه : ((أوثق أصحاب الأعمش حفص بن غياث))[٤] ، ومع اشتراط ابن عدي أنه يذكر كل من تكلم فيه فإنه لم يذكر حفص بن غياث في كتابه مما يدل على جلالة منزلته ووثاقته ، مع انه وجد مع تكلم فيه بسوء حفظه أو أنه يهم كما نقلنا ذلك إلاّ أن ابن عدي قد اعطانا دلالة واضحة أن مثل هذه النقود لا اعتبار لها عنده لذلك لم يذكره في كتابه إلاّ في ترجمة حسين بن حميد بن الربيع الخزاز الذي كان يقول : ((سمعت أبا بكر بن أبي شيبة يتكلم في يحيى بن معين ويقول من أين له حديث حفص ابن غياث عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلم : ((من أقال نادماً أقال الله عثرته)) ، هو ذا كتب حفص ابن غياث عندنا وكتب ابنه عمر بن حفص بن غياث عندنا فليس فيه من هذا شيء)) ، ورد هذه الحكاية ابن عدي عن أبي بكر ابن أبي شيبة لأن راويها ((حسين بن حميد متهم ويحيى إمام من أئمة النقد وأيّد ابن عدي مطّين في

---

(١) الخطيب البغدادي ، الرحلة ، ص١٦٠ .

(٢) ج٦ ، ص٢٠٠ .

(٣) ص٢٧٢ .

(٤) للمزيد ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٨ ، ص١٨٤ - ص١٩٦ .

نقده له بأنه كذاب ...))[١] .

ومن تتبع الآراء النقدية نجد أنه يكاد أن يكون هناك اتفاقاً على جلالة قدره في الحديث وكتبه يحدث عنها واعتمد عليه أصحاب الصحاح والسنن ورواياته كثيرة جداً لم تنحصر عند طائفة معينة بل هي موزعة بين كتب الحديث عند المسلمين .

خرّج له البخاري في الغسل والمناقب وغير موضع عن ابنه عمر وإسحاق ابن راهوية ومحمد بن حسن الاسدي عنه عن الأعمش وعاصم الاحول وغيرهما وقد قارن ابن أبي حاتم بينه وبين أبي خالد الاحمر ، فقال : ((حفص اتقن واحفظ من أبي خالد)) ، وذكر أبو زرعة أنه ساء حفظه بعد توليه منصب القضاء ولكن من حدث عن كتابه فإنه صالح ، ونقد علي بن المديني أحاديثه عن الامام الصادق وقال : ((منكرة))[٢] ، ولكنه قبل مروياته عن غير هذا الطريق وقبلت الامامية مروياته عن الامام الصادق عليه السلام وغيره ، فاشتركا في الكليات واختلفا في الجزئيات والجزئيات هويات خاصة الكل يعتز بها .

روى له الجميع ففي الكتب الستة له روايات فقد روى عنه : ((أحمد ويحيى وإسحاق ، قال يعقوب بن شيبة : ثبت إذا حدث من كتابه ويتقى بعض حفظه))[٣] .

أما نقاد الشيعة الامامية ، فقد ذكره الكشي بعد ذكر مجموعة مع محمد بن إسحاق صاحب السيرة وقال : ((هؤلاء من رجال العامة إلاّ أن لهم ميلاً

---

(١) الكامل ، ج٣ ، ص٢٤٤ .

(٢) أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، ص١٣٧ - ص١٣٨ .

(٣) الذهبي ، الكاشف ، ج١ ، ص٢٠٣ .

ومحبة شديدة)) منهم حفص بن غياث[١] ، وذكره النجاشي بأنه ممن روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد وأبي الحسن موسى عليهما السلام ثم نقل كتابه عن عمر بن حفص روايته عن الامام الصادق من كتاب أبيه : ((وهو سبعون ومائة حديث أو نحوها))[٢] وهذا الكتاب معتمد كما ذكر ذلك الطوسي في (الفهرست)[٣] ، وذكره في الرجال من أصحاب الامام الباقر[٤] والامام الصادق عليه السلام وقال : ((أبو عمر النخعي القاضي الكوفي اسند عنه))[٥] والامام الكاظم عليه السلام[٦] وذكره في الكتاب نفسه في موضوع من لم يرو عن واحد من الأئمة عليهم السلام مباشرة فقال : ((حفص بن غياث القاضي ، روى ابن الوليد عن محمد بن حفص عن أبيه[٧] ونسب بعض المعاصرين السهو[٨] لأن حفص بن غياث يروي عنهم عليهم السلام فكيف يجعله الطوسي في باب من لم يرو عنهم ولكن يمكن أن يقال أنه وجد له رواية يقع في طريقها إليهم فليس هو راو مباشر فيها ، وعملت الامامية برواياته وروي عنه في تفسير القمي ووقع في سبعة وثمانين مورداً في كتاب (وسائل الشيعة)[٩] .

بعد هذا الاستعراض نجد بالنظرة الكلية يكاد يكون الاتفاق قد حصل في

---

(١) الاختيار ، ص٤٥٣ .

(٢) الرجال ، ص١٣٤ .

(٣) ص١١٦ .

(٤) ص١٣٣ .

(٥) ص١٨٨ .

(٦) ص٣٣٥ .

(٧) ص٤٢٥ .

(٨) الترابي ، علي أكبر ويحيى الرهائي ، الموسوعة الرجالية الميسرة أو معجم رجال الوسائل ، (قم : مؤسسة الامام الصادق ، ١٤١٩هـ) ، ج١ ، ص٢٩٨ .

(٩) المرجع نفسه ، ج١ ، نفس الصفحة .

النقد المشترك لهذا الراوي والمحدث المعروف بين الجميع فما المانع من العمل بمروياته للاتفاق الاغلبي على وثاقته وجلالته في الحديث ، أن المشتركات النقدية كثيرة جداً ، ولو عملنا على تتبع هذه الشخصيات على نحو الانفراد وتتبع الآراء النقدية وأسبابها وأهدافها لازاحنا الكثير من الأهداف الغايات التي صنعتها وانتجتها الاتجاهات المختلفة ولوصلنا إلى المنهج العلمي المعرفي غير المؤدلج ، وبنظرة موضوعية فلا غضاضة أن يأخذ النقد بنحو البناء لا الهدم في النظر إلى هذا التراث النقدي وأن يأخذ الجميع منه ما دام يتسلح بالمنهج العلمي الموضوعي بعيداً عن الأحكام المسبقة الجاهزة ، فإن الأحكام التاريخية لا زالت تعشعش في أبحاثنا بالفصل بين هذا وذاك مع أن الجميع لهم اتصال بالسلسلة السندية إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم .

هذان النموذجان من طرفين بينهما مشترك نقدي فالأول شيعي امامي قد وثقه الاغلب والآخر سني قد وثقه الاغلب من الطرفين وقس على ذلك الكثير ، ولو احصينا هذه الآراء وعملنا على نظرية الازاحات غير العلمية وغير الموضوعية مع الاقربية من هذا المنهج المعرفي بدراسة تاريخ تطور النقد عند المسلمين وبالأخص في نقد الرجال الرواة في اغلب حالاتهم الخاصة والعامة ومجمل تصرفاتهم وسلوكياتهم الحياتية ، يمكن الحكم على النماذج العلمية غير المؤدلجة فتكون لنا مسارات عمل نبتعد فيها عن المسارات الخانقة أو المنبسطة على حسابات الآخر ومتمددة بشكل علني غير مستور مع ادعاء العلمية والموضوعية ، ولكن عند دراسة تلك الأبحاث يتضح مدى اخطاء الاحالات غير الصحيحة أو الحكم غير الواقعي في بعض الاحيان أو امتلاك الحقيقة وترتيب الآثار على ذلك بالاقصاء والجمود على التراث بلا أدنى تأمل عقلائي ، ولا يسلم من ذلك حتى المفكرين المعاصرين الذين بدأ فكرهم يتسع كردة فعل واضحة لمظاهر الجمودية والاقصاء والقهر والاستبداد الثقافي ، أن

إزاحة التراكمات التاريخية وتطور الجزئية وتمددها على حساب الكليات الأساسية أدى بنا الى رفض النقد ونقد النقد ونحاربه في حين قبلوه الأوائل ونظروا له بروح البحث العلمي وهو ما موجود في الكم الهائل من النقد الرجالي في تراث الفكر الإسلامي بأجمعه .

الموضوعية في نقد النقد :

أدعى بعض المعاصرين أنه لا يحل اليوم أن نصحح أو نعلل ثم استدرك بالامكان لمن اعطاه الله رزقاً في فهم الحديث أن يرجح عند الاختلاف[١] ، وهو غريب اشد الغرابة فإن الفقهاء إلى اليوم يصححون ويعللون الأسانيد والمتون بمختلف المناهج وعلى اختلاف مدارسهم فهم لا زال ينظرون إلى هذه النصوص بالتأمل والمناقشة والمقارنة ، مع أن كتابه هو عبارة عن موازنة بين المتقدمين والمتأخرين فما معنى هذه الموازنة إن لم يكن هناك نقداً لهذه المناهج بل أن المتقدمين قد فتحوا باب النقد ونقد النقد منذ مرحلة التدوين والتأسيس إلى مرحلة النضج والانتهاء بالجمع والتبويب في أواخر القرن الرابع والخامس الهجريين ، وقد بينوا مناهجهم وأسسهم التي تعرف بالدراسة المعمقة لاستكشاف أسسهم النقدية وقد اختلفوا كما اختلف المتأخرون بعدهم ، واختلفت أحكامهم النقدية باختلاف ثقافاتهم وقدراتهم العلمية والذهنية والمؤثرات التي أحاطت بهم[٢] ، أن تطور الوسائل الحديثة في الحصول على المعلومات يجب أن تشمل المنهج النقدي والاستقراء لهذه الأقوال ويمكن الخروج بنتائج عظيمة[٣] في هذا المجال وبالخصوص أن منهج النقد عند المحدثين فيه الاختلاف بين التوثيق والتضعيف وقد ذكرنا ذلك فلابد إذاً من

(١) المحمدي ، الشاذ والمنكر ، ص٦ .
(٢) المرجع نفسه ، ص٨ - ص٩ .
(٣) المرجع نفسه ، ص١٠ .

الموضوعية والموازنة بين هذه الأقوال لمعرفة الحق هل مع التوثيق أو التضعيف أو السكوت أو الاهمال ؟ ، وكيف يمكن جمع المعلومات عن الراوي حتى يمكن الحكم له أو عليه ؟ فلابد إذاً من هذه المنهجية في النقود الواصلة إلينا عبر هذا التراث الثر .

اعتمد منهج المتقدمين في النقد على المتون في الغالب واصدروا أحكامهم عن طريق تفتيش الحديث المجموع للراوي[١] ، فقد جاء في ترجمة أحمد بن إبراهيم الحلبي ، قال ابن أبي حاتم : ((سألت أبي عنه ، وعرضت عليه حديثه ، فقال : لا أعرفه وأحاديثه باطلة موضوعة كلها ليس لها أصول ، يدل حديثه على أنه كذاب))[٢] ، فهذا النص يشير إشارة واضحة أن نقد الراوي في ضوء المجموعة الحديثية التي تعرض على الناقد ومن ثم يعرضها على الأصول فيحكم في ضوء تلك المقارنة على الراوي ، فبهذا المثال اقر الناقد بعدم معرفة الراوي شخصياً إلاّ أن مروياته دلت عليه ، وفي أحمد بن المنذر ابن الجارود أن أبا حاتم لم يعرفه أيضاً ولكن لما عرض عليه حديثه ، قال : ((حديث صحيح))[٣] ، هذا المنهج الموضوعي في النقد ونقد النقد لهذه النصوص نحكم على صحة منهج ابن أبي حاتم في ايصال النقد في كتابه الجرح والتعديل ، إن عدم معرفة الراوي في شخصه وعدم شهرته مثلاً بين المحدثين لا يلغي حديثه تماماً فيكون الحكم على المتون المروية لذلك الراوي .

وورد نفس الحكم على المرويات مع عدم المعرفة وذلك في أحمد بن بحر العسكري قال ابن أبي حاتم : ((سألت أبي عنه ، وعرضت عليه حديثه ،

---

(١) المحمدي ، الشاذ والمنكر ، ص٢٠ .

(٢) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٢ ، ص٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣١ .

فقال : حديث صحيح وهو لا يعرفه))[١] ، وأثار بعض المعاصرين نقطة مهمة جداً هو التفريق بين منهج النقد عند المتقدمين ومنهج النقد عند المتأخرين ، فالمتقدمون استندوا في نقدهم إلى القواعد الكلية للشريعة الإسلامية في حين أن المتأخرين استندوا على كتب المصطلح[٢] ، إذ نظر إلى المناقشة السندية والمتنية ، وعند المتأخرين النقد السندي حاكم على المتني[٣] .

كانت العملية النقدية عبارة عن حكم يؤدي إلى بناء الفكر الإسلامي بكل تنظيماته ، فالمحدثون النقاد هم عبارة عن حكام وبهذا يكونوا أكثر عرضة للخطأ وتكمن الخطورة إذا صدر الحكم بلا بينة وبتحكم واصعب منه إذا صدر عن هوى[٤] أو ميل .

اهتم النقاد في الجانب الأخلاقي لذلك عدٌ من يتجاوز في نقده حدوده أنه افترى عليه ولا يقبل قوله ، فقد نقل عن يحيى بن معين والبخاري وأحمد بن حنبل وغيرهم توجسهم من أن يقع نقدهم في غير محله فدققوا في احوال الرواة الأخلاقية وطعنوا ممن تجاوز حتى خوارم المروءة واعتبروا ذلك من الشروط التي تمكن الراوي من أن يصبح محدثاً يعتمد عليه ويسوغ نقده خوفاً من الوقوع في الغيبة المحرمة لأنه هناك اتجاه يمنع من التكلم في الرجال بحجة ذلك من الفريقين فقد اكد المنهج الاخباري عند الشيعة الامامية ذلك وذهب إلى قطعية صدور روايات الكتب الأربعة فلا حاجة للرجوع لكتب الرجال[٥] ، وحرمة الغيبة منهج أخلاقي في تربية المجتمع الإسلامي على التودد والمحبة

---

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٢ ، ص٥ .

(٢) المحمدي ، الشاذ والمنكر ، ص٢٢ .

(٣) المحمدي ، الشاذ والمنكر ، ص٢٣ .

(٤) العمري ، دراسات ، ص٣٣٧ .

(٥) الفضلي ، أصول علم الرجال ، ص٢٧ .

وقطع الكلام عن الآخر بما يشينه وهو يختلف بما أصله الإسلام في النقد وأساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعد من الواجبات على كل مسلم ومسلمة كما هو منهج الكلام غير النافع فقد حرمه الإسلام فالنقد والنقد الموضوعي هو عماد تطور واستمرار عجلة النمو والرفعة في الحياة الإسلامية العامة ، ومنها الموضوعية في النقد ونقد النقد وانه لا يتجاوز القيم الأخلاقية في ضمن الثقافة الإسلامية الثنائية فإن ثقافة المسلم لم تكن في يوم من الأيام أحادية أبداً ، فهو يرى الوازع الديني ويتوجه نحو الوجوب في ردع ما يراه باطلاً ويمتنع بالضرورة غير القهرية عن المحرمات ، فإذا خالف فقد حوّل ما هو غير أخلاقي إلى أخلاقي ، لتأصيل المسألة الأخلاقية في الفهم الإسلامي للأمور ، قال الامام علي عليه السلام ينصح طالب العلم : ((يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة ، فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد واذنه الفهم ولسانه الصدق ... الخ))[1] ، وهذا النص يشير إلى القضية الأخلاقية في حمل العلم فلا فائدة في حمل العلم من دون النظر إلى هذه القيم الأخلاقية ثم أن رأس هذا العلم وكل علم نافع التواضع وهو تأصيل لثقافة الفكر الإسلامي المبني على المسألة الأخلاقية في كل الميادين الحياتية وعلى رأسها الميدان العلمي .

نقل عن الإمام مالك قوله : ((لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلاً ، وما جلست بالمسجد حتى شهد سبعون شيخاً من أهل العلم بالتأهل))[2] ، وهي إشارة إلى حالة النقد الموضوعي في تمييز العلماء من قبل النقاد والاشادة بهم وهو مبني على النقد ونقد النقد الذي يهدف إلى وضع الأشياء مواضعها المناسبة لها .

---

(١) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي ، ص٢٠ .

(٢) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، ص٦٠ .

إن خلط الغيبة بالنقد قد وقع فيه العديد من العلماء بل بعض الاتجاهات الفكرية أيضاً ، إن منهج المحدثين في النقد بني على أساس المنهج الأخلاقي في الإسلام بل على منهج الدين النصيحة ، وقد رد الامام أحمد بن حنبل أبو تراب النخشي (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م) لما عذله في جرح الرواة بقوله : ((ويحك هذه نصيحة وليست غيبة))[1] ، وهنا يشير هذا النص الى النصيحة الواجبة ولا تأتي هذه النصيحة إلاّ بالنقد ونقد النقد الموضوعي الهادف إلى بناء الذات والفكر .

إن مشروعية النقد ونقد النقد تأتي من وجوب النصيحة في الأمور الشخصية المادية والمعنوية بل أكد الإسلام على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما من أساليب النقد الموضوعي الهادف وأجمع المسلمون على وجوبه الكفائي وقد يرقى إلى الوجوب العيني في حالات وما هو إلاّ اسلوباً رائعاً من النقد ونقد النقد وتقبله باعتبار وجوبه ومنه نقد الرواة ومحاسبتهم على نقل هذا الفكر عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم بل أن الواجب تفحصه عن احوال رواته حتى يقع نقده في موضعه من النصيحة .

والنقد له حدوده ونقد النقد أيضاً له حدوده وألا تحصل نفرة من سماع النقد غير المنضبط لذلك قلنا بقيد الموضوعية ، وممن ترك كلامه في الجرح ممن تجاوز حدود المنهج النقدي المعتدل ، وعلى كل حال ذكر السخاوي أنه : ((كل أحد من الأمة يؤخذ من قوله ويترك إلاّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم))[2] ، ونقد السخاوي المبالغة في القصد فقد نقد الناقد ابن حزم وابن تيمية والحاكم وابن الجوزي على مبالغتهم في التكلم والجرح ، والتساهل في التصنيف كالمستدرك والموضوعات الذي احتوى الأول الموضوع فضلاً عن

---

(١) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، ص٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١١٠ - ص١١١ .

الضعيف والآخر الصحيح فضلاً عن الضعيف[1] ، أن اتخاذ هذا المنهج المعرفي في النقد يضع الفكر في مساره الصحيح لأن النقد يكمل ما نقص من الدائرة الفكرية في شتى العلوم الإنسانية والطبيعية بشرط خلوص النية وسلامة السريرة والمعيار الأخلاقي القيمي لا عكس المعيار الأخلاقي إلى إيجاد مجتمعي له بل من المسلمات العقلية التي تسالم عليها العقلاء في تعاملاتهم اليومية كالكرم والشجاعة والسخاء والمروءة وغيرها مما لا ينكرها الإنسان بطبيعته الإنسانية .

ولأهمية النقد في بناء الشخصية جاء المثل المشهور : ((السعيد من عدت غلطاته وما اشتدت سقطاته))[2] ، وهو يعبّر عن النقد المستمر وإلاّ لماذا ذكر العدد والعد ولكن بموضوعية في النقد الذاتي حتى لا يسقط ويسقط غيره ويتحول النقد إلى الهدم أي في غير ما ثقف إليه فإن الموازنة والمعيارية عند المحدثين النقاد مطلوبة جداً فالناقد المحدث أمام بحر لا يمكن الخوض فيه بسهولة لذلك أثر عن يحيى بن معين قوله : ((إذا كتبت فقمش ، وإذا حدثت ففتش))[3] ، وهو منهج اعتمده في كثرة معرفته بالحديث وقلة تحديثه بالمقارنة والموازنة بين هذا الكم الهائل من طرق الأسانيد والمتون وما فيها من خفايا وعلل وأهداف ومقاصد ، نقل هذا القول ونسب إلى يحيى بن معين اغلب المحدثين إلاّ أن ابن الصلاح نسبه إلى أبي حاتم الرازي[4] ، والتقميش : جمع الشيء من ها هنا وها هنا[5] وهذا القول يدل دلالة واضح على الجمع ثم

---

(١) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، ص١١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١١١ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٦٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٥ ، ص١٤ ؛ المزي ، تهذيب ، ج٣١ ، ص٥٤٩ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١١ ، ص٨٥ .

(٤) ابن الصلاح ، المقدمة ، ص١٥٢ .

(٥) الجوهري ، الصحاح ، ج٣ ، ص١٠١٦ .

المقارنة بين المجموع ثم التفتيش والنقد في ضوء المجموع الحديثي فيكون التحديث بعد التفتيش ، فالمنهج العلمي يتمثل بهذه المقولة أو ما تسمى اليوم دراسة مشاريع المفكرين بمجموعها ثم تمارس عملية نقد هذا المشروع ويمكن اعتماد منهج النقد عند المحدثين بشرط اعتماد الموضوعية ونقد التراث نقداً معرفياً خالصاً .

قال ابن الصلاح أن قضية الجمع تسبق قضية الاختيار والانتخاب[١] وهو ما مقام به المحدثون في جمع الأصول الحديثية آنذاك كجمع أحاديث الكافي وما قاله في مقدمة كتابه أنه لابد من اعمال القواعد المذكورة عن الامام الصادق عليه السلام في العرض على القرآن وهو الأصل في الحكم على هذه المرويات ، ثم أن المجمع عليه لا ريب فيه هي من القواعد التي دعا إليها الامام الصادق ، وعقب الكليني بقوله : ((ونحن لا نعرف جميع ذلك إلاّ أقله))[٢] وهي إشارة إلى ضرورة اعمال القواعد المذكورة للتمييز بين الصحيح والسقيم[٣] ، إن قضية جمع الأحاديث والحفاظ عليها من مهمات عمل المحدث لذا نهى ابن معين عن انتخاب الأحاديث لأن مصيره الندامة ، ربما هي إشارة لعدم تكامل المنهج النقدي بالانتخاب لذا قال : ((سيندم المنتخب في الحديث حين لا تنفعه الندامة))[٤] وأهلية الانتقاء والانتخاب للنصوص تخضع عند المحدثين النقاد إلى بلوغ الأهلية وعدم بلوغها وإلاّ يجعل المحدث لنفسه منتخباً إذا كان قاصراً عن عملية الانتقاء والانتخاب لهذه النصوص[٥] .

---

(١) ابن الصلاح ، المقدمة ، ص١٥٢ .

(٢) المظفر ، الشافي في شرح أصول الكافي ، ج١ ، ص٤٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٩ .

(٤) ابن الصلاح ، المقدمة ، ص١٥٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٥٢ وما بعدها .

إن عملية الانتقاء والانتخاب تتوافر لذي الأهلية من النقاد ويجب أن تكون بموضوعية وحياد لأن النقلة لهذه الآثار على مختلف الاتجاهات المقبولة وغير المقبولة لدى السامع والكاتب ، ولكنهم كانوا يكتبون وإن لم يحدثوا به وهذا هو التقميش الذي ذكره ابن معين أو أبو حاتم الرازي والموضوعية تقتضي ذلك .

وما ذكروه من مقالات ينعكس على تعاملنا مع هذا التراث بنقد النقد الموضوعي البنّاء والهادف للاستفادة من التجربة التاريخية والوصول إلى الحقائق أو اقرب منها .

ومن الأمور النقدية لبعض النقاد التي تكاد تكون معدومة أو قليلة جداً لاسباب منها المبالغة في النقد ، فقد نقد علي بن المديني كلا من أبي نعيم الفضل بن دكين وعفان بن مسلم وهو ما يفسر قلة وجود آراءهم النقدية في كتب الرجال لقوله فيهما : ((لا أقبل كلامهما في الرجال ، هؤلاء لا يدعون أحداً إلاّ وقعوا فيه)) ، مع أنهما صدوقان[1] ، كما كانت الردود حول كتاب ابن الغضائري في تضعيفه للرجال إذ الغالب عليه ذلك مما أدى إلى الكلام عن مؤلفه وكتابه بكثرة تضعيفاته وجرحه حتى قيل : ((لم يسلم من طعنه أحد)) ((والسالم من سلم منه)) ووصف مؤلفه بالطعان لذلك اختلفوا فيه إلى مؤيد ومخالف[2] ، أن المحققين من النقاد لن يقبلوا الآراء النقدية إلاّ بعد نقدها ومعرفة أسسها ، فقد ردت تجريحات أبي الفتح الأزدي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) لاسرافه في الجرح فقد جرح فيه خلقاً ما سبقه إلى تجريحهم أحد من الكبراء[3] ،

---

(١) الآجري ، سؤالات ، ج٢ ، ص١٧ .

(٢) ابن الغضائري ، الرجال ، تحق : محمد رضا الجلالي ، ص١٩ - ٢١ من مقدمة المحقق ، وهي مقدمة علمية حول المؤلَف والمؤلِف .

(٣) العمري ، دراسات ، ص٣٣٩ - ص٣٤٠ .

مراعاة للجانب الأخلاقي عند المحدثين والتحرز من التسرع والتساهل كما مر ذلك فيما سبق . والتأني في الحكم النقدي الشخصي أما بالمعاينة والمشاهدة أو جمع المرويات عنه والحكم عليها كما يظهر ذلك في المنهج الروائي عند ابن عدي والكشي ، ويوجد في هذا التراث النقدي ما يشير إلى عدم المحاباة والجرأة في قول الحق فمنهم من ضعف أبيه ومن هم من ضعف ابنه ومنهم من ضعف أخيه ومن ضعف قريبة ، فعلي بن المديني ضعف أبيه ووكيع بن الجراح كان يقرن مع والده غيره وأبي داود كذّب ابنه عبد الله والذهبي ضعف ابنه وزيد بن أبي انيسة كذب أخيه إلى غير ذلك[1] من مستوى النقد المتوازن والذي يحتاج إلى الجمع والدراسة والبحث بشكل موضوعي بعيداً عن منهج الجزئيات وتكريسها في ثقافة الأمة ، ومن الغريب أن دراسة مناهج المحدثين عند الشيعة الامامية عند الآخر دراسة غير متكاملة بل غير موضوعية وهذا الكلام ليس من باب التجني على الآخر لأن اغلب الدراسات عن الآخرين يجب أن تؤخذ من مصادرهم وأصولهم بعد التأمل والفحص ولم أجد إلاَ نادراً ممن أحال إلى كتب الامامية أو كتب الخوارج أو المذاهب الأخرى التي تخالفنا وهي دراسات يجب أن تعتمد هذه النقطة في الاحالات وهي مهمة لانصاف الآخر عند دراسته ، فقد احتوى منهج المتقدمين على الموضوعية والاستقامة أكثر من المتأخرين كما نقلنا كلام السخاوي في هذا الشأن اكثر من مرة ، وذكر بعض المعاصرين الذي افرد له بحثاً عن منهج المحدثين عند الشيعة والخوارج لم أجد أية إحالة إلى كتب الاثنين كما نفى أن تكون لهم مصنفات في الأصول الرجالية حتى القرن الخامس فقد صنف الكشي في أسماء الرواة ، ولم ينقل ذلك عن مصادرهم بل ولم ير هذا الكتاب فيما يبدو لانه على اقل

---

(١) السخاوي ، الإعلان ، ص١٢٠ - ص١٢١ .

تقدير لكان قد وصفه ، فقد احال معلوماته عنه من الآلوسي ومن كتاب (مختصر التحفة) ، وهذا الرأي غير دقيق لأنه لو رجع إلى المصادر الشيعية لغيّر رأيه في ذلك ونفس الكلام بالنسبة للخوارج أو غيرهم فالمنهج الموضوعي يقتضي الحكم على الأشياء بعد الإطلاع عليها كما هو منهج المتقدمين بالحكم على الراوي بعد الإطلاع أما عليه شخصياً أو رصد مروياته ثم نقدها وإصدار الحكم عليه بعد الروايات التي قارنوها مع غيرها حتى لو لم يعرفوا الراوي نفسه ، ثم رجع هذا المعاصر إلى منهج المتقدمين فنقل أن أعداد الموصوفين بالتشيع ولهم رواية في كتب السنة كثيرة ومنها ما هو من اصح الصحيح عند البخاري ومسلم[١] ، وبعد هذه الفقرة عنون عنواناً اخر الشيعة ووضع الحديث ونقل قولاً عن أبي يعلى الخليلي الحافظ (ت٤٤٦هـ/١٠٥٤م) : أن الرافضة وضعت في فضائل علي وأهل بيته نحواً من ثلاثمائة ألف حديث أما ابن حجر فقال عنه أنه ذكر موضوعات الشيعة في الفضائل مما لا يحصى وعلق على ذلك بأن التحديد فيه مجازفة ولكن الوضع كان الشغل الشاغل لكثيرين من الشيعة مع الجرأة في الوضع[٢] ، وهذا الكلام يمكن كشف صحته بالرجوع إلى مصادر الشيعة انفسهم ومقارنة المرويات مع ما موجود في كتب الحديث عند المسلمين واعمال منهج النقد الموضوعي تظهر الحقيقة بالتجرد النسبي لصعوبة التجرد المطلق في البحث ، وقد حارب الشيعة الغلاة ومنها المدرسة القمية في الحديث التي حاربت وبشدة وضع الغلاة .

كان المنهج النقدي عند المتقدمين في ضمن شروط الجارح والمعدل التقوى والورع والصدق وهي من أركان العدالة والسلامة من التعصب وأكثره عن

---

(١) للمزيد ينظر : العمري ، دراسات ، ص٣٦٩ - ص٣٧٩ .

(٢) العمري ، دراسات ، ص٣٧٩ - ص٣٨٠ .

المتأخرين مع التراشق الكلامي بخلاف دعوة الدين إلى الاخوة والمحبة واحترام الآخرين[١] ، فعلى الباحث المعاصر نبذ الفرقة والبحث عن المشتركات في الموروث الإسلامي واخراج الغلاة من الشيعة فإن الاتهامات اكثرها جاءت من الغلاة إذ ابتليت الشيعة بهم وحكموا عليهم بسببهم إلى يومنا هذا ، وقد جرح علماء النقد عند الشيعة الامامية رجال الرواية من الغلاة بل طردوهم من المدن مثل منهج المدرسة القمية في محاربة الغلاة ، وكان الأولى بالباحث المعاصر كشف هذه الحقائق ثم العمل على نبذ الفرقة والتمسك بالنص القرآني وإظهار مفهوم الاعتصام في الفكر الإسلامي .

بل أن منهج النقد عند المتقدمين لم يهمش الرواة على أساس العقائد بل اتخذ منهج العدالة والوثاقة والضبط والحفظ وغيرهما من الصفات كالشهرة في الطلب ، وهو في الحقيقة اقرب للموضوعية من منهج المتأخرين وكان يترك للفقهاء الجانب الآخر في العمل على إيجاد النظرية الكلية ومصاديقها الخارجية في علم أصول الفقه في مسائل وشروط حجية خبر الواحد والتعارض بين الروايات والاخبار العلاجية لرفع التعارض ، فهناك في الحقيقة منظومة متكاملة من المعارف لا يمكن تجزئة ذلك في دراسة هذا التراث ونقده وتنقيته فلا يمكن الاعتماد على جانب دون جانب فلا نصل إلى النتائج المرجوة إلا بدراسة الكل والنظرة الشاملة لمجالات النظرية والتطبيق ، ولكي تتحقق الموضوعية في النقد ونقده يمكن للباحث اليوم الجمع بين منهج المحدثين ومنهج الفقهاء ومنهج المؤرخين لخوض غمار هذا الكم الهائل من الأسانيد والرجال ومعرفة من يعتمد عليه ممن لا يعتمد عليه ربما نسمي ذلك بالقراءة الاستيعابية اليوم يعني القراءة النقدية بمناهج متعددة لتداخل العلوم اليوم .

---

(١) مرعشلي ، علم الجرح والتعديل ، ص٥٨ - ص٦٠ .

حاول بعض المعاصرين في بحث له تطبيق السبر عند المحدثين وامكانية تطبيقه عند المعاصرين ، والسبر : هو عبارة استقصاء روايات الحديث الواحد وتتبع طرقه ثم اختبارها وموازنتها بروايات الثقات ، واختلف النقاد في التسمية فهو السبر عند ابن حبان والمعارضة عند ابن معين أو المقابلة عند مسلم والاعتبار عند آخرين والمقارنة أو الموازنة عند المعاصرين ، والمفاهيم متقاربة(١) والسبر أساس من أسس التصحيح والتضعيف ولا يصح القول أنه مقصور على المتقدمين فذلك رأي قد أفل فإن الصناعة الحديثية قائمة في كل عصر تقريباً(٢) .

إن تطور المنهج وأدواته المعاصرة تستدعي تجدد البحث وفق الوسائل والآليات المعاصرة بعد إيجاد مناهج حديثة في المعاملة مع النص التاريخي وقراءته قراءة جديدة مع الاحتفاظ بأصالته فإن منهج النقد عند علماء الجرح والتعديل يكاد يكون من أرقى المناهج في الفكر الإنساني بل هو كذلك لولا المدخولات المصلحية النفعية في بعض المدلسين والكذابين والوضاعين لحاجات نفعية آنية .

ومن المنهج العلمي الموضوعي عدم الاقتصار على منهج الجرح والتعديل فقط فهناك عدة مناهج يمر بها شخص الراوي للتعرف عليه وكشف المسكوت عنه وغير المفكر فيه وقد يسمى التقميش أولاً ثم التفتيش وهو منهج المتقدمين ويمكن الاستفادة منه في جمع المعلومات عن الراوي والأقوال التي قيلت بحقه وفرز المدخولات غير الواقعية والنقد غير الموضوعي له فتتضح الصورة تماماً فإن بعض الآراء النقدية بحق بعض الرواة غير واقعية أو أنها جاءت من الخصوم ، وهناك مناهج متعددة تكشف عن الراوي وحقيقته فإن النصوص

---

(١) عزي ، السبر عند المحدثين ، ص٦ - ص٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص١٩ .

النقدية غير كافية إذ لم تراعى المناهج الأخرى التي توضح الصورة الكاملة ، فإن الاقتصار على هذه النصوص يؤدي إلى خواء الاستنتاج الرجالي وسطحيته(١) .

إن الأسس المنهجية لعلماء الجرح والتعديل وإن كانت ذات مبان مختلفة في الكشف عن الراوي ولكن البحث العلمي الموضوعي عن الوثاقة في الاتفاق بين المسلمين في الجرح والتعديل أو حصولهما من مناهج أخرى ليست على البناء العقائدي في رفض الآخر فإن فيه التحامل أو المحاباة ، فيجب البحث عن قرائن متعددة في هذا التراث الرجالي النقدي فإن المسالك غير الموضوعية ظاهرة من خلال التنقير المعرفي لهذا التراث بأجمعه وكليته والابتعاد عن الجزئية وترسيخها فإنها مرتبة ثانية بعد كليات المشتركات النقدية في الأسانيد والمتون ، ولا يمكن الفصل بين هذا التراث الرجالي للتداخل في الرواة والمرويات في المنظومة الحديثية سواء في الكتب الستة أو الأربعة أو ما موجود في الأصول الرجالية عند المسلمين وقد حصل التداخل حتى في التلمذة فيما بينهم من دون حساسية من هذه الجهة ، فالنجاشي كان الكثير من شيوخه من جمهور المسلمين مع أساتذته من الشيعة الامامية كالمفيد والسيد المرتضى وهو كثير في تراثنا الفكري والعلمي وإلى عصور متأخرة ، لكن لما تركزت الجزئيات اخذت هذه الظاهرة العلمية بالتراجع وسببت انتكاسة في الفكر والحوار الإسلامي بين الآراء والاتجاهات ، بخلاف منهج المتقدمين المبني على تحري المعلومة والرحلة في طلب العلم وخاصة الحديث وشرف حمله ولو تتبعنا هذه الرحلة لا يكاد في الأعم الأغلب أن

---

(١) للمزيد ينظر : السند ، الاجتهاد والتقليد في علم الرجال ، ص٢٧٩ - ص٢٨٧ ، وفيه تعرض إلى مجموعة من المناهج مهمة في تكوين صورة متكاملة حول الرواة ما تزيد على تسعة عشر منهجاً ولكنه فعلا قد ذكر منها سبعة عشر منهجا .

تخلو رحلتهم من الكوفة كمركز علمي اشعاعي للحديث وأغلب المحدثين منها بل كبارهم فالمحدث يمر بالكوفة ويتزود منها كما يمر بدمشق المخالفة لها في الاتجاه ولا غضاضة في ذلك ويختار ما يختار ممن قمشه منها ومن غيرها من المدن ، أن اعتماد هذا المنهج يحل الكثير من التعصب غير العلمي نتيجة الانقطاع عن الحوار والمدارسة والتلمذة بغرض علمي هادف لهو أكبر احياء لمنهج المتقدمين من العلماء المنصفين غير المؤدلجين ، وبالخصوص الكلام عن الحديث الشريف وحملته من الرواة النقاد وغيرهم فإن ثقافة وحدة المصدر جامعة لهذا الكم الهائل بإزاحة المدخولات فيه والنظر على المجمع عليه فإنه لا ريب فيه .

الخلاصة

بعد هذه الجولة في دراسة الأسس المنهجية للنقد الرجالي في الأصول حتى القرن الخامس الهجري ، تضمنت هذه الاطروحة معالجات عدة وآراء مختلفة في واقع المنظومة الرجالية عند المسلمين ومناهجهم النقدية ومعطيات هذه المناهج ومبانيها بالحفر المعرفي غير المؤدلج من تاريخ تطور الفكر النقدي وبداياته ، ومن ثم تطوره حتى نهاية عصر المتقدمين ودراسة الاتجاهات المؤثرة في هذا النقد وأصالته عند مفكري الإسلام بل بيان منهج المتقدمين ودراساتهم الكلية دون الاهتمام البالغ بالجزئية التي تمظهرت عند المتأخرين كثيراً فسببت الكثير من الانقسامات والبناءات في ضوء تلكم الجزئيات ، يعد منهج المتقدمين هو الأقرب إلى الاستقامة كما ذكر ذلك السخاوي وغيره لأنه اعتمد على ضوابط أكثر معرفية في إلغاء واقصاء الخصوم فهو لم يلغ الخصوم من أهل البدع والأهواء سواء عند الشيعة الامامية أو عند جمهور المسلمين وأصولهم الرجالية والحديثية فقد كانت المشتركات أكثر من أن تحصى ممن ظهر أمرها وبان وممن يعرف من خلال المتون وممن هو مسكوت عنه يعرف بدراسة الظواهر التاريخية ، ومع هذا هو لا يخلو من محاباة أو نقاط الضعف في التوثيق والتجريح في بعض فقراته لأن بعض النقاد غلبه الاتجاه العقائدي أو السياسي أو الديني بشكله العام أو النفسي وغيرها من الاتجاهات التي أثرت على التقويمات الرجالية فيما بعد فقد يستكشف من هذه الدراسة اقصاء من لا يستحقه وتقريب من لا يستحقه ، وهي ممارسة بعيدة كل البعد عن الاتجاه العلمي محور هذه الاطروحة ، فقد أخذت على عاتقها دراسة الظواهر المشتركة والأخذ بالمشترك أو المجمع عليه فإنه لا ريب فيه إذ ابتعدت هذه الدراسة قدر الامكان عن لي عنق النص لصالح مدرسة دون أخرى ومحاولة

كشف المنهج المقرب في تراثنا الفكري والعلمي ، بل يرى الباحث أن دراسة التراث اليوم اصبحت ضرورة من ضروريات إحياء النهضة والاصلاح في العالم الإسلامي ، وبالخصوص دراسة التراث الرجالي وتشعباته الغنية بالمادة العلمية ، وما أصله من عملية نقدية لعناصر الحديث بل أصل نظرية النقد ونقد النقد التي قد يتبادر للذهن أنها من مختصات المدرسة الغربية ، فقد نقد المحدثون الناقل والمنقول بل صنفوا لنا أكبر نتاج فكري بموسوعات منهجية في سهولة وسرعة الوصول إلى المعلومة المراد البحث عنها وتشعب التصنيف في جزئيات الجزئيات من الأسماء والكنى والبلدان والشخصيات العلمية والبيوتات العلمية وتاريخها ونشأتها مع بيان الاتجاهات والعوامل النفسية لكل راو ببيان أحواله الاجتماعية والعبادية ومن ثم نقده من مختلف الاتجاهات المذهبية وفرز مروياته إذ طبقوا مقولة : قمش ثم فتش ، ثم توالت الممارسة النقدية حتى يومنا هذا ، وإن خفت أو تضاءلت في بعض القرون .

لقد شعر المسلمون بأهمية النقد للوصول إلى الحقيقة أو الأقرب منها فكان منهج النقد ونقد النقد عند المحدثين من علماء الجرح والتعديل يقابل حركة الوضع بمختلف اتجاهاته وأسبابه فقد وقف الجهابذة من النياقدة فوضعوا قواعده المهدمة لكل ما جاء فيه الوضع من وضع في الإسناد وتصرف فيه أو وضع في المتون من تحريف النص أو زيادته أو نقيصته أو ايجاده ، واسقط النقاد آراء الاقران والتعصب ونقد الاعلام بل إيجاد قاعدة تفسير الجرح ورفض الجرح غير المفسر أو لدوافع واتجاهات تعصبية ، وحتى التعديل الخاضع للاتجاهات ، وبعد نقد هذا

النقد اكتشف النقد المعرفي وهو الاتجاه الذي يجب أن يقرأ فيه هذا التراث بل تراث الإسلام بأجمعه .

إن الخط المعرفي الذي حاولنا كشفه في هذه الاطروحة كان هاجسنا الوحيد وما توصلنا إليه من نتائج فيه من المقاربات الفكرية بين جميع المسلمين والتي توحدهم في النظر الموضوعي لتراثهم الثر وبالخصوص مناهج البحث في النقد ونقد النقد الذي مارسه المحدثون النقاد في الحكم على الرواة وظهر لنا أسس مناهجهم الذي ربما يختلف عن المنهج عند المتأخرين من علماء النقد الرجالي ، ولا يزال هذا البحث فاعلاً إلى يومنا هذا فقد ظهرت المصنفات الرجالية والمعاجم تجمع المفردة الرجالية وتحلل وتستنتج وتعرّف بالأسس المنهجية عند النقاد الأوائل مع بيان منهجية كل أحد منهم ومعرفة المصطلحات الخاصة والمصطلحات المشتركة في هذه المنظومة ، وهو ما ركزت عليه هذه الاطروحة من محاولات جمع هذا التراث والبحث عن المقاربات في المشتركات النقدية وفرز الاتجاهات المختلفة للوصول إلى الاتجاه العلمي المعرفي والموضوعي وتفعيله على صعيد الدراسات الرجالية النقدية المعاصرة والبحث عن الرواة ممن اتفقوا على وثاقتهم وعدالتهم بالإجماع أو الأغلبية بالتنقير المعرفي ومحاولة إعادة البناءات الفكرية وتغيير الواقع الفكري بين المسلمين وفق النتائج التي يتوصل إليها هذا المنهج أو البحث عن المنهج الاقربي إلى ما يوافق نهج النص القرآني بخطوطه العامة الإنسانية .

إن من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذه الاطروحة يمكن اجمالها في النقاط الآتية :

١- نقد المنقول بالبحث عن الأسس المنهجية فيه وابعاد العناصر الداخلة فيه لاغراض ودواع غير علمية ، فيبقى المشترك بين المسلمين وهو ما ركّزت عليه هذه الاطروحة .

٢- بمنهج الاقربية للظاهرة أو الظواهر يمكن كشف منهج النقد غير الموضوعي المتأثر بمؤثرات خارجية وداخلية بعوامل التعليل والتحليل ومعرفة ذلك بكشف الخط المعرفي في هذا التراث وإزاحة ما عداه .

٣- ذهب الامامية إلى أن نقد الأئمة عليهم السلام للرواة من أهم الآراء النقدية واطلقوا عليه بنص الامام بحق الراوي جرحاً وتعديلاً ، وتأتي أهمية ذلك بعد اثباته إلى أنه النقد العلمي غير الخاضع للمؤثرات والاتجاهات لكون الناقد معصوماً .

٤- كانت مناهج النقد عند النقاد من المحدثين هو أما المنهج النصي أو المنهج الروائي في الأصول الرجالية المعتبرة عند المسلمين وهو متداخل في الرجال وربما في الروايات ، والمنهجان بحاجة ماسة إلى دراسات مستفيضة بالتنقير المعرفي الموضوعي .

٥- مصطلح التنقير في هذا التراث يقابل مصطلح الحفر في الفكر المعاصر ، وكذلك مقولة : ((قمش ثم فتش)) ، أي اجمع المادة العلمية على بساط البحث ثم الحكم على ما جمع والاختيار والانتخاب والانتقاء من هذه المادة وهو منهج يعد من مناهجنا المعاصرة .

٦- بيان أثر الاتجاهات المختلفة في التقويمات الرجالية كالاتجاه المذهبي والسياسي والنفسي ودوافع النفس في النقد واستعمالات الحالات الشخصية القولية والفعلية والاتجاه الاجتماعي وابعاده الشخصية والاسرية والقبلية والمناطقية ثم الاتجاه العلمي وهو المبحوث عنه والمراد كشفه وإظهاره في هذه الدراسة ، فإن اشكاليات النقد أغلبها تأتي من تغلب هذه الاتجاهات على الناقد .

٧- اكتشاف أصالة منهج نقد النقد عند المحدثين فضلاً عن منهج النقد عندهم مع بيان أن منهج النقد ونقده الايجابي هو الذي يبني المعرفة ويطورها ويفتح الحوار العلمي الهادف .

٨- بيّنت الدراسة لنموذجين مختلفين في الاتجاه المشترك النقدي ويمكن القياس عليهما لكشف عناصر الاشتراك في الآراء النقدية في الأصول الرجالية وغيرها .

٩- كشفت الدراسة عن مناهج أصحاب الأصول الرجالية الثمانية مع بيان عرض الرأي النقدي حسب ما يراه صاحب الأصل الرجالي ويعتمده ضمن منهجه إذ تعددت المناهج من حيث التشدد والتساهل والاعتدال في الجرح أو التعديل ، وهو موضوع شائك يحتاج مزيد عناية فالباب مفتوح للتقصي والمقارنة والاكتشاف .

١٠- أكد البحث في توصياته على المنهج المقترح أو التوصل إلى المنهج المعاصر في الموضوعية وتحري الحقيقة أو بمنهج الأقربية والإنصاف في الحكم على

هؤلاء الرواة ضمن الضوابط الموضوعة بين النقاد من الضبط والعدالـة والحفظ لتكون محور التقويمات الرجالية في هذا المنهج .

وهناك جملة من النتائج الجزئية والآراء المعرفية قد أشرنا إليها في مطاوي البحث ، واتأمل من الدارسين والباحثين متابعة ما نقص من هذه الدراسة للمواصلة المعرفية مع هذا الموضوع الحيوي في تراثنا الإسلامي ، أتمنى للجميع الموفقية والسداد ولله الحمد في الأولى والآخرة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم هو القول الفصل .

ادرهم ، فوزي كمال .

١- (نحو منهج جديد للدراسات الإسلامية) ، مجلة المنهاج ، السنة السابعة / العدد ٢٧ ، تصدر عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، بيروت .

امزيان ، محمد محمد .

٢- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية ، (فرجينا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤٢٩هـ) .

اغا بزرك ، محمد محسن الطهراني (ت١٣٨٩هـ/١٩٧٠م) .

٣- مصفى المقال في مصنفي علم الرجال ، عني بتصحيحه ونشره ابن المؤلف ، (بيروت : دار العلوم للتحقيق والطباعة ، ١٤٠٨هـ) .

٤- طبقات أعلام الشيعة القرن الرابع وهو نوابغ الرواة في رابعة المئات ، تحق : ولده علي نقي منزوي ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٠هـ) .

الايرواني ، محمد باقر .

٥- دروس تمهيدية في القواعد الرجالية ، (قم : القلم ، ١٤٢٨هـ) .

الاربلي ، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ/١٢٩٣م) .

٦- كشف الغمة في معرفة الأئمة ، (بيروت : دار الأضواء ، ١٤٠٥هـ) .

الالباني ، محمد ناصر الدين .

٧- ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، تحق : زهير الشاويش ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ) .

٨- معجم اسامي الرواة الذين ترجم لهم العلامة محمد ناصر الدين الالباني جرحاً وتعديلاً ، إعداد : أحمد إسماعيل شكوكاني وصالح عثمان اللحام ، (بيروت : دار ابن حزم ، ١٤٢١هـ) .

الاراني ، مهدي خداميان .

٩- فهارس الشيعة ، (قم : مؤسسة تراث الشيعة ، ١٤٣١هـ) .

أمين ، أحمد .

١٠- ضحى الإسلام ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١م) .

الأبطحي ، محمد علي .

١١- تهذيب المقال في تنقيح الرجال ، (قم : سيد الشهداء ، ١٤١٢هـ) .

الأمين ، احسان .

١٢- التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الامامية ، (بيروت : دار الهادي ، ١٤١٢هـ) .

الآمدي ، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي (ت٦٣١هـ/١٢٣٣م) .

١٣- إحكام الإحكام في الأحكام ، تحق : عبد الرزاق عفيفي ، طبع بإذن المحقق ومؤسسة النور عن الطبعة الأولى ، (الرياض : مؤسسة النور ، ١٣٨٧هـ) .

بنعضرا ، عبد الواحد .

١٤- العقل المستقيل نقد الإسلام السياسي ومرجعيته ، (الدار البيضاء : أفريقيا الشرق ، ٢٠٠٥م) .

البرقي ، أحمد بن محمد بن خالد (ت٢٨١هـ/٨٩٤م) .
١٥- الطبقات ، تحق : ثامر كاظم الخفاجي ، (قم : ستارة ، ١٤٢٨هـ) .

بدوي ، عبد الرحمن (١٤٢٣ه/٢٠٠٢م) .
١٦- موسوعة المستشرقين ، (عمان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٣م) .

البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) .
١٧- التاريخ الكبير ، تحق : مصطفى عبد القادر أحمد عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٩هـ) ، وطبعة : (ديار بكر : المكتبة الإسلامية ، بلا) .
١٨- صحيح البخاري ، اعتنى به وأعده للنشر : محمد محمد تامر ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٢٤هـ) .
١٩- كتاب الضعفاء الصغير المطبوع مع المجموع في الضعفاء والمتروكين ، دراسة وتحقيق : عبد العزيز عز الدين السيروان ، (بيروت : دار القلم ، ١٤٠٥هـ) .

البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) .
٢٠- الفَرق بين الفِرق ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩م) .

بوهندي ، مصطفى .
٢١- أكثر أبو هريرة دراسة تحليلية نقدية ، (قم : دار الغدير ، ١٤٢٤هـ) .

البدخشي ، عبد الباري عبد الحميد .
٢٢- الحافظ العلائي وجهوده في الحديث وعلومه ، (الرياض : مكتبة دار المنهاج ، ١٤٢٨هـ) .

البكري ، عبد الرحمن أحمد .

٢٣- من حياة الخليفة عمر بن الخطاب ، (بيروت : الارشاد ، بلا) .

بحر العلوم ، محمد مهدي (ت١٢١٢هـ/١٧٩٧م) .

٢٤- رجال بحر العلوم المعروف بـ (الفوائد الرجالية) ، تحق : محمد صادق بحر العلوم ، (طهران : آفتاب ، ١٣٦٣هـ) .

البستاني ، محمود (ت١٤٣٢هـ/٢٠١٠م) .

٢٥- دراسات في علم النفس الإسلامي ، (النجف الأشرف : دار الباقر ، ١٤٢٨هـ) .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

٢٦- أنساب الأشراف ، تحق : محمد باقر المحمودي ، (بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٣٩٤هـ) .

بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن .

٢٧- الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٧م) .

البراقي ، حسين بن أحمد بن الحسين بن إسماعيل الحسيني (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) .

٢٨- تاريخ الكوفة ، استدراك : محمد صادق بحر العلوم ، تحق : ماجد بن أحمد العطية ، (قم : شريعة ، ١٤٢٤هـ) .

بلقزيز ، عبد الإله .
٢٩- قراءات في مشروع محمد اركون الفكري ندوة فكرية ، (بيروت : منتدى المعارف ، ٢٠١١م) .

تيليش ، بول .
٣٠- زعزعة الاساسات ، تر : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ) .

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) .
٣١- الصارم المسلول على شاتم الرسول ، اعتنى به وعلق عليه : محمد بن رياض الاحمد ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٧هـ) .
٣٢- علم الحديث ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ) .
٣٣- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، وضع حواشيه وخرج آياته وأحاديثه : عبد الله محمود محمد عمر ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩م) .

الترمسي ، محمد محفوظ بن عبد الله بن عبد المنان (ت١٣٢٩هـ/١٩١١م) .
٣٤- منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر للحافظ جلال الدين السيوطي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ) .

التستري ، محمد تقي .
٣٥- مستدرك الأخبار الدخيلة ، (طهران : مكتبة الصدوق ، ١٤٠١هـ) .

الترابي ، البشير علي حمد .
٣٦- القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية ، (بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١٨هـ) .

الترابي ، علي أكبر ويحيى الرهائي .
٣٧- الموسوعة الرجالية الميسرة أو معجم رجال الوسائل ، (قم : مؤسسة الامام الصادق ، ١٤١٩هـ) .

الجالي ، زكريا منشاوي وآخرون .
٣٨- فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي بحث بعنوان : (منهج البحث النقدي عند كارل بوبر) ، اعمال الندوة الخامسة عشرة التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥م) .

الجويني ، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م) .
٣٩- البرهان في أصول الفقه ، علق عليه وخرج أحاديث : صلاح بن محمد ابن عويضة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ) .

جولدتسيهر ، اجنتس (١٣٤٠ه/١٩٢١م) .
٤٠- العقيدة والشريعة في الإسلام ، تر : محمد يوسف موسى ، (بيروت : منشورات الجمل ، ٢٠٠٩م) .

الجعبري ، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر (٧٣٢هـ/١٣٣١) .
٤١- رسوم التحديث في علوم الحديث ، تحق : إبراهيم بن شريف الميلي ،

(بيروت : دار ابن حزم ، ١٤٢١هـ) .

الجوزقـاني ، أبـو عبـد الله الحسـين بـن إبـراهيم بـن الحسـن الهمـذاني (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م) .

٤٢- الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير ، تحق : محمد حسن محمد حسن وشريف أبو العلا مرسي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ) .

الجابري ، محمد عابد (١٤٣٢ه/٢٠١٠م) .

٤٣- نحن والـتراث قـراءات معاصـرة في تراثنـا الفلسـفي ، (بـيروت : المركـز الثقافي العربي ، ١٩٩٣م) .

جدعان ، فهمي .

٤٤- رياح العصر قضايا مركزية وحورات كاشفة ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٢م) .

٤٥- المحنة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام ، (بـيروت : المؤسسـة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٠م) .

جديدي ، محمد رضا نزاد .

٤٦- معجم مصطلحات الرجالية والدراية ، اشـراف : محمـد كـاظم رحمـان ، (قم : دار الحديث ، ١٤٢٢هـ) .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .

٤٧- العلـل ، تحـق : خليـل المـيس ، (بـيروت : دار الكتـب العلميـة ، ١٤٢٤هـ) .

حنفي ، حسن وآخرون .
٤٨- فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي ، بحث بعنوان : (هل النقد وقف على الحضارة الغربية ؟) ، أعمال الندوة الخامسة عشرة التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥م) .
٤٩- من النقل إلى العقل علوم الحديث من نقد السند إلى نقد المتن ، (بيروت : دار الأمير للثقافة والعلوم ، ١٤٣٠هـ) .

الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) .
٥٠- المدخل في أصول الحديث المطبوع مع المنار المنيف في الصحيح والضعيف لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ) .
٥١- معرفة علوم الحديث ، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه : معظم حسين ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٧هـ) .
٥٢- المستدرك على الصحيحين ، تحق : يوسف المرعشلي ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ) .
٥٣- فضائل فاطمة الزهراء ، تحق : علي رضا عبد الله بن علي رضا ، (القاهرة : دار الفرقان ، ١٤٢٩هـ) .

ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن الرازي (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م) .
٥٤- الجرح والتعديل ، (حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ١٣٧١هـ) ، والطبعة المحققة التي اعتمدت أكثر بتحق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م) .

٥٥- بيان خطأ محمد بن إسماعيل في تاريخه ، تحق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، (استانبول : مكتبة أحمد الثالث ، بلا) .
٥٦- العلل ، تحق : أبو علي النظيف ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٧هـ) .

ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي التميمي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) .
٥٧- تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار ، تحق : بوران الضناوي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ) .
٥٨- صحيح ابن حبان ، تحق : شعيب الارناؤوط ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ) .
٥٩- كتاب المجروحين من المحدثين ، تحق : حمدي عبد المجيد السلفي ، (الرياض : دار الصميعي ، ١٤٢٠هـ) .
٦٠- كتاب الثقات ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفى ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ) ، وطبعة أخرى قديمة ، (حيدر آباد : الدكن ، ١٣٩٣هـ) .
٦١- مشاهير علماء الأمصار ، تحق : مرزوق علي إبراهيم ، (المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١١هـ) .

الحكيم ، حسن عيسى .
٦٢- الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) ، (النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٩٥هـ) .
٦٣- فاطمة الزهراء عليها السلام شهاب النبوة الثاقب ، (قم : شريعة ، ١٤٣٠هـ) .

٦٤- الشيخ النجاشي أبو العباس أحمد بن علي بن العباس الاسدي (٣٧٢ - ٤٥٠هـ) ، النجف الأشرف ، ١٤٢٢هـ .

حمزة ، محمد .

٦٥- الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م) .

ابن حنبل ، الامام أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) .

٦٦- العلل ومعرفة الرجال ، تحق : وصي الله بن محمد عباس ، (بومباي : الدار السلفية ، ١٤٠٨هـ) ، وطبعة بتحق : أبو علي النظيف ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٧هـ) وطبعة عن (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ) .

٦٧- مسند أحمد بن حنبل ، (بيروت : دار صادر ، بلا) .

الحلي ، حسن بن سليمان (كان حياً سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) .

٦٨- المحتضر ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٧٠هـ) .

الحكيم ، محمد تقي (١٤٢٠ه/١٩٩٩م) .

٦٩- عبد الله بن عباس ، (قم : ستارة ، ١٤٢٣هـ) .

ابن حجر ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .

٧٠- تقريب التهذيب ، تحق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ) .

٧١- تهذيب التهذيب ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ) .

٧٢- لسان الميزان ، (بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٣٩٠هـ) .

٧٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (بيروت : دار المعرفة ، بلا) .

الحلواني ، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر .

٧٤- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، تحق : مدرسة الامام المهدي ، (قم : مهر ، ١٤٠٨هـ) .

ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو محمد الاندلسي القرطبي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .

٧٥- المحلى ، تحق : أحمد محمد شاكر ، (بيروت : دار الفكر ، بلا) .

٧٦- الأحكام في الإحكام ، تحق : أحمد شاكر ، (القاهرة : مطبعة العاصمة ، بلا) .

الحسني ، هاشم معروف .

٧٧- دراسات في الحديث والمحدثون ، (بيروت : دار التعارف ، ١٤٢٦هـ) .

الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/١٦٩٢م) .

٧٨- الرجال ، تحق : علي الفاضلي ، (قم : دار الحديث ، ١٤٢٧هـ) .

حب الله ، حيدر .

٧٩- نظرية السنة في الفكر الامامي الشيعي التكون والصيرورة ، (بيروت : الانتشار الإسلامي ، ٢٠٠٦م) .

الحاج حسن ، حسين .

٨٠- نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية ، (بيروت : مؤسسة الوفاء ، ١٤٠٥هـ) .

الحياني ، مظفر شاكر محمود .
٨١- الامام الدارقطني وجهوده في الحديث وعلومه ، (بغداد : ديوان الوقف السني ، ٢٠٠٩م) .

حمادي ، محمد ضاري .
٨٢- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية ، (بيروت : مؤسسة المطبوعات العربية ، ١٤٠٢هـ) .

الحارث العماني ، أبو عبد الله سالم بن حمد الاباضي .
٨٣- العقود الفضية في أصول الأباضية ، بلا معلومات .

الخفاجي ، محمود شاكر .
٨٤- ملامح الفكر التاريخي في القرآن الكريم ، (قم : ثامن الحجج ، ١٤٢٩هـ) .

الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .
٨٥- تاريخ بغداد مدينة السلام ، تحق : صدقي جميل العطار ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٢٤هـ) .
٨٦- تقييد العلم ، تحق : أبو عبد الله العاملي السلفي ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٦هـ) .
٨٧- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، خرج أحاديثه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ) .
٨٨- شرف أصحاب الحديث ، تحق : محمد سعيد خطيب اوغلي ، (انقرة : جامعة انقرة / كلية الإلهيات ، ١٩٧١م) .

٨٩- الرحلة في طلب الحديث ، اعتنى به مصطفى الخليلي ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٧هـ) .
٩٠- الكفاية في علم الرواية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ) .
٩١- موضح أوهام الجمع والتفريق ، تحق : عبد المعطي أمين قلعجي ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٧هـ) .

الخطيب ، محمد عجاج .
٩٢- المختصر الوجيز في علوم الحديث ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ) .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .
٩٣- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحق : علي عبد الواحد وافي ، (القاهرة : نهضة مصر ، ٢٠٠٦م) ، المقدمة .

الخوئي ، أبو القاسم الموسوي (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .
٩٤- البيان في تفسير القرآن ، (الكويت : منشورات دار التوحيد للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م) .
٩٥- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، (النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٧٠م) .

الخطيب ، معتز .
٩٦- رد الحديث من جهة المتن دراسة في مناهج المحدثين والأصوليين ، (بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ٢٠١١م) .

الخزرجي ، صفي الدين أحمد بن عبد الله الانصاري (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م) .
٩٧- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ، قدم له واعتنى به : عبد الفتاح أبو غدة ، (حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، بلا) .

الخليلي ، المولى علي الرازي النجفي (ت١٢٩٧هـ/١٨٧٩م) .
٩٨- سبيل الهداية في علم الدراية والفوائد الرجالية ، تحق : محمود المقدس الغريفي ، (بيروت : منشورات الفجر ، ١٤٣٠هـ) .

خُلال ، مصطفى .
٩٩- الحداثة ونقد الأدلوجة الأصولية ، (القاهرة : رؤية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧م) .

ديكارت ، رينيه (١٠٦١ه/١٦٥٠م) .
١٠٠- مقال عن المنهج لأحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم ، تر : محمود محمد الخضيري ، مراجعة : محمد مصطفى حلمي ، (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م) .

الدايني ، عزيز رشيد محمد .
١٠١- تاريخ النقد الحديثي وضوابطه ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٨هـ) .

الدوخي ، يحيى بن الحسن .
١٠٢- عدالة الصحابة بين القداسة والواقع حوار تقريبي هادئ ، (قم : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ١٤٣٠هـ) .

الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي السمرقندي (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) .

١٠٣- سنن الدارمي ، (دمشق : مطبعة الاعتدال ، بلا) .

ابن داود ، تقي الدين الحسن بن علي الحلي (ت٧٤٠هـ/١٣٣٩م) .

١٠٤- كتاب الرجال مطبوع مع كتاب الرجال للبرقي ، (طهران : منشورات جامعة طهران ، بلا) .

الدارقطني ، علي بن عمر (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) .

١٠٥- سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني ، تحق : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ) .

١٠٦- الضعفاء والمتركون ، مطبوع مع مجموعة من كتب الضعفاء والمتروكين ، تحق : عبد العزيز عز الدين السيروان ، (بيروت : دار القلم ، ١٤٠٥هـ) .

١٠٧- علل الدارقطني ، تحق : محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، (الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥هـ) .

الدولابي ، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الرازي (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) .

١٠٨- الذرية الطاهرة ، تحق : محمد جواد الجلالي ، (بيروت : مؤسسة الاعلمي ، ١٤٠٨هـ) .

١٠٩- الكنى والأسماء ، وضع حواشيه : زكريا عميرات ، وضع فهارسه : أحمد شمس الدين ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠هـ) .

درياب ، محمود درياب النجفي .

١١٠- نصوص الجرح والتعديل دراسة وتقييم ، (قم : مجمع الفكر الإسلامي ، ١٤٣٠هـ) .

ابن دقيق العيد ، تقي الدين محمد بن علي (ت٧٠٢هـ/١٣٠٢م) .
١١١- الاقتراح في بيان الاصطلاح وما اضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدودة من الصحاح ، تحق : سالم يفوت ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م) .

دقيق العاملي ، معين حسن .
١١٢- السوانح العاملية في تنقيح القواعد الرجالية ، (قم : مكتب الاعلام الإسلامي ، ١٤٢٦هـ) .

داود ، نبيلة عبد المنعم .
١١٣- نشأة الشيعة الامامية ، (بيروت : دار المؤرخ العربي ، ١٤١٥هـ) .

ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (ت٢٨١هـ/٨٩٤م) .
١١٤- كتاب الاخوان ، تحق : محمد عبد الرحمن طوالبة ، باشراف : نجم عبد الرحمن خلف ، دار الاعتصام .

الدوري ، عبد العزيز .
١١٥- نشأة علم التاريخ عند العرب ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥م) .

الدارمي ، عثمان بن سعيد (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) .
١١٦- تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن أبي زكريا يحيى بن معين في تجريح الرواة وتعديلهم المعروف بتاريخ ابن معين ، تحق : أحمد محمد نور سيف ، (دمشق : دار المأمون للتراث ، بلا) .

الدرجيني ، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م) .
١١٧- كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، تحق : إبراهيم طلاي ، بلا معلومات طبع .

ذويب ، حمادي .
١١٨- السنة بين الأصول والتاريخ ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م) .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .
١١٩- تاريخ الإسلام ، تحق : عمر عبد السلام تدميري ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ) .
١٢٠- تذكرة الحفاظ ، تصح : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، (مكة المعظمة : مكتبة الحرم المكي ، ١٣٧٤هـ) .
١٢١- سير اعلام النبلاء ، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ) .
١٢٢- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، اعتنى به ووضع حواشيه : عمرو شوكت ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٨هـ) .
١٢٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحق : محمد علي البجاوي ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٨٢هـ) .

الراغب الاصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م) .
١٢٤- المفردات في غريب القرآن ، ضبط : هيثم طعيمي ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٣هـ) .

الرازي ، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت بعد ٦٦٦هـ/١٢٦٧م) .
١٢٥- مختار الصحاح ، (دمشق : مطبعة الملاح ، بلا) .

الرحماني ، محمد :
١٢٦- (لمحة عن القواعد الفقهية) ، مجلة أهل البيت ، فصلية فقهية متخصصة ، تصدر عن مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت ، العدد ٥ ، السنة الرابعة عشرة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

الربيعي ، حسن كريم ماجد .
١٢٧- (تحقيق حال المعلى بن خنيس) بحث منشور في مجلة المبين تصدر عن مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي ، العدد الثالث ، ٢٠٠٥م .
١٢٨- (الطبقات وأثرها في الحديث الشريف) بحث منشور في مجلة علوم الحديث تصدر عن كلية علوم الحديث ، طهران ، العدد ٢٣ لسنة ١٤٢٩هـ .
١٢٩- (الفكر الاقصائي عند عبد المجيد الشرفي تحديث الفكر الإسلامي انموذجاً) بحث منشور في مجلة المنهج تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد الصدر ، العدد ١٤ لسنة ١٤٣٢هـ .

أبو ريه ، محمود .
١٣٠- أضواء على السنة المحمدية ، (مصر : مطبعة دار التأليف ، ١٩٦٠م) .
١٣١- شيخ المضيرة أبو هريرة ، (مصر : دار المعارف ، بلا) .

الرحيم ، أحمد حسن .
١٣٢- محاضرات في علم النفس ، (النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٨٤هـ) .

الرزينة ، لالاني .
١٣٣- الفكر الشيعي المبكر تعاليم الامام محمد الباقر ، تر : سيف الدين القصير ، (بيروت : دار الساقي ، ٢٠٠٤م) .

الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) .
١٣٤- أساس البلاغة ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٢هـ) .

الزراري ، أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م) .
١٣٥- رسالة أبي غالب الزراري إلى ابن ابنه في ذكر آل اعين وتكلمتها لأبي عبد الله الغضائري ، تحق : محمد رضا الجلالي ، (قم : مكتب الاعلام الإسلامي ، ١٤١١هـ) .

الزركلي ، أبو غيث خير الدين بن محمود (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .
١٣٦- الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء في العرب والمستعربين والمستشرقين ، (بيروت : دار العلم للملايين ، بلا) .

أبو زهرة ، محمد .
١٣٧- الامام الصادق حياته وعصره - آراؤه الفقهية ، (القاهرة : دار الفكر الإسلامي ، ١٤٢٥هـ) .

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م) .
١٣٨- النكت على مقدمة ابن الصلاح ، تحق : محمد علي سمك ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٥هـ) .

الساڤي ، نور الدين .
١٣٩- نقد العقل في فلسفة الغزالي منزلة العقل النظري والعقل العملي ، (بيروت : دار التنوير ، ٢٠٠٩م) .

السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) .
١٤٠- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، حققه وعلق عليه بالانجليزية : فرانز روزنتال ، تر : صالح أحمد العلي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، بلا) .
١٤١- المتكلمون في الرجال المطبوع مع مجموعة من الرسائل في علوم الحديث والمستخرج من كتاب (الإعلان بالتوبيخ) ، تحق : عبد الفتاح أبو غدة ، (حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤١٠هـ) .

السبحاني ، جعفر .
١٤٢- دور الشيعة في الحديث والرجال نشأةً وتطوراً ، (قم : مؤسسة الامام الصادق ، ١٤٣١هـ) .
١٤٣- كليات في علم الرجال ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، ١٤١٥هـ) .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) .
١٤٤- اسعاف المبطأ برجال الموطأ مطبوع مع كتاب الموطأ للامام مالك بن أنس ، تحق : نواف الجراح ، (بيروت : دار صادر ، ١٤٢٥هـ) .
١٤٥- تاريخ الخلفاء ، تحق : محمد محي الدين عبد الحميد ، اوفسيت على مطبعة السعادة بمصر الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ ، (بغداد ، مطبعة منير ، بلا) .
١٤٦- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، شرح ألفاظه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، (بيروت : دار الكتب

العلمية ، ١٤٢٣هـ) .

السجاد ، الامام زين العابدين علي بن الحسين (ت٩٥هـ/٧١٣م) .
١٤٧- الصحيفة السجادية ، تقديم : السيد محمد باقر الصدر ، تحق : علي انصاريان ، دمشق ، ١٤١٩هـ .

ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله بن يحيى (ت٧٣٤هـ/١٣٣٣م) .
١٤٨- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، (بيروت : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ) .

السند ، محمد .
١٤٩- الاجتهاد والتقليد في علم الرجال وأثره في التراث العقائدي دراسة نقدية لمدرسة النجاشي ، (قم : وفا ، ١٤٣١هـ) .

السجستاني المعروف بأبي داود ، سليمان بن الاشعث (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) .
١٥٠- سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود ، تحق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، (بيروت : مؤسسة الريان ، ١٤١٨هـ) .

السُبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) .
١٥١- قاعدة في الجرح والتعديل ، مطبوع مع اربع رسائل في علوم الحديث ، اعتنى به : عبد الفتاح أبو غدة ، (حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤١٠هـ) .
١٥٢- طبقات الشافعية الكبرى ، تحق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠هـ) .

ابن السكيت ، يعقوب بن إسحاق الأهوازي (ت٢٤٤هـ/٨٥٨م) .

١٥٣- ترتيب إصلاح المنطق ، تحق : محمد حسن بكائي ، (مشهد : الاستانة الرضوية ، ١٤١٢هـ) .

السبزواري ، جعفر بن محمد الحسيني (ت ق١٢هـ/ق١٧م) .

١٥٤- فرائد الفوائد في الرجال ، تحق : مهدي الرجائي ، (قم : ستارة ، ١٤٣١هـ) .

الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م) .

١٥٥- نهج البلاغة ما اختاره من خطب وكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ضبط نصه : صبحي الصالح ، (طهران : دار الاسوة للطباعة والنشر ، ١٤٢٥هـ) .

الشاذلي ، عبد السلام .

١٥٦- الأسس النظرية الحديثة في مناهج تاريخ الأدب العربي المعاصر بمصر (١٨٧٠ - ١٩٤٨م) ، (القاهرة : الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩م) .

الشهيد الثاني ، زين الدين بن علي العاملي (ت٩٦٥م/١٥٥٧م) .

١٥٧- شرح البداية في علم الدراية ، ضبط نصه : محمد رضا الحسيني الجلالي ، (قم : النهضة ، ١٤١٤هـ) .

١٥٨- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد ، (قم : إسماعيليان ، ١٤٢٨هـ) .

الشرفي ، عبد المجيد .

١٥٩- الإسلام بين الرسالة والتاريخ ، (بيروت : دار الطليعة ، ٢٠٠٨م) .

١٦٠- تحديث الفكر الإسلامي ، (بيروت : دار المدار الإسلامي ، ٢٠٠٩م) .

ابن شهراشوب ، أبو جعفر محمد بن علي السروي (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م) .
١٦١- معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً (تتمة كتاب الفهرست للشيخ أبي جعفر الطوسي) ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٠هـ) .
١٦٢- مناقب آل أبي طالب ، تحق : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٧٦هـ) .

الشبستري ، عبد الحسين .
١٦٣- اعلام القرآن ، (قم : بوستان كتاب ، ١٤٢٩هـ) .
١٦٤- الفائق في رواة وأصحاب الامام الصادق ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٨هـ) .

الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) .
١٦٥- الموافقات في أصول الشريعة ، شرحه وخرج أحاديثه : عبد الله دراز ، وضع تراجمه : محمد عبد الله دراز ، خرج آياته وفهرس موضوعاته : عبد السلام عبد الشافي محمد ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ) .

شرف الدين ، عبد الحسين الموسوي (ت١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) .
١٦٦- الفصول المهمة في تأليف الأمة ، (صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٣٣٠هـ) .

الشهرستاني ، علي .
١٦٧- منع تدوين الحدث قراءة في منهجة الفكر وأصول مدرستي الحديث عند المسلمين ، (قم : مؤسسة الرافد ، ١٤٣٠هـ) .

ابن شعبة الحراني ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (ت ق٤هـ/ق١٠م) .
١٦٨- تحف العقول عن آل الرسول ، قدم له وعلق عليه : حسين الاعلمي ، (قم : كيميا ، ١٤٢٤هـ) .

الشماع ، صالح .
١٦٩- المدخل إلى علم النفس ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، بلا معلومات طبع.

ابن شاهين ، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) .
١٧٠- تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم ، تحق : عبد المعطي أمين قلعجي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١١م) وطبعة أخرى بتحق : صبحي السامرائي ، (الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٤هـ) .
١٧١- ناسخ الحديث ومنسوخه ، تحق : كريمة بنت علي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١١م) .

الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) .
١٧٢- الذريعة إلى أصول الشريعة ، تحق : اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق ، (قم : مؤسسة الامام الصادق ، ١٤٢٩هـ) .

أبو شهبة ، هناء يحيى .
١٧٣- (السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية) بحث مقدم إلى مؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة اليرموك - الأردن - اربد في ١٧ - ١٨ ابريل ٢٠٠٧م .

الشافعي ، الامام محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/٨١٩م) .
١٧٤- الرسالة ، تحق : عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٦هـ) .

صبحي ، أحمد محمود وصفاء عبد السلام .
١٧٥- في فلسفة الحضارة (اليونانية - الإسلامية - الغربية) ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٩٩م) .

ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) .
١٧٦- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، علق عليه وشرح ألفاظه وخرج أحاديثه : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ) .

الصدر ، حسن العاملي (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) .
١٧٧- الشيعة وفنون الإسلام ، (بيروت : دار المعرفة ، بلا) .

الصدر ، محمد باقر (ت١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .
١٧٨- بحث حول الولاية ، (بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٤٢٤هـ) .

صالح ، أحمد عباس .
١٧٩- اليمين واليسار في الإسلام ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣م) .

الصفار ، محمد بن الحسن بن فروخ (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م) .
١٨٠- بصائر الدرجات ، تحق : محسن كوجة باغي ، (طهران : مطبعة الاحمدي ، ١٤٠٤هـ) .

صمدي ، رضا أحمد .
١٨١- الإسناد عند المحدثين - الدلالة ، التاريخ ، المنهج ، بلا معلومات طبع .

صاحب المعالم ، حسن بن زين الدين العاملي (ت١٠١١هـ/١٦٠٢م) .
١٨٢- التحرير الطاووسي المستخرج من كتاب (حل الأشكال في معرفة الرجال) لاحمد بن طاوس ، تحق : محمد حسن ترحيني ، (قم : مجمع الذخائر الإسلامية ، ١٤٢٥هـ) .
١٨٣- منتقى الجمان ، تحق : علي أكبر الغفاري ، (قم : جماعة المدرسين ، بلا) .

الصريفيني ، إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت٦٤١هـ/١٢٤٣م) .
١٨٤- الحلقة الأولى من تاريخ نيسابور المنتخب من السياق للحافظ الفارسي ، اعداد : محمد كاظم المحمودي ، (قم : جماعة المدرسين ، ١٤٠٣هـ) .

الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت٣٨١هـ/٩٩١م) .
١٨٥- عيون أخبار الرضا ، قدم له : محمد مهدي الخرسان ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٩٠هـ) .

صنقور ، محمد صنقور علي .
١٨٦- المعجم الأصولي ، (قم : منشورات نقش ، ١٤٢٦هـ) .

الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) .

١٨٧- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ، تحق وتصح : محمد تقي فاضل وأبو الفضل الموسويان ، (طهران ، مؤسسة النشر ، ١٤٢٤هـ) .

١٨٨- التبيان في تفسير القرآن ، (قم : مكتب الاعلام الإسلامي ، ١٤٠٩هـ) .

١٨٩- رجال الطوسي ، تحق : جواد القيومي الاصفهاني ، (قم : جماعة المدرسين ، بلا) .

١٩٠- العدة في أصول الفقه ، تحق : محمد رضا الانصاري القمي ، (قم : ستارة ، ١٤١٧هـ) .

١٩١- الفهرست ، تحق : جواد القيومي ، (قم : باقري ، ١٤٢٢هـ) .

ابن طاوس ، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت٦٦٤هـ/١٢٦٥م) .

١٩٢- فرج المهموم في تاريخ علوم النجوم ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٦٨هـ) .

الطباطبائي ، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ/١٩٨١م) .

١٩٣- الميزان في تفسير القرآن ، (قم : جماعة المدرسين ، ١٤٠٢هـ) .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) .

١٩٤- تاريخ الرسل والملوك ، تحق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٠م) .

ابن الطيب ، أبو الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) .

١٩٥- المعتمد في أصول الفقه ، قدم له : خليل الميس ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، بلا) .

الطبرسي ، أحمد بن علي بن أبي طالب (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) .
١٩٦- الاحتجاج ، تحق : محمد باقر الخرسان ، (النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٣٨٦هـ) .

طرابيشي ، جورج .
١٩٧- من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث النشأة المستأنفة ، (بيروت : دار الساقي ، ٢٠١٠م) .

الطحاوي ، أحمد بن محمد بن سلامة الازدي الحنفي (ت٣٢١هـ/٩٣٣م) .
١٩٨- شرح معاني الآثار ، تحق : محمد زهري النجار ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٦هـ) .

الظالمي ، رشيد باني .
١٩٩- الميثولوجيا في النص التاريخي والديني ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠١١م) .

عباس ، راوية عبد المنعم .
٢٠٠- ديكارت والفلسفة العقلية ، (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٩٦م) .

عودة ، ناظم .
٢٠١- تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر ، (بيروت : دار الكتاب الجديد ، ٢٠٠٩م) .

العمري ، محمد علي قاسم .
٢٠٢- دراسات في منهج النقد عند المحدثين ، (العبدلي : دار النفائس ، ١٤٢٠هـ) .

ابن عدي ، أبو أحمد عبد الله الجرجاني (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م) .
٢٠٣- الكامل في ضعفاء الرجال ، المقدمة تحق : صبحي البدري السامرائي ، (بغداد : مطبعة سلمان الأعظمي ، بلا) ، وطبعة بتحق : سهيل زكار ، قرأها ودققها على المخطوطات : يحيى مختار غزاوي ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٢٤هـ) ، وطبعة بتحق وهي المهمة : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، وشارك في التحق : عبد الفتاح أبو سنة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١١م) .

العبد الله ، حسين الراضي .
٢٠٤- تاريخ علم الرجال ، (بيروت : مؤسسة البلاغ ، ١٤٢١هـ) .

عبد المطلب ، رفعت موزي .
٢٠٥- ابن أبي حاتم الرازي وأثره في علوم الحديث ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٥هـ) .

عزي ، أحمد .
٢٠٦- السبر عند المحدثين وامكانية تطبيقه عند المعاصرين ، بحث مقدم إلى ندوة علوم الحديث واقع وآفاق المنعقدة بتاريخ ٨ - ١٠ ابريل ٢٠٠٣ في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي .

العقيلي ، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م) .
٢٠٧- كتاب الضعفاء ، تحق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، (الرياض : دار الصميعي ، ١٤٢٠هـ) .

ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م) .
٢٠٨- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ، حققه وعلق حواشيه : محب الدين الخطيب ، (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٧٥هـ) .

العلواني ، طه جابر .
٢٠٩- أدب الاختلاف في الإسلام ، (بيروت : الدار العربية للعلوم ، ١٤٢٦هـ) .

ابن عساكر ، علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) .
٢١٠- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، تحق : علي شيري ، (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٥هـ) .

العجلي ، أحمد بن عبد الله بن صالح (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) .
٢١١- تاريخ الثقات ، ترتيب : الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي وتضمينات الحافظ ابن حجر العسقلاني ، علق عليه : عبد المعطي قلعجي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ) .

العراقي ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٠٦هـ/١٤٠٣م) .
٢١٢- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٩هـ) .

العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) .
٢١٣- ايضاح الاشتباه في أسماء الرواة ، تحق : ثامر كاظم الخفاجي ، (قم : ستارة ، ١٤٢٥هـ) .

٢١٤- رجال العلامة الحلي ، تحق : محمد صادق آل بحر العلوم ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨١هـ) .

العمري ، اكرم ضياء .

٢١٥- منهج النقد عند المحدثين مقارناً بالمنهج الغربي ، (الرياض : دار اشبيليا ، ١٤١٧هـ) .

علي نور ، زهير عثمان .

٢١٦- ابن عدي ومنهجه في كتاب الكامل في ضعفاء الرجال ، (الرياض : الرشد ، ١٤١٨هـ) .

العبد اللطيف ، عبد العزيز محمد بن إبراهيم .

٢١٧- ضوابط الجرح والتعديل ، (المدينة المنورة ، مكتبة العبيكان ، بلا) .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي المالكي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .

٢١٨- جامع بيان العلم وفضله ، تحق : مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٨هـ) .

عزيزي ، حسين وبرويز وستكار ويوسف بيات .

٢١٩- الرواة المشتركون بين الشيعة والسنة ، تر : عبد الأمر الوردي ، (طهران : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، ١٤٣٠هـ) .

العلوي ، محمد بن عقيل بن عبد الله بن يحيى الحسيني (ت١٣٥٠هـ/١٩٣١م) .

٢٢٠- العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل ، (قم : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ١٤٢٧هـ) .

٢٢١- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ، قدم له : محمد رضا الخرسان ، (النجف الأشرف : المكتبة الحيدرية ، ١٣٨٦هـ) .

ابن أبي عاصم ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت٢٨٧هـ/٩٠٠م) .

٢٢٢- كتاب الآحاد والمثاني ، تحق : باسم فيصل الجوابرة ، (الرياض : دار الدراية للطباعة ، ١٤١١هـ) .

العروي ، عبد الله .

٢٢٣- مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب ، المفاهيم والأصول ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م) .

العبادي ، عبد الحميد .

٢٢٤- علم التاريخ لهرنشو ، ضمّنه المترجم العبادي فصلاً أسماه (المامة بالتاريخ عند العرب) ، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م) .

العاملي ، علي حسين مكي .

٢٢٥- بحوث في فقه الرجال ، (بيروت : مؤسسة العروة الوثقى ، ١٤١٤هـ) .

العسكري ، مرتضى .

٢٢٦- خمسون ومائة صحابي مختلق ، (بيروت : دار الزهراء ، ١٤١٢هـ) .

عبد الكريم ، خليل .

٢٢٧- شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة السفر الثاني الصحابة والصحابة ، (القاهرة : سينا للنشر ، ١٩٩٧م) .

الغريفي ، محيي الدين الموسوي (١٤١٢هـ/١٩٩١م) .
٢٢٨- قواعد الحديث ، تحق : محمد رضا الغريفي ، (قم : ثامن الحجج ، ١٤٢٩هـ) .

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م) .
٢٢٩- المستصفى من علم الأصول ، تحق : حمزة بن زهير الحافظ ، (جدة : شركة المدينة المنورة ، بلا) .

ابن الغضائري ، أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .
٢٣٠- الرجال ، تحق : محمد رضا الجلالي ، (قم : سرور ، ١٤٢٢هـ) .

غنيم ، سيد محمد .
٢٣١- سيكولوجية الشخصية محدداتها ، قياسها ، نظرياتها ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، بلا) .

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) .
٢٣٢- معجم مقاييس اللغة ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٩هـ) .

الفضلي ، عبد الهادي .
٢٣٣- أصول علم الرجال ، (بيروت : مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٣٠هـ) .

فياض ، عبد الله .
٢٣٤- تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي ، (بغداد : مطبعة اسعد ، ١٣٩٢هـ) .

ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت بعد ٣٤٠هـ/٩٥١م) .
٢٣٥- مختصر كتاب البلدان ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ) .

فخر الدين الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) .
٢٣٦- المحصول في علم الأصول ، علق عليه ووضع حواشيه : محمد عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠هـ) .

أبو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) .
٢٣٧- مقاتل الطالبيين ، تحق : أحمد صقر ، (قم : عترة ، ١٤٢٥هـ) .

الفحل ، ماهر ياسين .
٢٣٨- أثر اختلاف الأسانيد والمتون في اختلاف الفقهاء ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٣٠هـ) .

فوكو ، ميشال .
٢٣٩- حفريات المعرفة ، تر : سالم يفوت ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م) .

فتاح ، بشير محمود .
٢٤٠- المعجم الاصطلاحي لألفاظ الجرح والتعديل في علم الحديث النبوي الشريف ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١١م) .

القسطلاني ، أحمد بن محمد الخطيب (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م) .
٢٤١- ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، (بولاق : المطبعة الميرية ، ١٣٠٤هـ) .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) .

٢٤٢- المعارف ، صححه : محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٣٩٠هـ) .

القاضي الكوفي ، محمد بن سليمان (ت ح٣٠٠هـ/٩١٢م) .

٢٤٣- مناقب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، تحق : محمد باقر المحمودي ، (قم : مجمع احياء الثقافة الإسلامية ، ١٤١٢هـ) .

القاضي النعمان ، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م) .

٢٤٤- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحق : محمد الحسيني الجلالي ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، بلا) .

٢٤٥- المجالس والمسايرات ، تحق : الحبيب الفقي وآخرون ، (بيروت : دار المنتظر ، ١٩٩٦م) .

القيسي ، ثامر جبار عباس .

٢٤٦- ما استدركه الحاكم من فضائل علي رضي الله عنه ومن فضائل السيدة فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم في مستدركه ، دراسة أسانيد وتحليل ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٧هـ) .

القريشي ، صالح جبار عبود .

٢٤٧- الشيخ المامقاني ومنهجه في كتاب تنقيح المقال في علم الرجال ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الفقه / جامعة الكوفة ، غير منشورة ، ١٣٤١هـ/٢٠١٠م .

القاسمي ، محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) .
٢٤٨- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، تحق : محمد بهجة البيطار ، (دمشق : دار احياء الكتب العربية ، ١٣٨٠هـ) .

الكيرانوي ، حبيب أحمد .
٢٤٩- قواعد في علم الحديث على ضوء ما أفاده اشرف علي التهانوي ، (بيروت : دار الفكر العربي ، ١٩٩٠م) .

الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) .
٢٥٠- الأصول من الكافي ، تقديم : حسين علي محفوظ ، صححه وعلق عليه : علي أكبر الغفاري ، (طهران : دار الكتب الإسلامية ، ١٣٨٨هـ) .

الكفيشي ، عامر .
٢٥١- حركة التاريخ في القرآن الكريم ، (بيروت : دار الهادي ، ١٤٢٤هـ) .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .
٢٥٢- اختصار علوم الحديث ، تعليق وشرح : صلاح محمد محمد عويضة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ) .
٢٥٣- الباعث الحثيث شرح مختصر علوم الحديث ، بلا معلومات .
٢٥٤- البداية والنهاية ، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه : علي شيري ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ) .

الكعبي ، عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي (ت٣١٩هـ/٩٣١م) .
٢٥٥- قبول الأخبار ومعرفة الرجال ، تحق : أبو عمرو الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ) .

كاشف الغطاء ، محمد الحسين (ت١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) .

٢٥٦- أصل الشيعة وأصولها ، (القاهرة : المطبعة العربية ، ١٣٧٧هـ) .

الكتاني ، محمد بن جعفر (ت١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) .

٢٥٧- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، (القاهرة : مكتبة الكليات الازهرية ، ١٩٩٥م) .

الكحلاني ، محمد بن إسماعيل بن صلاح المعروف بالأمير الصنعاني (ت١١٨٢هـ/١٧٦٨م) .

٢٥٨- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني ، علق عليه : عبد العزيز الخولي ، (القاهرة : مطبعة مصفى البابي وأولاده ، ١٣٧٩هـ) .

الكردي ، إسماعيل .

٢٥٩- نحو تفعيل قواعد متن الحديث ، (دمشق : دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات المطبعية ، ٢٠٠٨م) .

لجنة من العلماء والأكاديميين والسوفياتيين .

٢٦٠- الموسوعة الفلسفية ، باشراف : روزنتال ويودين ، تر : سمير كرم ، (بيروت : دار الطليعة ، ٢٠٠٦م) .

لانجلو وسينوبوس ، وبول ماس وامانويل كنت .

٢٦١- النقد التاريخي ، تر : عبد الرحمن بدوي ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٣م) .

منصور ، أحمد صبحي .

٢٦٢- القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي ، (بيروت : الانتشار الإسلامي ، ٢٠٠٥م) .

معروف ، بشار عواد .

٢٦٣- المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة ومؤلفات أصحابها الأخرى وموطأ مالك ومسانيد الحميدي وأحمد بن حنبل وعبد بن حميد وسنن الدارمي وصحيح ابن خزيمة ، (بغداد : مطبعة الأوقاف والشؤون الدينية ، ١٤٠٦هـ) .

متز ، آدم (١٣٣٦ه/١٩١٧م) .

٢٦٤- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧م) .

المزي ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م) .

٢٦٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : بشار عواد معروف ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١م) .

المعلم ، محمد علي صالح .

٢٦٦- أصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق تقريراً لبحث مسلم الداوري ، تصح : حسن العبودي ، (قم : سرور ، ١٤٢٦هـ) .

المامقاني ، عبد الله (ت١٣٥١هـ/١٩٣٢م) .
٢٦٧- مقباس الهداية في علم الدراية ، تحق : محمد رضا المامقاني ، (قم : منشورات دليل ما ، ١٤٢٨هـ) .

المحسني ، محمد آصف .
٢٦٨- بحوث في علم الرجال ، (قم : سيد الشهداء ، ١٤٠٣هـ) .

مسلم ، الامام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) .
٢٦٩- صحيح مسلم ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٢٦هـ) .

مالك ، الامام ابن أنس (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) .
٢٧٠- الموطأ ، تحق : نواف الجراح ، (بيروت : دار صادر ، ١٤٢٥هـ) .

الميانجي ، علي بن حسين علي .
٢٧١- مكاتيب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ، (طهران : دار الحديث ، ١٤١٩هـ) .

المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) .
٢٧٢- أوائل المقالات ، تحق : إبراهيم الانصاري ، (بيروت : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٤هـ) .
٢٧٣- الافصاح في إمامة أمير المؤمنين ، تحق : مؤسسة البعثة ، (قم : مركز مؤسسة البعثة ، ١٤١٢هـ) .
٢٧٤- الأمالي ، تحق : الحسين أستاذ ولي ، (قم : جماعة المدرسين ، ١٤٠٣هـ) .

٢٧٥- الفصول المختارة ، تحق : مير علي شريفي ، (بيروت : دار المفيد ، ١٤١٤هـ) .
٢٧٦- المسائل الصاغانية ، تحق : محمد القاضي ، (قم : مهر ، ١٤١٣هـ) .

المظفر ، محمد حسن (ت١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) .
٢٧٧- الافصاح عن احوال رواة الصحاح ، تحق : مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ، (قم : ستارة ، ١٤٢٦هـ) .

المباركفوري ، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) .
٢٧٨- تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ) .

ابن ماكولا ، أبو نصر سعد الملك علي بن هبة الله بن علي (ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م) .
٢٧٩- الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والانساب ، (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، بلا) .

مغلطاي ، علاء الدين بن قليج بن عبد الله البكجري الحنفي (ت٧٦٢هـ/١٣٦٠م) .
٢٨٠- اكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحق : أبي عبد الرحمن أبي محمد عادل بن محمد ، (القاهرة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ١٤٢٢هـ) .

مرعشلي ، يوسف .

٢٨١- علم تخريج الحديث وبيان كتب السنة المشرفة ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٢٩هـ) .

٢٨٢- علم الجرح والتعديل وأهميته في دراسة الأسانيد والحكم على الحديث ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٣٠هـ) .

٢٨٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في سنن الدارقطني ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ) .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) .

٢٨٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت : دار القارئ ، ١٤٢٥هـ) .

المازندراني ، المولى محمد صالح (ت١٠٨١هـ/١٦٧٠م) .

٢٨٥- شرح أصول الكافي ، تعليق : أبو الحسن الشعراني ، ضبط وتصح : علي عاشور ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢١هـ) .

ميرد داماد ، محمد باقر الحسيني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م) .

٢٨٦- الرواشح السماوية ، تحق : غلا محسن قيصرية ونعمة الله الجليلي ، (قم : دار الحديث ، ١٤٢٢هـ) .

المديني ، علي بن جعفر (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م) .

٢٨٧- سؤالات ابن أبي شيبة لعلي بن جعفر المديني ، تحق : موفق عبد الله عبد القادر ، (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ) .

المظفر ، عبد الحسين عبد الله (ت١٤١٦هـ/١٩٩٥م) .

٢٨٨- الشافي في شرح أصول الكافي ، (بيروت : مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٣٢هـ) .

ابن المرتضى ، أحمد بن يحيى (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م) .
٢٨٩- كتاب طبقات المعتزلة ، عنيت بتحقيقه : سوسنه ديفلد - فلزر ، (بيروت : دار المنتظر ، ١٤٠٩هـ) .

المحمدي ، عبد القادر مصطفى عبد الرزاق .
٢٩٠- الشاذ والمنكر وزيادة الثقة موازنة بين المتقدمين والمتأخرين ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٦هـ) .

محمد ، يحيى .
٢٩١- مشكلة الحديث ، (بيروت : دار الانتشار العربي ، ٢٠٠٧م) .

النجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الاسدي الكوفي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .
٢٩٢- رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفي الشيعة) ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين ، ١٤٢٤هـ) .

النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ/٩١٥م) .
٢٩٣- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، حققه وصحح أسانيده ووضع فهارسه : محمد هادي الأميني ، (النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٩هـ) .
٢٩٤- رسائل في علوم الحديث ومنه تسمية فقهاء الأمصار من الصحابة فمن بعدهم ، تحق : جميل علي حسن ، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٠٥هـ) .
٢٩٥- السنن الكبرى ، تحق : عبد الغفار البغدادي وسيد كسروي حسن ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ) .

٢٩٦- الضعفاء والمتركون ، المطبوع مع غيره من كتب الضعفاء ، دراسة وتحق : عبد العزيز عز الدين السيروان ، (بيروت : دار القلم ، ١٤٠٥هـ) .

أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) .

٢٩٧- مسند الامام أبي حنيفة ، تحق : نظر محمد الفاريابي ، (الرياض : مكتبة الكوثر ، ١٤١٥هـ) .

٢٩٨- كتاب الضعفاء ، تحق : فاروق حمادة ، (الدار البيضاء : دار الثقافة ، بلا) .

النووي ، محي الدين يحيى بن شرف بن مري (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م) .

٢٩٩- المجموع ، (بيروت : دار الفكر ، بلا) .

ناجي ، عبد الجبار .

٣٠٠- نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجاً ، (بيروت : منشورات الجمل ، ١٤٣٢هـ) .

ابن النجار البغدادي ، أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) .

٣٠١- كتاب الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي ، تحق : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ) .

ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) .

٣٠٢- الفهرست ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ) .

أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله (ت ق٤هـ/ق١٠م) .

٣٠٣- معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءاً من كتاب نور الدين الجزائري ، تحق : مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٢٦هـ) .

أبو الهدى الكلباسي ، كمال الدين بن أبي المعالي محمد (ت١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) .

٣٠٤- سماء المقال في علم الرجال ، تحق : محمد الحسيني القزويني ، (قم : أمير ، ١٤١٩هـ) .

هاني ، إدريس .

٣٠٥- محنة التراث الآخر النزعات العقلانية في الموروث الامامي ، (بيروت : الغدير للدراسات والنشر ، ١٤١٩هـ) .

أبو الوليد الباجي ، سليمان بن خلف بن سعد المالكي (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م) .

٣٠٦- التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح ، تحق : أحمد لبزار ، بلا معلومات ، وطبعة أخرى اعتنى بها وعلق عليها : علي إبراهيم مصطفى ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م) .

الوحيد البهبهاني ، محمد باقر بن محمد اكمل (ت١٢٠٦هـ/١٧٩١م) .

٣٠٧- فوائد الوحيد البهبهاني المطبوع مع كتاب رجال الخاقاني لعلي الخاقاني ، تحق : محمد صادق بحر العلوم ، (قم : مكتب الاعلام الإسلامي ، ١٤٠٤هـ) .

اليعقـوبي ، أحمـد بـن أبـي يعقـوب إسـحاق بـن جعفـر بـن وهـب (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) .

٣٠٨- البلدان ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ) .

٣٠٩- تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ) .

يـاقوت الحمـوي ، شـهاب الـدين أبـو عبـد الله الرومـي البغـدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

٣١٠- معجم البلدان ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ) .

يوزبكي ، رامي .

٣١١- الوضاعون وأحاديثهم الموضوعة من كتاب الغدير للشيخ الأميني ، (قم : مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ١٤٢٠هـ) .

أبو يعلى الموصلي ، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت٣٠٧هـ/٩١٩م) .

٣١٢- كتاب المفاريد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، تحق : عبد الله بن يوسف آل جديع ، (الكويت : مكتبة دار الأقصى ، ١٤٠٥هـ) .

المحتويات

الموضــــــــوع	الصفحات

الموضـــــــوع	الصفحات

الموضـــــــــــوع	الصفحات

الموضـــــــــوع	الصفحات

الموضـــــــــوع	الصفحات

الموضوع	الصفحات

الموضـــــــــوع	الصفحات

الموضــــــــــوع	الصفحات

الموضـــــــــوع	الصفحات

الموضـــــــــــوع	الصفحات